كِتَابُ
الرِّسَالةِ الوَاضِحَة

تَصنيفُ
الشَّيخُ الإمامُ الأَوحدُ
عبدُالوَّهابِ بن عبدِالوَّاحدِ بن مُحَمَّدِ بن الحَنْبَليُّ
رحمه اللَّه تعالى

تحقيق وتعليق
علي بن عبدالعزيز علي الشبل

عام ١٤١٧هـ



المقدمة وسبب التأليف

سألتني أيها الأخُ الصالحُ المُتمسكُ[١] بمذهبِ الحقِّ الوَاضِحِ، أَنْ أَذْكَرَ لك طرفاً مِنْ مُحالاتِ الأَشعريَّةِ[٢]، وطرفاً مِنْ مذاهِبِهم

---

(١) لم يُبن المؤلف رحمه الله اسمه أو صفة يُعرف بها، وغاية ما أبان أنه من أهل السنة والجماعة. ويُحمد المؤلف على ذلك، لأن معرفة اسمه ونسبه ليست بذات أهمية أو دلالة، إذ المراد بيان السؤال والاسترشاد في هذه القضية محل البحث.

وعدم ذكره باسمه صراحة منهج مَقْفُوٌّ قديماً وحديثاً في مناسبات تآليف الردود أو الشروح أو التأصيل.. عند أهل السنة والجماعة.

وسبق في التمهيد أن الكتاب أُلف في فتنة ابن القشيري الأشعري: عبدالرحيم بن أبي القاسم عبدالكريم القشيري (ت ٥١٤هـ) على الحنابلة بنسبتهم إلى التَّجسيم والتَّشبيه والحطِّ عليهم، والتي كان هذا المؤلَّف من حصادها.

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٣٠هـ) في طوره الاعتقادي الثاني. إذ كان في طوره الأول على طريقة المعتزلة بمذهب أبي علي الجبائي (ت٣٠٣هـ) ببغداد، وطوره الثاني على طريقة الكلابية أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب القطَّان (ت٢٤٠هـ)، وطوره الثالث الذي مات عليه مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إلا أنه مع هذا بقيت عنده شوائب من الطورين السابقين، والأشعرية نسبة إلى المفردة بالياء، وربما نُسبوا بصيغة جمع التكسير: «الأشاعرة»، والأشعرية في الحقيقة امتداد لمدرسة الكلابية حيث يثبتون في توحيد الأسماء والصفات الأسماء الحسنى وسبعاً من الصفات هي: العلم والقدرة والحياة والكلام والإدارة والسمع والبصر. وإثباتهم لصفة الكلام عجيب وهو القول بالكلام النفسي، وهو محل البحث في الرسالة ولهم في بقية الصفات مسلكان؛ إما التأويل أو التفويض.. وإثبات الرؤية لا في جهة مع نفي علو الله واستوائه على عرشه.

الرَديّة[١]، وخِدَعِهِمَ لعقولِ هذه البريَّةِ، وتزويقِ الأَقوالِ طلباً لإِبطال

والعناية بتقرير توحيد الربوبية والوحدانية، مع إهمال توحيد العبادة، والميل في باب القدر إلى الجبرية، وفي باب الإيمان إلى المرجئة المحضة.

وفي مباحث الصحابة والخلافة ومباحث الإيمان باليوم الآخر، هم موافقون لأهل السنة والجماعة في العموم.

مع ملاحظة تجدد المذهب وتطوره في تاريخه من خلال أساطينهم: أبي بكر البلاقلاني، وأبي المعالي الجويني، والقشيري، وأبي حامد الغزالي، ثم الفخر الرازي.

وانظر التمهيد والإنصاف للبلاقلاني، والإرشاد للجويني، وأصول الدين للبغدادي، والمواقف للإيجي، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ومعالم أصول الدين للرازي

ومن المتون المتأخرة: الجوهرة، ومتن الدردير، وأم البرهين السنوسية الكبرى والصغرى.

وشرح الأصفهانية، والحموية، والتسعينية، والرسالة المدنية، والمراكشية لابن تيمية، ومختصر الصواعق، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، ومذاهب الإسلاميين ١/ ٤٨٧-٧٤٨، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود، ومنهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي.

هذا والأشاعرة المتأخرون يفخرون بمشيخة عبدالله بن سعيد الكلابي لهم كما ينسبه لهم الشهرستاني في نهاية الإقدام في مواضع منها ٣٠٣ في مسألة كلام الله بقوله (قالت الأشعرية ذهب شيخنا الكلابي عبدالله بن سعيد إلى أن كلام الله في الأزل. . .) اهـ.

(١) من الرَدَي وهو السقوط والهلاك على معنىً.

قال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[طه: ١٦].

الحَقِّ، وإظهَارِ المُحالِ. واللهُ تعالى غَالبٌ على أَمرِهم[1]، يهدي مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ.

فأجبتُكَ إلى ذلكَ، وأتيتكَ بما طلبت، وسَارعتُ إلى ما أمَّلتَ، وبيَّنتُ لك بياناً يشتَركُ في معرفته الخَاصُّ والعامُّ، وينبّهُ أهلَ السُّنّةِ[2]

وفي المائدة: ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣]
ولها معانٍ كثيرة. انظر القاموس، وشرحه تاج العروس مادة (ردى)، وكذا اللسان ومجمل اللغة ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للمديني.

والرديّة أي: الرديئة، فسهل المؤلف الهمزة بقلبها ياءً، مراعاة للسجع.

والمعنى أن من مذاهب الأشاعرة في مباحث الاعتقاد ما هو فاسد وساقط مجانب للصواب.

(١) هكذا في الأصل، وهو متجه بأن الله غالب على أمر هؤلاء القوم. وهو تضمين من قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

فعود الضمير في (أمره) إلى يوسف في أحد القولين واختاره ابن جرير، والثاني: عود الضمير إلى ذاته سبحانه كما قال ابن عباس: «على ما أراد من قضائه». والخلاف فيها تنوع.

وانظر تفسير ابن جرير «جامع البيان» ١٢/ ٢٣٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٧٣، وتفسير البغوي ٨/ ٣٣٨٩، والوسيط للواحدي ٢/ ٦٠٦، وتفسير الرازي «التفسير الكبير» ١٨/ ٨٨.

(٢) هم أهل الحديث وأتباع الأثر، هُم أهل السنة والجماعة، وهم أتباع النبي ﷺ وأتباع أصحابه وأصحابهم من السلف الصالح، وهم الطائفة الناجية المنصورة الظاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله.

[٦٠/أ] على شُكرِ اختصاصِهِم بالفَضلِ والإِنعام، والتَّمسُّكِ بمذَهبِ السُّنةِ ودينِ الإِسلام؛ بأَوضحِ طَريقةٍ، وأَجزلِ كلامٍ.

وجعلتُ هذا المُقْتَرَحَ(١) ثلاثةَ فُصول:

الأولُ: يقتضي شُؤمَ المُعتقدِ، وأَنَّه أخبثُ المُعتقَداتِ، وأَقبحُ البدعِ والضلالاتِ(٢).

ونسبتهم للسنة لأنهم يعملون بها ويدعون إليها، ويتشرفون بحملها والعلم بها، والسنة هي طريقة الرسول ﷺ وهديه ونهجه وبيانه لدين الله، متضمنة قوله وفعله وتقريره، فصح انتسابهم إليها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾[الأعراف: ١٥٧]، كما في حديث عبدالله بن عمرو في الافتراق وفيه: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**». «رواه الترمذي والحاكم وغيرهما»

(١) اسم مفعول من (اقترح) وهو الاختيار والابتداع والانشاء كما في شرح القاموس ويعني به هذه المسألة من الأخ الصالح، كأنه اقترح عليه كتابة هذا الرد.

(٢) في هذه الأوصاف مبالغة من المؤلف ـ عفا الله عنه ـ غير محمودة، ومؤاخذة للقوم ـ في الحقيقة ـ بلازم مذهبهم! كما يأتي في الحاشية بعده.

وإلا فإن طريقة الأشاعرة ـ في الواقع ـ ليست أخبث المعتقدات وأقبح البدع والضلالات! بإطلاق هكذا.

فأين بدعتهم من بدعة التجهم والاعتزال والرفض، فضلاً عن معتقدات الباطنية والنصارى واليهود والمجوس، وفضلاً أيضاً عن ضلالات الدهرية والملاحدة والوثنيين.

فإن الأشعرية لا شك أنهم من المسلمين: أهل القبلة، بل يعدون من أهل السنة في مقابل من هو أشد منهم ابتداعاً كالجهمية والرافضة والمعتزلة.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٠١: «ولو كفر هؤلاء ـ أي المجوزون

والفَصلُ الثَّاني : كشَفْ المَذْهبِ وتنَاقضِه ، وإيهامِ الجُهَّالِ مِنْ العَوامِّ أَنَّهم يُثبتون للهِ كَلاماً ، وأَنّ الذي مَعَنا مِنْ القُرآنِ يُحترمُ ويُعظمُ ، معَ إِقَامتهمْ الدَّلائَلَ الباطَلةَ على أَنْ لَّيسَ معنا شيءُ(١) . ويُوجبون

على الأنبياء الصغائر والكبائر ـ لزم تكفير كثير من الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية والأشعرية ، وأهل الحديث والتفسير ، والصوفية : الذين ليسوا كفاراً بإتفاق المسلمين ، بل أئمة هؤلاء يقولون بذلك» اهـ.

وفي بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٧٨ قال : «وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف ، فإنهم ـ أي الأشاعرة ـ أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث . وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم ؛ بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم» اهـ.

ونحوه رده رَحِمَهُ اللهُ على شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي الأنصاري لما بالغ في ذم الأشاعرة المتكلمين في كتابه «ذم الكلام» ، في مجموع الفتاوى ٨/ ٢٣٠-٢٣١ .

والمقصود أن المؤلف بهذه العبارات تحامل عليهم ، فغلب على لفظه جانب التعميِّم ـ وهو الواعظ الشهير ـ بالوعيد والترهيب كل ذلك استصحاباً منه لخبث لازم قولهم ، وحقيقته التي يؤول إليها . ومن المقرر أن لازم قول الشخص ليس قولاً له .

* وأما إن قصد المؤلف بيان قبح بدعتهم ، ولم يُرد أن التفضيل على بابه ، فإن بدعتهم في العقيدة لاشك في شؤمها وقبُحها . . والله أعلم .

(١) نعم إن الأشاعرة يعدون صفة الكلام من الصفات السبع ، الصفات العقلية التي يثبتونها لله عز وجل ، ويسمونها الصفات العقلية أو صفات المعاني أو المعنوية . وهذا مشهور عندهم . كما في لمع الأدلة لإمام الحرمين الجويني ص ١٧٨-١٨٠ ، والإرشاد له ص ٧٧-٧٨ ، وتمهيد الأوائل للباقلاني ص ٤٨-٤٩ ، والاقتصاد

إهانَةَ ما مَعنا مِنَ القُرآن[١]، . . . .

للغزالي ص ٥٣-٧٤، وفي أوله يقول: «القطب الثاني في الصفات، وفيه سبعة دعاوي، إذ ندعي أنه سبحانه قادر عالم حي مريد سميع بصير متكلم، فهذه سبعة صفات» اهـ، والغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ص ٨٥-٨٩، والباب الرابع من المعالم للرازي ص ٤٩-٦١، وفي المقصد الأول من المرصد الأول من الموقف الخامس من مواقف الإيجي ص ٢٧٩-٢٩٤.

ومتن أم البراهين للسنوسي ص ٤، وفيه قال: «ثم صفات سبع تسمى صفات معنوية وهي ملازمة للسبع الأولى، وهي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً» اهـ.

وفي الجوهرة وشرحها ص ٦٣-٧٢. ومقدمة كتاب اللمع للأشعري ص ٤٦-٤٨ في الباب الثالث فيها.

ولكن لصفة الكلام عندهم معنى خاص خالفوا به أهل السنة والجماعة، سبق في الدراسة ذكره وخلاصته:

«أن الله متكلم بكلام قديم، قائم بنفسه (كلام نفسي) في الأزل، وهو معنى واحد، ليس بحرف ولا صوت، إنْ عُبر عنه بالعربية فهو القرآن، أو بالعبرية فهو التوارة، وأن جبرائيل سمعه من الله سماع فهم، ثم أفهمه رسل الله، وأن ما معنا من كلام الله عبارة أو حكاية عنه، وينص متقدموهم على أنه «ليس بمخلوق» رداً على المعتزلة».

وحقيقة ذلك أن القرآن ـ الذي هو كلام الله ـ هو قول جبريل أو قول محمد صلى الله عليهم وسلم أو قولنا، ليس المعنى النفسي القائم بالله. ولفساده نقضه شيخ الإسلام في كتابه الماتع «التسعينية» من ٧٨ وجهاً، فللّه دره!

(١) هذا مبنيٌّ على قولهم بأن كلام الله نفسي قام بذات الله أزلاً، وأن هذا القرآن ـ المنزل على رسوله ﷺ بلسان عربي مبين ـ عبارة أو حكاية عن كلام الله.. وإذا

. . . .

عُبِّر عنه بالعبرية صار توراة أو بالسريانية صار إنجيلاً.

ومعناه أن حروف القرآن وألفاظه ليست من كلام الله حقيقة، وعليه فإن القرآن الذي معناه قول محمد أو جبريل صلى الله عليهما وسلم أو أن الله خلقه في الهواء أو في اللوح المحفوظ. وانظر شرح الجوهرة ص ٧٢-٧٣، وفيه قال: «ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً، لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم» اهـ. فكان ثمرة ذلك عند المتأخرين منهم عدم احترامهم للمصحف فجوَّزوا إهانته، مع أن متقدميهم كانوا يوجبون احترام وتعظيم المصحف، لأنه دليل وعبارة أو حكاية عن كلام الله الحقيقي النفسي.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى: «ثم تبع أقوام من أتباعهم أحد أهل المذهب، وأن القرآن معنى قائم بذات الله فقط، وأن الحروف ليست من كلام الله، بل خلقها في الهواء أو صنفها جبريل أو محمد، فضموا إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق، وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل على كلام الله فيجب احترامه؛ لما رأوا أن كونه دليلا لا يُوجب الاحترام، كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام، فإن الموجودات كلها أدلة عليه، ولا يجب احترامها. فصار هؤلاء يمتهنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم، ومنهم من يكتب أسماء الله بالعذرة إسقاطاً لحرمة ما كتب في المصاحف والورق من أسماء الله وآياته.

وقد اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف، مثل أن يلقيه في الحش أو يركضه برجله إهانة له أنه كافر مباح الدم.

فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ» ٨/ ٤٢٥ ا. هـ.

ولكن المؤلف ـ عفا الله عنه ـ وسع عبارته وعممها فجعلهم يوجبون إهانة ما معنا من القرآن، وهو في الحقيقة تجويز من بعض متأخريهم ليس إلا.

ويُكفّرونَ(١) مُعَظِّمَه . . . .

وقوله هذا أيضاً مؤاخذة منه لهم بلازم قولهم من أن القرآن الموجود في المصاحف، المكتوب في السطور، المحفوظ في الصدور، ليس من كلام الله الحقيقي، بل هو خلق خلقه.

وإن كان متقدمو الأشاعرة ينفون خلق القرآن، كما أطال فيه الباقلاني في التمهيد ص ٢٦٨ وما بعدها، راداً بذلك على المعتزلة. لكن ذكر ابن حزم في الفصل ٥/ ٨١ عن شيخه حادثة رآها لأشعري بطح المصحف برجله استخفافاً وامتهاناً

(١) لم يظهر لي تكفير القوم لأهل السنة في مسألة القرآن صراحة، وإنما لهم فيه مسلكان هما:

١- تسميتهم بالحشوية، وعند بعضهم بالنَقَلة والرعاع، وهم من ليس لهم تحقيق أو تحصيل. وهذا اللمز عندهم لأهل السنة كثير مستفيض، وانظر الإرشاد ص ١٢٥، ١٤٨ ومواضع أخر، وشرح الأسماء الحسنى للقشيري ص ٢٦٠، والمواقف ٢٧٠-٢٧٣ و٤٢٨، وطبقات الشافعية ٥/ ١٨٨ و ١٨٤-١٨٥.

ومن لُمَزِهم أهل السنةِ أنهم يسمونهم: مجسمة وعوامّ أو العامة، ومثبتو الجهة، والنابتة، والقائلين بالأبعاض، وبحلول الحوادث بالله تعالى، ورعاع الحنابلة..

وبالمناسبة فهم يكفرون جسميّة خراسان: الكُرامية، قال عبدالقاهر في أصول الدين ص ٣٣٧: «وأما جسميّة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب، لقولهم: بأن الله له حدٌ ونهاية من جهة السفل، ومنها يُماسُّ عرشه، ولقولهم: بأن الله محل للحوادث..» اهـ.

وهي لوازم فاسدة يلزمون بها أهل السنة، وإن كان بعض جهلة الكرامية وغيرهم يصرح بها، ويُصرحون بكفر من لا يعتقد أن الله ليس بمُتحيِّز أولافي جهه، كما في أصول الدين ص ١٣٢، بل ويصرحون بأن من سمى الله جسماً فقد خرج عن الدين وانسل عن ربقة المسلمين، كما في الإرشاد ص ٦١، وأصول الدين للرازي ٤٠-٤٤ وص ٣٤ من المسائل الخمسين له، والتمهيد ٢٢٠-٢٢٦، والغنية ص ٨١.

. . . .

هذا وقد وعد الجويني في الشامل ص ٢٩١ عند كلامه على التشبيه بتفصيل القول في تكفير المجسمة، قال: «فإن قيل فهل تكفرون المجسمة؟ وما تفصيل قولكم في ذلك؟ قلنا: سنعقد في التكفير والتبرؤ والتضليل وحكم المكفرين من المتأولين.. باباً في آخر الكتاب إن شاء الله» وهو ليس موجوداً في المطبوع، ولم أجده في الإرشاد.

٢- يلزمون أهل السنة في هذه المسألة ـ وغيرها ـ بأنهم يجحدون الضروريات، أو أن قواعد مذهبهم مبنية على جحد الضروري كما في الإرشاد ص ١٢٦، وفي معالم أصول الدين للرازي ص ٦٣ في المسألة السابعة عشر، قال: «قالت الحنابلة: كلام الله ليس إلا الحروف والأصوات، وهي قديمة أزلية، وأطبق العقلاء على أن الذي قالوه جحد للضروريات» اهـ. مع غلطه في نقل مذهبهم وربما سَمَّوه جحد الشاهد، كما في الغنية في أصول الدين ص ١٠٤-١٠٧.

أما المنهج العام عندهم في التكفير والتبديع فمضطرب، حيث إنهم في أبواب التكفير ـ وتكون عادة في أواخر كتب الاعتقاد لديهم ـ ينصون على أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة إلا بدليل منفصل، كما في المسألة العشرين من معالم أصول الدين للرازي ص ١٣٢، ويؤكدون على الاحتراز من التكفير ما وجدوا إليه سبيلاً كما في الاقتصاد ص ١٥٧.

ويقولون أحياناً: نحن نُكَفِّر من كَفَّرَنَا كما في المواقف ص ٣٩٢.

أو يكفرون من لا يستحق التكفير كمن قال إن الله جسم، أو قال بالعلة والطبع كما في متن الدرير ص ٢٤:

والفعل في التأثير ليس إلاَّ ... للواحد القهار جلَّ وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلة ... فذاك كفرٌ عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعةِ ... فذاك بِدْعيٌّ فلا تلتفتِ

وانظر شرح أم البراهين ٨٠-٨١.

وواصِفَهُ بأنه قديمٌ[١]، وأنّه غيرُ مخلوقٍ، وأنّه كَلامُ الله.

بل وأحياناً يكفرون من اعتقد حقاً، كمن أثبت العلو والاستواء لله على عرشه.

وانظر منهج الأشاعرة في العقيدة ٥٦-٥٨، وأساس التقديس ١٦، ١٩٦، وأركان الإيمان ٢٩٨-٢٩٩.

وكأن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أخذ التشديد عليهم هكذا مما ذكره السلف الصالح عن الذين يسمون أهل السنة والحديث بالحشوية والمجسمة.. أنهم من الزنادقة والجهمية.

قال أبو حاتم الرازي الحنظلي (٢٧٧هـ):

«علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.

وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون إبطال الآثار.

وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنَّة مُشبِّهة.

وعلامة القدرية: تسميتهم أهل السنَّة مُجبرة.

وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنَّة مخالفة ونقصانيّة.

وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنَّة ثانية (كذا).

وضل هذا أمر عصبات معصيات، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسامي». اهـ.

نقله عنه ابنه عبدالرحمن في أصل السنة واعتقاد الدين ص ٢٥.

(١) القرآن لا يوصف بأنه قديم بالإطلاق، لأن هذا هو قول الأشاعرة من أنه معنى أزلي قديم قائم بالله، حيث تكلم الله به في الأزل ولم يتكلم به بعدُ، نفياً لتعلقه بمشيئته. أما أهل السنة والجماعة فيعتقدون أن الكلام قديم النوع، متجدد الآحاد، وأن كلام الله بمشيئته وإرادته، يتكلم متى شاء، كيف شاء، بما شاء.

***

والفصلُ الثَّالثُ: يتضمنُ إقامةَ الدَّليل عليهم مِنْ الكتابِ والسُّنةِ وإِجماعِ أهلِ الحَقِّ مِنْ الأمة.

واللهَ تعالى أَسألُ التوفيقَ وإصابةَ الحقِّ والتحقيقِ، وأن ينفعَنَا وإيَّاك بالعِلمِ، ويَعْصِمَنا مِنْ الضَلالاتِ والظُلْمِ.

الفَصلُ الأولُ لنا

وهو عن شُؤمِ المعتَقدِ لهذا المذَهبِ وقُبحِهِ[١]

فمِنْ ذلكَ ما رُوي[٢] عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأَخير الأشَرُ»[٣].

---

(١) استدل المؤلف على هذا بأدلة ذم البدع وآخر الزمان، الذي يكثر شره ويقل فيه خيره. وهذه الأدلة العامة تذم مذهب الأشاعرة وغيره من مذاهب المبتدعة، والتي ابتدعت بعد زمن النبي ﷺ وسيذكر المؤلف أصول الفرق المبتدعة بعد قليل.

(٢) صَدَّر المؤلف هذا الحديث، وغيره من الأحاديث، بـ (رُوي) على صيغة البناء للمفعول الدالة على التمريض وضعف الحديث في اصطلاح كثير من المحدثين كالبخاري وغيره، لكن لم يرد منه هذا الاصطلاح، ويغلب على ظني أنه أراد عزوه إلى جناب النبوة، وهو لم يجزم وقتئذٍ بصحته أو ضعفه! والله أعلم.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ ـ والمؤلف يروي بالمعنى كثيراً ـ وأصله ثابت من عدة أحاديث منها:

١- ما رواه البخاري في صحيحه متصلاً عن أنس رضي الله عنه: «أن ناساً شكوا إليه ما يلقونه من الحجاج فقال: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم**». سمعته من نبيكم ﷺ».

أخرجه في كتاب الفتن من صحيحه ـ بابٌ لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه برقم (٧٠٦٨).

٢- وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣٢ و ١٧٧ من طريق سفيان عن الزبير ابن عدي عن أنس مرفوعاً ولفظه: «**فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم عز وجل**».

وذكر في فتح الباري ١٣/ ٢٣ أنه رواه من طرق عن الزبير بن عدي عن أنس

. . . .

الإسماعيليُّ في مستخرجه وابن منده والطبراني في الصغير وغيرهم.

٣- وأخرج الدرامي في سننه في المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه ١/ ٧٥ (١٨٨) بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **«لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي كان قبله، أما أني لست أعني عاماً أخصب من عام ولا أخيراً خيراً من أخير، ولكن علماءكم وخياركم وفقهاءكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاً، ويجيء قوم يقيسون الأمر برأيهم»**.

وحسن الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٤ إسناده إليه وأخرجه عنه من طريق آخر يعقوب بن شيبة في «المسند المعل» ونقله عنه الحافظ في الفتح، وكذا أخرجه عنه من طريق الدارمي، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في ذم الكلام وأهله (مخطوط ١/ ق ١٢٤ وزاد: **«يقيسون الأمور برأيهم فيهدم الإسلام وينثلم»**.

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **«ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيى البدع وتموت السنن»**.

رواه محمد بن نصر في السنة ص ٣٢ (٩٨) وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٨٧ (٩٥ و ٩٦) والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٣١٩ (١٠٦١٠) وابن بطه في الإبانة الكبرى «كتاب الإيمان» ١/ ٣٤٩ (٢٢٥) وابن أبي زمين في أصول السنة ص ٥٨ (١٣) واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٩٢ (١٢٤ و ١٢٥) وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن ٣/ ٦١٣ (٢٧٧) كلهم من طريق مهدي بن أبي المهدي عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. وقال الهيثمي في المجمع بعد إيراده وعزوه للطبرني ١/ ١٨٨: «رجاله موثوقون» اهـ، ولكن فيه مهدي بن أبي مهدي، وهو: مهدي بن حرب العبدي نقل الذهبي عن ابن حزم أنه مجهول، وقال ابن معين لا أعرفه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: مقبول، وعلى اصطلاحه يعني إذا توبع فإن لم يتابع فلين الحديث.

ورُويَ عنهُ ﷺ أنَّه قال: «خيرُ القُرون القَرنُ الذي أَنا فيه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم مِنْ بعد ذلك رَعَاعٌ هَمجٌ[1] لا يَعبأُ اللهُ

وذكره البخاري في التاريخ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. انظر حاله في التهذيب ١٠/ ٣٢٤ والتقريب للحافظ ابن حجر، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٣٣٧، والتاريخ الكبير ٧/ ٤٢٤، والميزان للذهبي ٤/ ١٩٥، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٠١.

٥- وللبخاري في صحيحه مُتصلاً عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب الشجرة ـ مرفوعاً: «**يذهب الصالحون، الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله باله**».

قال أبو عبدالله البخاري: يقال حفالة وحثالة.

رواه في كتاب الرقاق ـ باب ذهاب الصالحين رقم ٦٠٧٠.

ورواه في موضع آخر مرفوعاً على مرداس رضي الله عنه بلفظ: «**يُقبض الصالحون، الأول فالأول، وتبقى حُفالة كحفالة التمر والشعير، لا يعبأ الله بهم شيئاً**» في كتاب المغازي ـ باب غزوة الحديبية رقم ٣٩٢٥.

وله ألفاظ وطرق أخرى مقاربة عند أحمد في المسند ٤/ ١٩٣ و ١٩٤، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٦٥ (٦٨٥٢). والطبراني في الكبير ٢٠/ (٧٠٩) من طريق أحمد. وأبي عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن ٣/ ٥٧٩-٥٨٢ (٢٥٧-٢٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٢٢، والبغوي في شرح السنة رقم (٤١٩٧).

وانظر الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٩-٤٠ في روايات أخرى عن التابعين شاهدة لموقوفات الصحابة، علماً بأن هذه الموقوفات لها حكم الرفع، إذ ليس مثلها مما يقال بالرأي، والله أعلم.

(١) الرعاع: هو الرجل ليس له فؤاد ولا عقل، وهو من رعاع الناس، وهم الأحداث الطَّغامُ.

أصله من الرَّعرعة وهو: اضطراب الماء على وجه الأرض.

بهم، أتباعُ كلِّ ناعقٍ(١)، عليهم لَعنةُ اللهِ»(٢).

قال في النهاية: ومنه حديث علي رضي الله عنه: «**وسائر الناس همج رعاع**».

انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، والفائق في غريب الحديث للزمخشري، والقاموس، وشرحه للزبيدي، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، واللسان مادة (رعع).

* والهمج: رذالة الناس، وهو ذباب صغير يشبه البعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير، ويطلق على الحمقى، وأيضاً على سوء التدبير في المعاش.

انظر النهاية مادة (همج)، وهكذا الفائق، واللسان، والقاموس وشرحه ومجمل اللغة، والمجموع المغيث. قال الشافعي بعد تعداد وصف الخمسة من أفاضل الناس:

وباقي الخلق همج رعاع ... وفي إيجادهم للَّه حكمة

(١) النعق هو الصياح والنياح ومنه الحديث: «**آخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما**» أي يصيحان بها لتعود إليهما.

وهؤلاء في الحديث يتبعون كل مناد يناديهم.

انظر: مادة (نعق) من النهاية في غريب الحديث، واللسان، والقاموس وشرحه والصحاح للجوهري، ومادة (نعق) من الفائق للزمخشري، والمجموع المغيث.

(٢) والحديث مروي بطرق يقوى بعضها بعضاً:

١- أخرجه بنحوه الطبراني في الأوسط عن: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**خير قرن القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع لا يعبأ الله بهم شيئاً**».

قال في المجمع ١٠/ ١٩: فيه إسحاق بن إبراهيم صاحب الباب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

. . . .

عن زيد بن وهب عن عمر مرفوعاً بمثله، وقال: غريب من حديث الأعمش لم يروه عنه إلا إسحاق.

ورواه البزار في مسنده البحر الزخار ١/ ٣٧٠ (٢٤٨) من وجه آخر عن معاوية بن قرة عن كهمس عنه عن عمر مرفوعاً بلفظ: «**خير الناس قرني الذي أنا فيهم ثم الذين يلونهم، ثم ينشأ قوم يفشو فيهم السمن يشهدون ولا يستشهدون، ولهم لغط في أسواقهم**» قال: ولا نعلم أسند كهمس الهلالي عن عمر إلا هذا الحديث، وكهمس قد روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، اهـ.

وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار هكذا ٣/ ٢٨٩ (٢٧٦٤)، وقال في المجمع ١٠/ ١٩، رواه البزار، ورجاله ثقات، اهـ.

٢- وللحديث شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه ولفظه: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الرابع أرذل إلى يوم القيامة**».

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه داود بن يزيد الأودي ضعيف، اهـ. قاله في المجمع ١٠/ ٢٠.

٣- وله شاهد ثالث بنحوه أيضاً عن جعدة بن هبيرة رضي الله عنه ولفظه مثله وفي آخره «**ثم الآخرون أرذل**».

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٤٠٧ (٣٢٣٩٨): ثنا عبدالله بن إدريس عن أبيه عن جده عن جعدة بن هبيرة به. وسنده جيد، لكن جعدة بن هبيرة مختلف في صحبته، وهو ابن أبي وهب المخزومي، رجح الحافظ في التقريب أنه صحابي صغير له رؤية، وقال العجلي: تابعي ثقة.

وهو ابن أم هانىء بنت أبي طالب. وأخرجه كذلك الطبراني في الكبير ٢/ ٢٨٥

. . . .

(٢١٨٧ و ٢١٨٨)، ورواه عبد بن حميد كما في المنتخب ص ٣٤٥ (٣٨٣) من طريق ابن أبي شيبة.

قال الحافظ في الفتح ٧/ ١٠ فيه: «ورجاله ثقات إلا أن جعداً مختلف في صحبته» اهـ. ولكن رجح في التقريب أنه صحابي صغير له رؤية.

والحديث مروي أيضاً عن أنس بن مالك، وبريدة بن الحصيب، وسمرة، وسعيد بن تميم وأبي برزة الأسلمي، وبنت أبي جهل، ذكرها الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٩-٢٠.

٤- وأصح شواهده الحديثان المخرجان في الصحيحين عن ابن مسعود وعمران ابن الحصين رضي الله عنهما.

فحديث ابن مسعود مرفوعاً لفظه: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**.

وحديث عمران بن الحصين مرفوعاً لفظه: **«خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**، قال عمران لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، قال النبي ﷺ: **«إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»**.

أخرجهما البخاري في صحيحه متصلين في مواضع أولها كتاب الشهادات ـ باب لا يشهد على شهادة جور رقم (٢٥٠٨ و ٢٥٠٩).

وأخرجهما مسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٥ و ٢٥٣٣) على الترتيب.

والحديث على كل حال بلغ درجة التواتر عن النبي ﷺ برواية اثنى عشر صحابياً، ورواه مسلم وأحمد أيضاً ٦/ ١٥٦ عن عائشة رضي الله عنها، فصح المجموع ثلاثة عشر صحابياً رضي الله عنهم.

ورُويَ عنه ﷺ أنه قالَ: «ما مِنْ يَومٍ إلا وتَموتُ فيه سُنَّةٌ، وتَظهرُ فيه بدَعةٌ»(١).

(١) لم أجده هكذا بهذا اللفظ وإنما ورد ما يشبهه من عدة أوجه:

١- فأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٠٥ من طريق شريح بن النعمان عن أبي بكر بن عبدالله ـ وهو ابن أبي مريم ـ عن حبيب بن عبدالرحمن عن غضيف بن الحارث لما سأله عبدالملك بن مروان عن رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر؟ فقال: إنهما أمثل بدعتكم عندي، ولست مجيبك إلى شيء منهما. قال: لم؟

قال: لأن النبي ﷺ قال: **«ما أحدث قوم بدعة إلا رُفع مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة»**.

وأخرجه كذلك محمد بن نصر في السنة ص ٣٢ (٩٧).

والبزار، كما في كشف الأستار ١/ ٨٢ (١٣١).

والطبراني في الكبير ١٨/ ٩٩ (١٧٨)، وأخرجه أيضاً في كتاب السنة له قاله في الإصابة.

وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ١/ ١٧٦ (١٠).

واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٩٠ (١٢١) كلهم من طريق الإمام أحمد به بمثله. وقال الحافظ في الفتح ١٣/ ٢٥٣: «سند أحمد هذا جيد» اهـ.

ولكن نقل في مرعاة المفاتيح شرح المشكاة ١/ ٢٩١ أقوال من ضعفه من العلماء.

وقال في المجمع ١/ ١٨٨: «فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو منكر الحديث» اهـ. وقد ضعفه الحافظ في التقريب.

وأيضاً علة أخرى في أن غضيفاً مُختلَفٌ في صحُبته، انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٦٣، وفيها تكلم على هذا الحديث بتوسع أكثر مما هاهنا، وانظر ترجمته من

. . . .

التهذيب ٨/ ٢٤٨، والطبقات لابن سعد حيث جعله في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام.

وأخرجه الهروي في ذم الكلام ١/ ق ١٧٥ بسنده عن عمارة بن رديتة رضي الله عنه مع بشر بن مروان نحوه.

٢- وعن عبدالله بن عمرو موقوفاً: «ما ابتدعت بدعة إلا زادت مضياً، ولا تركت سنة إلا زادت هَوِيّاً» فقد أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ١/ ٣٥١ (٢٢٧). واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٩٣ (١٢٨) كلاهما بسند واحد ظاهره الصحة.

وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٩١) من كلام عبدالله بن الديلمي نفسه. أما عندهما فعنه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

وعبدالله الديلمي تلميذه، ثقة، وهو من كبار التابعين، وعدَّه بعضهم من الصحابة، وانظر التهذيب ٥/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء.

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه، وله لفظان:

* **«ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن».**

* والآخر: **«ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة، ويميتون فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن».**

أخرجهما ابن وضاح في البدع (٩٥، ٩٦) من طريقين عن مهدي بن أبي مهدي عن عكرمة عن ابن عباس. ومر تخريجه في حديث «الأخير الأشر» قبله.

٤- وفي معناه ما رواه الدارمي بسنده عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: «ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لم يعدها إليهم إلى

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «سَيُنقضُ الإِسَلامُ عُروةً عُروةً، كلَّما نُقِضَتْ، عُروةٌ تمَسَّك النَّاسُ بالتي تليها، حتى لا يَبْقَى مَنْ يقولُ: الله»[1]،

يوم القيامة».

وأخرجه كذلك من طرق عن الأوزاعي ابن وضاح في البدع (٩٠).

وابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ١/ ٣٥١ (٢٢٨).

واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٩٣ (١٢٩).

وأخرجه الأنصاري الهروي في ذم الكلام وأهله ١/ ق ١٨٦.. انظر أمثاله في باب شدة كراهية المصطفى ﷺ وخيار أمته التعمق في الدين، في شواهد عديدة له.

وهناك شواهد أخرى للحديث انظر باب تغيير البدع والذي يليه من كتاب البدع لابن وضاح ص ٨٣ وما بعدها، وفصل في تحذير النبي ﷺ وأصحابه من البدع ص ٥٣ من الباعث في إنكار البدع لأبي شامة، وباب في شدة كراهية المصطفى ﷺ وخيار أمته التعمق في الدين من ذم الكلام وأهله للهروي، والأسرار المرفوعة للقارى ص ٢٢٦-٢٦٧ (٣٤٩).

(١) ١- أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٥١، وابنه عبدالله عنه في السنة ص ٣٥٦ (٧٦٤).

وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٩٨ (٧٤٨٦)، وفي مسند الشاميين (١٦٠٣).

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كما في الإحسان ـ ١٥/ ١١١ (٦٧١٥).

والحاكم وصححه في المستدرك ٤/ ٩٢.

كلهم من طريق الإمام أحمد ثنا الوليد بن مسلم، ثنى عبدالعزيز بن إسماعيل بن عبيدالله أن سليمان بن حبيب حدثهم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لينقضن عُرا الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن الحكم، وآخرهن الصلاة»**.

. . . .

وفي إسناد الحاكم اختلاف، حيث فيه: «. . ثنى عبدالعزيز عن إسماعيل بن عبيدالله أن سليمان بن حبيب حدثهم ـ قال الحاكم: عبدالعزيز هذا هو ابن عبيدالله ابن صهيب، وإسماعيل هو ابن عبيدالله بن المهاجر، والإسناد كله صحيح. ولم يخرجاه» اهـ. وخالفه الذهبي حيث ضعف عبدالعزيز.

وعبدالعزيز بن إسماعيل هو ابن عبيدالله[1] بن أبي المهاجر المخزومي مولاهم، الدمشقي، روي عن أبيه، وعن سليمان بن حبيب المحاربي، وعنه ابنه بكر والوليد ابن مسلم وجماعة. وثقه ابن حبان، وقال: أبو حاتم ليس به بأس.

ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢١، والجرح والتعديل ٥/ ٢٧٧، والثقات ٧/ ١١٠، وتعجيل المنفعة بزوائد الأربعة للحافظ ص ٢٦١.

وفي عبدالعزيز وَهِم الإمامان الحاكم وتبعه الذهبي فظناه عبدالعزيز بن عبيدالله بن حمزة بن صهيب، ولأجله ضعفه به الذهبي في تلخيصه للمستدرك، لأن عبدالعزيز ابن صهيب وهو الحمصي مُضعف كما في التهذيب ٦/ ٣٤٨ والتقريب، والجرح والتعديل ٥/ ٣٨٧.

قال في المجمع ٧/ ٢٨١: «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح».

٢- وأخرجه أحمد في المستدرك ٤/ ٢٣٢ بسنده عن فيروز الديلمي رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: **«لينقضن الإسلام عروة عروة، كما ينقض الحبل قوة قوة»**.

وأخرجه الدارمي في سننه ١/ ٥٨ (٩٧) في المقدمة ـ باب اتباع السنة، بسنده عن عبدالله بن الديلمي ـ وهو ابن فيروز الصحابي، وهو ثقة من كبار التابعين، وعده بعضهم من الصحابة أنه قال: **«بلغني: أن أول ذهاب الدين ترك السنة، يذهب الدين سنة سنة، كما يذهب الحبل قوة قوة»**.

---

(١) تصحف في تعجيل المنفعة إلى عبدالله. خلافاً لبقية الأصول.

. . . .

وأخرجه عن عبدالله كذلك ابن وضاح في البدع ص ١٣٨ (١٩١) بمثله وزاد: «**وآخر الدين الصلاة، وليصلين قوم ولا خلاق لهم**».

وأخرجه ابن بطة في الكبرى رقم (٢٦٦) من كتاب الإيمان.

واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٩٣ (١٢٧).

وانظر أمالي الشجري ٢/ ٢٦٤، وكنز العمال (١١٨٩ و ١١٩٠).

٣- وروى ابن وضاح في البدع ص ١٤٩ (٢٠٩) بسنده عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً، قال: «**لتنقضن عرا الإسلام عروة عروة، حتى لا يقول عبدٌ: مه مه، ولتركبن سنن الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل، لا تخطؤون طريقهم ولا يخطئكم، حتى لو أنه كان فيمن كان قبلكم من الأمم أمة يأكلون العذرة، رطبة أو يابسة لأكلتموها. وستفضلوهم بثلاث خصال لم تكن فيمن كان قبلكم من الأمم: نبش القبور، وسمنة النساء، تسمن الجارية حتى تموت شحماً، وحتى يكتفي الرجال بالرجال دون النساء، والنساء بالنساء دون الرجال. وأيم الله إنها لكائنة، ولو قد كانت خُسف بهم، ورجموا كما فُعل بقوم لوط والله ما هو بالرأي ولكن الحق اليقين**».

وأخرجه ابن بطة في الكبرى ـ كتاب الإيمان ـ ١/ ١٧٤-١٧٥ (٨) من وجه آخر بلفظ آخر بمعناه، وقد أخرجه ابن وضاح في موضع آخر قبله ص ١٢٥ (١٦٤) ـ وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٦٩) وصححه ووافقه الذهبي. والخبر له حكم الرفع لأنه ليس بالرأي كما قال حذيفة رضي الله عنه.

٤- وأخرجه ابن وضاح في البدع ص ١٤٩ (٢٠٧) بسنده عن القاسم أبي عبدالرحمن ـ مرسلاً ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**سينقض الإسلام، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر أو خبط الشوك**». وهو حديث مشهور له شواهد كثيرة.

وَغَيرُ ذَلك مِنْ الأَخبارِ والآثارِ الشَّاهدةِ بخُبْثِ آخرِ الزَّمَانِ[١].

وانظر بقية شواهد الحديث المخرج، باب في نقض عرى الإسلام.. من البدع لابن وضاح.

٥- وآخر الحديث الذي ذكره ابن الحنبلي، وهو قوله: «**حتى لا يبقى من يقول الله**» لم ترد في حديثي أبي أمامة وفيروز الديلمي أو خبر حذيفة رضي الله عن الجميع، وإنما جاءت في أحاديث أشراط الساعة ومنها:

* ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**».

* وما رواه أيضاً في الفتن برقم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في خبر الدجال الطويل، في أن النبي صلى الله عليه وسلم قام فيهم خطيباً فذكر الدجال فخفض فيه ورفع، وفي آخره قال: «**فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُرِ، فعليهم تقوم الساعة**».

* وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم أيضاً برقم (٢٩٠٧) في الفتن وفيه: «.. **فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(١) استقصى ذلك المؤلفون في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ومن أوعبها كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي (٢٢٤هـ). وانظر: النهاية في الفتن والملاحم للحافظ ابن كثير وغيرها.

وأولى ذلك كتب الفتن والرقاق من صحيحي البخاري ومسلم، وكتب السنن.

***

عرض لظهور أصول البدع

فإذا عَرَفْتَ هذا أيّها الأَخُ الصَّالحُ، فانظُرْ إلى تَقدُّمِ جَميعِ البِدَعِ: القَدريَّةُ(١) في وقتِ النَّبي ﷺ، وردَّ عليهم بما هو مَوجودٌ في

(١) هو اسم من أسماء المعتزلة ـ وسيأتي التعريف بهم إن شاء الله ـ، يُعرفون به في باب القضاء والقدر، حيث ينفون قدرة الله السابقة على المفعولات، أي مرتبي: الإرادة، الخلق من مراتب القدر الأربع. وغلاة القدرية ينفون علم الله السابق بالمفعولات، وهؤلاء ينفون جميع المراتب الأربع. ذكره شيخ الإسلام في الواسطية.

وقسم الشيخ ابن تيمية القدرية إلى ثلاث طوائف:

١- **القدرية المجوسية**: «الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدتهم أنكروا عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم» اهـ. من التدمرية ص ٢٠٧-٢٠٨، وانظر المجموع ٨/ ٢٥٨-٢٦٠، ودرء التعارض ٨/ ٤٧١.

٢- **قدرية مشركية**: «وهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي.. فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي، مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق» اهـ. من المجموع ٨/ ٢٥٦ وما بعدها، أي بربوبية الله العامة على كل مخلوق. «وهذا قد كثر فيمن يدعي الحقيقية من الصوفية» اهـ. من التدمرية، وانظر: الاستقامة ٢/ ١٣٩.

٣- **القدرية الإبليسية**: «وهم الذين أقروا بالأمرين لكن جعلوا هذا تناقضاً من الرب سبحانه وتعالى، وطعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر مثل ذلك عن إبليس» اهـ. من التدمرية ص ٢٠٨، وفي المجموع ٨/ ٢٦٠، «وهم خصماء الله كما جاء في الحديث، وهؤلاء كثير من أهل الأقوال والأفعال من سفهاء الشعراء ونحوهم من الزنادقة كقول أبي العلاء المعري..».

وذكر ابن القيم في أسماء مؤلفات ابن تيمية ص ٢٥: أن للشيخ قاعدة في القدرية

كتبِ السُنَنِ(١) ....

وأنهم ثلاثة أقسام، مجوسية، ومشركية، وإبليسية. ولعله يعني الفصل الموجود في الفتاوى ٨/ ٢٥٦-٢٦١!

هذا ويسمي الشيخ ابنُ تيمية الجبرية أحياناً بالقدرية أو القدرية المُجبرة من الجهمية كما في المجموع ١/ ١٤٧، ومنهاج السنة ٥/ ١٧٢ و ٣٠٢ و ٣٠٥ و٣٥٨، والتدمرية ص ٢٣٥، فهم قدرية باعتبار إثباتهم للقدر، وغلوهم فيه.

وانظر مقالتهم في مقالات الإسلاميين ١/ ٢٤٣ و ٢٧٣-٢٧٩ وما بعدها، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، في الأصل الثاني لهم العدل ص ٢٩٩-٣٤٤ وقبله ص ١٣١، والفرق بين الفرق ص ٧٨ وما بعدها.

هذا والذي ورد في ذكر القدرية زمن النبي ﷺ جملة أحاديث منها قوله: «**القدرية مجوس هذه الأمة**» رواه أبو داود برقم (٤٦٩٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٤٠٦-٤٠٧ و ٢/ ٨٦)، وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا يدخل الجنة عاق، ولا مكذب بقدر، ولا مدمن خمر**» رواه مسلم ٨/ ٨١ مع النووي، وأحمد في المسند ٦/ ٤٤١ و ٤/ ٣٧١، والنسائي ٢/ ٣١٥ و٣٢٢ وهو مروي عن أبي أمامة وغيره، وانظر السلسلة الصحيحة رقم ١١٨٥.

ولم تعرف مقالة القدرية إلا في آخر عصر الصحابة، في نهاية المائة الأولى من خلال معبد الجهني (٨٠هـ) وغيلان الدمشقي (ت ١٠٥هـ).

(١) اعتنى الأئمة ببدعة القدر، بياناً وتحذيراً وكشفاً لأبعادها، وتأصيلاً للإيمان بالقضاء والقدر، في مصنفات خاصة، وضمن أصول عامة جامعة.

فمن الثاني: كتاب القدر من صحيحي البخاري ومسلم مع كتاب الإيمان وغيره.

وأيضاً كتاب السنة من سنن أبي داود، وكتاب القدر من جامع الترمذي، ومقدمة سنن ابن ماجه، وكتاب الإيمان وشرائعه من السنن الكبرى للنسائي،

[٦٠/ب] والمُرجئةُ(١)، . . . .

ومقدمة سنن الدارمي، وكتاب القدر من السنة لابن أبي عاصم، ومن الشريعة للآجري، وشرح أصول السنة للالكائي، والأبواب الأولى من ذم الكلام وأهله لعبدالله الأنصاري، وكتاب القدر من الحجة لقوام السنة وغيرها، ومن أوعبها كتاب القدر من الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري.

ومن الأول: رسالة في ذم القدرية لأبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ)، وكتاب القدر لأبي داود صاحب السنن، والرد على القدرية ليحيى بن يعمر (٨٩هـ)، والمقرئ أبي عمرو بن العلاء البصري (١٥٤خـ)، والرد على القدرية للحسن بن محمد بن الحنفية (٩٩هـ)، ولزيد بن علي (١٢٢هـ)، ولجعفر الصادق (١٤٨هـ) وهي غير موجودة.

ورسائل في الرد على القدرية لعمر بن عبدالعزيز (١٠١هـ)، والأوزاعي أبي عمرو (١٥٧هـ)، وعبدالعزيز بن الماجشون المدني (١٦٤هـ) أتتنا في المطولات كالإبانة والحلية وغيرهما، ورسالة في القدر للحسن البصري (١١٠هـ)، وكتاب القدر لعبدالله بن وهب القرشي (١٩٧هـ)، وكتاب القدر للفريابي (٣١٠هـ)، وكتاب القدر لأبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، وكتاب الإيمان لمحمد بن إسحاق بن منده (٣٩٥هـ) وغيرها.

وأما كتاب القدر لوهب بن منبه اليماني، والذي ربما يسمى كتاب الحكمة، فقد ورد عنه تمنيه عدم تأليفه، مما يدل على تراجعه عما فيه، ذكره مسنداً عنه الخلال في السنة ١/ ٥٤٧-٥٤٨ رقم (٩١٣، ٩١٥).

ولا أنسىٰ كتاب الإمام البخاري «خلق أفعال العباد» فإن هذا هو بابه.

وسوى ذلك آثار قولية وفعلية كثيرة جداً مبثوثة في الصحاح والمسانيد والمعاجم والتواريخ وفي كتب السنة.

(١) هي عقيدة وُجدت في آخر القرن الأول ـ آخر زمن الصحابة ـ، ثم غلبت على طائفة الكرامية، أتباع محمد بن كُرام السجستاني الزاهد المبتدع جمع أردأ

والخَوارجُ(١) في زمنِ الصَّحابةِ.

المذاهب الإسلامية، وأذاعه في خراسان نسبوه إلى التجسيم والتشبيه.
والإرجاء: مأخوذ من معنى التأخير، وإعطاء الرجاء. وهو تأخير العمل عن مسمى الإيمان وغلاتهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب.
جعلهم الشيخ ابن تيمية في الإيمان الكبير ٧/ ١٩٥ ثلاثة أصناف:
١- القائلين بأن الإيمان مجرد ما في القلب، ومنهم من يقول هو المعرفة، وهؤلاء الجهمية، وهم المرجئة المحضة. ومنهم من يقول هو تصديق القلب وهو قول جمهور الأشاعرية والماتريدية.
٢- القائلين بأن الإيمان قول اللسان، وهو قول الكرامية.
٣- القائلين بأن الإيمان قول اللسان وتصديق القلب، وهو قول مرجئة الفقهاء من أهل السنة.
وعلى كلٍ فالإرجاء، والمرجئة عقيدة داخلت عدة فرق متنازعة الأصول.
انظر اللسان وشرح القاموس في مادة (رجا)، وميزان الاعتدال ٣/ ١٢٧ ولسانه ٥/ ٣٥٣-٣٥٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٠٦، والمجروحين لابن حبان ٢/ ٣٠٦.
وانظر التنبيه والرد على أهل الأهواء للملطي ص ٤٣ و ١٤٦، والمقالات ١/ ٢١٣ وعدهم (١٢) فرقة، والملل والنحل ص ١٣٩، (٦) فرق من الخالصة، وجملتهم (١٢) فرقة، وهكذا نحوه في الفرق بين الفرق ص ١٥١، والتبصير في الدين للاسفرائيني ص ٩٧، واعتقادات فرق المسلمين للرازي ص ٨٧ و ٩٣، والتبصير في معالم الدين لابن جرير ص ١٧٩ مع التعليق عليه، والفصل لابن حزم ٣/ ٢٢٨-٢٣٣، والخطط للمقريزي ٢/ ٣٤٩ ولوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٩١، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ٣٣-٤٦.

(١) هذا أشهر أسمائهم، وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالسيف، فقاتلهم حتى أفناهم يوم النهروان، إلا بضعة نفر تفرقوا في النواحي وبثوا المذهب.

والباطنيَّةُ وهم أَصحابُ عبدِالله بنِ سبأ الخَارجِ على عُثمانَ ﵁ ،

من أهم أصولهم التكفير بالذنب، فلذا كفّروا عثمانَ وعلياً ومعاوية وسائر من تولاهم من المؤمنين، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، كما قال ﷺ فيهم: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» متفق عليه من حديث أبي سعيد.

وأول أمرهم ما كان من ذي الخويصرة التميمي لما قال لرسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً: اعدل، فقال النبي ﷺ: «**ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل**» فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه؟ فقال النبي: «**دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.. ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم إلى قذذه (ريش سهمه) فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم. آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على فرقة من الناس**» قال أبو سعيد ـ روايه ـ: «فأشهد أني سمعته من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علياً قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالْتُمِسَ فوُجد، فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت» متفق عليه من حديث أبي سعيد وهذا لفظ مسلم.

وقالوا بأن الإيمان شيء واحد إذا زال بعضه زال كله.

وأنكر جمهورهم حدَّ الرجم للزاني المحُصن، لعدم وروده في القرآن.

ومن أشهر أسمائهم: الوعيدية، والحرورية، والشراة، والمحكمة والمارقة والنواصب.

وقد افترقوا فرقاً عديدة، نحو العشرين فرقة أبرزها: الأزارقة والصفرية والنجدات، والإباضية وهم الموجودون في زمننا في أفريقيا والخليج.

مصادرهم كثيرة ومنها: البداية والنهاية ٧/ ٢٨٩ وما بعدها (العلمية)، وجامع الرسائل لابن تيمية ١/ ٢٣١-٢٣٢ (رسالة في التوبة)، ومقالات الإسلاميين

ويُقالُ لهمْ: السَّبَئِيَّةُ وَالنُّصَيْرِيَّةُ(١).

١/ ١٦٧، وجعلهم (٢١) فرقة، والملل والنحل ص ١١٤ وجعلهم (٨) فرق كبار، وعن كل فرقة شعب، والفرق بين الفرق ص ٢٩١ وعدَّهم (٢٠) فرقة، ونحوه التبصير ص ٤٥، والتبصير في معالم الدين لابن جرير ص ١٦٠، والفرق المفترقة ص ١١ وعدَّهم (١٤) فرقة، اعتقادات فرق المسلمين ٤٩ وعدَّهم (٢١) فرقة، والتنبيه للملطي ص ٥١، والخطط ٢/ ٣٥٤، والبرهان للسكسكي ١٧-٣٢ وعدَّهم (١٨) فرقة.

(١) الباطنية والسبئية والنصيرية، جعلها المؤلف أسماء لطائفة واحدة، هم أتباع عبدالله بن سبأ، وهذا له وجهه في حقيقة هذه الطوائف، إذ كلها معدود من غلاة الرافضة، بل ومن الطوائف الباطنية الملحدة، وبهذا الاعتبار لا فرق بينها، أما من ناحية المنشأ وأصل التسمية والظهور فكالتالي:

١- **الباطنية**: وهم الذين يزعمون أن للدين ظاهراً وباطناً؛ أي أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً، وهم يصفون الله بالسلب، بل ينفون عنه النقيضين؛ فيقولون عن الله: لا موجود ولا معدوم، ولا حيٌّ ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل.. فهم بذا شبهوه بالممتنعات.

والقول بالتأويل الباطني للنصوص ظاهرة موجودة عند عدد من غلاة الرافضة، ولذا جعل الشهرستاني لفظ الباطنية علماً على الإسماعيلية، وأنهم يُسمون القرامطة والمزدكية والنصيرية والتعليمية والملحدة والعبيديين.

أما في حاضرنا فلهم ألقاب جديدة ومتعددة، وشعارهم ودثارهم «ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض».

وفي بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٥٩-٢٦٠ ذكر الشيخ أن اسم الباطنية يقع على صنفين: الأول هؤلاء الذين ذكرتهم هنا، والثاني: على الذين يتكلمون في الأمور الباطنة مع قولهم بموافقتها لظواهر النصوص كما عند كثير من المتصوفة، ومثله في التدمرية ٤٩.

. . . .

انظر التدمرية ص ١٤ و ٤٨، والتسعينية، الوجه الثاني عشر وشرح الأصفهانية، والفتاوى الكبرى ٥/ ٤٠ و ٧٠، وانظر فضائح الباطنية للغزالي، وقواعد آل محمد للديلمي والتنبيه للملطي ص ٢٠، والملل والنحل ١٩١، والقرامطة لابن الجوزي، والفرق المفترقة ص ١٠٣.

٢- **السبئية**: نسبة إلى الخبيث عبدالله بن سبأ الصنعاني، ابن السوداء اليهودي أظهر الإسلام في عهد عثمان رضي الله عنه، وبعث عليه الفتنة، وغلا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزعم أنه لم يمت، وأنه سيرجع إلى الدنيا، وأن عليا هو الله، وأن ابن ملجم لم يقتل علياً بل قتل من تصور بصورته.

نفاه علي إلى ساباط المدائن، وأتباعه الذين حرقهم علي بالكوفة لما أصروا على أنه ربهم، وفيه قال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبرا

وابن سبأ وطائفته هم بذرة الرافضة، ونزعة الشقاق العقدي بين المسلمين، وهم معدودون من غلاة الرافضة قولاً واحداً.

وانظر منهاج السنة في مواضع منها ١/ ٢٣-٣٠ و ٢/ ٦١ و ٥١٠ و ٦/ ٣٦١ و٨/ ٢٥١ و ٤٧٩، والتبصير لابن جرير ص ١٦٣، وفتح الباري ١٢/ ٢٨٢، والتنبيه للملطي ٢٥، والملل ١/ ١٧٤، والفرق بين الفرق ١٥٤، ولسان الميزان ٣/ ٢٨٩، وفرق الشيعة ٢٢، والمنية والأمل ص ٢٩، والاعتقادات للرازي ص ٧١، والمواقف ص ٤١٩، وشرح النهج ٢/ ٣٠٩، وانظر عبدالله بن سبأ للعودة، ونشأة الفكر الفلسفي ١/ ٢٦٨ و ٢/ ٣٦-٤١، والصلة بين التصوف والتشيع ص ٨٤- ٩٢، والشيعة والتاريخ ٥٤-٥٥ و ٢١١، والبرهان للسكسكي ٨٥.

٣- **النصيرية**: ويسمون النميرية، وفي زمننا يتسمون بالعلويين، أتباع محمد بن نصير النميري أبي شعيب هلك سنة ٢٦٠هـ بسامراء في العراق. من غلاة الرافضة

والإِمَاميَّةُ في زمنِ عليٍّ[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، . . . .

بالإجماع، ومن طوائف الباطنية، يعتقدون أن الله حلَّ في علي في بعض الأوقات، ومنها يوم قلع باب خيبر.

نص شيخ الإسلام على أنهم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار والمحاربين، وأنهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب.. وأن لهم ألقاباً معروفة عند المسلمين منها: الملاحدة، والقرامطة، والباطنية، والإسماعلية، والخُرَّميّة، والمجُمرة.

انظر مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٤٥-١٦٢ في الفتوى فيهم، والتدمرية ص ٤٨، ومسألة في الكنائس ص ١٠٦، وربما يسميهم ابن تيمية برافضة الشام أو روافض جبل كسروان والمقالات ١/ ٧٥-٨٦، والملل ١٨٨، والفرق بين الفرق ١٩٤ وعدهم من الحلولية الخارجة عن فرق الإسلام وصدق، والاعتقادات ص ٧٥، وفرق الشيعة ٩٣ والفصل لابن حزم ٥/ ٥٠، والفرق المفترقة ص ٤٠، ولا تنس الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية! والبرهان ص ٦٧.

(١) الإمامية أشهر فرق الرافضة، وأوسعها انتشاراً، سموا بذلك لقولهم بعصمة الأئمة الاثني عشر، وأن لهم مكانة لم يبلغها نبي مرسل أو ملك مقرب، ومن أصولهم مع الإمامة والعصمة، الوصية والمهدية والغيبة والرجعة والتقية والبداء، وهي مما تفردوا به مع تكفيرهم لجماهير الصحابة إلا خمسة: علي وعمار وسلمان والمقداد وأبو ذر، وقولهم بتحريف القرآن، ورد السنة، وهم قبورية في التوحيد، معتزلة في الصفات والقدر.

ويُسمون الجعفرية نسبة إلى جعفر بن محمد الملقب بالصّادق أو الصدوق وهو الإمام المعصوم السادس عندهم، الاثني عشرية لاعتقادهم إمامة وعصمة الأئمة الاثني عشر: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد الباقر،

. . . .

وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وابنه الرضا، وابنه محمد الجواد، وابنه علي الهادي، وابنه الحسن العسكري، وابنه الغائب محمد بن الحسن المهدي، المعدوم!

وإذا أطلق اسم الرافضة انصرف إليهم، ويحبون أن يُلقبوا بالشيعة، وهو لقب كان لأوائلهم، قال في المنهاج ١/ ٣٥:

«ومن زمن خروج زيد ـ (هو ابن علي بن الحسين بالكوفة سنة ١٢٢هـ) ـ افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسمُّوا رافضة لرفضهم إيّاه، وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه» اهـ.

وقد كان سلفهم مشبهة مجسمة، ثم دخل فيهم التعطيل والاعتزال.

وهم من أعظم ذوي الأهواء والبدع جهلاً وظلماً وضلالاً واتباعاً للظن.. ومن بابهم دخل الزنادقة لهدم الدين، ابتذرها عبدالله بن سبأ في حياة علي رضي الله عنه.

فضحهم شيخ الإسلام في منهاج السنة، وانظر منه أوله، والرافضة ثلاث طوائف كبار ترجع إليها بقية فرقهم: الزيدية ثم الإمامية ثم الغلاة.

والمؤلف ابن الحنبلي عنىٰ بالإمامين الرافضة عموماً، من التعبير بالخاص على العام؛ إذ هم الذين كانوا في زمن علي رضي الله عنه.

وانظر المقالات ١/ ٦٦ حيث جعلهم أصنافاً ثلاثة: الغلاة ١٥ فرقة، والإمامية وسماهم الرافضة وعددهم ٢٤ فرقة، والزيدية في ٦ فرق.

وانظر البرهان للسكسكي ص ٦٨، والملل ص ١٤٦ وعدهم ٢٦ فرقة ترجع إلى الكيسانية والزيدية والإمامية والغالية.

وفي الفرق بين الفرق ص ٢٢ جعلهم ٢٠ فرقة، وبنحوه في التبصير للإسفراييني ص ٢٧، والاعتقادات ٥٩، وفرق الشيعة للنوبختي، وأصول الشيعة للقفاري، والشيعة والتشيع، والشيعة والقرآن، والشيعة والسنة لإحسان إلهي، والشيعة

وظَهَرَتْ المُعْتَزِلَةُ(١) ....

لموسى جارالله وغيرها. وكونهم جهمية في الصفات، قدرية مُعتزلة في القدر. انظر المجموع ٣٥/ ٤١٥، والفتاوى الكبرى ٢/ ٢٩.

(١) أشهر الفرق المبتدعة، سمو كذلك ـ على الأشهر ـ لَمَّا اعتزل واصل بن عطاء الغزَّال (٨٠-١٣١) الحسن البصري شيخه، بسبب سؤال عن مرتكب الكبيرة. فقال واصل: إنه لا مؤمن ولا كافر، بل بمنزلة بينهما، وهم فرق عديدة، ويطلق عليهم الجهمية لموافقتهم لهم في صفات الله، وهم مدرستان، المتقدمة معتزلة البصرة، وبعدها معتزلة بغداد حيث طرأ على المذهب التوسع والتجديد، ولهم أصول خمسة:

١- التوحيد: ويقوم على نفي صفات الله، ومعاني أسمائه.

٢- العدل: بأن العباد خالقون لأفعالهم، ولا تعلق لها بقدر الله.

٣- الوعد والوعيد: للمؤمن بالجنة، وللعاصي والكافر بناره.

٤- المنزلة بين المنزلتين: وسبقت ويسمونه «فاسق» وهو اصطلاح خاص بمدلوله عندهم.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: بالخروج على ولاة الجور إذا قدروا.

ومن مقالاتهم: القول بأن القرآن مخلوق، ونفي رؤية الله في الآخرة، وتقديم العقل على الشرع، وإنكار عذاب القبر ونعيمه.

وقد ورث مقالاتهم أو بعضها: الرافضة والإمامية والزيدية، والخوارج الإباضية، وبعض عَقْلانِيِّي عصرنا.

وانظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٧ و ١٢٦ من الفرقان بين الحق الباطل، والأصول الخمسة وشرحها لعبدالجبار المعتزلي، والمغني في أبواب العدل والتوحيد له، وفرق وطبقات المعتزلة له ص ٤٠ وما بعدها.

والمقالات ١/ ٢٣٥، والتنبيه ص ٣٥، والملل ص ٤٣ وعدهم ١٣ فرقة، والفرق بين الفرق ص ٧٨ وعددهم أكثر من ٢٠ فرقة، ونحوه التبصير للاسفراييني، والاعتقادات

في زمَنِ المأمونِ[١]، وجرى مِنْهم ما جرى، فكان آخِرُ البِدَع ظُهُوراً مَذْهَبُ الأَشعريِّ[٢].

وتَوَلَّى نُصْرَتَهُ الظَّلَمَةُ وأَربابُ الدُّنيا، وأَصحابُ المظالمِ، القائلين بما يُخالف الشرعَ من النِّجَامَةِ، والفَلسفَةِ[٣]، والإِدْمَانِ على المَظالم،

ص ٣٥ وجعلهم (١٧) فرقة، والبرهان للسكسكي ٤٩ وعددهم (١٨) فرقة، والتبصير لابن جرير ١٧٨، ومن الدراسات المعاصرة مذاهب الإسلاميين ١/ ٣٧ ومابعدها وأصولهم الخمسة..

(١) هو الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد (١٧٠-٢١٨) ولي الخلافة بعد قتله أخاه، وكان قد قرأ العلم وسمع الحديث وحدث، فمن شيوخه هشيم السلمي الواسطي (١٨٣هـ) الثفقي الثبت، وكان عالماً مغرماً بالمناظرة، قرَّب المعتزلة، وترجم كتب الفلاسفة، واهتم بها، وحمل الناس على القول بخلق القرآن وبالغ، وعذب بها العلماء وجالد، فكانت تلك الفتنة أشد ما وقع على المسلمين، حيث بعث المأمون ومعتزلته فيهم مبعثاً لم يعهدوه، وكان في نفسه كريماً مفضالاً مترفاً، فصيحاً مفوهاً، وقد أفضى إلى عدل مولاه.

ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٣، والطبري ٨/ ٤٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٢، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣٤، والشذرات ٢/ ٣٩.

(٢) مرَّ في أول الكتاب التعريف به وبمذهبه.

(٣) سبق في التمهيد بيان أن من أسباب فتنة ابن القشيري، وظهور المذهب الأشعري نصرة الوزير نظام الملك له، وتأسيسه المدارس في البلدان التي عرفت بالمدارس النظامية.

أما النجامة: فهي مصدر نجم يُنَّجم تنجيماً ونجامة، وهو النظر إلى النجوم،

والفِسْقِ؛ لتَعْلَم أنَّ هذه البدعةَ شرُّ البدَعِ بظهورِها آخرَ الزمان، وانْتِشَارِها في فَاسدِ البلدانِ، وركُوبِ دُعَاتِها التَّمويهَ والمحالَ، والكلامَ المُزخْرَفَ، وفي بَاطنِه الكُفرُ والضَلالُ، فَزَمَانُ هذِهِ البدَعةِ

والترصد لها، ويعني به المؤلف علم النجامة أو التنجيم المذموم، وهو النظر إلى النجوم والكواكب للاطلاع على المغيبات والذي يسمى علم التأثير، وأصحاب هذا العلم هم الصابئة أصحاب الهياكل.

أما علم الحساب من خلال رصد النجوم، ومعرفة الأوقات فمباح أو مشروع، وهو علم التسير.

انظر مادة (نجم) في مجمل اللغة ومعجم المقاييس، والقاموس وشرحه واللسان والمجموع المغيث.

* **والفلسفة**: كلمة يونانية من جزئين هما: (فيلا) و(سوفا) أي محب الحكمة، قال في القاموس: والاسم الفلسفة، مركبة كالحوقلة.

قال ابن القيم: والمقصود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها. وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مُختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

وأخص من ذلك: أن في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو، وهم المشاؤون خاصة، وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها، وقرّرها، وهي التي يعرفها، بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين» اهـ.

انظر مادة (سوف) من القاموس وشرحه، واللسان، والصحاح، والتعريفات للجرجاني ص ١٦٩، والإيمان ٢/ ٣٦٨-٣٦٩، والموسوعة الفلسفية ص ٣١٦ وما بعدها مادة (فلسفة). درء التعارض ١/ ١٢٢، والاعتقادات للرازي ١٢٦، وتهافت الفلاسفة ٤٨ وما بعدها، والملل والنحل ٣١٢ وما بعدها، وأطال فيهم تفصيلاً وتفريعاً، ومحصل أفكار المتقدمين للرازي ١٩٤ وما بعدها، والانحرافات

أَخبثُ الأَزمنةِ وأتبَاعُها أَخبثُ الأَمةِ، ودُعَاتُها أَقَل أَديانِ هذه الملة[١].

وقدْ قالَ النبيُّ ﷺ: «بدأَ الإِسلامُ غَريباً وسيعَودُ غَريباً، فيا طوبى للغرباءِ»[٢]، . . . .

الوثنية ٤٤ وما بعدها.

(١) عفا الله عن المؤلف فإن في هذه العبارات قساوة واضحة لا مبرر لها، وحمل للأشاعرة على اللوازم البعيدة الشنيعة لمذهبهم، مع أنه لاشك في بدعية مذهبهم وبطلانه.

ففي قوله: (وفي باطنه الكفر والضلال) تعنت عليهم، مؤذن بتكفيرهم، وهو ما لم يقله أحد من العلماء الراسخين فيما أعلم!

إذ شناعاتهم في القرآن ونفي العلو والاستواء.. غاية ما فيها أنها كفر أصغر؛ لقيام الشبهة في قلب القائل، ما لم يكن مُكابراً مُعانداً رادّاً للحق صراحاً، فالحال هنا له شأن آخر.

أما قوله: إن زمان هذه البدعة أخبث الأزمنة، فتوجيهه، بأنه بالنسبة لما قبله، كما سبق في الحديث: «**لا يأتي عام ولا يوم، إلا الذي بعده شر منه**».

أما كون أتباع المذهب الأشعري أخبث الأمة، وأقلهم ديانة، فمما لا يُسلم له البتة؛ إذ في أتباعها من العلماء الراسخين علماً وفهماً، وما من شرطهم أن يكونوا معصومين، فهم مخطئون ولاشك في تمشعرهم، كما أن منهم الدَّيِّن العابد الزاهد، ويُوجد أيضاً من هو بضد تلك الحال جميعاً.

وأنصفهم شيخ الإسلام في قوله بعد عرض بدعتهم في القرآن ١٢/ : «.. وهذا القول فيه نوعٌ من الضلال والجهل ما أنزل الله على رسوله، وهذا الذي أوقع في الاستخفاف بُحرمة آيات الله وأسمائه»، وربما إن المؤلف لم يجعل التفضيل على بابه، كما مضى نظيره.

. . . .

(٢) أخرجه مسلم بسنده في صحيحه بلفظه وفيه: «فطوبى للغرباء» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.. رقم ١٤٥، وقد ورد الحديث عن جماعة من الأصحاب رضي الله عنهم، بألفاظ متقاربة وطرق كثيرة، منهم:

١- عبدالله بن مسعود عند الترمذي في جامعه (٢٦٢٩) وغيره.

٢- وعن عمرو بن عوف المزني عند الترمذي في جامعه (٢٦٣٠) وغيره.

٣- وعن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس رضي الله عنه عند الطبراني في الكبير ٨/ ١٧٨ (٧٦٥٩) وغيره.

٤- وعن أنس مستقلاً عند ابن ماجه في الفتن (٣٩٨٧) وغيره.

٥- وعن سعد بن أبي وقاص عند أحمد في المسند ١/ ١٨٤، والبزار في المسند ـ كما في كشف الأستار (٣٢٨٦)، وأبي عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن وغيرهم.

٦- وعن جابر عند الطبراني واللالكائي، وغيرهما.

٧- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عند أحمد في المسند ٢/ ١٧٧، وابن المبارك في الزهد (٧٧٥).

٨- وعن عبدالرحمن بن سنة عند أحمد في المسند ٤/ ٧٣، وابن ضناح في البدع والنهي عنها.

٩- وعن سهل بن سعد الساعدي.

١٠- وعن سلمان.

١١- وعن ابن عباس.

١٢- وعن أبي سعيد.

١٣- وعن أبي موسى.

١٤- وعن بلال بن مرداس الفزاري،

١٥- وعن بكر بن عمرو المعافري.

١٦- وعن شريح بن عبيد رضي الله عن الجميع.

واعْلَمْ يا أَخي أنَّ مَنْ أَراد طُوبى(١) صَبرَ على الغُربةِ ولمْ يَسْتَوْحِشْ الوِحْدَة.

والغُربةُ والوحدةُ مُؤْلِمَتَانِ للطِّباع، ولكنَّ في العَاقبة الثَّوابَ والانْتِفَاعَ، وللهِ في خَلقهِ خَصائِصُ آحادٌ قد صاروا غُرباءَ في البلادِ، لا يتمكنونَ مِنْ إِظْهَارِ الحَقِّ لصولةِ البَاطل، ولا يظْفرُونَ مِنْ عَيشِ الدُّنيا بطائلٍ، ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

والله تعالى مَدَحَ الصَابرينَ لِمَا ينوبُهمْ مِنْ مُؤْلِمَاتِ القُلوبِ، وتَتَابعِ المَصائبِ والخُطوبِ، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]

وقال لنَبيِّه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

مما يفيد بتواتر الحديث عن هذا الجمع المبارك.

وانظر تخريجها في كشف الكربة للحافظ ابن رجب، والغرباء الأولون للعودة ٢٧-٤٦.

(١) قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الآية: ٢٩] فما هي طوبى: إنها شجرة في الجنة، وورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة إلى النبي ﷺ يرفعه: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة**»، واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] رواه البخاري في بدء

وغيرُ ذلكَ ممِّا يَطولُ شَرحُهُ، ويعَظُمُ ذِكْرُهُ، ومما لا يَليقُ بهِ هذا الفصلُ[(١)].

الخلق برقم ٣٠٨٠، ومسلم برقم ٢٨٢٦، وعند البخاري قبله عن أنس مرفوعاً: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**» بلغنا الله إياها آمين.

وانظر تفسير ابن جرير ١٣/ ١٩٠-١٩١، وتفسير البغوي ٤/ ٣١٦-٣١٧، والدرر المنثور ٤/ ٦٤٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٨/ ١٦٨، وتفسير ابن كثير.

(١) كأن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشير هنا إلى هذه الفتنة التي أصابت الناس، وما قد يصيبهم من أمثالها، فيعزي إخوانه بالصبر والاحتساب على البلاء عند عدم النصير والظهير، ويَحثُّهم عليه، ويُذكِّرهم به، لأن الصبر هو سبيل النبي ﷺ والمؤمنين الممدوحين به.

ولأهمية الصبر وشرفه وعزته، وتنوع مراتبه وأحواله، ذكره الله في نيف وتسعين آية من القرآن، كما قال الإمام أحمد.

وبالنظر إلى أنواعه: الصبر على طاعة الله، وعلى أقداره، وعن معاصيه، يستكمل الصبر خصال الدين، ومقاصد الملة، فسبحان الله!

***

الفصل الثاني

يَتَضَمَّنُ شرحَ تمويهِ القَومِ، ودَعْوَاهم المُحالَ في أنَّ للهِ كَلاماً أو شَرْعاً

فمِنْ ذلكَ: قَولُهُمْ للسَّائِلِ عن القُرآنِ؛ فيقول المُجيبُ له مِنْهم: القُرآنُ كَلامُ اللهِ، ثم يؤكِّدُ المُحالَ بأنَّه مُنَزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ.

معنى القرآن في اللغة

وتَسميةُ القُرآن مُشتَقٌّ مِنْ الجَمع. تَقولُ العَربُ: قَرأتُ الماءَ في الحَوْضِ إذا جَمعْتهُ فيه، وتُسَمِّي الحِيَضَ أَقْرَاءً(١)؛ لاجْتِمَاعِ دَمِ الحَيضِ في الرَحِمِ.

---

(١) الرسم محتمل لأكثر من ضبط: منها ما ضبطته بجمع الحيض وما بعدها.
ومنها (الحَيْض أَقْرَاء) بإفراد الحيض وجمع ما بعدها.
وثالث وهو بعيد (المَحِيضَ أقراء).

وكلمة (اقرا) كُتبت هكذا بدون همزة في أولها وآخرها، وهو هين؛ إذ تساهل النساخ بالهمز كتساهلهم بالإعجام أو التسهيل؛ لأنه يحتمل أن الناسخ سهَّل الواو إلى ألف (أقرؤ) كله محتمل، والظاهر ما أثبته.

قال في القاموس، القَرْءُ ويُضم: الحيض والطهر ضدٌّ، والوقت والقافية، الجمع: أقراءٌ، وقروءٌ، وأَقْرُؤٌ. أو جمع الطهر: قروء، وجمع الحيض: أقراء.

وأَقْرَأَتْ: حاضت وطهرت، وأقرأت الناقة، استقر الماء في رحمها. اهـ، أي اجتمع.

ومنه قوله في البقرة: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [الآية: ٢٢٨]، فإن المراد بالقروء على الصحيح الحيض، ومنه حديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها شكت إلى رسول الله ﷺ الدم فقال: «**إنما ذلك عرق، فانظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي، فإذا مرَّ قرؤك فتطهري ثم صلي ما بين القُرْءِ إلى القرء**» رواه أحمد ٦/ ٤٦٤ و ٣٢٢،

قال شاعر العرب:

ذِراعَــيْ عَيْطَــلٍ أَدْمَــاءَ بِكْــرٍ هجَانِ اللَّونِ لَمْ تَقْرأْ جَنِينا[1]

وأبو داود (٢٨٠)، والنسائي ١/ ١٢١، وابن ماجه (٦٢٠)، والدارقطني (٧٦) والبيهقي ١/ ٧٦.

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقــي خمــور الأنــدرينــا

وما ذكره المؤلف هو البيت الرابع عشر منها، وجاء في الأصل (لم يقرؤا جنينا) والتصويب من متون المعلقة وشروحها، ولكن ورد عجزه في جمهرة أشعار العرب ص ١٨٥: (تربَّعت الأجارع والمتونا) فربما تكون رواية.

وشاعر العرب: هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي، الشاعر الجاهلي الشهير من الطبقة الأولى منهم، صاحب المعلقة الشهيرة التي مر مطلعها، ولد في بلاد ربيعة في شمال الجزيرة، ولُقب بالفتَّاك لشجاعته، فقد ساد تغلب وهو صغير، وقتل الملك عمرو بن هند، وكان من أعز الناس نفساً، مات في الجزيرة الفراتية بالعراق سنة ٤٠ قبل الهجرة.

يقال أن معلقته ألف بيت، ولم يبق منها سوى مائة وبضعة عشر بيتاً.

ترجمته في: جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ١٨٣-١٩٧، وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥١٩، وسمط اللآلى للقالي ٦٣٥، والمحبر لابن حبيب ٢٠٢، وصحيح الأخبار ١/ ٩ و ١٩٢.

ومعنى البيت أنه يُشبه من يتغزل بها بذراعين كذراعي الناقة الطويلة العنق البكر، وتروى بالفتح والكسر، السمينة البيضاء الخالصة، التي لم تحمل ولداً قط.

وانظر شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٦٩، وشرح المعلقات العشر ص ٩٧، ولسان العرب ١/ ١٢٨، وجمهرة أشعار العرب ص ١٨٥.

أَي لم تَضُمَّ رَحِماً على وَلَد(١) .

والقُرآن مجمُوعُ سُورٍ، والسُّورُ مَجمُوع آياتٍ، والآياتُ مَجمُوع كَلماتٍ، والكَلماتُ مَجموعةُ حُروفٍ، والكلُّ لُغَةٌ عَربيةٌ، لقوله ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وقال جلَّت قدرته: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾.

ثم يَقول المُجيبُ مِنهم بَعد ذلك: ما تكلمَ اللهُ بِلُغةٍ عَربيةٍ، ولا كَلامُهُ سُورٌ ولا آياتٌ ولا حُروفٌ، ومَنْ قالَ مِنْهمْ: إنَّ كَلامَ اللهِ لُغَةٌ أو سُورٌ وحُروفٌ، فهو عِنْدَهم كَافرٌ.

---

(١) قال في اللسان عقب إيراده: قال أكثر الناس معناه لم تجمع جنيناً، أي لم يضطم رحمها على الجنين، قال وفيه قول آخر: لم تقرأ جنيناً أي: لم تلقه.. اهـ.

وانظر تاج العروس للزبيدي، والصحاح للجوهري، وجمهرة اللغة لابن دريد، والمجمل والمعجم لابن فارس، والفائق للزمخشري، والنهاية، والمجموع المغيث، والمنتخب لكراع النمل ص ٥٨٦ و٣٦٨، ونزهة القلوب للسجستاني ـ باب القاف المضمومة، والأضداد للأصمعي ص ٥، ومجاز القرآن لأبي عبيد ١/ ٧٤، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٧، والأضداد لابن السكيت ص ١٦٣.

وفي المسألة قول ثانٍ، هو أن القرآن غير مهموز، إنما هو اسم لكتاب الله، كما أن التوارة والإنجيل اسمان للكتب المنزلة على اليهود والنصارى، أو من اقتران بعضه مع بعض، وعلى كل حال فالخلاف فيها سهل.

انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٧٧، والإتقان للسيوطي ١/ ٦٧، النوع السابع عشر، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٧-٨، ومباحث في علوم القرآن للقطان ص ٢٠.

فانظروا ـ يا أَربابَ العُقول وأَصحابَ الأُصول ـ هذا المُحال، وتَناقُضَ هذا المَقالِ، وما فيهِ مِنَ الزيغِ والضَلالِ، إنْ قيلَ للمسُؤُلِ منْهمُ هذا الذي يَقْرَؤُهُ القارئ ما هوَ؟.

قالَ: كلامُ القارئِ حَرْفٌ وصَوْتٌ ولُغةٌ، واللهُ لا يُوصفُ بذلكَ ولاَ يتكلُمُ بحَرفٍ وَصْوتٍ، ولا لُغةٍ ولا عَربيةٍ ولا غيرِ ذلكَ مِنْ اللُغاتِ، ومَنْ يَعْتَقِدُ عندَهُمْ أنَّ أحداً مِنَ الخَلقِ سمعَ مِنَ اللهِ كلاماً بِجَارِحةِ أُذُنِهِ فهو كافرٌ، مِنْ مَلَكٍ أو آدميٍ.

ثم يقولُ بعد ذَلكَ: كَلامُ اللهُ مَسْمُوعٌ، لِسَمْعِه عند قِرَاءةِ القَارئِ. [٦١/ب]
فمنْ يصبرُ على هذه المُصيبةِ، أو يرضى لنفسه بهذه المقالةِ؟.

ثم تسألُهُ عنِ المصحفِ فيقولُ: أَصْبَاغٌ وأَلَوانٌ وإِهَابٌ(١)، وأَوْرَاقٌ وأَشكالٌ مُلفَّقةٌ وحُرُوفٌ مُجمَّعةٌ، صُنْعَةُ الكَاتبِ، مَخْلُوقٌ محدثٌ، ومَنْ قال فيهِ قُرآن تُكلمَّ به؛ فهو عندهم كافر.

---

(١) هو الجلد من الحيوان، ويستخدم بعد دبغه في تجليد القرآن والكتب، والكتابة عليه قديماً.

قال ﷺ: «إذا دبغ الإهاب فقط طهر» رواه مسلم والأربعة عن ابن عباس.

وبمثل هذا الجواب أجاب الأشعري الذي ابتطح المصحف إهانة، كما في الفصل ٥/ ٨١.

***

من آثار قولهم إهانة المصحف

ويجبُ عِندهَمُ مِنْ مُقتضى مُعْتَقَدِهم إِهَانةُ هذا المُصحَفِ، ولا يُفرقُ بينَ مَنْ أَحدثَ على وَرقٍ بَياضٍ، أوِ امتَسحَ به نَجْوةً(١)، وبينَ من فَعلَ

(١) أي استنجى به استنجاءً ونجوة.

ومضى في أول البحث عن الشيخ ابن تيمية أنه صار في بعض متأخريهم والعياذ بالله، حيث متقدموهم ينكرون ذلك، ويعظمون المصحف ويوقِّرونه عن الأدناس والأنجاس، وأنه لا يحمل إلا على طهارة، لا لأن القرآن حلّ فيه، ولكن لأنه محله ومكانه، كما قاله الباقلاني في الإنصاف ص ١٤١-١٤٢.

والمؤلف - عفا الله عنه - توسع في إيجابهم إهانة المصحف والاستخفاف به.. وإنما وقع ذلك من آثار قولهم في القرآن، ولا شك، ومن بعض متأخريهم ليس إلا!

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق عن الأشاعرة ص ٤٣٣: «فنحن وهم متفقون على أنه مخلوق لكن هم يسمونه قرآنا، ونحن نقول هو عبارة عن القرآن أو حكاية عنه فتأمل هذه الأخوة التي بين هؤلاء وبين المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل، فالمعتزلة قالوا: هذا الكلام العربي هو القرآن حقيقة لا عبارة عنه وهو كلام الله، وإنه مخلوق [في المختصر (وإنه غير مخلوق) وهو خطأ، وهكذا في مخطوطته ق ٢٣٥].

ومن هنا استخف كثير من أتباعهم بالمصحف، وجوَّزوا دوسه بالأرجل؛ لأنه بزعمهم ليس فيه إلا الجلد والورق والزّاج والعفص، والحرمة التي تثبت له دون الحرمة التي ثبتت لديار ليلى وجدرانها بكثير، فإن تلك الديار حلت فيها ليلى ونزلت بها، وهذا الجلد والورق إنما حلَّ فيه المداد والأشكال المصورة الدالة على عبارة كلام الله المخلوق..» اهـ.

ونقل ابن القيم عن أبي الوفاء بن عقيل في مسألة القرآن بعد خطبته قوله: «.. والبدعة قد تضرمت نارها، وظهر في الآفاق شرارها، وكتاب الله عز وجل بين العوام غرض يُنتضل، وعلى ألسنة الطغام بعد الاحترام يبتذل، وتضرب آياته بآياته

. . . .

جدالاً وخصاماً، تنتهك حرمته لغواً وآثاماً.

قد هُوّن في نفوس الجهال بأنواع المحال، حين قيل ليس في المصحف إلا الورق والخط المستحدث المخلوق.

وإن سلطت عليه النار احترق، وأشكال في قرطاس قد لفقت، إزراء بحرمته واستهانة بقيمته، وتطفيفاً في حقوقه، وجحوداً لفضيلته، حتى لو كان القرآن حياً ناطقاً لكان من ذلك متظلماً، ومن هذه البدعة متوجعاً متألماً. . » اهـ. من مسألة القرآن ورقة ٤٠ . وهذه الرسالة قد تسمى إثبات الحرف والصوت رداً على الأشاعرة.

هذا قول ابن عقيل وهو من أدرى الناس بطريقة الأشاعرة في زمنه، حيث ترك طريقتهم في آخر أمره وعاد إلى السنة، حيث ترجمه ابن رجب في ذيل الطبقات ١/ ١٤٤ وما بعدها، وانظره في منهج الحافظ ابن رجب ص ٢٩٧ و ٣٠١-٣٠٦.

وبالمناسبة فإن الانحراف الذي وجد عند أبي الفرج بن الجوزي (٥٩٧هـ) في العقيدة، أخذه عن أبي الحسن علي بن عبيدالله بن الزاغوني (٥٢٧هـ) عن أبي الوفاء علي بن عقيل (٥١٤هـ).

والواقع أن مذهب الأشاعرة في احترام وامتهان كلام الله تطور حيث كان متقدموهم يحترمون القرآن ويعظمون حيث كانوا يجمعونه بين الاعتراف بأنه كلام الله حقيقة، وبين كونه عبارة أو حكاية، ولكن تطور المذهب حتى لم يقولوا عنه إلا حكاية أو عبارة، فلزم منه أن القرآن الموجود مع المسلمين ليس بحقيقة الكلام الذي تكلم الله به وأسمعه جبرائيل الذي نقله إلى محمد ﷺ حتى تطور هذا عند جمهور متأخريهم فزعموا أن ما معنا من القرآن مخلوق، خلا المعنى النفسي القائم بالله، ووجد عند بعض منهم عدم احترامهم، ومن ثم إهانته وتخسيسه.

وانظر الفتاوى ١٧/ ٦٩-٧٠ و ١٢/ ٥٥٧ وقبله التمهيد ٢٦٨، والانصاف ٩٣ و ١٠٩ و ١٤١.

ذلكَ بالوَرقِ بعدَ كتَبِه القُرآنَ فيه؛ إِذْ هوَ سَوادٌ في بَياضٍ، فيوجبونَ إِهَانَتَهُ، عِناداً لمنِ اعتقدَ حُرمتَهُ، والتزمَ إِعظَامه وإِكرَامَهُ؛ كما يفعل المُسلمون بصَليبِ النَّصارى من الإِهَانةِ والحَدثِ عليهِ قَدْحاً في مُعتقدِهِمْ، وتكذيباً لإِشَارتِهم إليه بِصَلبِ عيسى عليه السلام، ولو كان عندنا ما يقُولوَنه صَحيحاً مِنْ صَلبِ عيسى عليه السلام، لشَاركناهم في تَعْظِيمه والتَّبرُّكِ به، ولكنَّ الله تعالى كذبهم بقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾[(١)]

فمِنْ مَذهبِ أَهلِ السُّنة: أَنَّ المصْحفَ[(٢)] فيهِ كلامُ اللهِ الذي هوَ القرآنُ، لا يحلُّ لمُسلمٍ أنْ يمَسَّه مُحدثاً أَيَّ الحَدثين كانَ[(٣)]، ومَنْ

---

(١) عقيدة صلب المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليهما وسلم وقتله، عقيدة مشهورة ومحل اتفاق بين النصارى لا ينكرها منهم أحد، مذكورة في إنجيلهم المحرف، كما في العهد الجديد (الإنجيل) سفر لوقا ٢٣: ٢٦-٤٣، وسفر متّى ٢٧: ٣٢-٤٤، وسفر مرقس ١٥: ٢١-٣٢، وسفر يوحنا ١٩: ١٧-٢٧.

وكذَّبهم الله في آخر سورة النساء في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [الآيات: ١٥٥-١٥٧].

والمؤلف هاهنا يتنزل مع المخالف فيما لو صح صلب المسيح عليه، ولم يصح، ولا يجوز تعظيمه بحال!

(٢) المصحف مثلثه الميم، وهو اسم للقرآن، قال تعالى في سورة البينة: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [الآيتين: ٢-٣].

(٣) سيأتي التدليل عليه مخرجاً إن شاء الله، ولكن أعجّل هنا بذكر جملة مهمة

حَلفَ به فعليه الكَفَّارةُ(١)، ومَنْ لَمْ يُعَظِّمْهُ ويُبَجِّلْه فهوَ كَافِرٌ، كما لا يقْرَؤُه جُنُبٌ ولا حَائِضٌ، ويُحْكَمُ بُكفرِ مَنْ كانَ بِهِ مُستهزئاً، وَلَهُ مُدَوِّناً(٢)، وبغيرِ تَسميَّةِ الله مُسمِّيا(٣).

لشيخ الإسلام في تفسيره سورة الإخلاص في المجموع ١٧/ ١٢ حيث قال في معرض خصائص القرآن: «وخُصّ القرآن بأنه لا يمس مصحفه إلا طاهر، كما ثبت ذلك عن الصحابة مثل سعد وسلمان وابن عمر وجماهير السلف والخلف والفقهاء الأربعة وغيرهم، ومضت به سنة رسول الله ﷺ في كتابه الذي كتبه لعمرو بن حزم، الذي لا ريب في أنه كتبه له، ودلَّ على ذلك كتاب الله، وكذلك لا يقرأ الجنب القرآن عند جماهير الفقهاء الأربعة وغيرهم كما دلت على ذلك السنة» اهـ. دلالة القرآن عليه لعلها في عموم قوله ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

وسيأتي الكلام على تخريج حديث عمرو بن حزم رضي الله عنه وثبوته إن شاء الله.

(١) يعني إذا حلف به ثم حنث فعليه الكفارة، وحلفه به على أنه كلام الله وصفة من صفاته. أما وضع يده عليه، أو رفعه على رأسه أو إلى وجهه ثم الحلف فمما لا أصل له.. والله أعلم.

(٢) هكذا في الأصل.. ومعناه جعله دنيًا أي وضيعاً خسيساً، من الدني والدناءة، قال في القاموس مادة (دون): «دان يدون دَوْنا وأُدين بالضم: صار دونا خسيساً، أو ضعف.. ولا يقال رجل دُونٌ ولا ما أدونه» وانظر شرحه واللسان والصحاح.

(٣) من استهزأ بالقرآن فإنه كافر، ولا تقبل توبته فيما بينه وبين الناس، كمن استهزأ بالله أو دينه أو رسوله، أمامن سمى القرآن بغير اسمه فلا يكفر ما لم يكن محرفاً أو مستهزئاً، لكنه بحسب نيته فمن سماه كتاب المسلمين أو دستور المسلمين واصفاً له بذلك فلا بأس؛ لأنه من التوسع في أوصافه، أما أسماؤه فالأولى الاقتصار على ما سماه الله به ورسوله ﷺ من كونه: كتاباً وقرآناً ونوراً وهدى وموعظة وبياناً وفرقاناً.. وانظر الهدى والبيان في أسماء القرآن للبليهي.

وهم يُكَفِّرُونَ مَنِ اعتقدَ فيهِ ذلكَ ويقولونَ: مَنْ قالَ في المصحَفِ كَلامُ اللهِ كانَ بمنزلةِ النَّصارى الذينَ قالوا: إنَّ عِيسى رَوُحُ اللهِ، يقابِلُونَ كلامَ أَهلِ السُّنةِ له بالإِهَانَةِ؛ عِناداً لمُعْتَقَدِهِمْ وتكْذِيباً لإثباتهم، ثم يَدُلُّونَ على ذلك بتِكَذيبِ اللهِ في خَبرِهِ، بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾. [الحشر: ٢١]

[٦٢/أ] وقالَ بعضُ دُعاةِ الأَشَاعرةِ(١): «نحنُ مانُريدُ جَبلاً بلْ نضعُهُ على جَمَلٍ، هلْ يُقالُ: إنَّ الجَمْلَ ما أطاقَ منهُ ما حَمَلَ، أو وقَفَ إِعْظَاماً

---

(١) لم أتبين اسمه أو كتابه، بعد مراجعة مصنفاتٍ من كتب التفسير وعقائد الأشعرية، أما قرنه فيغلب على ظني القرن الخامس، وأول السادس، وإمكانية معاصرته للمؤلف ابن الحنبلي، وأسباب هذا الاحتمال:

١- كون القرن الخامس، بل آخره يُعد مرحلة مهمة لتطور المذهب الأشعري، وإغراقه في المنحى العقلي ـ وقربه من الاعتزال ـ لاسيما على يدي أبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزالي في طوره الثاني.

٢- تبلور عقيدتهم تجاه كلام الله تعالى.

٣- اعتزاز المذهب كثيراً بسبب وزارة نظام الملك، وانتشار مدارسه ومراكزه وحمل الشافعية له، لاسيما بعد تغلبهم على المعتزلة في خراسان.

٤- الفتن المتوالية ـ في باب الاعتقاد وخصوصاً مسألة كلام الله ـ بينهم وبين أهل السنة والجماعة، ممن يدعونهم بالحنابلة.

٥- انتشار متعصبة الأشاعرة من مقلدة الشافعية وغيرهم.

هذا والظاهر أن المؤلف يعرفه، حيث وصفه بداعيتهم، ولكن أغفل اسمه جرياً على القاعدة في التحذير من البدعة دون المبتدع رجاءً لتوبته، وترك التشهير به رغبة في أوبته، وهذه جادة واضحة من جواد أهل السنة في باب النهي عن المنكر.

وانظر سبب التأليف في دراسة الكتاب ص (١٧٤) وما بعدها، حيث يحتمل أنه

لِهَيْبَتِهِ كما زعَمْتُمْ، أو ذُهِلَ(١)؟

ولَعَمْرِي إنَّ مَنْ أَضلَّه اللهُ وخَتمَ على قَلْبِهِ وسَمْعِهِ، حَمَلَ الأشياءَ على غَيْرِ مُقْتَضاها، ونَقل الألفاظَ عنْ معناها، واللهُ تعالى لَمْ يُرِدْ حَمْلَ الجَبالِ لحُرْمَةِ الكِتابِ، وإنما أَراد اسْتَدْعاءَ الطَّاعةِ بالخِطَابِ، وكأنَّهُ قالَ: لو خَاطبْنَا الجبالَ بما خَاطَبْنَاكُمْ مِنَ الأَمرِ والنَّهي، والوَعدِ والوعيدِ، والزَّجرِ والتَّهديدِ، وواجَهناها بما واجهناكم به لَخَشَعَتْ وتَصدَّعَتْ، وها أَنْتُم يا بَنِي آدمَ غَافِلونَ عنْ خِطَابِنَا، مُتخَلِّفونَ عنْ طَاعَتِنَا، مُقْدِمُونَ على معَاصينَا، وقدْ ذَكَرَ اللهُ في الآيةِ أنَّه مثَّلَ فقالَ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١](٢).

ممن وقعت له معهم وقائع.

(١) أمامها في المخطوطة (بلغ) بيان لوصول المقابلة في القراءة إلى هنا.

وهذا القول من هذا الأشعري قول كفر؛ لأنه استهتار بكلام الله، متضمن تكذيب هذه الآية من آخر الحشر، والسخرية من مثلها المضروب.

وهذا القول وأشباهه هو الذي دعا المؤلف إلى حملته هذه على الأشعرية وقولهم في مسألة القرآن، وما يستلزم منها وآثارها، ولربما تأليفه هذه الرسالة!

ولعله إنما قيل به ـ لشناعته ـ في مضايق المناظرة والكلام والمجادلة! فالله أعلم.

(٢) هذا المعنى الذي ذكره المؤلف من الآية هو قول عامة المفسرين.

فقد ذكر معناه ابن جرير في تفسيره لآخر الحشر ٢٨/ ٦٨-٦٩ وأسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

وذكره البغوي في تفسيره ٨/ ٨٧، وابن كثير ٤/ ٣٤٣، وذكره عن ابن عباس من وجه آخر وعن قتادة وابن جرير ـ وذكرها في الدر المنثور ٦/ ٢٠١ عنهم وعن

. . . .

الضحاك ومالك بن دينار وغيرهم من السلف .

وذكره القرطبي في تفسيره ١٨/ ٤٤-٤٥ مع توجيهات أخر .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٤٦، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٢٥١ .

وذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٣/ ٣٤٨، وأبو السعود في تفسيره ٥/ ١٥٤ .

والواحدي في تفسيره الوسيط ٤/ ٢٧٨-٢٧٩، والماوردي في تفسيره النكت والعيون ٥/ ٥١٢، وابن جزي الكلبي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٣٢، والنسفي في تفسيره ٢/ ٦٦٩ مع توجيهات أخرى، والرازي في تفسيره مفاتح الغيب ٢٩/ ٢٥٤، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٢٠٧، والسعدي في تفسيره ص ٧٩٢، وتفسير المهايمي تبصير الرحمن ٢/ ٣٣٥، ومحاسن التأويل للقاسمي ١٦/ ٥٧٥٢، وروح البيان لإسماعيل حقي ٩/ ٤٥٢ .

وذكره أيضاً عبدالكريم القشيري في تفسيره ٣/ ٥٦٦، وذكر وجهاً آخر على طريقة المتصوفة، بل ذكره من علم بالضرورة إنحرافهم في العقيدة، كابن عربي الصوفي في تفسيره ٢/ ٦٢٦ .

***

مقارنة بين قولي الأشاعرة والمشركين في كلام الله

فانظُرْ يا أَخِي ـ وفَّقَك اللهُ لِطَاعتِهِ ـ كيفَ قَصَدَ أعداءُ اللهِ التمويهَ على العَوامِّ بهذا الإلْحَادِ من الكَلام، رَدًّا لهمْ على تَعْظِيمه وتَبْجِيلِهِ، وحَمْلاً لهمْ على إهانتِهِ وتَدْوِينِهِ[١]، وإكذاباً للهِ في خَبرِهِ، وللرَّسُولِ فيما جاءَ بِهِ، ثمَّ يكتبُ الآيةَ في رِقْعَةٍ ويُحرقها ويقول: قد أَحرقتُ القرْآنَ، أو يُبلُّه بالمَاءِ ويقولُ قد غرَّقْتُه، هذا المصحفُ إنْ تركتُهُ في الماء غَرِقَ أو في النَّارِ احْتَرقَ، أكثرُ مَا فَعلَتْ كُفَّارُ قُريشٍ لمّا جَاءَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ مُبلغاً إليهمْ كلامَ اللهِ عزَّ وجلَّ، كما قال ﷺ: «هَلْ مِنْ رَجلٍ يحْمِلُني إلى قَوْمِه فإنَّ قُريشاً منعوني أنْ أُبلِّغَ كلامَ رَبِّي»[٢]،

(١) نقل النووي ـ وهو من أتباع الأشاعرة ـ في التبيان ص ١٣١: إجماع المسلمين على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفاً مما أجمع عليه، أو زاد حرفاً لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك، فهو كافر.

ونقل عن القاضي عياض على أن من استخف بالقرآن أو بالمصحف، أو بشيء منه، أو سبهما. . عالم بذلك أنه كافر بإجماع المسلمين.

وقال عياض: «وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلوَّ في جميع الأقطار، المكتوب في المصاحف، الذي بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، كلام الله ووحيه المُنزل على نبيه ﷺ وأن جميع ما فيه حقٌّ. .» اهـ. من التبيان عنه. وسبق نقله عن شيخ الإسلام في ٥/ ٤٨٢ بكونه حلال الدم! في أول التعليق على الكتاب.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة ـ باب في القرآن (٤٧٣٤) ثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل ثنا عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه. . وهذا إسناد صحيح، ورجاله رجال البخاري، ولم يخرجه.

وقال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وأخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ـ باب منه ٣٤ (٢٩٢٥) من طريق البخاري عن محمد بن كثير به بمثله، وقال: غريب صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ـ باب فيما أنكرت الجهمية (٢٠١) من طريق إسرائيل به.

وأخرجه النسائي في الكبرى، في كتاب النعوت ـ باب كلمات الله سبحانه وتعالى ٤/ ٤١١ (٧٧٢٧) من طريق إسرائيل به.

وأخرجه الدارمي في سننه، في كتاب فضائل القرآن، باب القرآن كلام الله ٢/ ٥٣٢ (٣٣٥٤) من طريق إسرائيل به، وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٨ و ٤١ كلاهما من طريق محمد بن كثير به.

وأخرجه الدارمي عثمان في الرد على الجهمية ص ١٣٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٢، وابن بطه في الكبرى (كتاب الرد على الجهمية) ١/ ٢٣٠ (٧)، واللالكائي في شرح أصول السنة ٢/ ٣٣٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٤١٣، والأسماء والصفات ١/ ٤٧٩ (٤٠٩)، وفي الاعتقاد ص ٢٥٠ كلهم من طريق إسرائيل به.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» اهـ، ووافقه الذهبي.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٩٠ من طريق إسرائيل به مثله وزاد: فأتاه رجل من همدان، فقال من أنت؟ فقال الرجل: من همدان. قال: فهل عند قومك من منفعة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال: نعم، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأخرجه من وجه آخر في المسند ٣/ ٣٢٢ و ٣٤٠ من طريقين كلاهما عن عبدالله ابن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في حديث طويل بنحوه.

إن قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥] [٦٢/ب]

تَرى وما عَرَفتُ كُفَّار قُرَيشٍ هذا اللَّفظ[١] المكتُوبَ مِنَ القُرآنِ، والحَرْقَ والغَرْق حتى يَرُدُّوا عليه؟ ويُجادلُوه في نَفي القُرآن أنَّهُ كَلامُ اللهِ، حتى اقتصَرُوا من الرَّد والتكْذيب على قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[٢]، فشكا رَسولُ الله ﷺ إلى الله تكذيبهم له في أنّه كلامُ الله بما أَخبر الله عَنهُ في كِتَابه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ

---

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل، والرسم يحتملها كثيراً، كما يحتمل لفظة (اللغو)، وما أثبته أظهر.

(٢) اضطرب كفار قريش في تكذيبهم للقرآن، ورسولِ الله ﷺ الذي أتى به.
فقالوا مرة: هو أضغاث أحلام.
وقالوا: بل هو كلام مفترى مختلق.
ثم قالوا: إنه شعر من شاعر كذبه على الله، فأكذبهم الله تعالى في غير ما آية منها قوله في أول الأنبياء: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الآية: ٥]، وقال في سورة يسٓ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: ٦٩].
وقالوا: إنه مُعَلَّم مجنونٌ.
وقالوا: إنه قول كاهن فأكذبهم بقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الآية: ١٤] من الدخان، وقال في الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآيات: ٤٠-٤٣].
ثم استقر قولهم على قول الوليد بن المغيرة بأنه سحر يؤثر، حيث روى ابن جرير في تفسيره ٢٩/ ١٩٥ على آية المدثر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فقال: أي عمّ؟ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه، فإنك

قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠](١)

أينَ رسولُ اللهِ ﷺ يسمعُ مِنْ الأشاعرةِ ما يقُولونَ فيه، وما يدوّنُونه، وما يُشكّكونَ أُمته فيهِ، وأنّهُ ليسَ بكلامِ الله، واللهُ لا يتكلَّمُ بلُغةٍ، ولا كَلامُه سُورٌ ولا آياتٌ، ولا حروفٌ ولا كلماتٌ؟! واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾، وقال:

أتيت محمداً تتعرض لما قِبَله. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال: وأنك كاره له.

قال: فما أقول فيه، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصده، ولا بأشعار الجن؟ والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يُعلى.

قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه!

قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكّر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت الآيات: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]، الآيات بعدها.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٦-٥٠٧، وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي وابن مردويه، وابن جرير، من وجوه أخر بمعناه، وانظر بقية رواياته في الدر المنثور ٨/ ٣٣٠.

(١) وذلك بأنهم لا يريدون أن يسمعوه، وإذا دُعوا إلى الله قالوا: لا. كما قال في الأنعام: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۞ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الآيتين: ٢٥-٢٦]، وأخبر سبحانه عنهم أنهم قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وذلك هجرهم إياه. وانظر تفسير ابن جرير ١٩/ ١٤ على آية الفرقان.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وذلك في القُرآنِ أكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَى (١).

مقارنة بين الأشاعرة وأهل الكتاب في كلام الله

وَاعَجباً! اليَهودُ مَع تَقادُمِ الزَّمانِ، وما دَخل على دينِهم مِنْ التَّغييرِ والبُطلانِ، والنَّصارى على كُفرهم وكَثرةِ البِدَعِ في دينِهِمْ يُعظِّمُونَ التَّوراةَ والإنْجيلَ بما هو مَعلومٌ عندَ النَّاسِ من الحَمْلِ على الرؤوسِ، والخشوعِ عند إحضارِهِ، والإرتعادِ عندَ الحِلْفَانِ به، وتَوْقِيرِ المَكانِ المُوضوعِ فيهِ، وغير ذلكَ منْ أَنواعِ الإكْرَامِ، ترى ما علموا أَنَّه يحترقُ ويُلْعَقُ (٢)، وإذا طُرِحَ في المَاءِ يَغرقُ؟ فهلْ تَرَى أحداً مِمن تَقدمَ مِنْ أَربابِ الكُفرِ والبِّدعِ قالَ في كتابِهِ ما قالتْهُ هذه الطَّائِفةُ في القُرآنِ، وما قَصدتْهُ هذا القَصْدَ، وما كَذَّبَتْه هذا التَّكذِيبَ؟! فَعلَتِ اليَهودُ والنَّصارى هذا التَّعظيمَ والتَّبجِيلَ لمجرَّدِ الورقِ والحِبرِ، أو لِمَعنى زَائِدٍ عليه، وهو إنْجيلٌ وتوراةٌ كلامُ الله؟ ومَنْ تَقدمَ مِنْ المُسلمينَ يُعظِّمُونَ هذا المصحفَ؛ لأنَّه حِبرٌ وَوَرَقٌ، أو لِمعنى زَائِدٍ على الحِبرِ والورقِ وهو قرآنٌ كلامُ الله؟! [٦٣/أ]

---

(١) قال ابن عطية صاحب المحرر الوجيز ١٤/ ١٧٩: «من الدليل على أن القرآن غير مخلوق أن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه أربعة وخمسين موضعاً، ما فيها موضع صرح فيها بلفظ الخلق ولا أشار إليه، وذكر الإنسان على الثلث من ذلك ثمانية عشر موضعاً كلها نصت على خلقه، وقد افترق على ذكرهما على هذا في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣]» اهـ. وانظر من أصداف العرب ١/ ٢٧.

(٢) هكذا في الأصل، ويحتمل أن تقرأ (ويلفظ).

انظرْ يا أَخِي - وفَّقَكَ اللهُ وإيَّانا لما يُرْضِيهِ - إلى بِدَعةِ هذه الطَّائِفةِ كيف زَادَتْ على بِدَعِ الأولينَ والآخرينَ، وعانَدَتْ كلامَ ربِّ العالمينَ!

مقارنة بين قولي الأشاعرة والمعتزلة

المُعتزلَةُ قالوا: «هذا القُرآنُ العَربيُّ الذي هو سُورٌ وحُروفٌ وآياتٌ وكَلماتٌ هو الذي أنزله الله على مُحمدٍ، وليسَ لنا قُرآنٌ غَيرُه، ولا للهِ كَلامٌ غيره[(١)]، لكنَّه مَخلوقٌ مُحدَثٌ خَلَقه في غَيره»[(٢)].

وقَالتْ الأَشْعَريةُ: «هذه المائةُ والأربعَ عَشْرَةَ سُورةً التي هي سَبعةُ أَسباع[(٣)]، وثلثون جُزءاً، لُغَةٌ عربيةٌ مَخلُوقةٌ مُحدَثةٌ، وليستْ قَديمةً،

(١) أي مُنزل، مُتعبَّدٌ به، مَتلوٌ من كلامه علينا، لاأنَّ الله ليس له كلام البتة إلا القرآن.

(٢) قول المعتزلة في القرآن هو أشهر مقالاتهم وقواعدهم في العقيدة، وهو مندرج تحت الأصل الأول من أصولهم الخمسة: وهو أصل التوحيد، المتضمن إنكار صفات الله ونفيها، والمتضمنة نفي أسمائه تحت قولهم: إنها أعْلامٌ مجردة.

وقولهم في القرآن موجود في كتبهم: شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨-٥٣١، والمغني في أبواب العدل والتوحيد ٧/ ٨٤ وما بعدها، والمحيط بالتكليف ص ٣٣١، وديوان الأصول لأبي رشيد ص ٢٩٦، ومتشابه القرآن ٢/ ٤٩٠، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٦٧-٢٧٠، واللمع ٩٢-١٠٠، ونهاية الإقدام ص ٣١٨ وما بعدها، مع ملاحظة أن القوم مجمعون على أن القرآن مخلوق مختلفون هل هو عرض أو جسم؟

وانظر المعتزلة لزهدي ص ٧٧، وأصول المعتزلة للمعتق ١١٦-١١٨، وشرح الطحاوية ص ١٦٨.

(٣) تسبيع القرآن أصله مأخوذ من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال: «**اقرأ القرآن في شهر**» قلت: إني أجد قوة.. حتى قال: «**فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك**».

ولا بِكَلامِ اللهِ؛ فوافقوا المُعتَزلةَ في أنَّه مَخلُوقٌ، وزادوا عليهمْ بِجَحْدِه وأَنَّه ليسَ بكلامٍ؛ بل للهِ كَلامٌ غيرُ هذا، وهو معنى قائمٌ في النَّفسِ لم يَنزلْ على نبينا ولا على غيرِه، وليسَ بِلُغةٍ ولا بآياتٍ ولا حُروفٍ ولا كَلماتٍ[1].

أخرجه البخاري متصلاً في مواضع منها: ما في كتاب فضائل القرآن ـ باب في كم يقرأ القرآن رقم (٤٧٦٧)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل القرآن رقم (٨٠٠) أي قراءة كله في سبعة أيام (أسبوع).

وصار على هذا فعل الصحابة كما أخرجه أبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه وغيرهما أن أوس بن حذيفة قال: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده.

ومعنى الثلاث من البقرة وآل عمران والنساء.
والخمس: من المائدة إلى التوبة.
والسبع: من يونس إلى النحل.
والتسع: من الإسراء إلى الفرقان.
والإحدى عشر: من الشعراء إلى يس.
والثلاث عشرة: من الصافات إلى الحجرات.
والمفصل من ق إلى آخر الناس.
وانظر عون المعبود ٤/ ١٩٠.

(١) موافقة الأشعرية للمعتزلة في اعتقادهم بأنه ليس ما معنا من القرآن محفوظاً في الصدور، ومكتوباً في المصاحف والسطور، ومقروءاً بالألسنة، ليس بكلام الله حقيقة بل هو عبارة أو حكاية عنه، وأن كلام الله حقاً هو ذاك المعنى النفسي القائم بذاته فقط، لم يسمعه أحدٌ، ونفسه، وهو الذي فهمه جبرائيل أو أدركه، وأعلمه

. . . .

محمداً ﷺ، فهو قولهما، وقول التالين له بعدهم.

فإذاً اتفقت المعتزلة والأشعرية على أن هذا الذي بين أيدينا من القرآن مخلوق.

وافترقت المعتزلة بأن نفت أن يكون لله كلاماً وهو صفة من صفاته، سواء قاله في نفسه أو خارجها، منكرين بذلك صفة الكلام، مقرين بأن القرآن كلام الله لكن كلام خلقه في غيره، فهو خلق كخلقه لا صفة من صفاته.

أما الأشاعرة فقالوا: إن الله تكلم بكلام هو من صفاته، لكن في نفسه لم يسمعه أحدٌ ولم يخرج إلى غيره.

قال شيخ الإسلام في الاستقامة ١/ ٢١٢: «لا خلاف بين الناس أن أول من أحدث هذا القول ـ (يعني كلام الله معنى واحد قائم بالقلب كما في ص٢٠٩) - في الإسلام: أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كُلاب البصري، واتبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري ومن نصر طريقتهما، وكانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة، ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليميهما للمعتزلة أصولاً فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضعُ من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً» اهـ.

وعلل في النبوات ٥٣-٥٤ لما سُمي الأشعريةُ مخانيثَ المعتزلة؟

ونحوه في منهاج السنة ٣/ ٣٦٩-٣٧٠ ودرء التعارض ٢-١٧٢-١٧٣ و ٣٠٥-٣٠٦ في معرض ذكر أقوال خمسة من الطوائف في كلام الله، والكيلانية ضمن المجموع ١٢/ ٣٠١-٣٠٢، وانظر قبلها ١٢/ ١٧٨-١٨٠. وشرح الأصفهانية (ت السعوى) ص ٤٢٥-٣٢٦، وجواب أهل العلم والإيمان ١٢/ ٦٩-٧٠، وهاهنا كلام جميل لأبي نصر السجزي في رسالته لأهل زبيد المسماة الرد على من أنكر الحرف والصوت أسوق بعضه لطوله فقال في أولها ص ٨٠:

«اعلموا ـ أرشدنا الله وإياكم ـ أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم

. . . .

من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم، الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة، وهم معهم، بل أخس حالاً منهم في الباطن . . » اهـ، وقد نقله شيخ الإسلام في درء التعارض ٢-٣١٥-٣١٧ في نحو ثلاث صفحات بطوله .

وقال أبو نصر في الفصل الخامس منه ص ١٣٧-١٣٨ :

«وقالت المعتزلة : لا يجوز أن توصف ذات الله بكلام، ولا كلام إلا ماهو حرف وصوت .

وقال الأشعري : يجب وصف ذاته سبحانه بالكلام، وليس ذلك بحرف ولا صوت . فنفى ما نفته المعتزلة وأثبت ما لا يعقل، فهو مُظهر خلافهم، موافق لهم في الأصل .

وقالت المعتزلة : السور والآي مخلوقة، وهي قرآن معجز .

وقال الأشعري : القرآن كلام الله سبحانه، والسور والآي ليست بكلام الله سبحانه، وإنما عبارة عنه، وهي مخلوقة .

فوافقهم في القول بخلقها، وزاد عليهم بأنها ليست قرآناً ولا كلام الله سبحانه، فإن زعموا أنهم يُقرُّون بأنها قرآن، قيل لهم : إنما يُقرون بذلك على وجه المجاز، فإن مذهبهم : أن القرآن غير مخلوق، وأن الحروف مخلوقة، والسور حروف بالإتفاق من أنكر ذلك لم يخاطب، وإذا كانت حروفاً مخلوقة لم يجز أن يكون قرآنا مخلوقاً» اهـ.

وانظر نحوه في الملل والنحل ١/ ٩٥-٩٦ على أن الذي استقر عليه الأشعري أبا الحسن هو أن القرآن كله غير مخلوق، مع إنكاره على من قال لفظي بالقرآن مخلوق كما في الإبانة ص ١٠١ (ت فوقية)، ولكن الإشارة قبلُ في طور كُلابيته .

وانظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٤١١ في حكاية المذاهب في الكلام

. . . .

ص ٤٣٢-٤٣٣ حيث عدّها ابن القيم أخوةً بين المعتزلة والأشعرية في مسألة الكلام، ونصّ شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧-٦٩-٧٠ فقال: «فإن القرآن العربي عندهم مخلوق، وليس هو كلام الله على قول الجمهور منهم» اهـ.

وانظر الوجه ٢٩ و ٣٠ و ٣١ من التسعينية (ت العجلان) ص ٥٤٢-٥٤٧، والمطبوعة (٢٣٥-٢٣٦) وصرح أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة (ق١٧٣) على أن الألفاظ ليست معتبرة لأنفسها، لأنها موضوعة ـ محدثة ـ لإظهار الكلام، ونحوه في بحر الكلام ٣١-٣٦، وشرح المقاصد ٢/ ٩٩-١٠٦ والمسايرة ٦٩-٧٦.

ومما يبين أن قول الأشاعرة، والماتريدية ـ إذ قولهما في القرآن واحد ـ: أن القرآن غير مخلوق، مجاز يقصدون به المعنى الواحد القائم بنفس الله ليس إلا.

قولُ أبي منصور الماتريدي في التوحيد له ص ٥٩:

«فإن قال قائل: هل أسمع الله كلامه موسى حيث قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] قيل: أسمعه بلسان موسى، وبحروف خلقها وصوت أنشأه، فهو أسمعه ما ليس بمخلوق» اهـ. حتى صرّح التفتازاني في شرح العقائد النسفية ص ٥٨ فقال:

«وتحقيق الكلام بيننا وبينهم ـ يعني المعتزلة ـ يرجع إلى إثبات الكلام النفسي، ونفيه وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ، وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي» اهـ، وانظرها ص ١١.

ومثله قول عبدالعزيز الفريهاري الماتريدي (كان حيا سنة ١٢٣٩هـ)، في كتاب النبراس ٢٢٣ وفيه: «وإن لم يختلف الفريقان ـ المعتزلة والماتريدية ومعهم الأشاعرة ـ في إثبات النفسي ونفيه فلا نزاع، فإنا إذا قلنا: القرآن غير مخلوق أردنا النفسي، وإذا قلنا: القرآن مخلوق أردنا اللفظي. فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف بل بحدوثه كما قال المعتزلة. وهم لا يقولون بحدوث النفسي بل ينكرون وجوده، ولو

. . . .

ثبت عندهم لقالوا بقدمه، مثلما قلنا، فصار محل البحث هو أن النفسي ثابت أم لا؟».

ويدندن بهذا كثيراً الكوثري حيث يقول في مقالاته ص ٢٧: «والواقع أن القرآن في اللوح وفي لسان جبريل عليه السلام، وفي لسان النبي ﷺ، وألسنة التالين وقلوبهم وألواحهم مخلوق حادث محدث ضرورة، ومن ينكر ذلك يكون مسفسطاً ساقطاً من مرتبة الخطاب، وإنما القديم هو المعنى القائم بالله سبحانه وتعالى، بمعنى الكلام النفسي في علم الله جل شأنه..» وانظر تعليقاته على الأسماء والصفات ص ٢٥١، وتأنيب الخطيب ص ٩٦-٩٧، ومعه الترحيب بنقد التأنيب ص ٣٠١، وتعليقه على تبيين كذب المفتري ص ١٥ وغيرها له، وانظر تدعيماً لهذه المسألة أيضاً:

تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي، تفسير آيتي الشورى ٥١، ٥٢، وأصول الدين للبزدوي ٦١٠-٦١١، والبداية للصابوني ص ٦١، وتبصرة الأدلة (ق ١١٨) والتلويح مع التوضيح ١/ ٢٨، وشرح جوهرة التوحيد ص ٧٢، وحاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية ص ٨٧، وإشارات المرام ص ١٧٧-١٧٨، وعقيدة الإسلام لأبي الخير ٣٧٤-٣٧٧، وشرح الفقه الأكبر للقاري ٤٢ و ٤٥، وشرح المواقف للجرجاني ٨/ ٩٣-٩٩، ورسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٤٥-٤٦، ورسالة في مسألة خلق القرآن لابن كمال باشا ورقة ١١٩، وعداء الماتريدية ٣/ ٧٣- ٧٩، وبيان مخالفة الكوثري ٣٨-٤٢.

وعلى كل حال فإن وضوح هذه المسألة عند متأخري الأشاعرة ليس كوضوحها والتشدق بها عند الماتريدية، لأن متقدمي الأشاعرة ينصون على أن القرآن غير مخلوق رادِّين بذلك على المعتزلة الذين تصدوا للرد عليهم.

كما عند الباقلاني في التمهيد ٢٦٨-٢٨٤، ورسالته الإنصاف ٧٠-٧٩، وعند ابن فورك في مشكل الحديث ص ٢٠٤.

وربما مع تطور المذهب بعده، نُحي «بأن القرآن غير مخلوق» منحى آخر إلى

قالت لهم المُعتَزلةُ: قد وافَقْتُمونا على خَلْق هذا وادَّعَيْتُمْ أنّ لله كَلاماً غَيرَه، ونحن لا نَعرفُ ذلك مِنْ لُغةٍ ولا شَرعٍ فليس لنا معَكُمْ كَلامٌ فيما لا نَدَّعِيه ولا تُشيرُ إليه الأُمَّةُ، ولا يُثْبت بِلُغةٍ ولا شَرعٍ[(١)].

ثمَّ ذَكروُا[(٢)] العِبَارة، والحِكَايةِ، ما جاء به شَرعٌ ولا نَطق به السَّلفُ مِنْ الصَّحابةِ والتَّابعين وفُقَهاء المسلمين[(٣)]؟! فكيف يَحلُّ لِمُسلم أن يقولَ مِثَل هذا القولِ.

الكلام النفسي فقط حتى قال أعرف الناس بالأشاعرة أبو الوفاء بن عقيل في مسألة القرآن ق ٤٠-٤١ في آخر خطبتها «يقولون القرآن عندنا قديم قائم بذاته سبحانه، وإنما هي زخارف لبسوا بها ضلالتهم، وإلا فالقرآن مخلوق عندهم لا محالة، فقد انكشف للعلماء منهم هذه المقالة، يقدمون رجلاً نحو الاعتزال فلا يتجاسرون، ويؤخرون أخرى نحو أصحاب الحديث ليستتروا فلا يتظاهرون، إن قلنا لهم ما مذهبكم في القرآن؟ قالوا: قديم غير مخلوق، وإن قلنا: فما القرآن؟ أليس هو السورة المسورة، والآيات المسطرة في الصحف المطهرة؟ أليس هو المحفوظ في صدور الحافظين؟ أليس هو المسموع من ألسنة التالّين؟ قالوا: إنما هو حكايته، وما أشرتم إليه عبارته، وأما القرآن فهو: قائم في نفس الحق، غير ظاهر في إحساس الخلق.

فانظروا معاشر المسلمين إلى مقالة المعتزلة كيف جاؤوا بها في صورة أخرى».. ونقل ذلك عنه مطولاً ابن القيم، كما في مختصر الصواعق ص ٤٣٤.

(١) هذا ـ والله أعلم ـ إلزام من المؤلف للأشاعرة على لسان المعتزلة.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ثم ذِكْرُ.

(٣) نعم وإنما هي بدعة أول من ابتدعها عبدالله بن كلاب وتابعه عليها أبو الحسن الأشعري في أول المائة الرابعة، ولم تكن وجدت بين المسلمين قبل، حتى تلقفها عنهما الأشاعرة والماتريدية ومن تأثر بهم من الصِّفاتية.

وحَسْبُكَ مِنْ مَقَالةٍ تَتبرَّأُ مِنْها المُعتَزلةُ، وما نفوا مِن اتَّباعها مع بِدعتِهِمْ، وتَحكْيمِهِمُ العَقلَ على الشَّرعِ، واعتمادِهم على الأَدلةِ العَقليةِ دُوَنَ الشَّرعية.

فقدْ خالفتْ الأَشَاعرةُ بِبدْعَتِهِمْ نصَّ الكتاب، وصَريحَ السُّنَةِ وأَدَّلةَ العُقولِ، وإِجْمَاعَ أَهلِ المِلَلِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى، والزِّيَادةِ على كُفَّار قُريشٍ في تكَذيبِ القُرآَن. فنعوذُ بالله يا أَخي مِنْ هذهِ المقَالةِ. والحمدُ لله على العَافيةِ مِنْ هَذِهِ الضلالةِ، والجهالةِ. [٦٣/ب]

ولقد حَدَثَ في زمانِنا جَاهلٌ من دُعَاتِهِمْ[(١)] يُشكِّكُ العوامَّ في القرآن بمُحالٍ وجَهلٍ ما سَبقَهُ إليهِ أَحدٌ من جُهَّالِهِمْ، وذلك أَنَّه قال: أليسَ المصحفُ الذي هو من ورقٍ، وقد كان قبل فِعْلِي للكتابة فيه أَبيضَ، ثم جمعتُ بين الزَّاجِ والعَفْصِ[(٢)] ثم جَعَلْتُهُ حِبرًاً ونقلتُهُ بيدي إلى

تجدد بدعتهم في زمن المؤلف والرد عليها

---

(١) لم يسمه المؤلف على عادته، وأظنه يعني عبدالكريم بن القشيري (ت ٥١٦هـ) وقد مضى مسوغات ذلك في التمهيد، والله أعلم، حيث كان خطيبًا مفوهاً في التدريس والوعظ! وعليه ربما يكون سنة هذا التأليف قبل ٥١٦هـ في زمن الفتنة بين أهل السنة والأشاعرة.

وربما عنى به أبا الحجاج يوسف بن دوناس المغربي الفندلاوي المالكي (٥٤٣هـ) فقد كان أشعرياً متعصباً، وله مع المؤلف ابن الحنبلي مناظرات وسب. وانظر السير ٢٠/ ١٠٤ و٢٠٩.

(٢) الزَّاجُ: كلمة فارسية معربة. ملح يقال له الشب اليماني من أنواع الأدوية يصنع منه الحبر للكتابة.

* والزيج: خيط البنّاء، قال الأصمعي: لست أدري أعربي هو أم معرب؟

الورقِ، فكيفَ يُقال لها قَديمٌ أو يُجعلُ كلاماً لله؟ يا عوامٌّ: فيه مكتوبٌ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ تروا الحور العين؟ قال فيه: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ تروا من ذلك شيئاً؟ فكيفَ تَقْبلوا المحالَ؟(١)

ومدارُه بهذا الكلامِ الفاسد عندَ جميع العُقلاءِ على بُطلانِ القُرآن وأنّه مُحالٌ، وليسَ إلا الحبرَ والوَرقَ، واللهُ بَريءٌ منهُ:

انظر اللسان مادة (زوج)، والقاموس وشرحه.

ومجمل اللغة مادة (زيج)، ومعجم مقاييس اللغة، والمُعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي ص ٢١٧.

* والعَفْصُ: مادة يُصبغ بها إلى اللون الأسود. وهو في الأصل دواء قابض مجفف. وانظر القاموس وشرحه مادة (عفص)، وكذا الصحاح واللسان ومعجم مقاييس اللغة.

(١) كأنه جهل أو تجاهل أن الوجود له مراتب أربعة:

١- وجود رسمي أو كتابي: كوجود رسم كلمة الجمل على الورق.
٢- وجود لفظي أو لساني أو بياني وهو وجود كلمة الجمل نطقاً ولفظاً باللسان.
٣- وجود ذهني أو علمي بتصوره في الذهن دون رؤيته.
٤- وجود عيني أو ذاتي بوجوده حقيقة في الخارج بعينه وذاته.

وأن وجود القرآن في المصاحف هو وجود رسمي، وفي القراءة وجود لفظي.

وانظر مختصر الصواعق ٤٢٩ و ٤٣١.

***

١ - لأنّ العقلاءَ يعلمونَ أنَّ الخبرَ غير المُخبَرِ عنه؛ لأنَّ مَنْ قال: عبدُالله بِبَغْدادَ يفعلُ كذا وكذا، والقائلُ بدمشقَ لا يكون عبدالله وبغداد[1]، فالحضرةُ لأجل خَبرِهِ، وكذلكَ الاسمُ ليسَ هو المسمى فيكون ما ذُكر.

٢- ولوْ كانَ كذلك لكانَ منْ قالَ: «نَارٌ» احترقَ فمُهُ، ومن قالَ: «عَسل» وجد حلاوتَهُ في فِيهِ، ومَنْ قالَ: «عَبَرْتُ في النَّهرِ» ابتلَّتْ ثِيَابُه لِهَذَا القولِ.

وهذا أظهرُ للعقلاءِ منْ أَنْ يَحْتَاجَ إلى بيانٍ وإيضاحٍ على أنَّ كلامَه هذا يُعطِي أن الكلامَ لا يتحققُ إلا بحصول المُسمى عند التسَّميةِ.

٣- وإذا كان كلامُ الله قائماً بنفسه فينبغي على ما قَدَّر تكونُ الأَنهارُ والحُورُ والقُصورُ في نَفس البارئ؛ فيكون على قول هذا الجاهل: البارئُ مَحَلاً للحوادثِ.

فانظر يا أخي تَوصُّل[2] هذِهِ الطَّائفةِ وتحَيُّلَهُمْ على إِبطالِ كتابِ اللهِ، [٦٤/أ] وتَعْطيلِ حُرمتهِ من قُلوبِ الأمة، والتَّشكِّيكِ فيه بهذا المحالِ[3].

---

(١) يظهر أن هاهنا سقطاً تقديره: (حاضرين).

(٢) هكذا في الأصل، ويحتمل الرسم كلمة (توحّل) أي التَّشْقِيق والتَّعسير، وما أثبت أولى بالسياق.

(٣) قال ابن القيم، كما في مختصر الصواعق ص ٤٣١:

«قالت فرقة: القرآن في المصحف بمنزلة وجود الأعيان في السموات والأرض والجنة والنار، ووجود اسم الرب في ورقة أو صحيفة، وهذا جهل عظيم، فإن الفرق بين كون وجود القرآن في المصحف، وبين كون الأعيان في الصحف أظهر من

. . . .

أن يحتاج إلى بيان، ويكفي المراتب الأربع التي هم معترفون بصحتها ومحتجون بها، فالقرآن كلام وجوده في المصحف من باب وجود الكلام في الصحف، ومعلوم أن وجود الكلام في المصحف هو وجود المرتبة الثالثة في الرابعة (اللفظي في الرسمي)، ووجود الأعيان في المحصف هو وجود الأولى في الرابعة.

ومعنى هذا أن المراتب أربع: وجود عيني، ووجود ذهني، ووجود لفظي، ووجود رسمي، فإذا وُجد الكلام في المصحف كان وجود المرتبة الثالثة في الرابعة (اللفظي في الرسمي)، لا بمعنى أن اللفظ الذي هو حروف وأصوات انتقل بنفسه وصار أشكالاً مدادية، بل ذلك أمر معقول مشهود بالحسِّ، يعرفه العقلاء قاطبة.

نعم: وجود القرآن في زبر الأولين من باب وجود المرتبة الأولى في الرابعة (عيني في الرسمي)، فمن سوَّى بين وجوده ثمَّ، ووجوده في المصحف فهو جاهل أو ملبس وليس القرآن بعينه موجوداً في زبر الأولين، وإنما فيها خبره وذكره والشهادة له فيها مذكور، مُخبر عنه، وهو في المصحف: ذكر وخبر وشاهد وقصص وأمر ونهي، فأين أحدهما من الآخر؟

فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]، ليس مثل قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨]، وقوله: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣]، ومن سوى بينهما لزمه (في المطبوعة لومه) أن يقول: إن هذا القرآن العربي بعينه أنزل على من قبلنا، أو أن يقول: إن المصحف ليس فيه قرآن، إنما فيه ذكره والخبر عنه كما في الصحف الأولى.

وكلا الأمرين معلوم البطلان عقلاً وشرعا» اهـ.

***

فأيُّ بدعةٍ على شَرعِ رسول الله ﷺ أعظمُ مِنْ هذِهِ البدعةِ، وأيُّ فتنةٍ على هذِهِ الأُمةِ أعظَمُ مِنْ هذه الفتنةِ! ضاعتِ الأموالُ، وبطلتِ الأَحكامُ، وجُهل الحلالُ والحرامُ بسماعِ مثلِ هذا الكلامِ، ونشرِهِ على رؤوسِ العَوامِّ الرّعاعِ الطَّغام.

الرُّسولُ ﷺ أخبرَ اللهُ تعالى عن نياحَتِه[1] بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهذا إشَارةٌ إلى حَاضرٍ سمعوهُ بآذانِهِمْ، وحفظوهُ في قلوبِهِمْ، وكتبوهُ في مصاحِفِهِمْ، واللهُ يقولُ في القرآنِ في نيِّف[2] وخمسينَ آية ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾[3] إشارة إلى حِضَارةِ[4] كُفَّارِ قُريشٍ، أثبتوا وجودهَ، وهجروهُ بالمخالفةِ، وهؤلاءِ جحدوهُ ونَفوا وجُودَهُ وكَذَّبوا شُهودَهُ، فإنّا للهِ وإنّا إليهِ رَاجعونَ على ما ظهرَ في هذهِ المِلَّةِ الإسلاميةِ منْ هذِهِ الفتنةِ، والبَلَيَّةِ المُبطلةِ لدينِ الإسلامِ بالكُلّيّةِ!

---

(١) هكذا في المخطوطة، ومعنى نياحته: ندائه وشكايته، وهو تساهل من المؤلف في التعبير، حيث يغلب على أسلوبه الطابع الوعظي، فلا غرو لاشتهاره به!

(٢) أي زيادة على الخمسين ودون الستين.

(٣) لقد عددت الآيات التي فيها (هذا القرآن) فصار عدتها خمس عشرة آية فقط، أما الآيات التي ورد فيها ذكر القرآن فعددها اثنتان وسبعون آية.

ومثل كلام المؤلف قول ابن عطية في المحرر ١٤/ ١٧٩ من ذكر الله للقرآن في أربعة وخمسين موضعاً!

(٤) مصدر حضر يحضر حضوراً.

مقارنة بين قولي الأشاعرة والباطنية

واعْلَمْ يا أخي ـ وفقنا اللهُ وإيَّاكَ ـ أنَّ الأشَاعرةَ يسلكونَ في إبطَالِ القُرآنِ مَسلكَ البَاطنيَّةِ في الإلحَادِ والزنْدَقيَّةِ[١]؛ لأنكَ إذا قلتَ ـ وقدْ ذكرَ الباطنيُّ إبليسَ ـ: لعنهُ اللهُ لعَنَهُ مَعَكَ، وهو عندنا أنَّه من الجِنِّ،

---

(١) هكذا في الأصل نسبة إلى الزندقة.

والزندقة فرقة، أو مقالة تشعبت في الفرق الغلاة ومن تأثر بها، وهي شعوبية بلا شك، قال شيخ الإسلام في معنى الزنديق في جامع الرسائل ١/ ١٨٧: «إنه من أبطن شيئاً من الكفر، وإن لم يظهره أو أظهر بعضه، ومنهم الباطنية والقرامطة والدَّيصانية، والمؤلهين لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» اهـ. قاله في رسالة الحلاج هل كان زنديقاً أو صديقا؟ وصوب زندقته، وأنه قتل على الزندقة.

وانظر الرسائل ١/ ٢٠٤ في رسالة الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون، ومجموع الفتاوى ٣٥/ ١٠٨-١١٩، وفي الجملة يطلق على المنافق.

وأطلقه الإمام أحمد على من قال بتناقض القرآن، في كتابه الرد على الزنادقة الجهمية.

أما من ناحية الاشتقاق فقيل إنه معرب من زندة وهو الدَّهري أو زن دين أي دين المرأة، وقيل هو فارسي، حيث أُطلق على مانى بن فاتك الذي خالف دين زرادشت وأصوله وبدّله، ولما كان زرادشت جاء الفرس بكتاب اسمه «البستاه» شرحه ماني بكتاب سماه «الزند» ثم شرحه بآخر سماه «البازند» فلذا سُمى المانيون بعد ذلك زنادقة أي المبدلين والمخالفين للزرادشتية.

وهكذا أطلقه المسعودي في مرج الذهب ١/ ٢٥٠، وابن النديم في الفهرست ص ٤٧٢ وما بعدها على أتباع (ماني)، ولابن كمال باشا (٩٤٠هـ) رسالة لطيفة في تصحيح لفظ الزنديق وتعريف معناه في ١٤ صفحة (مخطوطة)، وانظر اللسان والصحاح والجمهرة لابن دريد مادة (زند) والقاموس وشرحه مادة (زنق)، والتبصير لابن جرير ١٠٧، وانظر كتاب الزندقة والزنادقة ص ٦٩-١٢٣-١٧٢ ومواضع أخر، وكتاب الزندقة والشعوبية.

وأنَّ الله تعالى أَنْظَرَهُ إلى يوم الدين: القيامةِ، وأنّه أَغْوَى آدمَ في الجنَّةِ كما ذَكَرَ الله تعالى(١)، وعندَهُم(٢) ....

---

(١) أما كونه من الجن فلقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية: ٥٠].

وأما طلب الإنظار، والغواية ففي آيات كثيرة منها أول الأعراف: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾

[الآيات: ١٤-١٧].

وقوله في آخر طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [الآيتين: ١٢٠-١٢١].

(٢) أي عند الباطنية.

وهؤلاء الباطنية يجعلون للشرائع والأحكام تأويلات باطنة تخالف ظواهرها المعروفة والمتفقة بين المسلمين.

حيث تأولوا الصلوات: إلى معرفة أسرارهم، والصيام: إلى كتمانها، والحج: إلى قصد علمائهم، والفرائض: موالاة زعمائهم، والنواهي: موالاة الصحابة لاسيما الشيخين، والملائكة: زعماؤهم، والشياطين: مخالفيهم.

مما يُعلم بالضرورة من الدين أنه كذب على الله ورسوله، وتحريف للكلم عن مواضعه، وإلحاد في شرع الله وحكمه وآياته.

حتى إذا صار الشخص من عارفيهم أسقطوا عنه التكاليف، بأن رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحظورات، لأنه بلغ درجة اليقين.

وانظر الفتوى النصيرية للشيخ ابن تيمية ٣٥/ ١٤٥-١٦٠، وبيان التلبيس ١/ ٢٥٩-٢٦٠، والتدمرية ص ٤٨-٤٩.

أنَّ إبليسَ بالقُوَّةِ دونَ الشَّخصِ[١] يكونُ في كُلِّ شخصٍ يُعادي الإمامَ فهو إبليسُه، وما نقولُه نحنُ فهوَ عندَهُمْ محالٌ.

وإِنْ قلت: نارُ جهنمَ قال: أعوذُ باللهِ منَ النّارِ، فإذا سألتَهُ عنْ حقيقةِ النّارِ قالَ هي: هذه الدنيا التي نحنُ بها، والزَّقُّومُ شهواتُها، ويقيمُ على ذلكَ منَ الأدلةِ مايُميلُ بها الجاهلَ إلى قولِه.

[٦٤/ب] وإذا قلتَ: الجنَّةُ قال أَسألُ الله تعالى الجنَّةُ، والجنَّةُ عندَ أهلِ الأديانِ ذاتُ قُصورٍ وأنهارٍ وأشجارٍ، وهيَ عندَهُمْ هذه السَّماءُ، والنُّجومُ: همُ الملائكةُ[٢]، ويسلكونَ هذا المسلكَ في جميعِ ما ذكر اللهُ تعالى منْ أمرِ الدُّنيا والآخرةِ[٣].

---

(١) هذا ذكره الباطنية الإسماعيلية، كما في كتابهم «سرائر وأسرار النطقاء» لجعفر ابن منصور اليمن العبيدي (٣٨٠) ص ٣٣ وما بعدها.

وفي كتاب «الهفت الشريف» ـ المكذوب على جعفر الصادق ـ في الباب الثاني والعشرين، في معرفة إبليس وهل هو ظاهر أم باطن ص ٥٨-٥٩، وفيه قالوا: سئل أبو عبدالله (يعنون الصادق) عن إبليس هل هو ظاهر أم باطن؟ قال: هو ظاهر بالتركيب باطن بالمعرفة.. في كلام سمج. وكتاب «أساس التأويل» ٥٧-٧٥.

(٢) ذكروا هذا بمعناه في كتبهم كما في كتاب «الافتخار» لأبي يعقوب السجستاني في الباب الحادي عشر: في معرفة الثواب والعقاب ص ٩٢-٩٧، و«كنز الولد» لإبراهيم بن الحسين الحامدي ص ٢٣٧ وما بعدها.

(٣) وهذا كله في كتبهم الكثيرة.

- فمثلاً الصلاة عندهم هي ولاية الأولياء، والوضوء البراءة من الأعداء (أعداء الأئمة القائمين بالأمر)، والقبلة هي الدعوة إلى الحقيقة.

وكذلكَ الأشعريُّ إذا قلتَ القرآنُ، قالَ: كلامُ اللهِ، وفخَّمَ وَعظَّمَ مقدارَ ما يُطَمئِنُ الجاهلَ باعتقادِهِمْ إلى هذا القولِ، فإذا قلتَ لهمْ: الذي نسمعُهَ من القارئ، فيقولُ: هذا كلامُ القارئ حرفٌ وصوتٌ مخلوقٌ. فيقولُ السائلُ: والذي سمعتْهُ الصحابةُ منَ رسولِ اللهِ ﷺ، فيقولُ: كلامُ رسولِ اللهِ حرفُه وصوتُه. بطلَ بهذا القولِ والمُعْتَقَدِ

- والزكاة هي العلم بالأئمة وتأييدهم واتباعهم ولواحقهم.
- والصوم الصمت والكتمان للأسرار، ونشرها في أهل الحقائق.
- والحج هو معرفة الأئمة، كل إناس إمام زمانهم، والطواف بالبيت سبعاً هو أن عدد الأئمة سبعة في دورهم.

إلى كثير من الدجل والخزعبلات الباطنية كما في «الافتخار» من الباب الثالث عشر، في معرفة الوضوء والطهارة ـ إلى الباب السابع عشر في معرفة الحج ١١٠-١٢٨.

وأمثاله مثبوت فيما وقفت عليه من كتبهم: «كنز الولد» لإبراهيم الحامدي، و «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن (٣٨٠هـ)، وكتاب «الهفت الشريف» المنسوب لجعفر الصادق من رواية المفضل الجعفي، وكتاب «أساس التأويل» للنعمان ابن حيون المغربي قاضي قضاة الدولة الفاطمية (٣٦٣هـ)، و «سرائر أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن (٣٨٠هـ)، و «تأويل الدعائم» للنعمان بن محمد قاضي قضاة المعز الفاطمي، في ثلاثة أجزاء، وكتاب «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد الفاطمي اليماني (٦١٢هـ)، و «مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية التي لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له العقد والحل»، وهي رسائل لمجهول، ولعلي بن الوليد (٦١٢هـ)، قبحهم الله.

وفي كتاب التبصير للاسفراييني رسالة لعبيد الله الحسن المهدي العبيدي (٣٢٢) ١٤٣-١٤٧.

***

قولُ الله تعالى : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ، وقولِ الرسولِ : «فإنَّ قُريشاً منعوني أنْ أبلغَ كلامَ ربِّي» . ووافقَ قولَ الوليدِ ابنِ المغيرةِ :(١) ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ . وإنْ سألتهُ عنِ المصحفِ المكتُوبِ قال : هذا حِبرٌ وورقٌ ، لهُ أُسوةُ سائرِ الأجسامِ . بطلَ بهذا قولُهُ في كتاب الله تعالى : ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ ، وقوله : ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ، وقولُ الرَّسولِ : «لا تسافروا بالقرآنِ إلى أرضِ العدوِّ مخافةَ أنْ تنالَهُ أيدِيهِمْ»(٢) .

---

(١) هو ابن عبدالله بن عمرو المخزومي القرشي ، من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن صناديد الكفر في الإسلام ، هلك في السنة الأولى من الهجرة ولما يشهد بدراً ، فقد أدركه الإسلام وهو هرم وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاماً على شربها ، وهو والد الصحابي الفارس الجليل خالد بن الوليد . قال في القرآن : إنه سحر يؤثر ، وإن الرسول ساحر يفرق بين المرء وزوجه ، وإن القرآن قول البشر .

فكذبه الله وتوعده وفضحه في أول المدثر ، وقد كان بهره القرآن في عدة مناسبات فذكر لما قرأ عليه النبي ﷺ من أول فصلت إلى قوله : ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية : ١٣] .

انظر تفسير ابن جرير لأول المدثر ٢٩/ ١٩٢-١٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٩/ ٧١-٧٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢-٤٤٤ ، وغيرهما ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والكامل لابن الأثير ٢/ ٢٦ ، المحبر لمحمد بن حبيب ١٦١ و ١٧٤ ، ورغبة الآمل من الكامل للمرصفي ٥/ ٢٩ ، والبداية والنهاية ٣/ ٤٣ و ٢٦٥ و٢٧٣-٢٧٨ .

(٢) حديث متفق عليه مروي بسلسلة الذهب من طرق عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

حيث أخرجه البخاري في صحيحه متصلاً في كتاب الجهاد ـ باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو برقم (٢٨٢٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ـ باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو برقم (١٨٦٩) .

وقولُه: «لا يَمسُّ القُرآنَ إلا طاهرُ»[1]، وصارَ حِلفَانُ النَّاسِ على الأَموالِ والدَّعاوَى بالحبرِ والورقِ، فأَحسنَ اللهُ عُزاءَكُمْ في دينِ الإِسلامِ!

واعْلمْ يا أَخي أنّ الوَاجبَ هَتْكُ أستارِهِمْ وإظهارُ أسرارِهِمْ.

---

(١) حديث مشهور، هو قطعة مروية في كتاب النبي ﷺ إلى عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي الأنصاري، لما استعمله على نجران، حوى مقادير الدِّيات والصدقات، وفرائض وسنن، وهو كتاب مشهور عند أهل العلم.

قال الإمام أحمد: «كتاب عمرو بن حزم في الصدقات صحيح» اهـ، من نصب الراية ٢/ ٣٤١.

وقال ابن عبدالبر: «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وقد روى مسنداً من وجه صحيح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم معرفة يُستغنى بها في شهرتها عن الإسناد» اهـ.

وقال الصنعاني: «وكتاب عمرو بن حزم تلقاه الناس بالقبول» اهـ.

وقال الحاكم: «وشهد عمر بن عبدالعزيز وإمام عصره الزهري بالصحة لهذا الكتاب» اهـ، من سبل السلام ١/ ١٤٥.

وقال ابن تيمية في الفتاوى ١٧/ ١٢: «كتاب عمرو بن حزم لا ريب في أن النبي ﷺ قد كتبه له».

وعلى كل حال فقد رواه مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ في كتاب القرآن ـ باب الأمر بالوضوء لمن مس المصحف، وفي رواية محمد بن الحسن للموطأ ص ١٠٦ (٢٩٧) في باب الرجل يمس القرآن وهو جنب أو على غير طهارة، فيهما مرسلاً عن عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، حيث لم يلق عبدالله جده عمراً، كما في التهذيب للحافظ ٥/ ١٦٤.

ورواه الدارمي في سننه ٢/ ٢١٤ (٢٢٦٦) في باب لا طلاق قبل نكاح.

. . . .

وعبدالرزاق في المصنف.

ومن طريقه البيهقي في الكبرى ١/ ٨٧ و ٣٠٩.

ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٣٩٥، وساق نص كتاب عمرو وصححه.

وابن أبي داود في كتابه المصاحف ص ١٨٥ باب يمس المصحف من ليس على وضوء كلهم عن عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده متصلاً.

وقال الحافظ في البلوغ: رواه مالك مرسلاً ووصله النسائي وابن حبان وهو معلول، وانظر التلخيص الحبير ١/ ١٣١-١٣٢.

والحديث مروي عن غير عمرو بن حزم، فقد رواه:

١- عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ـ فقد رواه الدارقطني في سننه ١/ ١٢١ ومن طريقه البيهقي في الكبرى ١/٨٨، وأخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ٢٤٢ (١٣٢١٧) بلفظ: «لا يمسّ القرآن إلا طاهر»، وكذا أخرجه في الصغير ٢/ ١٣٩، وأخرجه الحاكم ١/ ٣٩٢ في كتاب الصدقة، وقال: هذا حديث كبير في هذا الباب إلا أن الشيخين لم يخرجاه».

وأخرجه اللالكائي في شرح السنة ٢/ ٣٤٤ (٥٧٣).

وقال الهيثمي في المجمع ١/ ٢٧٦: «رواه الطبراني في الكبير والصغير ورجاله موثقون» اهـ.

وقال في التخليص الحبير ١/ ١٣١: «وإسناده لا بأس به» اهـ، وانظر نصب الراية ١/ ١٩٨.

٢- حكيم بن حزام بمثله، رواه الطبراني في الكبير ٣/ ٢٠٥ (٣١٣٥)، ورواه في الأوسط وقال في المجمع ١/ ٢٧٦: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سويد أبو حاتم، ضعفه النسائي وابن معين في رواية، ووثقه في رواية أخرى، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي، حديثه حديث أهل الصدق.

. . . .

ورواه الدارقطني ١/ ١٢٢، واللالكائي ٢/ ٣٤٥ (٥٧٤)، والحاكم ٣/ ٤٨٥، وصححه ووافقه الذهبي، واسم سويد عنده: سويد بن أبي حاتم وهو خطأ.

وسويد أبو حاتم بن إبرهيم العطار ضعفه جماعة من العلماء، كما في الميزان ٢/ ٢٤٧، وقال الحافظ في التلخيص: سويد أبو حاتم ضعيف، وحسنَّ الحازمي إسناده. وذكر أن النووي ضعف حديثي حكيم وعمرو بن حزم في خلاصته.

وعلى كل حال فإسناد حديث حكيم محل احتمال لحال سويد فمن عدله حسن حديثه، ومن ضعفه ضعف حديثه.

٣- ورواه عثمان بن أبي العاص وذلك أنه وفد على النبي ﷺ، وأمرّه على أصحابه لكونه أفضلهم أخذاً للقرآن، وفيه قال: .. ولا تمس القرآن إلا وأنت طاهر.. أخرج الحديث بطوله الطبراني في الكبير ٩/ ٤٤ (٨٣٣٦)، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٨٥.

وقال في المجمع ١/ ٢٧٧: «وفيه إسماعيل بن رافع ضعَّفه يحيى بن معين والنسائي وقال البخاري ثقة مقارب» اهـ.

وقال ٣٥/ ٧٤: «وفيه هشام بن سليمان وقد ضعفه جماعة من الأئمة ووثقه البخاري» اهـ.

* * *

تحيلهم بنفي الحرف والصوت للقول بخلق القرآن

فإذا قالَ لَكَ القائلُ منهمْ: القرآنُ كلامُ اللهِ، ولكنَّ الحرفَ والصوتَ مخلوقٌ.

قيلَ له: أنتَ في حِلٍّ من الْحَرْفِ(١)، فما تقولُ في الكلماتِ؟ فَمِنْ قولِهِ: مخلوقةٌ.

فقل له: نَهَبُ لَكَ الكلماتِ(١)، فما تقولُ في الآياتِ تكَلمَ اللهُ بها؟

فَمِنْ قولِهِ: إنَّ اللهَ ماتكَلَّمَ بِذَلِكَ والجميعُ عندَهُ مخلوقٌ، فيعلمُ العاقلُ أنَّ ذِكْرَ الحرْفِ حِيلةٌ وخديعةٌ، وإلاَّ فلا فرقَ عندَهُمْ بينَ الجملةِ والتَفصيلِ في أن اللهَ تعالى ما تكلمَ بالجملةِ، وأنَّ الجميعَ مخَلوقٌ. [٦٥/أ]

يا أخي انظرْ إلى مُصيبةِ جُهّالِ الأُمَّةِ بهذه الطَّائفةِ إذا قامَ رجلٌ في محَفلْ وأنشدَ:

قفا نبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ(٢)

قالَ الناسُ: ما كان أشعر امْرَأَ القيس(٣)، نظراً إلى الأَصلِ لا إلى المَسموعِ منهُ الآن.

---

(١) المؤلف بهذا يتنزل معهم إلى مقصد قولهم، وهو مسلك معروف في البحث والجدل والمناظرة.

(٢) هذا صدر أول بيت من معلقة امرىء القيس وعجزه:

.... بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ فَحَومَلِ

(٣) هو ابن حجر الكندي من بني آكل المرار، صاحب المعلقة المشهورة التي مرّ مطلعها، المتوفي في الجاهلية بنحو ٨٠ سنة قبل الهجرة، أشهر الشعراء ولُقب ملكهم،

وإذا أنشدَ المُنشدُ:

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والعَوالِي[1].

قال النّاسُ: ما قَصَّرَ المُتَنَبِّي[2]، وما كانَ أَفْصَحُهُ، نظراً إلى الأصلِ القائلِ أوّلاً، لا إلى المَسمُوعِ منهُ.

أبوه كان ملك أسد وغطفان، وخاله الشاعر المهلهل، ورث الملك عن أبيه، وطلب ثأره، فعاش متنقلاً بين مضارب الجزيرة والشام والروم، فلقب بالملك الضليل.

أفردت دراسات كثيرة معاصرة في جمع شعره وتحليله ودراسته وتأريخه..

انظر الأغاني ٩/ ٧٧ (دار الكتب)، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣١، وخزانة الأدب ١/ ٢٦٠، وشرح المعلقات السبع ٥، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ١٠٤، وجمهرة أشعار العرب ١٢٣، والأعلام للزركلي ٢/ ١١.

(١) مطلع قصيدة قالها أبو الطيب يرثي والدة سيف الدولة الحمداني، ويعزيه بها في سنة ٣٣٧هـ، والبيت الأول منها:

نُعِـدُّ المَشرفيَّـة والعَـوالـي وتَقْتُلُنـا المَنُـونُ بـلا قِتـال

وانظرها في ديوان المتنبي ص ٢٦٥.

(٢) هو الشاعر المشهور أبو الطيِّب أحمد بن الحسين الجُعفي الكوفي الشهير بالمُتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ) وسبب لقبه أنه أقام بالبادية مدة مُدعياً أنه علويٌّ، ثم تنبأ، ثم أخذ فتاب؟ كتب الحديث عن أبي الحسين المحاملي وغيره، وكان ذكياً بارعاً بخيلاً معجباً بنفسه، وكان شاعراً بلغ شأناً عظيماً فيه لا سيما في المدح والفخر، لازم سيف الدولة الحمداني وغيره، قتل في النعمانية بليدة قرب بغداد ومع ولده مُحسِّد وغلامه، بسبب شعره، طوَّل الذهبي في ترجمته في «تاريخ الإسلام».

ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/ ١٠٢-١٠٥، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٣، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٣٦-٢٤٦، ويتيمة الدهر ١/ ١١٠-٢٢٤، والمنتظم ٧-٢٤-٣٠،

وكذلِكَ منْ سمعَ شعْرَ ابنِ حَجَّاجٍ[(١)]، قال السَّامعُ: ما كان أَخْلَقَ هذَا الرجلَ، وكلُّ واحدٍ منْ هؤلاءِ الشُّعراءِ قدْ بَلِيَ وفَنِيَ، ولا أحدَ يُنازعُه شِعَرَهُ ولا يُكابرُه فَضلَه، والدَّواوينُ للشعراءِ: هذا ديوانُ فلان، وهذا شعرُ فلانٍ؛ فلما جئْنَا إلى الكتابِ الذي لا يأتيهِ الباطلُ منْ بينِ يديهِ ولا مِنْ خلفِهِ[(٢)]، فإذا قَرَأَهُ القارئُ قالت الأَشْعَرِيَّةُ: هذا كَلامُ القارئِ، وإذا حضرَ المصحفُ، قالوا: هذا حبرٌ وورقٌ، فأيُّ مُصيبةٍ أعظمُ مِنْ مُصيبةِ الإسلامِ بهِمْ؟!

وسير النبلاء ١٦/ ١٩٩، ونزهة الألباء ٢٩٤-٢٩٩، وأعيان الشيعة ٨/ ٦١-٢٧٨، ومقدمة ديوانه وغيرها.

(١) اسمه الحسين بن أحمد الحجّاج البغدادي، أبو عبدالله شاعر فحل (؟-٣٩١هـ)، غلب على شعره الهزل، قال فيه الذهبي: «شاعر العصر، وسفيه الأدب، وأمير الفحُش، كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح».

وكان من كتاب بني بويه، واتصل بغيرهم من الأمراء، له معرفة بالتاريخ واللغات، جمع الشريف الرضي شعره، ورثاه لما مات. وديوانه مخطوط بالظاهرية بالشام رقم ١٣٣ شعر، وفي مكتبة تشتسربتي بدبلن بإيرلندا برقم ٣٧٨٢ في ٢٩٩ ق منسوخة سنة ٥٦٢هـ وعنها فلم بمكتبة جامعة الإمام بالرياض، وبعض المترجمين يسميه الحسن بن أحمد بدون ياء.

ترجمه في تاريخ بغداد ٨/ ١٤، والوفيات ١/ ١٥٥، ويتيمة الدهر ٢/ ٢١١-٢٧٠، والكامل لابن الأثير ٩/ ٥٨، وسير النبلاء ١٧/ ٥٩، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٩، وروضات الجنات ٢٤٠، والإمتاع والمؤانسة ١/ ١٣٧، والإعلام ٢/ ٢٣١، ومعاهد التنصيص ٣/ ١٨٨.

(٢) تضمين من آية فصلت قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

تحيُّلٌ آخر في مفهوم القرآن ورده من تسعة وجوه

واعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإيّاك لما يرضيه ـ أن الأَشَاعرةَ يتَحيَّلون في إبطالِ القُرآنِ بالحِيلِ، ويتَعلَّلون للعَوامِّ خوفاً من نفورِهِمْ بالعللِ.

فَمِنْ ذلكَ: قولُهُمْ للمِفَهومِ من قراءة القارئ: كلامُ اللهِ وهوَ القديمُ[1]، وذلك مُحالٌ مِنْهمْ مِنْ عدَّةِ وجوهٍ:

١- أحدُها: أَنَّ عندَهم أَنَّ كَلامَ اللهِ معنىً قائمٌ بالنفسِ، ليسَ بلغَةٍ ولا حَرفٍ ولا صَوتٍ، ولا عربيٍّ ولا عبرانيٍّ، ولا غيرِ ذلك، لم يَنزلْ على نبيِّنا ولا علَى غيرِه، وما ليسَ بلُغِةٍ فلا يُفهمُ، وما لم يصل إلينا كيفَ نفهمهُ فهذا مِنْهمْ مُحَالٌ!

٢- نُبيِّنُ الوجهَ الآخَرَ أنَّ الله تعالى قالَ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ والفهمُ يتأخرُ عنِ السمعِ لأنَّ العرب تقولُ: سمعتُ الكلامَ وفهمتُ المعنى، والله تعالى قالَ لموسى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ[3] إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ فهلْ فَهِمَ مُوسى الباريءَ بماهيةٍ أو كيفيةٍ؟ أَوْلَهُ مِنْ معرفتِهِ إلا كما لنا: [٦٥/ب]

---

(١) صرح به (متوسطو الأشاعرة) أبو المعالي الجويني في الإرشاد ص ١٢٩، في فصل كلام الله مسموع وفيه قال: والذي يجب القطع به أن المسموع المدرك في وقتنا الأصوات، فإذا سمعناكلام الله تعالى مسموعاً، فالمعنيُّ به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات مدركة ومسموعة» اهـ، وص ١٣٠ في فصل معنى إنزال كلام الله تعالى.

وفي الغُنية ص١٠٨ «والمعني بقولنا مسموع أن كلام الله تعالى مفهوم السامع عند سماع القراءة، والسماع يذكر ويراد به الفهم» اهـ، وأبو حامد في «الاقتصاد» ص ٧٨-٧٩.

(٢) أسفل هذه الآية وهي آخر الصفحة كُتبت (بلغ).

* * *

أنَّهُ اللهُ أسماءٌ وصفاتٌ، ولا وصولَ لنا إلى معانيها[١] ولا كيفيةٍ ليسَ لمُوسى أكثرُ ممّا أعطاهُ البارئ بقوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ﴾، سمع كلامَه، ألا تراهُ لما طَلَبَ الفهمَ وإشْرَاك البَصرِ مع السمعِ ليعرفَ البارئَ بحَاسَّتين: سمْعٍ وبَصَرٍ، كيفَ صُدَّ عنْ ذلكَ ورُدَّ! ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ثم قال له: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قد فضَّلتك بالكلام على سائر الأنبياء فكن من الشاكرين[٢].

---

(١) الصواب أن معاني أسماء الله وصفاته معقولة ومدركة مفهومة، من معنى اللسان العربي الذي وردت به، وإلا لكانت طلاسم ورموزاً لا يصح بها التكليف؟ ولجهل الناس ربهم بجهلهم بأسمائه وصفاته، التي لم يزدهم ورودها في كتابه إلا جهلاً وعمى؟ هذه حقيقة قول المفوضة أهل التجهيل.

وهذا معنى قول الإمام مالك ـ وغيره ـ في الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول..» أي أن معنى الاستواء معلوم في لغتنا التي خُوطبنا بها، ولكن المنفي منه ومن أسمائه وصفاته حقائقها التي تؤول إليها وكيفياتها التي هي عليها.

وكأن المؤلف قصد بقوله: «لا وصول لنا إلى معانيها» إلى حقائقها وكيفياتها، وتكرار ذكر الكيفية بعدها للتأكيد أو لنفي معرفة معاني الحقائق والماهيات.. والله أعلم.

(٢) وبهذا المعنى الذي ذكره المؤلف قال ابن جرير في تفسيره لآية الأعراف ٩/ ٧٦، وابن كثير في تفسيره لها ٢/ ٢٤٦، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ٢٧٩، وابن سعدي في تفسيره ٢٦٥.

وفُضِّل موسى بالكلام على سائر النبيين سوى مُحمدٍ ﷺ.

***

٣- الوجهُ الآخرُ: أنَّ اللهَ تعالى لما تحدَّى العربَ قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ والمفهومُ: ليس بسورٍ ولا آياتٍ فكانَ المعُجزُ في هذه المائةِ السّورةِ والأربعَ عَشْرَةَ سُورةً الحاضرةِ معنا تُدركُ بالقلوب حِفظاً، وبالأعين كتباً، وبالألسُنِ تلاوةً، وبالجوارحِ تبعاً للإدراكِ، والقرآنُ شيءٌ واحدٌ على جميعِ الجهاتِ(١)، كلامُ اللهِ وعلمُه غيرُ مخلوقٍ.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ إشارةٌ إلى حاضرٍ، لا كما قالت الأشعريةُ: ليس عندنا منه شيءٌ، وهو قائمٌ بالذاتِ.

---

(١) أي لم يتغير هو كلام الله محفوظاً ومكتوباً ومتلواً، ليس متعدداً أي قرآنين وثلاثة، بمعنى قرآن محفوظ وآخر مكتوب وآخر متلو . .

ولم يرد المؤلف أنه شيء واحد كما عليه الأشاعرة هو أمر وهو نهي وهو خبر وهو استفهام، بل هو كلام الله أينما تصرف كما روى عن الإمام أحمد أنه قال: توجه القرآن على خمسة جهات: حفظ بقلب، تلاوة بلسان، وسمع بآذان، ونظر ببصر، وخط بيد.

فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والخط مخلوق والمخطوط غير مخلوق، رواه إسحاق الحربي عنه في رسالة في أن القرآن غير مخلوق ٣٢ (١)، وكذا الذهبي في السير ١١/ ٢٩١، وابن بطه في الرد على الجهمية من الإبانة ١/ ٣٤١ (١٤٥)، والسنة للخلال ٥/ ١٢٥ وما بعدها بعدة روايات.

وفي مسائل ابن هانىء ٢/ ١٥٨ أنه قال سمعت أبا عبدالله يقول: «على كل حال من الأحوال القرآن غير مخلوق» ورواه ابن بطة في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ١٣٣ (١١١).

٤- الوجهُ الآخرُ: أنَّ النَّاسَ توسَّعُوا في المفهُومِ على قَدْرِ عُقولِهِمْ وقُوَاهُمْ، ولهَذَا أُكْثِرَتْ التَّفاسيرُ، ووَقَعَ الخلافُ في المفهومِ. ترى فأيُّها عندهم كلامُ الله القديمُ؟

٥- الوجهُ الآخرُ: أنَّ رجلاً أعجمياً لو سمع القرآنَ ولم يفهمْ منهُ شيئاً، قَال النَّاسُ: سمعَ كلامَ اللهِ، ولو كانَ كلامُ اللهِ هو المفهومَ لكان يجبُ أنْ يُقالَ: ما سمعَ القرآنَ لعدم فهمِهِ.

٦- الوجهُ الآخرُ: أنَّ الفهمَ يتأخرُ عن السَّمعِ؛ فيؤدي إلى تقدُّمِ المُحدَثِ على القديم، لأنَّ الكلام مخلوقٌ، والمفهومَ قديمٌ، والكلامُ يتقدمُ الفهمَ، والفهمُ يصدرُ عن الكلام؛ كما يتأخر الألَمُ عن الضَّربِ، ويكونُ بعدَ الضَّربِ، وما تقدَّمَ الحوادثَ فهو مُحدثٌ[1]، فكيفَ يثبتُ قديمٌ تقدَّمَهُ مخلوقٌ؟! [٦٦/أ]

٧- الوجهُ الآخرُ: أنَّ المفهومَ لا يقومُ ولا يُحصَّلُ إلا بالأعضاءِ من القَلبِ والدِّماغِ، ولذلك المجنون لا يَفهم ما يُقال له كما لا يتأتَّى الكلامُ في حَصِيٍّ[2] إلا بلسانٍ وأدوات؛ فإضافة المفهوم والمعنى

---

(١) هذا إلزام من المؤلف لهم على قاعدة المتكلمين في مسألة الحوادث.

(٢) كَغنيٍّ وهو وافر العقل والرأي والرزانة والحصانة، وهو الحازم الكتوم على نفسه سره، ومنه سُميت الحصاة وأطلقوه على العقل كما قال الأزهري، ويطلق على الرأي، وفلان مُستحصٍ أي شديد العقل، وحصاة اللسان: ذرابته أي حسن منطقه وجودته، قال ابن الأثير في النهاية: ومنه: «وهل يُكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصا ألسنتهم» هو جمع حصاة اللسان، هكذا جاءت في الرواية، والمعروف حصائد ألسنتهم» اهـ.

القائمِ في النَّفسِ إلى اللهِ، كإضافةِ الكلامِ إليه، فيما يَسْتَدعيه الشَّاهدُ منا.

فما الحاجةُ إلى هذَا المُحالِ، والتوّصلِّ إلى إبطالِ كلامِ الله بالهذيانِ؟!

٨- الوجه الآخر: أنَّ المفهومَ صُورُ الموجوداتِ الحَاصِلةُ في ذِهْنِ الإنسانِ؛ فإذا سُمِعَ الماءُ قُصِدَ البارد الرَّطب السائل، وإذا سُمعَ النَّارُ قُصدَ الجسمُ الحارُّ اليابسُ، وإن سُمِعَ الميتةُ قُصِدَ الجسمُ الميتُ، والدمُ صورةُ الدمِ..

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] صورةُ الفعلِ في كونِ الرجل معَ المرأةِ، وكذلكَ قولُه تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] صورةُ الفعلِ هوَ المفهومُ، ذلك مخلوقٌ[(١)].

وإنما كلامُ اللهِ هوَ الذي سمعَهُ موسى بجارحَةِ أُذنِهِ، ونزلَ جبريلُ على رسولِ الله ﷺ وهو هذه المائةُ السُّورِ والأربعَ عشرةَ، السورَ تتضمنُ آياتٍ وكَلماتٍ وحُروُفاً هو الذي تكلمَ الله به، لا عبارتهُ ولا حكايتُه ولا لنا غيرُه، وهو الذي عندَ اللهِ تعالى في اللوحِ المحفوظِ، وفي سائرِ البلادِ وأنواعِ العبادِ، قُرآنٌ وَاحدٌ، كلامُ اللهِ تعالى كيفَ ما تَصرَّفَ، فاعلمْ يا أخي ذلكَ!

وانظر مادة (حصى) في لسان العرب وتاج العروس وأصله القاموس، والصحاح ومعجم مقاييس اللغة، والنهاية في غريب الحديث.

(١) أي: وَكْزُه وقَتْلهُ، وكذا همُّها وهمُّه.

٩- الوجهُ الآخَرُ: أنَّ اللهَ تعالى لما وُصِفَ بالعلمِ سُمِّى عالماً، ووُصف بالكلامِ سُمِّى مُتكلماً، فلو جاز وصفُهُ بالمَفْهُومِ لجاز تسميته مُفهِماً ومُتَفَهِّماً، وقد أجمعَ المُسلمونَ على أنّ اللهَ يوصفُ بالعلمِ ولا يُوصفُ بالفَهمِ ولا بالعقلِ[1]. ثبتَ بُطلان ما أشاروا إليه من المفهوم. [٦٦/ب]

(١) لأن الأسماء ومعها الصفات مبناها على التوقيف، والتنزيل من وحي الله ورسوله ﷺ. ولذا كان من معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: «أن لا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ. ولا نصفه إلا بما وصفه به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ».

ولأن ما ورد فيهما من أسماء الله وصفاته، متضمن لكل كمال، ودافع لكل نقص، بل اسما الله «الحي والقيوم»، اللذان وردا في ثلاثة آيات من القرآن جميعاً، في آية الكرسي وآل عمران وطه، تضمنا كل كمال، وعليهما مدار الأسماء الحسنى كلها.

***

تحيّل في مسألة الصوت بالقرآن ورده من وجوه ثلاثة

ومِنْ جملةِ ما يتحيلون به على العوامِّ ويَنْصِبُون لهم مِنْ حبائلِ الشَّيطانِ كما قال الله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ قولهم: صوتُكَ صوتُ اللهِ، يكونُ صوتَك قديمٌ؟ وهذا القولُ منهم فاسدٌ من وجوهٍ كثيرةٍ:

١- أحدُها: أنْ ليس عندهم ولا من مُعْتَقَدِهِمْ أنَّ للهِ صَوْتاً فيجيءَ منه ما قالوا، فيحتاجونَ أنْ يُعَرِّفُوا أنّ لله صوتاً(١)، ثم يقولون ذلك.

---

(١) إثبات أن لله صوتاً يُسمع، مما دلَّ عليه القرآن في غير ما آية، ومنها:

١- قوله تعالى في مناداة آدم وزوجته في الأعراف: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: ٢٢].

٢- وقوله عن إبراهيم في الصافات: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية: ١٠٤].

٣- وقوله عن موسى في سورة مريم: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [الآية: ٥٢].

٤- وقوله عن المشركين يوم القيامة في سورة القصص: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: ٦٥].

٥- وقوله عن موسى في مريم ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[الآية: ٥٢].

وفي آيات أخر.

قال شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٦/ ٥٣١: «والنداء في لغة العرب هو صوت رفيع، لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازاً وإذا كان النداء نوعاً من الصوت، فالدال على النوع دال على الجنس بالضرورة؛ كما لو دل دليل على أن هنا إنساناً فإنه يعلم أن هنا حيواناً»، كما أن المناجاة بصوت منخفض.

٦- آيات المخاطبة من الله بالقول عن ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، الآية، في آيات كثيرة جداً.

. . . .

والقول لا يكون له معنى إلا أن يكون مسموعاً أو منقولاً بواسطة من يسمعه.

ومما دل من السنة على ثبوت الصوت:

١- حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**إذا أحب الله عبداً نادى يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فينادي جبريل في السماء أن الله أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم ينزل له المحبة في الأرض**» وفي البُغض كذلك، وهذا لفظ مسلم.

٢- ما رواه البخاري (٤٤٦٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا**».

٣- ولما رواه البخاري معلقا عن جابر عن عبدالله بن أنيس رضي الله عنهم في حديث المظالم أن النبي ﷺ قال: «**يحشر الله العباد - أو قال الناس - فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ أنا الملك الدَّيان**»، وقد وصله البخاري في خلق أفعال العباد (٤٦٣) (ت البدر)، وفي الأدب المفرد (٩٧٠)، وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٥، والطبراني في مسند الشاميين، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ١/ ١١١، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٧، وصححه وسكت عليه الذهبي، و٤/ ٥٧٤ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم(١٣١ و ٦٠٠)، وحاول

ولا يجوزُ في علمِ الجدلِ أن يُلْزِمَ الخصمُ خصمَه ما لا يقولُ به إلا في النَّقضِ[(١)].

٢- الوجه الآخر: أنّ مثلَ القولِ لا يُستعملُ في سَلْبِ امرئِ القيس قصيدَتَهُ، ولا الشاعرِ شعرَه، لأنَّ قائلاً لو قالَ: قفا نبكي إلى آخرِها، ثمَّ قالَ: هذا شعري.

فقيلَ لَهُ: وكيفَ ذلكَ.

ـ عفا الله عنه ـ تأويله، والحافظ في الفتح ١٣/ ٤٦٥، وفي تغليق التعليق ٥/ ٣٥٥، وما بعدها من طرق يصح بها الحديث.

وفي الباب أحاديث كثيرة تناولها ابن خزيمة في التوحيد وغيره.

وبالمناسبة فإن السلف لم يخوضوا بهذه المسألة في القرآن، لأنه لم يرد إطلاق أن القرآن بحرف وصوت، ولذا لما سئل شيخُ الإسلام عن القرآن، هل هو حرف أو صوت؟ أجاب: «إن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفياً وإثباتاً خطأ، وهي من البدع المولدة الحادثة بعد المائة الثالثة..» اهـ من الكيلانية في الفتاوى ١٢/ ٢٤٣.

إلا لمَّا نفى أهلُ البدع الكلام والحرف والصوت عن الله!

(١) أي نقض قوله أو الاعتراض عليه بإبطاله أو إفساد حجته.

وليس النقض في اصطلاح الأصوليين، وهو: «إبداء العلة مع تخلف الحكم» ومثاله: قتل العمد عدواناً يوجب القصاص، لكنه منقوض في الأب، وانظر الإيضاح لقوانين الاصطلاح ليوسف بن الجوزي ٣٩ و ١٩٩، والبلبل ١٦٧، والبرهان ٨٥٥ و ٩٧٧، والمنخول ٤٠٤، والكافية في الجدل ٦٩، والحدود ٧٦، وإرشاد الفحول ٢٢٤، والتعريفات للجرجاني ٢٤٥.

***

قال: لأنّ ما صوتي صَوتُ امْرِئِ القيسِ، كان مَجنوناً، ولم يُسلَّم له دَعْوَاهُ! ولا يُوجِبُ هذا القولُ سلب امْرِئِ القيسِ شعرَهُ، وإضافَتَهُ إليه، وأنَّه كلامُه دونَ غيرِه! فكيفَ يُنْفَى عنِ البارئِ كَلامُه، وهو حيٌّ باقٍ لهذه الشُّبهةِ ولم تُنْفَ عن امْرِئِ القيسِ قَصيدتُه وهو مَيّتٌ مُتَلاشٍ؟!

٣- الوجهُ الآخرُ: أنّ كُفَّارَ قُريشٍ كانوا أَقصدَ لِنَفْيِ القُرآنِ، وأَسرعَ مِنْ الأشاعرةِ إلى جَحْدِهِ، وأَقوى منهم على مناقضتِهِ، وأكثرَ منهم طلباً للإِيقاف عَنْهُ[1].

ما قالوا لرسولِ اللهِ ﷺ وهوَ يقرأُ عليهِمْ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ويقولُ: «إنَّ قريشاً منعوني أن أبلغَ كلامَ ربِّي». صَوتُكَ صوتُ اللهِ، ولا نطقوا بمثلِ هذا المُحالِ الذي لا يخرجُ من رأسِ عاقلٍ؛ لأنّ صوتَ زيدٍ لا يشبهُ صوتَ عمرٍو، وصوت بني آدمَ لا يشبهُ صوتَ الرَّعدِ[2]، الذي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

فكيفَ يدورُ في خُلْدِ عاقلٍ أَنْ يقولَ مِثْلَ هذا المحالِ؟ واللهُ تعالى كَتَبَ في اللَّوحِ المَحفُوظِ الكتبَ المُنزّلةَ على الأنبياءِ، فيجيءُ من هذا الجاهلِ أن يقولَ لكاتبِ القرآنِ: هاهنا كتابُك كتابةُ اللهِ تعالى وخطُّكَ خطُّ اللهِ! [٦٧/أ]

(١) أوقف عن القرآن، أي رد الناس عنه، وحجبهم منه.

(٢) فإذا انقطعت المشابهة في صفة واحدة بين المخلوقين أنفسهم؛ فلأن تنقطع مشابهتهم مع الله من باب أولى وأوجب.

***

بطلان قولهم في كتابة القرآن ودلائله العقلية

انظرْ يا أخي إلى كُفرٍ وجَهْلٍ دُفَع النّاسُ في هذا الزَّمان إليه .

ولو أَرسلَ أَميرٌ إلى أَميرٍ ، أو مَلِكٌ إلى مَلِكٍ رَسولاً برسالةٍ فقال الرَّسولُ : الملكُ يُسلمُ عليكَ ويقولُ لَكَ كذا وكذا .

قال المُرسَلُ إليه : لستَ صادقاً .

قال الرَّسولُ : ولِمَ؟

قالَ : لأن ما صَوتُكَ صوتُ المُرسِلِ لَكَ ؛ فأنتَ إنما جِئْتَنِي بكلامِكَ لا بكلامِ مَنْ أَرْسَلَكَ .

هل يَحْسُنَ ذلكَ عندَ العقلاءِ ، أو يكونُ عذراً في رَدِّ الرَّسولِ بما أُرْسِلَ بِهِ؟

هذا المحالُ الذي رَكِبَتْهُ كُفَّارُ قُريشٍ في تكذيبِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ . وما سمعوهُ إلا مِنْ بشرٍ ، تواعدَ اللهُ قائلَ ذلك بِسَقَرَ .

وقال النَّبيُّ ﷺ على سبيلِ اليَأسِ منهم والضَجَرِ : «هل مِنْ رَجلٍ يَحملُني إلى قومِهِ ، فإن قريشاً منعوني أنْ أُبَلِّغَ كلامَ ربِّي» .

وأهلُ السُّنةِ لا يقولونَ إنَّ أصواتَهُمْ قديمةٌ ، كما لا يقولونَ إن المِدَادَ والوَرَقَ قَديمٌ .

ألا ترى أن قائلاً لو قالَ ويحضرُهُ مدادٌ وورقةٌ : أنا كافرٌ بهذا المِدَادِ والورقةِ ، هل عابَ ذلك عليه أحدٌ من النّاسِ أو حكمَ عليهِ بكفرٍ أو فسقٍ؟

ولو أحدثَ على ذلكَ المدادِ والورقةِ، هل استحقَّ مَلامَةً منْ أَحدٍ منَ الناسِ؟

فإذا أخذَ مِنْ ذلك المدادِ بالقلمِ وكتبَ في الورقة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ كفَرَ بذلكَ، أو جحدَهُ، أو أحدثَ عليهِ، هلْ كانَ يَبرأُ من المَلامَةِ كبراءتِهِ من الأولِ؟! بل المسلمونَ يكَفِّرُونَهُ ويقتلونه[1]، فإذا تَواثَبَ المسلمونَ عليهِ، وقال مَنْ لم يَحْضُرْ: ما ذنبُ هذا؟ فقال الحاضرُ: كفر بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وجَحَدَها، وأحدثَ عليها، أوَ يقولُ الحاضرُ: كَفَرَ بالمدادِ وأحدث عليهِ؟

فمنْ يجعلْ الكلامَ المُفيدَ، والكتابَ المَجيدَ مداداً وورقاً، فلقدْ خرجَ عنِ الإجماعِ، وخَرَقَ وكفرَ بإجماعِ المسلمينَ، وَفَسَقَ. [٦٧/ب]

وكذلكَ أيضاً لو أنّ رجلاً صاحَ ورفعَ صوتَه من غيرِ كلامٍ مُفيدٍ، ولا قرآنٍ، فقالَ مَنْ حضرَهُ: نحنُ كافرونَ بصوتِكَ، وعليكَ وعلى صوتِكَ لعَنةُ اللهِ، ثم قالَ بعدَ ذلكَ: الصوتِ العالي: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، هل يَسعُ في دينِ الإسلام الكُفْرُ بما قالَ كالأوَّلِ؟

وكذلكَ لو حَضَرَ بينَ جماعةٍ منَ المسلمينَ نَصرانيٌّ أو يَهوديٌّ أو كَافرٌ، فَصَاحَ مِنٍ غيرِ كلامٍ يُوجبُ أحدٌ عليه حكماً، ولو قال بذلك

(١) لانعقاد الإجماع على كفر من استهان بالقرآن أو جحده أو حقّره، وسبق نقله عن القاضي عياض والنووي من كتابه «التبيان في آداب القرآن».

وسبق النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية بحلِّ دمه لذلك ص ٤٢٥ وما بعدها!

الصوتِ العالي: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ﷺ حُكمَ بإسلامهِ وجَرتْ عليهِ أحكامُ الإسلام منْ الخِتَانِ[1] وغيره.

ولو قالَ: يا قوم، أَنَا ما أَسْلمتُ وإِنَّما رفعتُ صوتي في الثَّاني كالأَوَلِ. هل كانَ ذَلكَ يقبلُ منهُ؟ أو يكونُ عُذراً له في رِدَّتِهِ عن الإِسلامِ أمْ لا؟!

فاعلَمْ يا أخِي فسادَ ما ذهبُوا إليهِ منْ قصدِهِمْ في إبطالِ كلام اللهِ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. [التوبة: ٣٢]

---

(١) الختان من معانيه: قطع قلفة الذكر وهي جلدة غاشية للحشفة، وله أسماء عديدة، وهو واجب في حق الرجال.

وأما خفاض النساء فهو: مكرمة في قول كثير من أهل العلم، قاله في المغني.

والختان من شريعة الخليل وأمرنا باتباع ملته ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة، واختتن بالقدوم**»، ولحديث ابن عباس: «**الأقلف لا يقبل الله له صلاة ولا تؤكل ذبيحته ولا تقبل شهادته**» رواه البيهقي في الكبرى ٨/ ٣٢٥ من طريق عبدالرزاق، وفيه ضعيف ومجهول، وانظر أحكام أهل الملل للخلال ص ٢٣.

وهو شعار الإسلام، ورُخِّص به كشفُ العورة، وسترها واجب.

وهو واجب ما لم يخف على نفسه، فإن أسلم كبيراً وخاف على نفسه الختان سقط عنه، وإن أمن الشر وجب، قال حنبل سألت أحمد عن الذِّميِّ إذا أسلم ترى له أن

. . . .

يُطهر بالختانة؟ قال: لابد له من ذلك، قلت وإن كان كبيراً؟ قال: أحبُّ إلى أن يتطهر لأن الحديث «**اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة**» قال تعالى ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

ودليل وجوبه على من أسلم وعلى غيره، حديث عثيم بن كليب عن أبيه عن جده ﷺ أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: قد أسلمت. فقال له: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**» رواه أبو داود وأحمد ٣/ ٤١٥، والبيهقي ١/ ١٧٢، وانظر فيه نيل الأوطار ١/ ١٥٧ وما قبله.

والمسألة خلافية لكن رجَّح الشيخ ابن تيمية الوجوب في شرح العمدة، وفي الفتاوى، وكذا رجحَّه ابن القيم في تحفة المودود، وأطال بحث المسألة في أربعة عشر فصلاً ص ١٠٥-١٤٤.

وانظر المغني ١/ ١١٥، والشرح الكبير ١/ ٤٥، وأحكام أهل الملل للخلال ص٢٣ وما بعدها (مخطوط)، وشرح العمدة (كتاب الطهارة) ص ٢٤٣-٢٤٧، والفتاوى ٢١/ ١١٣-١١٥، والاختيارات ص ١٠، ومنار السبيل ١/ ٢٣، وتخريجه الإرواء ١/ ١١٩-١٢١، والهداية لأبي الخطاب الكلوذاني ١/ ١٣، والإنصاف للمرداوي ١/ ١٢٣-١٢٤، وذكر أنه المذهب وعليه الجماهير من الأصحاب، وقدَّمه صاحب الفروع ١/ ١٣٣، والمحرر للمجد ١/ ١١، وأحكام النساء لابن الجوزي ص ١١٤، والمستوعب ١/ ٢٦٥، والإقناع ١/ ٢٢ وذكر أنه المعتمد، وشرحه ١/ ٨٠، وشرح المنتهي ١/ ٤٠، ومطالب اولي النُهى ١/ ٩٠، والممتع شرح المقنع ١/ ق٥، وفتح القدير لابن الهمام ١/ ٤٣، وأقرب المسالك ١/ ٦٠، والمهذب للشيرازي ١/ ٢١.

* * *

نقض دعواهم علينا بالتشبيه في إثبات الحرف والصوت

اعلمْ يا أخِي أنَّ من جملةِ: تَمْويههِمْ وخِدَعِهِمْ قولَ الجاهلِ منهم: فإذا قلتمْ إنَّ كلامَ اللهِ حَرفٌ وصوتٌ فقدْ شَبَّهتمُ الباريَ بكم؛ فتحققَ اسم التَّشبيهِ فيكمْ.

فيقالُ لهمْ: التَّشبيهُ بكم أَليقُ(١)، وأَنتم إليه أسبقُ؛ لأنكمْ قلتمْ إنَّ الكلامَ حرفٌ وصوتٌ ما قامَ بالنَّفسِ، والحرفُ والصَّوتُ عِبَارتُه، ووصفتمْ كلامَ اللهِ بأنَّه قائمٌ في النَّفسِ فشبهتمْ الصِّفةَ بالصِّفةِ، وخرَقتمْ إجماعَ المسلمينَ بإثباتِ صِّفةٍ للهِ لم تثبتْ من كتابٍ ولا من سُنةٍ.

---

(١) المعطلة في الحقيقة مُشبهون، لأنهم لم يعطلوا الصفات وينفوها عن الله بالتأويل وغيره، حتى شَبَّهوا صفات الله ـ ومنها كلامه وعلوه ويده ـ بصفات الخلق المشاهد أمامهم.

وذلك أن عقولهم ضاقت أو قصرت عن اعتقاد وجود صفات إلا كالتي يعرفونها من صفات المخلوقين، فلذا طلبوا دفع التشبيه الحاصل بتصوراتهم بتنزيه الله عن هذه الصفات، ألا وهو التعطيل، حيث جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثلوا ثم عطلوا، فمثلاً نفوا الصوت عن كلام الله فلِمَ؟

قال السجزي عنهم: «وأما الصوت فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء بين جرمين، ولذلك لا يجوز وجوده من ذات الله» اهـ، ص ١٥٨ في رسالته لأهل زبيد هذا حدّهم للصوت. وهم بهذا شبهوه بالصوت الخارج من الحيوان ليس إلا، ولا يستقيم هذا الحد، وهذا التشبيه في بعض الجمادات من المخلوقات التي سُمع لها صوت الجذع وحنينه للنبي ﷺ، والحصى وتسبيحه، والحجر، وسلامه على رسول الله ﷺ، والعرق من اللحم وكلامه بقوله: «إني مسموم»، والطعام وتسبيحه.

فهذه الجمادات سمع صوتها، ولم يخرج من هواء بين جرمين «آلتين»، فصح أن يكون لها صوت، والخالق إثبات الصوت له بذلك من باب أولى.

قاعدة لا نصف الله إلا بوصفه نفسه أو بوصف رسوله

ولهذا إننا نصفُ الله تعالى بالغضبِ، ولا نصفه بالحَرَدِ[(١)] وهما واحدٌ؛ لأنَّ الغَضبَ نطقَ بِهِ القُرآنُ، فقلنا كما قالَ، والحَرَدُ ليس يَنْطقُ به القرآنُ، ولم يذكرْهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فلهذا لم يَجُزْ أن يُوصفَ اللهُ تعالى بِهِ.

[٦٨/أ] واللهُ تعالى وَصَفَ نَفْسَهُ بالكلام بالحرفِ والصوتِ بقوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ثم بينَ ما ناداه اللهُ بِهِ قالَ: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وإذا كان ناداه بهذا القولِ فهوَ الحرفُ والصوتُ.

لأنه لما انقطع التشابه بين المخلوقين، فلإنقطاعه مع خالقهم وصانعهم أولى وأوجب ولابد، وتشبيه من وجهة أخرى سيذكره المؤلف الآن.

(١) قال في القاموس: حَرَدَ (بفتح الجميع) - يَحْرِدُ حُرُوداً، غضب فهو حاردٌ وحَرِدٌ وحَرْدَانُ.

قال في مجمل اللغة: الحَرَدُ والحَرْدُ الغضب، وأسد حَارِدٌ، قال الفرزدق:

لعلَّكِ يوماً أن تَرَيْنِي كأنما ... بَنِيَّ حواليَّ اللُّـيُوثُ الحواردُ

وقال الأزهري: «الحَرْدُ جزم، والحَرَدُ لغتان، يقال حَرِدَ الرجل فهوَ حَرِدٌ.

وأنشد الأصمعي:

إذا جيادُ الخيلِ جاءتْ تَرْدِي ... مَمْلُـوءةً مـن غَضَـبٍ وحَـرْدِ

وانظر الصحاح للجوهري، وتاج العروس، وجهرة اللغة، واللسان، ومعجم مقاييس اللغة ومختار الصحاح، والمحكم لابن سيده، والمجموع المغيث مادة (حرد)، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٩، وديوان الفرزدق ص ١٧٢.

والنَّبيُّ ﷺ صرَّحَ في وصفِ الباريء بالصوتِ؛ بالخبرِ المشهورِ في الصحائح[١]: «إذا تكلمَ اللهُ بالوحي سمعَ صوتَهُ أهلُ السّماءِ السابعةِ»، ثم أَكَّدَ ذلكَ بقولِهِ ﷺ: «كَجَرِّ السِلْسِلَةِ على الصَّفا»[٢].

---

(١) هكذا في الأصل، ولعله جمع الجمع: صحاح.

(٢) رواه بلفظ المؤلف سعيد بن منصور في تفسير سورة سبأ من سننه (ورقة ١٦٥) قال: ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق، قال: قال عبدالله ابن مسعود: «**إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع أهل السموات للسموات صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير. .**»، وهذا الإسناد صحيح، وقد تابع منصورٌ الأعمشَ.

وأبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير، ثقة وهو أحفظ الناس لحديث الأعمش من التاسعة.

والأعمش سليمان بن مهران، ثقة حافظ يدلس، صرح بالسماع عند ابن خزيمة.

ومسلم هو ابن صبيح أبو الضحى ثقة فاضل من الرابعة.

ومسروق هو ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة ثقة فقيه عابد مخضرم. . وكل هؤلاء من رجال الشيخين حيث روى لهم الجماعة.

ورواه أبو داود في كتاب السنة ـ باب في القرآن (٤٧٣٨) قال: ثنا أحمد بن أبي سريج، وعلي بن الحسن بن إبراهيم، وعلي بن مسلم، قالوا: ثنا معاوية ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله عن رسول الله ﷺ به، وتمامه: «**فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق**» وعند سعيد «**فينادون الحق الحق**».

وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٣٥٠ من ستة طرق عن ابن مسعود بعضها موقوف وبعضها مرفوع، مدارها كلها على مسروق به.

. . . .

وأخرجه الآجري ص ٢٩٤ من طريق معاوية به.

والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات ١/ ٥٠٦ من ثلاثة طرق عن أبي معاوية به مرفوعاً وموقوفاً، وعبدالله بن أحمد في السنه من أربعة طرق ١/ ٢١٨-٢٨٢.

ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٧)، وسنده صحيح.

وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية رقم (٣٠٨) (ت البدر).

ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ١/ ٢٣٧.

والخطيب البغدادي في التاريخ ١١/ ٣٩٢، وأكثرهم رواه موقوفاً.

وعلقه البخاري في الصحيح في كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ الآية.

ووصله الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٦٤، وفي تغليق التعليق ٥/ ٣٥٤.

ورواه ابن أبي حاتم في التفسير، وفي الرد على الجهمية كما في الفتح ١٣/ ٤٦٤-٤٦٥، وذكر الدارقطني في العلل ٥/ ٢٤٢ مخرجه عن الأعمش مرفوعاً وموقوفاً، ورجح وقفه.

وابن مردويه مع ابن أبي حاتم كما في الفتح والدر المنثور ٦/ ٧٩٧، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

ورواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٩٢ و ٩٣ ـ باب ما كان النبي يستعيذ بكلمات الله من طرق عن الأعمش به.

ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره لآية سبأ من طرق كثيرة ١٢/ -١١٠-١١٣ عن ابن مسعود، وأبي هريرة والنواس وابن عباس.

ورواه أبو بكر النجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق رقم (٥، ٦).

وعلى كلٍّ فقد صح الحديث عن ابن مسعود مرفوعاً، كما أن أسانيد وقفه إليه صحيحة، وهو ليس من قبيل الرأي، فتوجه رفعه بذلك.

واللهُ ورسولُه لم يذكرْ المعنى القائمَ في النَّفسِ؛ فكان في وصفِ الله بذلكَ خُروجٌ عن الكتابِ والسُّنةِ، وبهما ثَبَتَتِ الأسماءُ والصِّفاتُ. وخروجٌ عنِ اللغةِ؛ لأنَّهم لا يُسمونَ الأَخرسَ مُتكلماً، ولا السَّاكتَ متكلماً(١).

ثم فَرارُكُم من الحرفِ والصَّوتِ لأنَّه لا يظهرُ إلا منْ لسانٍ وأدواتٍ وحلقٍ(٢)، وهذا لازمٌ لكمْ في المعنى القائم بالنَّفس، لأنَّه لا يكونُ إلا في قَلْبٍ، أو دَماغٍ وعَقْلٍ وآلةٍ، فإنْ أثبتمْ هذه الصِّفةَ الخارجةَ عن الكتابِ والسُّنةِ واللغةِ وقلتم ليسَ كمثلِهِ شيءٌ، فلم تنكرونَ على مَنْ أثبت صفةً نطقَ بها الكتابُ والسُّنةُ وإجماعُ أهلِ اللغةِ أنّه لا كلامَ إلا بحرفٍ وصوتٍ؟

وأصله في صحيح البخاري متصلاً عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بلفظ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها..» الحديث رقم (٤٤٢٤)، وهكذا أخرجه عنه سعيد بن منصور في سننه ق ١٦٥.

(١) مع أن لكل منهما حديثاً في نفسه، فيجب عليهم طرد قاعدتهم فيها بوصفهما بالتكلم..

(٢) هذا ليس بلازم في جميع المخلوقات، كالجذع والحجر.. فكيف بخالقها؟! وسبق.

***

قاعدة إرجاع الكلام إلى نظيره مما أثبتوا

ثم نقولُ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ مُتكلمٌ بحرفٍ وصوتٍ من غيرِ لسانٍ ولا جسمٍ ولا أعضاءٍ(١)، كما وصفَ بأنَّه عالمٌ بلا قلبٍ، وسميعٌ بلا جارحةٍ(١)، لأنكَ إن اعتبرتَ الصِّفاتِ من السَّمعِ والبصرِ والعلمِ وجدتها في الشَّاهدِ قائمةً بمحلٍّ، فلما اتصفَ البارئُ بها أثبتنا الصِّفةَ المُحقَّقةَ بالحدِّ الحاضرِ(٢)، وأَسقطنا المَحلَّ القائمةَ به.

فنقولُ: إن اللهَ سميعٌ بصيرٌ، وحدُّ السَّمعِ إدُرَاكُ المسَموعِ على ماهو به، وكذلكَ حدُّ البصرِ إدراكُ المُبصَرِ على ما هو به، والسَّمعُ والبصرُ يتأخرانِ عن العلمِ القائمِ بمحلٍ وهو القلبُ، فلما قلنا: إنَّ اللهَ سميعٌ بلا جارحةِ أُذنٍ، بصيرٌ بلا عَينٍ، عالمٌ بلا جارحةِ قلبٍ(٣)،

(١) أي مشابهة ومماثلة للمخلوقين بجوارحهم، وإلا فمطلق النفي مُشكل، فالواجب الوقوف على ما ورد إثباتاً ونفياً، ولا نتعداه، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله عن نفسه نفيناه، وما سكت عنه سكتنا عنه، إذ يسعنا ما خوطبنا به، لا نتزيد في الإثبات ولا في النفي.

(٢) هكذا في الأصل (الحاضر) بضاد معجمة، أي الحدَّ الحاصر له من اللغة التي نزل بها، وخاطب الله بها الناس.

(٣) لم يرد نفي الجوارح والجسمية والأعضاء ولا إثباتها عن الله، وإنما ورد نفيه المماثلة كما في قوله في سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية: ١١]، ونفي المكافىء لقوله في سورة الإخلاص: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، فنقطع بنفي مماثلة أو مشابهة صفاته وأسمائه للمخلوقين بجوارهم.

أما نفي الجوارح عن الله مطلقاً مما لم يرد، فالواجب السكوت حيث السكوت، ولأنها من الألفاظ المجملة المحتوية حقاً وباطلاً فينبغي الاستفصال عن مراد قائلها

فلما جئنا إلى الكلامِ وجدنا له مَحِلاً قائماً به وهو اللّسانُ، والمستفادُ [٦٨/ب] من اللسانِ الحرفُ والصوتُ الذي ينتفي عنِ الناطقِ به الخرسُ، فاقتضى أنْ نُسمِّيَه مُتكلماً بحرفٍ وصوتٍ بلا لسانٍ ولا جوارحَ، كما قلنا في سمعِه وبصرِه وعلمِه إسقاطاً للجوارحِ، وإثباتاً للصِّفةِ المُحققةِ على أنّه سُبحانه قدْ أظهرَ في الوجودِ كلاماً من غيرِ لسانٍ ولا أدواتٍ، وكذلك أخبرَ به الباريءُ.

فأما ما ظهرَ في الوجودِ فهو تسبيحُ الحصا في يدِ النَبيِّ ﷺ (١)،

---

(١) روى البزار ـ كما في كشف الأستار ـ بسنده عن سويد بن زيد عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت أتتبع خلوات رسول الله ﷺ وأتعلم منه، فذهبت يوماً فإذا هو قد خرج فأتبعته فجلس في موضع فجلست عنده، فقال: يا أبا ذر ما جاء بك، قلت: الله ورسوله، قال: فجاء أبو بكر فسلم وجلس عن يمين النبي ﷺ، فقال يا أبا بكر ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله.

ثم جاء عمر فجلس عن يمين أبي بكر، فقال: ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله.

ثم جاء عثمان، فجلس عن يمين عمر، فقال: ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله.

فتناول النبي ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات، فسبحن في يده، حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم وضعهن في يد أبي بكر، فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن».

قال في المجمع ٨/ ٢٩٩، رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف، وقد تقدم في الخلافة له طريق عن أبي ذر أيضاً وقال الزهري وفيها: يعني الخلافة، ورواه الطبراني في الأوسط وزاد في إحدى طريقيه: «**يسمع تسبيحهن من في الحلقة كل واحد، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا**» اهـ.

وكلامُ الجذعِ اليابسِ بينَ يديهِ(١).

ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة من طريقين: أحدهما عن سويد به مختصراً، والثاني عن جبير بن نفير الحضرمي عن أبي ذر به بوجه أخصر من حديث البزار ص ٤٣١-٤٣٢ (٣٣٨ و ٣٣٩).

وأخرجه البيهقي في الدلائل ٦/ ٦٤ به وزاد بعَده: فقال النبي ﷺ: «**هذه خلافة النبوة**» ولكن أعلَّه، ومضي في المجمع أنه قول الزهري.

وذكره عنهم الحافظ في الفتح ٤/ ٦٨٥ وقال: «وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها» اهـ، وانظر الخصائص الكبرى للسيوطي ٢/ ١٢٤-١٢٥.

(١) رواه البخاري في صحيحه متصلاً من طريقين براويتين كلاهما عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما:

الأولى: في كتاب الجمعة ـ باب الخطبة على المنبر (٨٧٦) ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر، أخبرني يحيى بن سعيد، أخبرني أنس أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «**كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ، فلما وُضع له المنبر، سمعنا للجذع مثل أصوات العشار، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه**».

الثانية: في كتاب البيوع ـ باب النجار (١٩٨٩)، ثنا خلاد بن يحيى، ثنا عبدالواحد ابن أيمن عن أبيه عن جابر: «**أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه، فإن لي غلاماً نَجّاراً، قال: إن شئت، قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر**».

وانظر الفتح ٤/ ٦٩٧، وأخرجها أبو نعيم في الدلائل ـ في الفصل العشرين من

وأما ما أخبرَ بِهِ فهوَ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾، وليسَ للجملةِ لسانٌ ولا أدواتٌ، ونرى لساناً وفَمّاً ولا يَقْدُر على الكلامِ وهو الأخرسُ، على أنَّه سبحانه لما[١] وصفَ بأنّه سامعٌ لكلامنا كما يسمعُ كلامَ بعضِنَا بعضٌ، وإنّما نفارقه بالجسميَّةِ، فنحنُ أجسامٌ، وهو يتعالى عن ذلك سميعٌ كسماعِنَا منْ غيرِ أذنٍ[٢]، ينظرُ كنظرِنا وهو إدراكُ المُبْصَرَاتِ على ما هو به كما نبصرُها، لكنَّ نَظَرَنَا بعينٍ وجارحةٍ ونظرهُ بلا حَدقةٍ، ولا جارحَةٍ[٢]. كذلكَ كلامُه بحرفٍ وصوتٍ حَملاً على الحقيقةِ مثل الحقيقةِ في كلامنا، لكنا نتكلمُ بجوارحَ ولسانٍ وأدواتٍ والباريءُ يتعالى عن ذلك علواً كبيراً. على أنّكم تطلقونَ على

طرق وروايات عديدة (٣٠٢-٣١٠) ص ٣٩٩-٤٠٤، عن جابر وأُبي بن كعب وسهل بن سعد وأبي سعيد وعائشة رضي الله عن الجميع: ذكر طرفاً منها السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/ ١٢٦-١٢٨.

(١) لم يذكر المؤلف في كلامه جواب (لما). وتقديره: وجب إثبات ما وصف، أو نحوه.

(٢) هذا ليس بسديد، لأن الواجب نفي المشابهة جملة وتفصيلاً لقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، ولا يدخل في هذا النفي المُتواطىء اللفظي أو المشترك اللفظي أبداً، وكما أن الإثبات مفتقر إلى النص، فكذلك النفي.

ولعل مراد المؤلف أن سميع مدرك للمسموعات، كما أن سمعنا إدراك المسموعات، وهو الظاهر، لكن مع الفرق الكبير - وغير المحدود - بين إدراكه سبحانه للمسموعات وإدراكنا لها! وقد مضى نظيره. أما نفي الجوارح والأعضاء عن الله، فمن الألفاظ المجملة المتضمنة حقاً وباطلاً؛ فنحتاج إلى تفصيل. ونفي المؤلف لشبه البشر. وانظر ص (٥١٦).

الباريءِ جلَّتْ قدرتُهُ الصِّفَاتِ المُشتركةَ بيننا وبينه من الحياةِ والسَّمعِ والبصرِ والإرادةِ والمشيئةِ والمحبةِ(١)، والوجهِ(٢)، ثم تقولونَ بعدَ ذلك: «ليسَ كمثله شيءٌ» كذلكَ يجبُ إثباتُ الكلامِ مثلَه.

---

(١) في إثباتهم للمحبة نظر، لأن معنى محبة الله المثبتة لديهم هي إرادة الثواب، قال الباقلاني في الإنصاف ص ٣٩:

«فإن قيل: أفتقولون: إنه يغضب ويرضى، ويحب ويبغض ويوالي ويعادي وأنه موصوف بذلك؟ قيل لهم أجل، ومعنى وصفه بذلك: أن غضبه على من غضب عليه، ورضاه عمن رضى عنه، وحبه لمن أحب، وبغضه لمن أبغض، وموالاته لمن والى، وعداوته لمن عادى، أن المراد بجميع ذلك: إرادته إثابة من رضى عنه وأحبه وتولاه، وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه لا غيره» اهـ.

(٢) كذلك الوجه، ليست من الصفات المثبتة لذاتها عندهم إلا عند بعض متقدميهم، قال أبو المعالي في الإرشاد ١٤٦:

«فصل: ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العين على البصر، وحمل الوجه على الوجود» اهـ.

وفي ص ١٤٧-١٤٨: «وأما قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فلا وجه لحمل الوجه على صفة إذ لا تختص بالبقاء بعد فناء الخلق صفة لله تعالى؛ بل هو الباقي بصفاته الواجبة، فالأظهر حمل الوجه على الوجود...

ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات بظواهر هذه الآيات، ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات تمسكاً بالظاهر، فإن ساغ تأويلها فيما يُتفق عليه ـ (أي عندهم) ـ لم يبعد أيضا طريق التأويل فيما ذكرناه» اهـ. واستطرد بعده بتأويل المجيء والإتيان والمعية والنزول والقدم والصورة.

واعلمْ يا أخي ـ وفقكَ اللهُ وإيّانا ـ أنَّ الأَشعريَّ الذي ابتُلي بهذا [٦٩/أ] المذهب لم يكنْ قصده بِنَفْيِ الكلامِ الحقيقيِّ الذي هو الحرفُ والصوتُ: إبطالَ القرآنِ فقط، وإنما كانَ قَصدُه ومدارُه على إبطالِ جميعِ(١) ما جاءَتْ به الأنبياءُ صلواتُ اللهِ عليهم ـ من أخبارِ القيامةِ، ووُقوفِ العبادِ بينَ يدي اللهِ للحسابِ، ويقولُ للواحدِ منا: يا عبدي فيقولُ العبدُ: ياموْلايَ. المُكلَّمُ في الدُّنيا مُوسى وحدَهُ، وغداً يومَ القيامةِ يَصيرُ المؤمنون كُلُّهم موسى في سماعِ كلامِ الله، في عرصاتِ القيامةِ، في الجنَّةِ مع رؤيتِهِ بالأبصارِ(٢).

إثبات كلام الله القرآن بتكليم الله يوم القيامة

والملاحظ أن لهم في تأويل الوجه قولان:

١ - أنه بمعنى الوجود.

٢ - أنه بمعنى الذات، كما قال الباقلاني في الإنصاف ص ٣٧ و ٣٨ وهما مرتبطان ببعض، والثاني راجع للأول.

هذا وخلاصة معنى رد المؤلف: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، كما أن القول في الصفات كالقول في الذات تماماً.

(١) هذا تجاوز من المؤلف وتعنت، ومؤاخذة بلازم من لوازم قولهم، سبق الإجابة على مثله في أول الكتاب؛ إذ لازمه مساواة مذهب الأشعري بمذاهب الباطنية، والفلاسفة القاصدين إبطال الشرائع والنبوات والجنة والنار، وإسقاط التكاليف؟ وهذا بهتان عليهم!

(٢) فيه أحاديث كثيرة مذكورة في أخبار المحشر وهوله.

ومن أصحها ما ثبت في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدَّامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار، ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**».

ترى يكونُ حسابُ الخلقِ بالمعنى القائمِ في النَّفسِ الذي قالَ عيسى ـ كما أخبر الله عنه ـ: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾؟[المائدة: ١١٦]

ترى من يُعَبِّرُ عنه يومَ القيامةِ في حسابِ الخلقِ، وكلامِه لأَهل الجنَّةِ، كما عبَّرَ عنه محمدٌ ﷺ في الدُّنيا على زعمهمْ.

الذي يقتضيهِ معتقدُ القوم أنّ حسابَهُ للخلقِ عبارةٌ وحكايةٌ، ورؤيتَهُ عبارةٌ وحِكَايةٌ، والجَنَّةُ والنَّارُ أيضاً عبارةٌ وحكايةٌ، وكلُّ ما جاءَتْ به الرُّسلُ والأنبياءُ والكتبُ عبارةٌ وحكايةٌ؟ فمدارُ الأشعريِّ على بقاءِ

رواه البخاري متصلاً في مواضع من كتاب الزكاة والرقاق ـ باب من نوقش الحساب عذب (١٧٤)، ورواه مسلم في الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (١٠١٦).

* ورؤية الله في الموقف وفي الجنة ثابت في الصحيحين ويأتي تخريجه إن شاء الله.

* وخُلوُّ الله بعبده المؤمن، وتقريره ذنوبه، وكلامه له، لما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجًلا عرض له وهو يمشي فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم. أي ربي، حتى إذا أقررّه بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** [هود: ١٨]».

فقد أخرجه البخاري موصولاً في أربعة مواضع أولها في المظالم – باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٢٣٠٩).

ومسلم في التوبة – باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨).

العالمِ وبُطلانِ(١) القيامةِ والحِسَابِ والنَّعيمِ المُقيمِ.

ولو عمدتُ إلى تعدادِ الآياتِ التي في القرآنِ منْ كلامِ البارئِ للعبادِ، وكلامِ العبادِ(٢) له، لطالَ ذلكَ وخرجَ عنْ قانونِ كتابي هذا.

ولو اعتمدَ بعضُ الكُفّار لجحدِ الرسولِ بالتَّحليلِ(٣) بعد إقرارِهِ بالجملةِ، لعُلِمَ مُحالُهُ فيما أَقرَّ بِهِ.

---

(١) هو مدار الفلاسفة والباطنية، وحاشا الأشعري والأشعرية منه، مع الجزم ببطلان قولهم، ولكن مع عدم القطع بإلزامهم بهذه اللوازم، فإن الله أمر بالعدل والقيام بالقسط، كما قال في آية النساء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية: ١٣٥].

وقال في آية المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: ٨].

(٢) من نحو قوله للكافرين في سورة القصص: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآيات: ٦٢-٦٥].

وفي غيرها من الآيات بمخاطبته لهم في الموقف وفي النار، وللمؤمنين في المحشر وفي الجنة مما مثله كثير في القرآن.

(٣) أي بالتجزيء والتقسيم.

***

بيانُ ذلك: لو قال كافرٌ لرسول الله ﷺ: أشهدُ أنَّك لرسولُ اللهِ، وأنا كافرٌ بلحمك ودمك وشعرِكَ وبشرِكَ وعروقِكَ ورطوباتِكَ؛ إذْ ليسَ كلُّ واحدٍ مِنْها رسولُ اللهِ. عَلِمَ كلُّ أحدٍ أنَّه قد كَفرَ برسولِ اللهِ؛ لأنَّه رَفَعَ المحْسُوسَ وكَفرَ بالمُشاهَد.

فإذا كان مثلُ هذا في الرَّسولِ المَخلُوقِ يُبْطِلُ الإِيمانَ به، فكيفَ بسلوكِ هذه الطريقةِ في كلامِ اللهِ الذي لا يأتيه الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ ولا مِنْ خلفِهِ؟![1]

[٦٩/ب] إنْ قَرَأَ القارئ قَالَ الأشعريُّ: هذا كلامُ القاريِّ حَرْفُهُ وصوتُهُ مخلوقٌ، وإنْ نَظَرَ في المصحفِ قالَ: حبرٌ وورقٌ، فأينَ القرآنُ الذي نؤمنُ به؟ وأينَ الكلامُ الذي قدْ أتعبَ الأبدانَ، وآلمَ بالتكليفِ منه الإِنسانَ؟ فاعلمْ ذلك.

(١) تضمين من آية فصلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [الآيتين: ٤١-٤٢].

* * *

مسألة إنكار أن القرآن من الله بدأ وإليه يعود

واعلمْ يا أَخي أنَّ منْ جملة ما يُمَوِّهُون به على الجاهل إنْكَار «مُنه بدأ وإليه يعودُ»، وأنَّ البدايةَ للخلقِ بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾. [الروم: ١١]

وكيفَ يعودُ إليهِ ما لمْ ينفصلْ عنهُ؟

واعلم يا أخي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنْه بدأ»[(١)] لِمَا قدْ أعلمَهُ اللهُ بِهِ من بِدَعِ المُعتزلةِ والأشاعرةِ، وأنَّ المُعتزلَة تقولُ: إنّ اللهَ يخلقُ كلاماً في غيرِه يكونُ به متكلماً، كما خَلَقَ اللهُ الكلامَ لموسى في الشجرةِ، والأشاعرة تقول لطيفةٌ[(٢)] يخلقها يكونُ الكلامُ منها كما أخبر الله عن أهلِ الضَّلالِ بقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾. [النجم: ٢٣]

---

(١) يأتي تخريجه مع شواهده - إن شاء الله - في الصفحة التالية.

(٢) أي خلق لطيف، ومن معانيه في اللغة الهواء، كما في اللسان مادة (لطف)، حيث للأشاعرة في معنى إنزال كلام الله ومنه القرآن، مسالك عدة هي:

١- أن الله أنزله على الأنبياء بواسطة جبريل نزول إعلام وإفهام وإدراك، في حق جبريل أو محمد صلى الله عليهما وسلم أو من سمعه من الناس، وبهذا صرح جماهيرهم كالباقلاني في الإنصاف ٩٦-٩٧، وإمام الحرمين الجويني في الإرشاد ١٣٠، والغزالي في الاقتصاد ص ٧٨، والمتولي في الغنية ص ١٠٨.

٢- أن الله خلقه في اللوح المحفوظ، أو في جبريل، أو في النبي صلى الله عليهما وسلم، وبه صرح في المواقف ٢٩٤، وذكره شيخ الإسلام عن الأشعري كما سيأتي.

٣- أن الله خلقه في الهواء، ويحمل كلام المؤلف عليه في (اللطيفة)، وقد نسبه شيخ الإسلام إلى أبي الحسن الأشعري، في فتوى هل القرآن المسموع كلام الله أم كلام

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «القُرآنُ كلامُ اللهِ مُنزلٌ غيرُ مخلوقٍ، منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ»(١)، لأن الرَّسولَ لمَّا كانَ رسولاً للهِ، وجبَ أنْ تكونَ الرّسالة التي يحمِلُهَا كلامَ اللهِ، لأنَّ اللهَ لما قالَ لموسى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١١٤]، **فلوْ كانَ الكلامُ مِنْ الشَّجرةِ، كان موسى رسولَ الشَّجرةِ دونَ اللهِ.**

جبريل من الفتاوى ١٢/ ٥٥٧ فقال:

وإنما كلامه ـ يعني الأشعري ـ: «معنى واحد قائم بذات الرب، هو الأمر والخبر، إن عُبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عُبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عُبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وهذا القول وإن كان قول ابن كلاب والقلانسي والأشعري ونحوهم، فلم يقولوا: إن الكلام العربي كلام جبريل، ومن حكى هذا عن الأشعري نفسه فهو مجازف، وإنما قال طائفة من المنتسبين إليه، كما قالت طائفة أخرى: إنه نظم محمد ﷺ، ولكن المشهور عنه أن الكلام العربي مخلوق، ولا يُطلق عليه القول بأنه كلام الله، لكن إذا كان مخلوقاً فقد يكون خلقه في الهواء، أو في جسم، ولكن القول إذا كان ضعيفاً ظهر الفساد في لوازمه» اهـ. وانظر له، مسألة أخرى ١٢/ ٥٢٠.

وهذا القول بأن الله خلق كلامه في الهواء أو غيره، هو قول الجهمية.

قال ابن تيمية في المناظرة على الواسطية ٣/ ١٧٤: «... وأما معناه فإن قولهم (منه بدأ)، أي هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية: أنه خلقه في الهواء، أو غيره، أو بدأ من عند غيره...» اهـ.

(١) أسنده المؤلف ص (٥٥٤) وما بعدها، كما سيأتي من طريق مسند الإمام أحمد بسنده إلى ابن عمر به، وتتبعت مسند عبدالله بن عمر فلم أجده فيه، ولم أجده في مسند غيره، فلعلها تكون نسخة.

* والحديث في جملته الأولى: «**القرآن كلام الله منزل غير مخلوق**» لم يصح رفعه إلى

وكذلكَ على قولِ الأَشاعرةِ : لوْ كانَ الكلامُ منَ اللَّطيفةِ كانَ النَّبيُّ رسولَ اللَّطيفةِ، واللَّطيفةُ خَلْقُ اللهِ، كما الشَّجرةُ خلقُ اللهِ، وإنما يفترقانِ في الاسمِ، إيهامٌ للجاهلِ أنَّ اللَّطيفةَ تحتَها منَ الحكمةِ ما ليسَ هوَ للشّجرةِ، تَفنُّناً في الزَّندقةِ، وتَنْوُعاً في الضّلالِ.

النبي ﷺ، وذكر مرفوعاً في كتب الضعفاء والموضوعات عن عدد من الصحابة منهم:

١- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعاً: «**من قال القرآن مخلوق فقد كفر**».

رواه الخطيب في تاريخ بغداد من طريقين ٢/ ٣٨٩ في كلاهما محمد بن عبد بن عامر السمرقندي يحدث بالمناكير، قال الدارقطني فيه: يكذب ويضع الحديث. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات بسنده ١/ ٦٥-٦٦، وقال عقبه: وهو حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

٢- عن أنس مرفوعاً: «**كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أن كلامه منه بدأ و إليه يعود، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون: القرآن مخلوق، فمن قال منهم كفر بالله العظيم، وطلقت منه امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول**».

رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٤١٨ لكن بوقفه، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩٤ (٥٢٦)، قال ابن عدي: هذا الحديث وإن كان موقوفاً على أنس رضي الله عنه فهومنكر، لأنه لا يُعرف للصحابة رضي الله عنهم الخوض في القرآن.

قال البيهقي عقبه: «إنما أراد به أنه لم يقع في الصدر الأول ولا الثاني من يزعم أن القرآن مخلوق حتى يحتاج إلى إنكاره، فلا يثبت عنهم شيءٌ بهذا اللفظ الذي روينا عن أنس رضي الله عنه، لكن قد ثبت عنهم إضافة القرآن إلى الله تعالى، وتمجيده بأنه كلام الله، كما روينا عن أبي بكر وعائشة وخباب بن الأرت وابن مسعود والنجاشي..

قيـــاس الأولـــى في إثبات كـلام الله

وفي إضَافةِ الرَّسولِ إلى اللهِ من تَطَرُّقِ التَّشبيهِ ما في وصفِهِ بالكلامِ والعلمِ والقُدرةِ.

والله أعلم» اهـ. كما فعل في ١/ ٥٨٥ وما بعدها برقم ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ عن ابن عباس و ٥١٩ عنه، و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم في إضافته إلى الله.

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٦ وقال: «هذا حديث موضوع» اهـ ولفظه ليس على نور النبوة.

ورواه الديلمي في الفردوس بسنده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فأقتلوه فإنه كافر**» رواه عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عنه، والآفة منه هو، ومن الإعضال فوقه.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**القرآن كلام الله، لا خالق ولا مخلوق، ومن قال غير ذلك فهو كافر**» رواه بن عدي ١/ ٢٠١ في ترجمة أحمد بن محمد بن حرب وهو مشهور بالكذب ووضع الحديث، قال ابن الجوزي لما أخرجه في الموضوعات هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، فمن زعم غير ذلك فقد كفر بما أنزل على محمد**» أخرجه الخطيب في تاريخه ١/ ٣٦٠، وقال هذا الحديث منكر جداً، وفي إسناده غير واحد من المجهولين، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: «**من مات وهو يقول القرآن مخلوق لقى الله يوم القيامة ووجهه إلى قفاه**» رواه الخطيب في تاريخ بغداد، وفيه من لم يُعرف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٧ وقال: فيه مجاهيل وبقية بن الوليد يروي عن المجهولين والضعفاء وربما أسقط ذكرهم.

فلما كانَ الرَّسولُ رسَولَ اللهِ، كانتِ الرسالةُ كلامَ اللهِ، والأمرُ والنهيُ منهُ بدأَ، دفعاً للوسائطِ. [٧٠/أ]

٦- عن علي مرفوعاً: «يا علي: كلام الله غير مخلوق» رواه الخطيب، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/ ٦ مظهراً علله.

٧- وأسند الديلمي في الفردوس عن حذيفة وعمران ورافع بن خديج رضي الله عنهم كلهم مرفوعاً: «القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال غير هذا فقد كفر» أسنده عن سفيان عن الزهري عن ابن المسيب عنهم، وبينه وبين سفيان انقطاع أو مجاهيل.

قال ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٧ عقبها: «وقد روي في هذا الباب أحاديث عن رسول الله ﷺ ليس فيها شيء يثبت عنه» اهـ.

وممن حكم بوضعه أو شدة ضعفه مرفوعاً جماعة من المصنفين من أمثال:

* السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٠٤ وقال: هذا الحديث من جميع طرقه باطل.

* ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ١٣٤-١٣٦، والفوائد المجموعة للشوكاني ٣١٣، والأسرار المرفوعة للصنعاني رقم (٣٢٧)، وتذكرة الموضوعات لابن القيسراني ٧٧، وتحذير الخواص (١٩٩)، واللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/ ٤-٧، والخلاصة للطيبي ص ٨٣، والتمييز لابن الديبع (٩٣٧)، وكشف الخفاء ٢/ ٩٤، والفوائد للكرمي (١٧٢).

* وجملته الثانية «**منه بدأ وإليه يعود**» وردت مرفوعة وموقوفة.

فقد روى الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٦١ قال: ثنا هاشم عن القاسم، ثنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطأه عن أبي أمامة أنه قال: قال رسول ﷺ: «**ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذرُّ فوق رأس العبد ما دام في صلاته، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ماخرج منه، يعني القرآن**» وقوله: يعني القرآن مُدرجة.

وإليهِ يعودُ: ذهابُهُ منَ المصاحفِ والحفّاظِ بالنِّسيانِ والحِرْمَانِ، وقد رَوِيَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قالَ: «تَعَلَّمُوا الفَرائِضَ وعَلِّمُوها النَّاسَ،

ورواه الترمذي في فضائل القرآن (١/ ٢١٩) من طريق بكر به، وقال في حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر أمره.

وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٣٦، والخطيب في تاريخه ٧/ ٨٨ كلهم مثله به.

وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الرد على الجهمية) ١/ ٢٣٢ (٨) من طريق بكر به بلفظ: **«ماتقرب العباد إلى الله بشيء أفضل من شيء خرج منه، وهو القرآن»**.

وعلته عند الجميع بكر بن خنيس وهو الكوفي العابد سكن بغداد، صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان من السابعة روى له الترمذي وابن ماجه، وقد ضعفه النسائي وأبو داود، وتركه الدارقطني وأفرط ابن حبان، ومع هذا وثقه العجلي، وانظر الثقات له ص ٨٤ (١٦١) والتهذيب ١/ ٤٨ وتقريبه، والمجروحين ١/ ١٩٥، والضعفاء الكبير ١/ ١٤٨، وأحوال الرجال للجوزجاني (١٦٨)، وسؤالات البرقاني للدارقطني ص ١٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٨٨، والميزان ١/ ٣٤٤، والضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ١٦٠ (١٢٨).

* وروي عن جبير بن نفير مرسلاً: «إنكم لن ترجعوا إلى الله عز وجل بشيء أفضل مما خرج منه» رواه الترمذي في فضائل القرآن ـ عقب الذي قبله ـ (٢٩١٢)، وأحمد في الزهد ٣٥ والمسند ٥/ ٢٦٨ بنحوه، وفي رسالته إلى المتوكل التي رواها صالح ابنه في مسائله ورقة ١٣٤، وابنه عبدالله في المسند ١/ ١٣٦ (٩١)، ونسبه في تحفة الأشراف ١٣/ ١٥٤ إلى أبي داود في مراسيله وهو فيها ١٩٤ (٤٨٩)، ورواه ابن بطة في الرد على الجهمية من الإبانة ١/ ٢٣٥ (١١)، وانظر السلسلة الضعيفة١٩٥٧،

فإنّي امْرُؤٌ مَقْبوضٌ، والْعِلْمُ مَرفوعٌ حتى يَختلفَ الاثْنانِ في الفَريضةِ فلا يجَدان مَنْ يفَصِلُ . . . .

وأخرجه الحاكم موصولاً في المستدرك من طريقين.

١- في ١/ ٥٥٥ عن جبير عن أبي ذر الغفاري، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٢- في ٢/ ٤٤١ عن جبير عن عقبة بن عامر الجهني، وقال: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

* وأخرجه ابن بطة في الإبانة (الرد على الجهمية) ١/ ٢٢٨ و ٢٥٢ (٤ و ٢٤) عن أبي عبدالرحمن السلمي مرسلاً: «إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وذلك أن القرآن منه خرج وإليه يعود»، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٧٨ (٥٠٤)، وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٦٢ (٥٠٨) مشيراً إلى عدم صحتها عن رسول الله ﷺ، وأخرجها اللالكائي. وانظر الحجة لقوام السنة ١/ ٣٣٥ واللآلىء المصنوعة ١/ ١٠، وتنزيه الشريعة ١/ ١٣٦.

* وقد صح الخبر عن جماعة من الصحابة والتابعين فقال عمرو بن دينار: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر» وقد لقي عمروٌ ابنَ عمر وابنَ عباس وابنَ الزبير وجابراً والمسورَ بن مخرمة وأنساً والسائب بن يزيد الكندي وعامرَ بن واثلة وأبا الطفيل وسعدَ بن عائذ بن قرط مؤذن النبي ﷺ.

وقد ذكر الحديث عنهم مسنداً أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول السنة مع أحاديث عن علي وابن مسعود وغيرهم ٢/ ٢٢٧، وما بعدها تحت قوله: «سياق ما روى من إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق» وبعده ذكر إجماع التابعين وعددهم من كلْ قطر وبلد.

* وقوله (إليه يعود) مأخوذة أيضاً من عود القرآن إلى الله إذا رفعه في آخر الزمان

. . . .

من الصدور، وسطور المصاحف، وهو المراد بقبض العلم في صحيح مسلم وغيره، كحديث حذيفة عند ابن ماجه (٤٠٤٩) مرفوعاً: «**يُدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها**». وقال البوصيري في زوائده: «إسناده صحيح ورجاله ثقات» اهـ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٢٦ (٦٨٥٣) عن أبي هريرة، وانظر الدر المنثور ٤/ ٢٠١، والسلسلة الصحيحة (٨٧).

وقد جمع الحافظ الضياء المقدسي في الحديث جزءاً سماه «جزء فيه اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن» مخطوطاً ذكر فيه:

١- حديث علي عن القرآن: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكن كلام الله عز وجل منه بدأ وإليه يعود» رواه اللالكائي (٣٧٤ و ٣٧٥).

٢- حديث ابن عباس لما كان في جنازة وقال رجل: «اللهم رب القرآن أوسع عليه مدخله، اللهم رب القرآن اغفر له، فالتفت إليه وقال: مه! القرآن كلام الله، وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود» رواه اللالكائي (٤٧٦)، والبيهقي في الأسماء (٥١٩)، وعزاه الطبراني في السنة، وذكره في قوام السنة في الحجة.

٣- عن عمرو بن دينار (١٢٦هـ): أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: «القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود» رواه عنه من ثلاثة طرق وعزاه للطبراني في السنة، واللالكائي (٣٨١)، وقد رواه في خلق أفعال العباد، الإمام البخاري.

٤- عن أحمد بن سنان الواسطي شيخ البخاري: من زعم أن القرآن شيئين، أو أن القرآن حكاية فهو والله الذي لا إله إلا هو زنديق كافر بالله، هذا القرآن هو القرآن الذي أنزله على لسان جبريل على محمد. كلام الله فيه بدأ وإليه يعود، وليس فيه

بَيْنَهُمَا»(١)، وما قولُ الرسولِ رسولِ الله ﷺ: «منه بدأ وإليهِ يعودُ»، إلا بمنزلةِ رَجلٍ دخلَ بَلدةً ليسَ فيها أحدٌ يحفظُ القرآنَ ولا سمعَه، فعلَّمهم ذلك الرَّجلُ حتى صاروا كُلُّهم حُفَّاظاً فلم ينفصلْ منَ العلمِ ما معه منَ القرآنِ بتعليمهم، وقد ساووه في الفضيلةِ بما تعلَّموا منه، فلو نَسُوا جميعُهمْ القرآنَ إلا المُعلمَ وحدَه لكانَ في ذلك معنى: «منه

شيء مخلوق، ولا صفاته ولا أسماؤه ولا علمه».

٥- عن أبي هريرة مرفوعاً: «**يسرى على كتاب الله ليلاً فيصبح الناس ليس في الأرض ولا جوف مسلم منه شيء**» رواه ابن ماجه (٤٠٤٨) وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٢٦ (٦٨٥٣)، وانظر الموارد (١٩١٠)، وأخرجه الحاكم وصححه وسبق.

٦، ٧- عن ابن مسعود: «أول ما تفقدون. . وإن هذا القرآن يوشك أن يرفع، يسرى عليه في ليلة فلا يترك منه في صدر رجل ولا في مصحف ثم قرأ ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]» وعزاه للطبراني في الكبير، وسيأتي في الفصل الثاني إن شاء الله مخرجاً.

(١) الحديث مروي عن ابن مسعود، وله شواهد عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم:

١- أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٣٣ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بإسنادين بلفظه وفيه: «وإن العلم سيقبض» وذكر الخلاف بين السندين مرجحاً الأول منهما، وقال فيه: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله علة. . ووافقه الذهبي على ذلك.

وأخرجه النسائي في الكبرى بسنده من طريقين عن ابن مسعود، برقم (٦٣٠٥ و ٦٣٠٦) في كتاب الفرائض ـ باب الأمر بتعليم الفرائض ٤/ ٦٣.

. . . .

وأخرجه الترمذي في كتاب الفرائض في باب ما جاء في تعليم الفرائض بعد حديث أبي هريرة ـ الآتي ـ حيث ساق سند ابن مسعود دون متنه .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٠٨ بسنده عن ابن مسعود .

كلهم من طريق عوف بن أبي جميلة الأعرابي به ، وقد حصل على عوف اختلاف كثير حتى أعله الترمذي بالاضطراب والاختلاف .

قال في الفتح على ترجمة البخاري في كتاب الفرائض فقال : باب تعليم الفرائض ١٢/ ٦-٧ : وقد ورد في الحث على تعليم الفرائض حديث ليس على شرط المصنف ـ ثم ساقه ـ وقال : ورواته موثقون ، إلا أنه اختلف على عوف الأعرابي اختلافاً كثيرا .

٢- وله شاهد عند الترمذي في الموضع السابق برقم (٢٠٩١) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : «**تَعلَّمُوا القرآن والفرائض ، وعلموا الناس ، فإني مقبوض**» ، وقال : هذا حديث فيه اضطراب .

ورواه ابن ماجه في كتاب الفرائض من سننه (٢٧١٩) عنه وزاد : «**فإنه نصف العلم ، وهو يُنسى ، وهو أول شيء يُنزع من أمتي**» .

وأخرجه الحاكم عن أبي هريرة في المستدرك ٤/ ٣٣٢ وسكت عليه ، لكن تعقبه الذهبي بقوله : حفص واهٍ بمرة .

يعني حفص بن عمر بن أبي العطّاف السهمي مولاهم ، المدني ، قال فيه البخاري منكر الحديث ، وكذا قال أبو حاتم وزاد : يكتب حديثه على الضعف الشديد ، وقال الحافظ في التلخيص : متروك ، وقال في التقريب ضعيف !

وانظره في التهذيب ٢/ ٧٩١ وتقريبه ، والتلخيص الحبير ٣/ ٩٢ ، والكامل لابن عدي ٢/ ٣٨٣ (٥٠٦) ، والجرح والتعديل ٣/ ١٧٧ (٧٦٤) .

بدأَ وإليهِ يعودُ»[١] . عِلْمُ القرآنَ، ولا زادَتْ صفتُهُ بنسيانِ المتعلمِ بقوله: «وإليه يعودُ».

والحديث أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ٦٧ عن أبي هريرة، وأيضاً ابن عدي في الكامل ٢/ ٣٨٣، والبيهقي في الكبرى ٦/ ٢٠٨ و ٢٠٩، والخطيب في التاريخ ٣/ ٣١٩، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٢٨ (١٩٧)، وقال فيه: حديث لا يصح عن رسول الله.

٣- وله شاهد آخر عن أبي بكرة ﵁، أخرجه الطبراني في الأوسط، كما في المجمع ٤/ ٢٢٣، وتكلم على إسناده، وذكر الحافظ في الفتح أن فيه مجهولاً.

٤- وله شاهد ثالث عن أبي سعيد ﵁، أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ٨٢ (٦)، قال الحافظ من طريق عطية وهو ضعيف.

٥- وشاهد رابع عند الدارمي في سننه ١/ ٧٣ عن عمر ﵁ موقوفاً وأخرجه الحاكم ٤/ ٣٣٣، في كتاب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنهما وقال: «وهذا وإن كان موقوفاً فإنه صحيح الإسناد، ويؤيده قوله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» اهـ. ووافقه الذهبي.

٦- والحديث روي أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً كما في المستدرك ٤/ ٣٣٣ وقال: «هذا موقوف صحيح على شرط الشيخين، شاهد للمرسل الذي قدمناه» اهـ، أي حديث ابن مسعود، ووافقه الذهبي.

وقد عزاه الحافظ في الفتح للمسند، ولم أجده في أحد طبعاته.

وعلى كل حال فالحديث محتج به لمجموع الشواهد والموقوفات.

وتتمة البحث فيه في الفتح ١٢/ ٦-٧، ومختصر الاستدراك لابن الملقن ٦/ ٣٠٦٢ وما بعده رقم (١٠٣٠).

(١) في حقه سبحانه معهم، لأن القرآن بدأ منه لهم بالتعليم، ورجع منهم إليه سبحانه بالنسيان!

القرآن نور ومثله، والجواب عن شبهة

وقد سمَّى الله القرآنَ نوراً(١)، لما فيه من الهدايةِ للضُّلاَّل عن الحقِّ، كهداية الضُّلاَّل عن طريقِ الجادةِ بمدهش الظَّلام، فإذا غشِيَهُمُ النُّورُ أبصروا، فعادوا إلى الطريقِ الواضحِ، ويَنْسَبِكُ منْ هذا مَثلٌ:

وهو: لوْ أنَّ رجلاً دخلَ إلى بلدةٍ لا ضَوءَ فيه، ومعه سِرَاجٌ، فأسرجَ النَّاسُ سُرجَهُمْ من ذلك المصباحِ، هل نقصَ من نورِ المِصْبَاحِ الأَولِ شيءٌ وقد صارَ منه أَلفُ مُصباحٍ أَوْ أكثرُ؟

ثمَّ قدَّرنا أَنَّ تلكَ المصَابيحَ انطفأَتْ جميعُها إلا المصباحَ الأَولَ منْ غيرِ انفصالِ نورِهِ، ولا نقصانِ ذاتِ المصباحِ، والزيادةُ في المصابيح معلومةٌ، فإذا انطفأَتْ جمَيعُها انفردَ الأَولُ بنورِهِ لحالتِهِ أولَ قدومِهِ منْ غيرِ زيادةٍ حدثَتْ فيه، ولا نُقِلَ إليه ما فاضَ من نورِهِ على غيرِهِ.

فقلقُ المُبتدعِ منْ قولِه: «منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ» لأنّ عندهم ما وصلَ إلينا شيءٌ، ولا كلمَّ اللهُ الرَّسولَ، وإنما جاءَ من قِبَلِ نَفسِه، فالذي تلاه على الأمةِ من كلامِهِ، واللهُ منَ الجميعِ بريءٌ.

فنعوذُ باللهِ العظيمِ مما اعتقدوا منَ الكُفرِ والضَّلالِ وإبْطَالِ الشرعِ بالمحالِ.

---

(١) سماه كذلك في أربع آيات هي:

قوله في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [الآية: ١٧٤].

وقوله في سورة الأعراف: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ

فأما قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ١١]، فليسَ مما نحنُ فيه في شيءٍ؛ لأنَّ بدايةَ الخلقِ من صفاتِ الفِعْل، وبدايةَ التَّنزيلِ من صفاتِ الذَّاتِ[١]، فأيُّ مقارنة بينَ ذلكَ؟ [٧٠/ب]

ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: ١٥٧].

وقال في الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الآية: ٥٢].

وقال في التغابن: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية: ٨].

(١) أي أن أصل صفة الكلام ـ التي هي بداية التنزيل ـ صفة ذاتية من صفات ذاته سبحانه، وهو معنى قول أهل السنة والجماعة رحمهم الله: «أن الكلام قديم النوع، متجدد الآحاد» فاجتمعت فيه صفتا الذات والفعل.

* * *

شبهة في نفي الحرف والجواب عنها

ومنْ جُملةِ شُبَهِهِمُ - أيها الأخُ الصَّالحُ - قولُهُمْ: إنَّا وجَدْنَا البَاءَ منْ بِسْمَ تتقدمُ على السِّينِ، والسِّينُ على الميمِ والترتيبُ يدلُّ علىَ الحدثِ.

فيقالُ لهمْ: هذا فاسدٌ منْ وجوهٍ، منْ ذلكَ:

أنَّ التَّرتيبَ من صفاتِ الأَجسامِ والجواهرِ(١)، والحرفُ ليسَ بجسمٍ، ولا جوهرٍ، ولا صورةٍ، فكيفَ يَصحُّ وصفُهُ بالترتيبِ؟ ألا نَرى أنّ الله تعالى وصفَ نفسَهُ بأنه سميعٌ بصيرٌ، فقدم السَّمعَ على البصرِ! وترتيبُ السَّمعِ على البصرِ من طريق النُّطقِ لا يوجبُ أنّ ذاتَ البارئِ وصفاته مُرتبةٌ على أنَّ الكلام صفةٌ واحدة، كالسَّمع والبصر.

والصَّفةُ الواحدةُ لا يترتبُ بعضُها على بعضٍ، كجميعِ الصِّفاتِ من العلمِ والقُدُرَةِ والإرادةِ والسَّمعِ والبصرِ، وإنْ تَنوَّع ذلك أنواعاً، لأن إرادةَ البارئِ لإيجادِ مُحمَّدٍ رسولِ الله ﷺ تقدمَ على ذلكَ إرادةُ إيجادِ آدمَ عليه السَّلامُ.

---

(١) جمع جوهر، وهو في لغة العرب حقيقة الشيء وذاته، ويطلق على كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به، والجوهرة: الحجر الكريم المعروف.

وقال شيخ الإسلام في المنهاج ٢/ ١٩٩ في تعريف الجوهر عند المتفلسفة وأهل الكلام: «فإنهم يعنون بالجوهر ما قام بنفسه، أو المُتحيِّز، أو ما إذا وجد كان وجوده لا في موضع أو لا في محل يستغنى عنه» والجوهر عندهم قسمان:

١- جوهر بسيط، يعبرون عنه بالجوهر الفرد وهو الذي لا يقبل التجزيء بالقوة أو الفعل..

٢- جوهر مركب، وهوالجسم: المؤتلف من جوهرين فردين فصاعداً.

وكذلكَ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فتقدمُ الإراداتِ بعضِها على بعضٍ لا يدلُّ على أنَّ الإرادةَ مُرتبةٌ، بل هيَ صفةٌ واحدة.

كذلكَ الكلامُ صفةٌ واحدةٌ، وكذلكَ العلمُ يَتنوَّعُ أنواعاً لتنوّعِ المعلوماتِ، وهي مُرتبةٌ للحواسِّ منْ طريقِ الوُجودِ، والعلمُ صِفةٌ واحدةٌ لا تترتبُ.

فأما التَّرتيبُ المحسوسُ فإنّه يعودُ إلى الآلةِ المرئيةِ والآلةِ النَّاطقةِ[1]،

على أنهم مختلفون اختلافاً كبيراً في حدهما، بين المتكلمة والمعتزلة والفلاسفة، والأشاعرة يطلقون: أن الله ليس بجوهر ولا جسم.

انظر معاجم اللغة واللسان والقاموس وشرحه والمحكم والصحاح ومختاره ومادة (جهر) والمعجم الوسيط ص ١٤٩.

وانظر منهاج السنة ٢/ ١٩٨-٢٠٠، ودرء التعارض ٤/ ١٣٨-١٤٠، وأبكار الأفكار ق ٧٠ وما بعدها، المسألة الأولى، في أنه ليس بجوهر، وغاية المرام ١٨٢-١٨٣، والمبين في شرح معاني ألفاظ المتكلمين ص ١٠٩-١١٠، والمعجم الفلسفي ص ٦٤ والتعريفات ص ٩٢ (٦٠٢)، ومعيار العلم للغزالي ٢٩١ و ٣٠٤ وما بعدها، والمقولات العشر ص ٢٥.

(١) أي الآلة التي تكون بها الرؤية، وهي العين أو القلب. والآلة التي تكون بها النطق، وهي اللسان.

وهذا وجه **ثالث** في رد الشبهة، محصله: أن الترتيب متصور في المحسوسات من المخلوقات، أما ذات الله سبحانه وصفاته فليست كذلك! إذْ لا يُمكن طردُ ما يتصور في المخلوق المحسوس على الخالق سبحانه.

دون الصِّفةِ(١).

وهذا أساس التعطيل لكل من توهم المشابهة بين صفات الخالق والمخلوق!

(١) وهذا يؤكد ما سبق من أنهم يتوهمون التشبيه بين صفات الله وخلقه، في أفرادها أو جملتها، فيدفعونه بالتعطيل، وإلا لو سبروا معاني صفات كُلٍ، واستصحبوا عدم المماثلة والمكافأة والمساواة، لانفكت الجهتان وزال التعارض.

كما أنهم لو طردوا القاعدة في جميع الصفات طرداً واحداً، لما فرَّقوا بين المتماثلات من الصفات، حيث أثبتوا بعضاً ـ هي السبع العقلية ـ ونفوا البقية.

فالقول في بعض الصفات كالقول في بعض تماماً، ليس إلا!

***

شبهة أن المفهوم والمقروء يتقدم بعضها على بعض فهي مخلوقة والجواب عليها

على أنَّ ما يُموِّهُونَ به مِنَ المفهُوم والمقروءِ مُرتبٌ أيضاً لتقدم بعضِهِ على بعضٍ في الفهمِ والذكرِ، ولمْ يدلَّ ذلكَ على حدثِ ما تعلقوا به من المحالِ.

عندهم كذلك لا يدلُّ على فساد الحقيقةِ عندنا على أنَّ ما قامَ بالنَّفسِ في الشَّاهدِ منا من علمٍ وإرادةٍ ومَشيئةٍ وكلامٍ لا ينفكُّ من توهمِ حدِّ التَّرتيب؛ لأنَّ الذَّاتَ المَوصوفةَ بذلك منّا محدودةٌ، ذاتُ أقطارٍ، وما قامَ بالمحدودِ فمراتبُ[1] محدودٍ.

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الأظهر (فمرتب).

ولاحظ في مستمك رد شبههم أن التفريق بين المتماثلات، نظير الجمع بين المختلفات أو المتضادات أو المتناقضات، فإذا لم يصح ذا؛ فكيف يستقيم ذاك!

***

التشبيه ممنـــوع شرعـــاً وعقـــلاً

والشَّرعُ سدَّ علينا بابَ التَّشبيهِ والتكيِّيفِ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فوافقتْهُ العقولُ اتباعاً لهذه الأصولِ، واللهُ تعالى قدْ سَمَّى المَسموعَ والمُكتوبَ كلامَهُ بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ويقولُ الرَّسولُ ﷺ: «فإنَّ قريشاً منعوني أن أبلغَ كلامَ ربِّي»، فوجبَ اتّباعُ ذلكَ منْ غيرِ تشكيكٍ بمُحالٍ، ولا قيلَ ولا قالَ(١). [٧١/أ]

---

(١) مع الكراهة الشرعية لحالة الشك في قوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**» فيما رواه الترمذي (٢٥١٨)، وصححه النسائي ٢/ ٢٣٤، وأحمد في المسند ١/ ٢٠٠ و ٣/ ١١٢ و ١٥٣، وأبو داود والطيالسي (١١٧٨)، والحاكم ٢/ ١٣ و ٤/ ٥٥، والبيهقي ٥/ ٣٣٥، وغيرهم عن ابن عمر وأنس والحسن بن علي رضي الله عن الجميع.

ولحالة القيل والقال حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ «**إن الله كره لكم ثلاثاً قيل، وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال..**» رواه البخاري (١٤٠٧).

واعتبر بحال أساطين الكلام، وأذكيائهم كيف آلوا ـ لما لم يتبعوا ـ إلى الشك والحيرة والاضطراب كما قال الغزالي: «أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام» اهـ.

والشهرستاني فيما قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلّها ... وسيِّرتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعا سِنَّ نادم

وحال القيل والقال فيما قال الرازي:

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وذكر طرفاً من ذلك الشيخ ابن تيمية في الحموية ص ٧، ومنهاج السنة ٥/ ٢٧٢، والرد على المنطقين ١١٤، والدرء ٣/ ٢٦٢، والصواعق لابن القيم ٤/ ١٢٦٣-١٢٧٧، وعنها في شرح الطحاوية ٢٤٤.

والشُّكوكُ العَارضةُ على الحقِّ لا يُبطلهُ عندَ أهلِهِ؛ لأنَّ البارئَ جَلَّت قُدرتُهُ قد أقيمتْ الشُّكوكُ على بُطلانهِ، وأنْ ليسَ لهذا الوجودِ صانعٌ.

والسُوفَسطائيةُ[1] تُشَكِّكُ في المحَسوساتِ، وأهُلُ البدعِ في

(١) كلمة مركبة من (سوفيا) أي الحكمة، و(أسطى) أي التمويه.

والسوفسطائية نسبة إلى السفسطة وهي أقيسة مركبة من الوهميات، والغرض منها تغليط الخصم وإسكاته، كما عند الجرجاني.

وهم طائفة من فلاسفة اليونان ظهرت في القرن الرابع والخامس قبل الميلاد، وكانوا مدرسين ينتقلون في البلاد ومركزهم أثينا، وهم فرقتان، سوفسطائية قديمة، وسوفسطائية حديثة، ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد.

وقال ابن حزم إنهم ثلاثة أصناف:

١- منهم من نفى الحقائق جملة.

٢- منهم من شكوا فيها.

٣- صنف قالوا إن الحقائق حق عند من هي حق عنده، وباطل عند من هي باطل عنده، ويكثر شيخ الإسلام في وصف المعطلة من الجهمية بقوله: «إنهم يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات» ويقصد التمويه والمغالطة.

وانظرهم في التعريفات للجرجاني ص ١٣٠ (٨٩٥)، والفصل ١/ ١٤ (القديمة) وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٢٢، وإحصاء العلوم ٢٤ في تركيبها، والصفدية ١/ ٩٧، والمعجم الفلسفي ١/ ٦٥٨، والموسوعة الفلسفية ٢٤٩، وقصة الفلسفة اليونانية ٦٢، وكشاف اصطلاح الفنون ٣/ ١٧٣، وتاريخ الفلسفة اليونانية ٤٥، والانحرافات الوثنية ٤٩.

الشَّرعياتِ[١]، ونُفاةُ الرجعةِ[٢]، يُشكِّكونَ في البعثِ بعدَ الموتِ. والحقُّ واضحُ لأَهلِهِ: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٍ﴾. [الزمر: ٤١]

---

(١) المراد بهم الفرق المبتدعة في الإسلام وتشمل: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة والماتريدية، والصوفية والخوارج، والمرجئة والروافض.

(٢) أي نفاة البعث، وتسميته الرجعة ليس بسديد.

وهم المنكرون للبعث واليوم الآخر، من الملاحدة والفلاسفة والباطنية، وفلاسفة المسلمين لطَّفوا الأمر بأن أقروا ببعث الأرواح دون الأجساد، محاولة للتوفيق والجمع بين الفلسفة اليونانية والإسلام، حتى ظن الفلاسفة أنه لم يصرح بالمعاد إلا محمد ﷺ، لتفصيله له ولأحواله، وعدوه من الخطاب الجمهوري التخيلي.

وقد أنكر البعث كثير من المشركين والوثنين، ومنهم التناسخية الذين زعموا أن البعث تناسخ الأرواح الطيبة إلى مخلوقات حسنة، والعكس بالعكس.

وعقيدة التناسخ متواردة عند المجوس في المانوية، وعند الهنود في البوذية والسُمنية، وعند اليونانيين، والصابئة الحرانيين، ثم لدى غلاة الرافضة من السبائية والباطنية والنصيرية والحلولية.

وانظر شرح الطحاوية ٤٠٤، ولوامع الأنوار ٢/ ١٥٧ وما بعدها، والملل والنحل ٢٥٤ و ٣٠٩ و ٥١١، والتنبيه للملطي ١٩ و ٢٢، والفرق بين الفرق ٢٠٣، والتبصير للاسفراييني ١٢٨، ١٣٥، والفرق المفترقة للعراقي ٣٨ و ٧٦ و ١٠٢، والبرهان للسكسكي ٦٥-٨٥ و ٨٧.

* * *

الفَصْلُ الثَّالثُ
«في الدَّليلِ على إثبات القُرآنِ بطريق الاخْتِصَارِ»

أولاً: الأدلة من القـرآن

١ - فمِنْ ذَلك قَوْلُه تعالى : ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ .

والقَبْلُ إِذا أُطلق اقتضى ما لَيس لِوجُودِه أَول[١] .

كذلك قال : ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٧٣]، والقَوْلُ إِذا أُطلِقَ اقتَضى الحَرفَ والصَّوتَ . قال الشَّاعر :

فقلْت لها سِّيري وأَرخي زِمَامَهُ ... ولا تُبْعِديني مِنْ جَناكِ المعُلّلِ[٢]

---

(١) ولذا قال في القاموس: قَبْلُ نَقيضُ بعد. اهـ، نقله الجوهري.

وانظر: تاج العروس مادة (قبل)، واللسان وأطال، والمحكم لابن سيده والصحاح.

وقال الشهرستاني في نهاية الإقدام ٣١٤-٣١٥: «العاقل يجد فرقاً ضرورياً بين قال وفعل، وبين أمر وخلق، ولو كان القول فعلاً كسائر الأفعال بطل الفرق الضروري، فثبت أن القول غير الفعل، وهو قبل الفعل، وقبليته قبلية أزلية، إذ لو كان له أول لكان فعلاً سبقه قول آخر ويتسلسل» اهـ.

ونقله الشيخ ابن تيمية في الدرء ٢/ ٣١٨-٣١٩ عند مسألة ذكر المتكلمين لقول السلف.

وكلام المؤلف مُخرجٌ على قِدَمِ نوع الكلام، لا على تجدد آحاده.

(٢) بيت من معلقة إمرئ القيس قاله متغزلاً، وقبله قال:

ويَـوْمَ دَخلـتُ الخِـدْرَ خِـدْر عنيـزةٍ ... فَقَـالـتْ لـكَ الـوَيـلاتُ إِنَّـك مُـرْجلي
تَقُـولُ وقَـدْ مـالَ الغَبيـطُ بنـا مَعـاً ... عَقْرتَ بعَيري يا امرأَ القيسِ فأنزلِ

وكذلك الآخر:

أَقْول لها وقَدْ طَارتْ شَعَاعاً مِنْ الأَبطالِ ويَحْكِ لَم تراعِ[١]

ألا تَرى أنَّه يصَحُّ نفيه بأَنْ يُقالَ فُلاَنٌ مَا تكَّلم اليومَ ولا قال كَلمِةً واحِدَةً، والقَائِمُ بالنَّفس لا يصحُّ نَفْيُه. ومِنْ ذلك قَوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾. [النحل: ٤٠]

فأَثبتَ لِنفَسِه إِرَادةً، وهي بالجنَانِ في حَقِّ الإِنْسَانِ، وأَثبتَ لِنفَسِه قَوْلاً، وهو ما ظَهر وبَانَ، ثم بيَّن القولَ ما هو فقال: ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾. وكُنْ حرفان:

---

(١) مطلع قصيدة عصماء لأمير الخوارج قطريِّ بن الفُجاءة، اسمه جعونة بن مازن التميمي، الشاعر الفحل الشجاع المقدام، الفصيح المفوه، كان أول مَنْ أسس الخوارج الأزارقة، أمروه عليهم بعد مقتل عبدالله بن الزبير، واشتد أمره في زمن مصعب أخيه ثم زمن الحجاج الذي كان يرسل إليه الجيوش متتالية فيردها مهزومة حتى غلب على فارس.

وبقي ١٣ سنة يُسَلَّمُ عليه بالخلافة حتى مات سنة ٧٨ وقيل مقتولاً.

ويكنى أبا نعامة وهي فرسه، وقصائده أكثرها في الحماسة، ومنها الصدر الذي ذكره المؤلف.

ترجمه في: الكامل للمبرد ٢/ ٢٦٧، ومواضع كثيرة، والأخبار الطوال ٢٧٥، ورغبة الآمل ٨/ ٣٧-٧٤ ومواضع قبلها، والكامل لابن الأثير ٤/ ٤٤١، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٧٤، وذكر مقتله سنة ٧٧هـ، والبيان والتبيين ١/ ٣٤١، ووفيات الأعيان ٤/ ٩٣، وسير النبلاء ٤/ ١٥١، وسمط اللالىء ٥٩٠، والنجوم الزاهرة ١/ ١٩٧.

(أ) فإنْ قال الأشعريُّ: كوَّن الأشياءَ بمعنى كُن، فمعناها الإرَادة(١). وهذا قوْلُ المُعتزلةِ.

(ب) أو إنْ قَال بصِيَغةِ: كُن فذلك ما قُلناه مِنْ الحَرفِ والصَّوتِ، وأنَّه قَائِلٌ لِلكَائِنِ: كُن. [٧١/ب]

وقال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾. [الأنبياء: ٦٩]

٢- ومِنْ الدَّليلِ على أنَّ القُرآنَ مُنزلٌ على مُحمَّدٍ ﷺ وليس بِكَلامِ مُحمَّدٍ لا مِنْ تِلقَاءِ نَفْسِهِ:

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [الواقعة: ٨٠]

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. [فصلت: ٢]

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾. [الزمر: ١]

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾. [الحجر: ٩]

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾. [الإنسان: ٢٣]

وغَيرُ ذلك(٢) مِنْ الآياتِ المَملوءُ بها القُرآن.

---

(١) انظر: الغنية للمتولي الأشعري ص ٨٧، وقبله الأشعري في اللمع ٩٢-٩٣، ويدفعون بهذا القول التسلسل في الماضي.

(٢) في الحقيقة هذه الآيات تضمنت علو الله تعالى على خلقه، إذ نزول القرآن وتنزيله لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، فالله في العلو. وهو أمر ضروري شرعاً وعقلاً وفطرة.

فإذا قال الأَشعريُّ : إنَّه مَعْنىً قائمٌ في النَّفس لم يَنْزِلْ ، كان جميع ما ذكره الله مِنْ نُزولِه مُحالاً لا يُلتَفتُ إليه . فهل قَالت الباطِنيَّة والمُلْحِدَةُ والكَفرةُ أكثَر مِنْ هذه المَقالةِ وأَشنعَ مِن هذه الضَّلالةِ؟(١)

٣- ومِنْ الدَّليلِ على أَنَّه إليه يعَودُ قَوْلهُ تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾(٢) . [هود: ١٢٣]

---

(١) وذلك أن الأشاعرة نفوا نزول القرآن حقيقة، لأنه معنىً نفسي لا ينفصل عن الله، والذي أنزل ـ كما سبق ـ وهو علم القرآن وفهمه وإدراكه أو أن الله خلقه في الهواء، أو في اللوح أو في جسم، وأخذه جبريل إلى محمد، وفي الجميع هو حكاية عن كلام الله أو عبارة .

فهم نفوا النزول الحقيقي، وتأولوه بهذا، كما يفعلون في الصفات الفعلية كالاستواء والنزول، والصفات الخبرية كاليد والقدم والأصابع .

ولا شك أن قولهم هذا باطل وضلال مبين، ولكن لا يساوي في حقيقته قول الكفرة من الباطنية والملاحدة وغلاة المُعطلة، لأنَّ تأويل الأشاعرة كان عن شبهة طلبوا بها تنزيه الله عن التشبيه .

وإن كان ربمّا يساويه في لازمه وأثره، ولكن المماثلة من بعض الوجوه لا تعني المساواة والمماثلة المطلقة من كل الوجوه .

(٢) استدل المؤلف بآخر آية من سورة هود: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

على عود القرآن إلى الله، بعموم قوله ﴿ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ وهو محتمل .

والمشهور عند المفسرين أنه رجوع كلّ عاملٍ وعاملةٍ إلى الله يوم القيامة .

كما ذكره ابن جرير في جامع البيان ١٢/ ١٩٢، وابن كثير ٢/ ٤٦٦، وتفسير السعدي ٣٤٨ .

و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(١) . [فاطر: ١٠]

وعند القرطبي أنه يوم القيامة ٩/ ١١٣ ، وكذا في تفسير الوسيط ٢/ ٥٩٨ ، وكذا في تفسير السمرقندي ٢٧/ ١٤٨ .

وعند ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٣٥ «إن كل الأمور ترجع إلى الله في المعاد» اهـ.

وبنحوه البغوي ٤/ ٢٠٧ .

ووجه احتمال دخوله في العموم كونه مما يعود إلى الله في الآخرة، وآخر الزمان وأشراط الساعة فيه من إرهاصات الآخرة.

وأيضاً القرآن من أمر الله أي كلامه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، حيث فرق سبحانه وغاير بينه وخلقه وأمره.

(١) كما استدل بهذة الآية من سورة فاطر على رفع القرآن إلى الله وعوده إليه من قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

ولكن الذي توارد عليه المفسرون أنه رفع الكلام الطيب من توحيد الله وذكره وتلاوة كتابه وأنواع العبادات الكلامية.

كما عند ابن جرير ٢٢/ ١٤٥ ، وابن كثير ٣/ ٥٤٩ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٨٢ ، والتسهيل لابن جزي ٢/ ٢١٢-٢١٣ ، والوسيط للواحدي ٣/ ٥٠٢ ، والنكت والعيون للماوردي ٤/ ٢٦٤ ، والقرطبي ١٤/ ٣٢٩ ، والبغوي ٦/ ٤١٤-٤١٥ ، وزاد المسير ٦/ ٢٤٨ ، والنحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٤٠-٤٤٢ ، وابن سعدي في تفسيره ص ٦٣١ .

وفيه من المرفوع ما رواه أحمد في المسند وابن ماجه بسندهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً «**الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يُذكرن بصاحبهن، ألا يحب**

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾(١) . [الإسراء: ٨٦]

أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به» .

وروى نحوه عن ابن مسعود موقوفاً في «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وتبارك الله»، رواه ابن جرير والحاكم ٢/ ٤٢٥، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٤، وفي الدرّ المنثور ٧/ ٨-٩، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني، وصححه ابن كثير في تفسيره .

(١) والاستدل بهذه الآية من سورة الإسراء واضح على عودة القرآن إلى المتكلم به ربنا سبحانه وتعالى .

حيث سبق في تخريج حديث «القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود» الإشارة إلى جزء الضياء المقدسي في اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن» وذكر في آخره بسنده حديثين عن ابن مسعود موقوفاً، روي عنه من طريقين مدارهما على سفيان الثوري :

١- عن أبيه عن المسيّب بن رافع عن شداد بن معقل عن ابن مسعود .

٢- عن عبدالعزيز بن رفيع عن شداد عن ابن مسعود قال : «ليُنتزعن هذا القرآن من بين أظهركم، قال قلت : يا أبا عبدالرحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال :

يُسري عليه ليلة فلا يبقى في قلب عبد منه، ولا مصحف منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبدالله ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦]» .

فقد أخرجه عبدالرزاق كذلك في مصنفه ٣/ ٣٦٢ (٥٩٨٠)، ومن طريق ثالثة عن إسرائيل عن عبدالعزيز بن رفيع به نحوه وأوله : «إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة . . » برقم (٨٥٩١) بنحو ما عند الضياء في جزئه .

. . . .

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٤٤ في فضائل القرآن - باب في رفع القرآن والإسرار به - عن عبدالعزيز بن رفيع به.

وأخرجه الدارمي في سننه (١٣٤٤ و ٣٣٤٦) من طريقين آخرين:

١- من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله به.

٢- عن طريق ناحية بن عبدالله بن عتبة عن أبيه عن ابن مسعود به.

وأخرجه ابن جرير في تفسيره من طريقين (١٥/ ١٩٧):

١- عن عبدالعزيز بن رفيع عن منذر عن معقل عن عبدالله بمثله.

٢- من طريق ابن إسحاق بن يحيى عن المسيب بن رافع عن عبدالله بن مسعود قال: «تطرق الناس ريح حمراء من نحو الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية، فقال رجل أني قد جمعت القرآن، قال: لا يبقى في صدرك منه شيءٌ ثم قرأ الآية».

وأخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ١٤١ (٨٩٦٨) من طريقي سفيان الثوري به.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان كذلك، وانظر الدر المنثور ٥/ ٣٣٤، وابن كثير ٣/ ٦٣، والبغوي ٥/ ١٢٧، والقرطبي ١٠/ ٣٢٥-٣٢٦، ومعاني القرآن لابن النحّاس ٥/ ١٩٢، وقال في زاد المسير ٥/ ٥٩: «وحديث ابن مسعود مروي من طرق حسان» اهـ، وانظر الفتح ١٣/ ١٦.

وفي الباب الحديث المرفوع عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يُدرس الإسلام كما يدرس وشيء الثوب، حتى لا يُدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليُسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية**» الحديث رواه ابن ماجه وابن حِبَّان والحاكم وإسناده صحيح وقد سبق.

هذه الآياتُ التي تَضَّمنت نُزولَ القُرآن وعَودِه بِذَهابِه مِنْ المَصاحِفِ والصُّدورِ، لا يخلوا:

(أ) إما أنْ تكونَ هذه على ظَاهِرِها.

(ب) أو لها بَاطِنٌ يُخرِجُها عن الحَقيقةِ الظَّاهِرة.

فإنْ كَانت حَقيقةٌ فهو ما ذكرناه، وإنْ كان لها بَاطِنٌ يدعيِّه كلُّ صَاحبِ بِدعَةٍ على غَرَضهِ وبدعته فهو قولُ البَاطنيّةِ والمُلْحِدَةِ.

٤- ومِنْ ذَلك قَوْلُه تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾. [البقرة: ١٠٦]

والنَّسخُ كَان في زَمنِ النَّبي ﷺ يُعلمهم النَّبيُّ ﷺ ما أُنزل عليه مِنْ آياتِ تَتضَّمن أَحكاماً، ثم يُنسَخُ ذلك فلا تَجدوُنه مَكُتوباً، ولا في الصُّدورِ مَحْفُوظاً(١).

وقد ورَدَ مِنْ الأَخبارِ(٢) ما يَطولُ ذِكُره، وهو مَشهُور في كُتبِ

---

(١) أي يرفعها الله من صدورهم وكتبهم، ويقبضها، وهذا أحد الأوجه المشهورة في تفسير الآية، كما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٢٢ (١٠٦٤) و ٣٢٦ (١٠٧١)، وذكره ابن جرير في تفسيره ١/ ٦٦٥ وما بعدها، وابن كثير ١/ ١٤٩، ١٥٠.

(٢) ومن ذلك:

١- ما رواه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب رسول الله في بئر معونة ثلاثين صباحاً، يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعُصيَّة عصت الله ورسوله.

السُّنَنِ ونَقْلِ القُرآنِ، فهذا دلالَةُ الكِتَاب على الاختصارِ مِنْ غَيرِ استِقْصَاءٍ ولا إِكَثار.

قال أنس: أنزل الله عز وجل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً حتى نُسخ بعده: [أن بلغوا قومنا، أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه]، ثم إن ذلك رفع.

رواه مسلم في كتاب المساجد ـ باب استحباب القنوت في جميع الصلوات، إذ نزلت بالمسلمين نازلة رقم (٦٧٧)، ورواه أحمد في مواضع، وابن جرير في تفسيره.

٢- ولما رواه مسلم أيضاً في الزكاة (١٠٥٠) عن أبي موسى رضي الله عنه أنه بعث إلى قُرَّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاؤهم فأتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظنت منها: [لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب].

وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها، غير أني حفظت منها: [﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾، فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة]».

ورواه البخاري بوجه أخصر منه في كتاب الرقاق ـ باب ما يُتّقى من فتنة المال عن أبي هريرة وابن عباس وأنس رضي الله عنهم.

٣- قال أبو حاتم في قوله [ما ننسخ من آية]: يعني قبضها، رفعها مثل قوله: «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة».

قال ابن جرير عقب حديث أبي موسى ١/ ٦٧٠: «وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول بإحصائها الكتاب» اهـ.

مما يؤكد كلام المؤلف في رفع كثير من القرآن بنسخه من الحفظ ومن الكتاب، وعوده إلى الله منزل الكتاب.

ثانياً: الأدلة من السنة على أن القرآن كلام الله مسندة.

ولنا دَلائِلُ السُّنَةِ فمِنْ ذلك:

١- ما حَدَّثني به وَالدي[(١)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولى به إجَازةٌ[(٢)] مِنْ غَيرِه مِنْ

(١) هو الشيخ عبدالواحد بن محمد الشيرازي الحنبلي أبو الفرج، سبقت ترجمته في الدراسة مطولة، شيخ الإسلام، ومن كبار أئمة الإسلام قاله الذهبي.

ولد سنة (؟ - ٤٨٦هـ)، إلا أنه سمع ببغداد قبل سنة ٤٣٠هـ!

[٧٢/أ]

(٢) الإجازة عند المحدثين هي نوع من أنواع الرواية الثمانية، وهي:

أذن الشيخ لتلميذه أن يروي عنه رواياته أو مؤلفاته، وهي ما وقع للمؤلف هنا.

وحصل فيها خلاف في جواز الرواية بها تحملاً وأداءً، لكن قال ابنُ الصلاح: إن الذي استقر عليه العمل وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم القول بتجويزه وإباحة الرواية بها.

قال في الألفية:

ثـم الإجـازة تلـي السمـاعـا ونُـوّعـت لتسعـةٍ أنـواعـاً

وأهم أنواعها:

١- الإجازة لمعين مع الإذن بالرواية مع المناولة وهي أرفع الأنواع.

٢- تعيين المجاز إليه دون الكتاب المُجاز أو الرواية.

٣- الإجازة لغير معين وهي الإجازة العامة.

٤- الإجازة للمجهول أو المعدوم، وهذا النوع والذي قبله لا عبرة به عند الجمهور.

وبالمناسبة فإن الإجازات بأنواعها لا يزال عليها العمل في كثير من الجهات، ولكن بملاحظة شرطها المعتبر.

وانظر نخبة الفكر وشرحها النزهة ص ٦٤-٦٥، ومقدمة ابن الصلاح وشرحها الباعث ١١٤-٧، والألفية وشرحها كلاهما للعراقي ٢٠٠ وما بعدها، والتقييد والإيضاح ص ١٥١، ومعه المصباح على المقدمة للطبّاخ، وتدريب الراوي ٢/ ٢٩ وما بعدها، وحررها ابن النجار في الكوكب المنير ٢/ ٥٠٠-٩٤ وعدَّدها سبعة أنواع.

الشُّيوخ ـ في مُسنَدِ أَحمدَ[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدَّثني ابنُ المُذْهِب ببِغَدادَ[٢]،

(١) هو أشهر مسانيد الدنيا، وأكبر موسوعة حديثية مروية بالإسناد فيه نحو ثلاثين ألف حديث، ذكر أن أحمد قال لابنه عبدالله: «احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً» اهـ، وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

له عدة طبعات أشهرها الطبعة الميمنية بمصر ومصوراتها، وما صُف عليها.

وطبعة أخرى حديثة لم تكتمل حقّقها شعيب الأرناووط وجماعة على عدة أصول خطية. ورتبه على الأبواب مع تخريج مقتضب أحمد ابن البنا الساعاتي في «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني».

وشرحه علي بن الحسين بن عروة الدمشقي الحنبلي المعروف بابن زكنون (٨٣٧هـ) في كتابه الكبير الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري، وقع في مائة وعشرين مجلداً، يوجد منه نحو ثمانين مجلداً أكثرها في دار الكتب الظاهرية وبضعة مجلدات بالمكتبة الأزهرية بمصر، وله مختصر في ثمانية مجلدات بالظاهرية.

ومن أهم ميزات هذا الشرح أنه إذا مر على مسألة للشيخين: ابن تيمية وابن القيم فيها كتاب أو رسالة، فإنه يضمنها كلها، فكانت الكواكب من أسباب حفظ كتبهما، مع غيرهما.

وللمسند أكثر من مائة نسخة وقطعة مخطوطة متناثرة في المكتبات إذ لا تخلو كبرى المكتبات من وجود نسخة أصلية منه فيها.

(٢) هو الحسن علي بن محمد التيمي البغدادي أبو علي (٣٣٥-٤٤٤هـ)، الإمام العالم مُسند العراق، وراوية المسند.

روى وسمع من أبي بكر القطيعي المسند والزهد وفضائل الصحابة للإمام أحمد، وسمع من أبي بكر بن شاذان وجماعة كثيرة.

. . . .

وروى عنه الخطيب البغدادي، وابن ماكولا المحدث، والحسين بن الطُّيوري في خلق غيرهم.

قال الخطيب فيه: كتبت عنه وكان يروي عن القطيعي مسند أحمد بأسره، وكان سماعه صحيحاً إلا في أجزاء.

ذكرها الحافظ وهي: مسندا فضالة بن عبيد وعوف بن مالك، وأحاديث من مسند جابر لم توجد في نسخة رواها الحراني عن القطيعي. اهـ.

وانظر: المعجم المؤسس ٢/ ٢٩ وما بعدها في أسانيده للمسند.

وقد تُكلم فيه من جهة عدم الاعتماد عليه في الرواية لتخليطه مع كثرة سماعه، وأيضاً لعسره في الرواية. وأجاب ابن الجوزي عن تهمة الخطيب بقوله: «هذا لا يوجب القدح لأنه إذا تُيقن سماعه للكتاب جاز أن يكتب سماعه بخطه» اهـ.

ولذا قال الحافظ بعده: «الظاهر من أن ابن المذهب شيخ ليس بمتقن، وكذلك شيخه ابن مالك، ومن ثم وقع في المسند أشياء غير محكمة المتن ولا الإسناد والله أعلم» اهـ.

ومما سبق يظهر أمران لهما علاقة بموضوعنا هنا:

١- أن هناك روايات للمسند غير رواية ابن المذهب، وبينها وبين روايته بعض الخلاف.

٢- أن ابن المُذْهِب ليس متقناً، بل قد يقع الوهم في روايته.

وعلى كل فالنسخة المتداولة الآن هي رواية ابن المذهب عن القطيعي!

وانظر: تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠-٣٩٢، والميزان ١/ ٥١٠، ولسانه ٢/ ٢٣٦، واللباب ٣/ ١٨٧، والسير ١٧/ ٦٤٠، وخصائص المسند ١٠، ومقدمة المسند المحققة ١/ ٩٧، والمنتظم ٨/ ١٥٥.

قال : حدَّثنا أَبُو بكَر بنُ مَالكٍ القَطيعيُّ[(١)] ، قال : حدَّثنا أَبُو عَبدِالرَّحمٰنِ

وفي رواية شيخ الإسلام ابن تيمية للمسند رواه من عدة شيوخ كلهم عن حنبل ابن عبدالله الرصافي عن هبة الله ابن الحصين الشيباني عن أبي علي الحسن بن المُذهب عن القطيعي عن عبدالله عن الإمام أحمد .

وانظرها في الفتاوى ٢٥/ ١٤٦ وما بعدها ، و١٨/ ٩٤ .

(١) واسمه أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي (٢٧٤-٣٦٨هـ في آخرها) .

العالم المسند الراوية الكبير للمسند والذي تدور عليه روايته .

سمع : الحافظ إبراهيم الحربي صاحب أحمد ، وسمع ابنه عبدالله ، والحافظ جعفر الفريابي وغيرهم .

روى عنه : الدارقطني ، والحاكم ، وأبو عبدالله ، وأبو نعيم ، وابن المُذهب ، وجماعة كثيرون .

كان عبدالله بن الإمام أحمد يحبه ، ويجلسه في حجره وهو صغير .

قال فيه الدارقطني : ثقة زاهد قديم ، سمعت أنه مجاب الدعوة .

وقال الحاكم : ثقة مأمون .

وقال الخطيب : لم يمتنع أحد من الرواية عنه ، ولا ترك الاحتجاج به .

انتقد عليه أنه خلط آخر عمره بعدما كف بصره ، وقد عُمِّرَ ٩٥ سنة .

ودافع ابن الجوزي عن تهمته بكونه حدث من أصول فيها نظر لغرق كتبه ، بأن تلك الأصول قد قرءت عليه ، وعورض بها أصله .

ترجمته في : تاريخ بغداد ٤/ ٧٣ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦ ، والميزان ١/ ٨٧ ، ولسانه ١/ ٢٥ ، والأنساب ١٠/ ٢٠٣ ، والمنتظم ٧/ ٩٣ ، والسير ١٦/ ٢١٠ ، وخصائص المسند ١٠-١٣ .

عَبدُالله بنُ أَحمدَ بنِ حنبل[١]، قال: حدَّثني أبي[٢] عن عَبدِ اللهِ بن سَعيد[٣]، . . . .

(١) هو محدث بغداد، بل العراق الإمام الحافظ ابن الإمام (٢١٣-٢٩٠هـ).

روى عن أبيه الإمام الكثير ومن ذلك المسند والزهد والتفسير وجلّ تصانيفه وعن يحيي بن معين، ويحيي بن عبدويه وخلق سواهم.

وأشهر من روى عنه: النسائي، والبغوي صاحب أحمد، والطبراني وكلهم حفاظ، والقطيعي أبو بكر، وغيرهم.

قال فيه في التقريب: «أبو عبدالرحمن ولد الإمام ثقة من الطبقة الثانية عشرة، مات سنة تسعين وله بضع وسبعون سنة، وقد روى له النسائي».

ترجمته في: تهذيب الكمال ٦٦٤، وتهذيبه ٥/ ١٤١، وتقريبه، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥، والجرح والتعديل ٥/ ٧، وطبقات الحنابلة ١/ ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٥، والسير ٦١٣/ ٥١٦.

(٢) الجبَلُ غير الخفي، الإمام المشهور قال في التقريب لحكاية عدالته وضبطه: «أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبدالله أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة ٢٤١ وله سبع وسبعون سنة، روى له الجماعة».

أطال ابن الجوزي في ترجمته «مناقب الإمام أحمد» ولشيخ الإسلام الهروي ترجمة له عنوانها: «مناقب الإمام أحمد» موسعة يذكرها كثيراً في كتبه، ويعول عليها غيره.

(٣) هو ابن عبدالملك بن مروان، أبو صفوان الأموي الدمشقي المكي، ثقة من الطبقة التاسعة، المتوفي سنة ٢٠٠هـ، وقد أخرج له الجماعة غير ابن ماجه.

روى عن أبيه وابن جريج، ومالك، ويونس بن يزيد الأيلي وغيرهم.

وعنه: الإمام أحمد، وابن المديني، وأبو بكر الحميدي، والشافعي.

قال: حدَّثنا عبدُالله بنُ المُثَنَّى[(١)]، قال: حدَّثني عبدُالله بنُ دِينَارٍ[(٢)]،

ترجمته في: الكمال للمزي ٦٨٨، والتهذيب ٢/ ٣٤٦ (الرسالة)، والخلاصة، والتذهيب والتقريب.

(١) هو ابن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري، أبو المثنى البصري.

روى عن عمه ثمامة، وعمي أبيه موسى والنضر ابن أنس، وعن الحسن وثابت البناني.

وعنه ابنه محمد، وعبدالصمد بن عبدالوارث، ومسدد في آخرين.

مختلف فيه:

فقد ضعفه الساجي وقال روى مناكير عن أنس، والدارقطني، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال ابن معين ليس بالشي.

ووثقه الترمذي والعجلي وابن حبان وقال: ربما أخطأ.

وتوسط ابن معين ـ في رواية ـ وأبو حاتم فقال: صالح وزاد أبو حاتم فقال: شيخ، ولذا قال الحافظ في التقريب صدوق كثير الغلط. وقد روى له البخاري والترمذي وابن ماجه.

ترجمته في: الكمال ٧٣٢، وتهذيبه ٢/ ٤١٧ (الرسالة)، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٠٨، والجرح والتعديل ٥/ ١٧٧، والخلاصة، والكاشف، والتقريب.

(٢) هو أبو عبدالرحمن العدوي مولاهم، المدني مولى ابن عمر.

روى عن أنس وابن عمر وكبار التابعين.

وعنه شعبة بن الحجاج، ومالك والسفيانان: الثوري وابن عيينة.

قال فيه الحافظ: ثقة من الرابعة، مات سنة ١٢٧هـ، وقد أخرج له الجماعة.

ترجمته في: التاريخ الصغير ٢/ ٣١، والجرح والتعديل ٥/ ٤٦، والكمال ٦٧٩، والتهذيب ٥/ ٢٠١، والميزان ٢/ ٤١٧، وطبقات خليفة ٢٦٣، والسير ٥/ ٢٥٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٢٦، والتقريب، والخلاصة.

عن عبدِالله بنِ عُمر رضي الله عنهما قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «القُرآنُ كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود»(١).

---

(١) فالإسناد هذا له علل:

١- حال عبدالله بن المثني من أنه صدوق كثير الغلط، وهذا يضعف الحديث.

٢- احتمال تخليط أبي بكر القطيعي.

٣- احتمال الوهم والخطأ من ابن المذُهب.

أما من ناحية المتن فإن فيه نكارة، حيث لم يعرف الخوض في مسألة القرآن وأنه غير مخلوق إلا في أواخر عصر الصحابة.

ولهذا قال أبو أحمد ابن عدي في الكامل ١/ ٤١٨ عقب إسناده عن أنس موقوفاً: «وهذاالحديث وإن كان موقوفاً عن أنس فهو منكر لأنه لا يُعرف للصحابة الخوض في القرآن».

وأيده البيهقي بقوله في الأسماء والصفات عقبه ١/ ٥٩٥: «قلت إنما أراد به أنه لم يقع في الصدر الأول ولا الثاني من يزعم أن القرآن مخلوق حتى يحتاج إلى إنكاره، فلا يثبت عنهم شيء بهذا اللفظ الذي روينا عن أنس رضي الله عنه» اهـ.

ولو كان فيها حديث مرفوع صحيح لقطعت جهيزة قول كُلِّ خطيب.

وقد تتبعت مسند عبدالله بن عمر من رواية ابن دينار وغيره، بل كل مسنده من المسند ولم أعثر عليه، وكذلك لم أجده في مسند غيره من مسانيد مسند الإمام أحمد.

وقد سبق الكلام في تخريج الحديث وأنه لم يصح مرفوعاً إنما صح عن متأخري الصحابة وينضاف إلى ما سبق قول البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨٤ في خاتمة باب قول الله عز وجل: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ٤].

«قلت: ونقل إلينا عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: «القرآن كلام الله غير مخلوق»،

. . . .

وروى ذلك أيضاً عن معاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم مرفوعاً، ولا يصح شيء من ذلك، أسانيده مظلمة، لا ينبغي أن يُحتج بشيء منها، ولا أن يستشهد بشيء منها، وفيما ذكرناه كفاية، والله الموفق» اهـ.

يعني مما ذكره من أحاديث في أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال السيوطي في تخريج أحاديث العقائد ص ٢: «حديث القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم» أخرجه: ابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة، وقال الحفاظ إنه موضوع، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات.

وخبر عبدالله بن عمر رواه ابن بطه في الرد في (الرد على الجهيمة) من الإبانة ٢/ ٤٦ (٢٣٩): من طريق عبدالقدوس عن مجاهد، قال سئل ابن عمر: إن جاراً لنا يقول: القرآن مخلوق؟ فغضب، ثم قال: أف أف.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال القرآن مخلوق فقد كفر بالله عزَّ وجلَّ**».

ومن علل هذا الحديث:

عبدالقدوس وهو: ابن حبيب الكلاعي الشامي الدمشقي، أبو سعيد.

روى عن عكرمة والشعبي ومكحول والكبار.

وعنه الثوري وابن طهمان وعلي بن الجعد وخلق.

قال الفلاَّس أجمعوا على تركه، وقال عبدالرزاق: «ما رأيت ابن المبارك يفصح بقوله كذلك إلا لعبد القدوس».

وقال النسائي: ليس ثقة، وقال ابن عدي: أحاديثه منكرة الإسناد والمتن.

وقال الراوي عنه أبو داود: ليس بشيء، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحلّ كتابة حديثه ولا الرواية عنه.

. . . .

ترجمته في: الميزان ٢/ ٦٤٣، ولسانه ٤/ ٤٥-٤٨، والمجروحين لابن حبان ٢/ ١٣١، والضعفاء للعقيلي، والكامل لابن عدي ٥/ ٣٤١ (١٤٩٨)، والتاريخ الكبير ٦/ ١١٩.

وفي الحكم على الحديث مرفوعاً بوضعه انظر الميزان للذهبي ٤/ ١٨٣، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١/ ١٣٤-١٣٦، والموضوعات لابن الجوزي ١/ ٦٥-٦٧، اللالىء المصنوعة ١/ ٤-١٠، والمقاصد الحسنة (٧٦٧)، والأسرار المرفوعة ص ٨٥ (٣٢٧)، والفوائد المجموعة ص ٣١٣، والشذرات في الأحاديث المشتهرة (٦٥٧)، والغماز على اللماز (١٨٥ و ٢٠٥)، وتمييز الطيب (٩٣٧)، وكشف الخفاء (١٨٦٩)، وأسنى المطالب (١٠١٦)، ومختصر المقاصد (٧١١).

وبالمناسبة فقد أسند الحافظ محمد بن النجار (٦٤٣) في ذيله على تاريخ بغداد ١/ ٣٤٩-٣٥٠، قال: أنبأنا يوسف بن المبارك بن كامل بن أبي غالب الخفاف عن أبيه ـ وهو من تلامذة ابن الحنبلي ـ قال أنبأنا عبدالوهاب بن أبي الفرج عبدالواحد بن محمد بن علي الشيرازي الحنبلي بقراءتي عليه في ذي الحجة سنة ٥٢٣هـ، قال: سمعت والدي يقول: ثنا أبو العباس أحمد بن قبيس المالكي، أنبأنا علي بن أبي الحسن الصوفي، حدثني أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، حدثني هنبل بن محمد السليخي، حدثني أبو بكر رؤبة بن عياش، حدثني أبي عن ضمم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي حكيم الشامي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه الناس، وهو كلام الله منزل غير مخلوق، ومنه بدأ وإليه يعود، فمن قال مخلوق فهو كافر**».

وهذا حديث غريب جداً في إسناده مجاهيل عدة لم أهتد إلى تراجمهم ولا إلى تخريجه هكذا فيما لدي من المصادر، ولذا قال ابن النجار قبل سوقه: «وحدث عن والده بحديث منكر» ولفظتُه الأولى مخرجة في الصحيح للبخاري من حديث عثمان رضي الله عنه. أخرجها في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه برقم ٤٧٣٩ و ٤٧٤٠، كما أخرجها أصحاب السنن وأحمد خلا النسائي.

٢- وحدَّثني والَدي الشَّيخُ الإمامُ شَرفُ الإسَلامِ أبو الفَرجِ عبدُالوَّاحد بنُ مُحمدٍ بنِ عليٍّ الحَنبليُّ قال: حدَّثنا ابنُ المُذْهَبِ ببغداد، قال: حدَّثنا ابنُ مالكِ القَطيعيُّ، قال: حدَّثنا أبو عَبدِالرَّحمٰنِ عبدُالله بنُ أحمدَ بنِ حنبلَ قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا عبدُالله بنُ عَبدِ الوَارثِ(١)، قال: حدَّثنا عبدُاللهِ بنُ المُثَنَّى، قال: حدَّثنا عبدُالله ابنُ دِينَار عن عبَدالله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما قال: قال: رسَولُ الله

---

(١) الصواب في اسمه أنه عبدالصمد بن عبدالوارث للأتي:

١- حيث بمراجعة كتب الرجال لم أجد هذا الاسم منهم (عبدالله بن عبدالوارث).

٢- وأيضاً بتتبع شيوخ أحمد، ومراجعة تلاميذ عبدالله بن المثني لم يُتفق على اسم قريب منه سوى عبدالصمد.

٣- احتمال تصحف لفظ (الصمد) إلى (الله) احتمال وارد في مخطوطتنا وغيرها واحتماله في المخطوطة مُتَرَجِّحَ لأنها مظنته، لوجود التصحيف في الرجال مرات.

وهو: عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي مولى بني العنبر منهم، أبو سهل البصري.

روى: عن أبيه، وعكرمة بن عمار، وهشام الدستوائي، وشعبة، وعبدالله بن المثنى وغيرهم.

وعنه: الإمام أحمد وهو أجلهم، وابنه عبدالوارث وإسحاق بن راهوية وجماعة.

قال أحمد: لم يكن به بأس، ووثقه ابن سعد والحاكم، وقال الحافظ: صدوق، ثبت في شعبة، من التاسعة مات سنة ٢٠٧هـ، وقد روى له الجماعة.

وذكر في معجم شيوخ أحمد ص ٢٣٠: أنه روى عنه في خمسمائة وخمسة وثمانين موضعاً من المسند.

ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ١٠٥، والصغير ٢/ ٣٠٧، والطبقات لابن سعد

ﷺ : «القُرآنُ كَلامُ الله غير مَخْلوق منه بَدأ وإليه يَعود»(١) .

٣- وحدَّثني والَدي رَضِيَ اللهُ عنه قال أخبرنا الإِمَامُ الحَافظُ أَبو مُحمدِ عبدُالعَزيزِ بنُ أحمدَ بن مُحمد الكِتَّاني(٢) . . . .

٧/ ١٥٠ ، والتذكرة ١/ ٣٤٤ ، والجرح والتعديل ٦/ ٥٠ ، والثقات ٨/ ٤١٤ ، والسير ٩/ ٥١٦ ، وتاريخ ابن معين (وهو شيخه) ٣٦٤ (نور) وبحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ص ١٥ (٦٢٩) .

(١) والكلام فيه كالكلام في الذي قبله ، فإن شيوخ أحمد فيهما ثقات!

وبالمناسبة فقد استدل الموفق في المغني ١٣/ ٤٦١ بالحديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : «القرآن كلام الله غير مخلوق» مما يفيد شهرة اللفظة عند فقهاء الحنابلة! والله أعلم .

فائدة مهمة : وهو أنني وقفت في منهاج السنة ٨/ ١٥٠ على قول ابن تيمية : « . . حتى في أحاديث نسبت إلى مسند أحمد وليست منه ، مثل حديث رواه عبدالقادر بن يوسف عن ابن المذهب . . ـ ثم ساقه كما أعلاه ـ وهذا القول صحيح متواتر عن السلف أنهم قالوا ذلك ، لكن رواية هذا اللفظ عن النبي ﷺ كذب ، وعزوه لأحمد كذب ظاهر ، فإن مسنده موجود وليس هذا فيه . . » اهـ .

(٢) هو الإمام الصدوق ، محدث دمشق عبدالعزيز بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان التميمي الصوفي الدمشقي الكتاني ـ وربما تصحفت إلى الكناني بنون ـ (٣٨٩-٤٦٦هـ) .

سمع من : تمّام بن محمد الرازي ، وأبي نصر بن هارون بدمشق ، وأبي الحسين الحمامي ببغداد وغيرهم .

وعنه : الخطيب البغدادي ، والأمير ابن ماكولا ، وهبة الله بن الأكفائي وغيرهم .

وقال فيه الخطيب : ثقة أمين ، وقال ابن ماكولا : دمشقي مكثر متفق .

وقال السمعاني : حافظ مكثر مُتقن ، وأَثنَى عليه الذهبيُّ وقال : الإمام الحافظ المتقن مفيد دمشق ومحدثها . وقال تلميذه الأكفائي : كان صدوقاً سليم المذهب

ـ إجازة[1] ـ قال: حدَّثنا أبو عَصمة نُوحُ بنُ نَصرِ بن مُحمَّدٍ الفَرغانيُّ[2] مِنْ لَفْظِهِ، قال: حدَّثنا أَبو عَليٍّ الحَسينُ بنُ عُمَر بنِ بَكرٍ، قال: حدَّثنا أَبو الحَسنِ عَليُّ بنُ شُعيبِ[3] بنِ سَهْلٍ الرِّياشِيُّ، قال: حدَّثنا أَبُو القَسم

أجاز لكل من أدرك حياته قبل موته بمروياته. وله كتاب ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم مطبوع.

ترجمته في: تاريخ دمشق لابن عساكر حرف العين ١٠/ ٣٤٦، والأنساب ١٠/ ٤٥، والإكمال ٧/ ١٨٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٩، وتبصير المنتبه ٣/ ١٢٠٦، والسير ١٨/ ٢٤٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٧٠، وطبقات الحفاظ ٤٣٩، والعبر ٢/ ٣٢٠، وذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لتلميذه هبة الله الأكفائي ص ٣٩، ومقدمة كتابه ذيل تاريخ. . .

(١) يحتمل أن تكون رواية الشيخ عبدالواحد بن محمد الحنبلي الشيرازي ـ والد المؤلف، بالإجازة العامة، التي ذكر تلميذ المُجيز الأكفائي: أنه أجاز لكل من أدركه قبل موته، وهي الإجازة العامة، وهي غير معتبرة عند الجمهور.

وعليه فلا يُعتبر هذا اتصالاً بين عبدالواحد، وعبدالعزيز الكتاني، إلا أنْ يكون لقيه وأخذ عنه، أو الإجازة خاصة! وكلاهما محتملان.

(٢) لم أعرفه، ولم أجده في شيوخ الكتاني بَعْدَ تتبع من كتابه الذيل وذكر فيه واحداً وسبعين شيخاً له، وفي غيره.

وفي المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٤٧٠ (١٦٠٢): «نوح بن نصر الأخسيكثي، مستور صالح، سمع وقدم نيسابور، روي عنه أبو صالح عن محمد ابن الحسن بن محمد بن علي بن الشاه» اهـ. وكتاب السياق لعبدالغافر الفارسي (٥٢٩) مخطوط بتركيا.

(٣) لم أجده هكذا!

وفي التهذيب ٧/ ٣٣١: «علي بن شعيب بن عدي بن همام السِّمار البزار أبو الحسن

الحُسينُ بنُ محمَّدٍ بنُ حُسين[١] البَلخي، قال: حدَّثنا أبو بكَر بنِ مُحمَّد بن عليٍّ النِّيسابوريُّ[٢]، . . . .

البغدادي طوسي الأصل».

روى عن: أبي النظر هاشم بن القاسم، وعبدالمجيد بن أبي رُوَّاد.

وعنه: النسائي وابن جرير والمحاملي وطبقتهم.

قال الحافظ في التقريب: ثقة من كبار الحادية عشرة، مات سنة ٢٥٣هـ، وروي له النسائي.

ترجمته في: الكمال ٩٧٠، والتهذيب ٧/ ٣٣١، وتقريبه، والخلاصة، والكاشف، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٣٥، وتاريخ مولد العلماء ٢/ ٥٥٨.

(١) لم أعرفه.

وفي تاريخ بغداد ٨/ ٩٧: «الحسين بن محمد بن عبدالله بن عبادة، أبو القاسم العجلي الواسطي.

قدم بغداد وحدث بها عن محمد بن إبراهيم الصوري، وهلال بن العلاء الرقِّي، وجعفر بن محمد بن الحسن الرازي.

رَوَىٰ عنه: محمد بن عبيدالله بن الشخير، وأبو حفص الكتاني، ويوسف بن عمر القوّاس، وأبو القاسم الثلجي، وكان ثقة.. اهـ، فيحتمل أنه هو، وتصحف في المخطوطة!

(٢) هكذا في المخطوطة! ويحتمل زيادة: (أبو) لأنه في الأصول: بكر بن محمد ابن علي بن محمد بن حيد النيسابوري أبو منصور التاجر، سكن بغداد.

روي عنه: أبيه، وأحمد بن محمد الخفاف، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المزكي، وابن بامُويه.

وعنه: الخطيب البغدادي ومحمد عبدالباقي الأنصاري وجماعة.

قال: حدَّثنا طَاهُر بنْ حَمدان[1] البَصريُّ، قال: حدَّثنا نصرُ بنُ مَنصُور[2]، عن إدريسَ بن إِياس العَسْقَلانُّي[3]، عن مُحمَّدِ بنِ إِدريسَ

وقال عنه الخطيب: كتبت عنه وكان ثقة، حسن الاعتقاد، صحيح المذهب، كثير الدرس للقرآن، محباً لأهل الخير. وقال الذهبي: الأجلُّ المسند.

توفي سنة ٤٦٤هـ. وهذا هو الإشكال الكبير مما يفيد أَنَّهَ غيره، أو أنه تحويل في الإسناد! والله أعلم.

وانظر: تاريخ بغداد ٧/ ٩٧، والأنساب ٣/ ٩، وتبصير المنتبه ١/ ٢٦٨، والمنتظم ٨/ ٢٧٤، والسير ١٨/ ٢٥٢، والعبر ٣/ ٢٥٦، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٥.

(١) لم أعرفه. وفي تاريخ أصبهان ١/ ٤١٤ (٧٨٤): «طاهر بن أحمد بن حمدان الرازي، أبو عبدالله اللاسكي، قدم أصبهان وأقام بها إلى أن توفي بها وكان موته بعد الستين (أي وثلاثمائة)» اهـ.

ثم أسند عنه أبو نعيم حديثاً إلى النبي ﷺ: **«ليؤمكم أقرؤُكُمْ وإن كان ولد زِنَى!»** وأبو نعيم ولد سنة ٣٣٦، وتوفي سنة: ٤٣٠هـ.

(٢) لم أعرفه. ولابن أبي حاتم في ا لجرح والتعديل ٨/ ٤٧٢: «نصر بن مرزوق أبو الفتح المصري، روي عن الخصيب بن ناصح، ووهب الله بن راشد ومحمد بن أسد وخالد بن نزار، كتبنا عنه وهو صدوق» اهـ.

وترجمته في: معاني الأخبار في رجال مغاني الآخيار للعيني ٢/ ق ١٣، وفي تاريخ مولد العلماء ٢/ ٥٧٤ ذكرا وفاته سنة ٢٦١هـ.

(٣) أيضاً لم أعرفه. ولكن من رجال الستة، وفي طبقته: آدم بن أبي إياس اسمه عبدالرحمن بن محمد، أبو الحسن العسقلاني، نشأ ببغداد واستوطن عسقلان.

روي عن: شعبة، وحماد بن سلمة، والليث وطبقتهم.

وعنه: البخاري والدارمي، وأبو حاتم، والفسوي يعقوب وابنه عبيد وجماعة.

الشَّافعيِّ[1] عن الأَعمش[2] . . . .

وثقه ابن معين وأبو داود وأبو حاتم، وقال أحمد: كان من الستة أو السبعة الذين يضبطون الحديث عند شعبة. اهـ.

مات سنة ٢٢٠ وله نيف وتسعون سنة، وقد أخرج له الجماعة إلا أبا داود.

ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي، وتهذيبه ١/ ١٩٦، والكاشف ١/ ٥٤، والخلاصة ١٤، والتقريب، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٩، والصغير ٢/ ٣٤٢، والجرح والتعديل ٢/ ٢٦٨، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٧، وسير النبلاء ١٠/ ٣٣٥، والطبقات ٧/ ٤٩٠، والمعجم المشتمل ٧٢، وطبقات ابن عبدالهادي ٢/ ٢٨ (٣٧١).

(١) هو العلم الشهير المشتهر بالإمامة، الغني عن التعريف والإشادة، قال الحافظ في بيانه ومرتبته من تقريبه:

«محمد بن إدريس بن العباس المُطلبي الشافعي المكي نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، مات سنة ٢٠٤هـ، وله أربع وخمسون سنة، روي له أصحاب السنن الأربعة والبخاري معلقاً».

وقد روى عن مالك بن أنس موطّأه مُعارضَة من حفظه.

واشهر من روي عنه الإمام أحمد.

ترجمته مطولة في مناقبه للبيهقي، وللرازي وفي السير ١٠/ ٥.

(٢) هو الإمام سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، ولكنه يدلس، من الخامسة مات سنة ١٤٧، أَوْ ١٤٨هـ، وكان مولده أول سنة ٥٦١هـ، روى له الجماعة.

هذا وقد عده الحافظ في المرتبة الثانية من مراتب المدلسين، وهم من احتمل الأئمة تدليسهم، لإمامتهم وقلة تدلسيهم في جنب كثرة ما رووا، أو لأنهم لا يدَّلسون إلا عن ثقات.

عن الضّحاكِ(١) عن عُمَر بنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، قال: قال رَسُولُ الله ﷺ : «القُرآن كلامُ الله غيرُ مَخلُوقٍ منْه بَدأ وإليه يعَود، ومَنْ قال: القُرآنُ مَخلُوقٌ فهو كَافِرٌ بالله العَظيم».

روى عن الضَّحاك وطبقته، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وخلق غيرهم.

وروى عنه: جماعة من أقرانه، وغيرهم منهم: أبو إسحاق السبيعي، والأوزاعي، والشافعي، وخلق كثير.

ترجمته في: التاريخ الصغير ٢/ ٩١، وتهذيب الكمال ٥٤٨، وتهذيبه ٤/ ٢٢٢، والجرح والتعديل ٤/ ١٤٦، والسير ٦/ ٢٢٦، وتاريخ خليفة ٢٣٢، وتاريخ بغداد ٩/ ٣، ومشاهير علماء الأمصار ١١١، وتعريف أهل التقديس ص ٦٧.

(١) هو ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم الإمام المفسر المشهور.

روى عن ابن عباس وأبي سعيد وأنس وطائفة من متأخري الصحابة.

وعنه: مقاتل بن سليمان، والأعمش، وعبدالعزيز بن أبي روَّاد في جماعة غيرهم.

قال الحافظ فيه: صدوق كثير الإرسال، من الخامسة، روى له أصحاب السنن، ومات سنة ١٠٥هـ.

ووثقه أحمد وابن معين، وضعفه يَحْيَىٰ القطان.

ومع هذا لم يلق عمر، بل لم يدركه، فخبره هاهنا ـ إن صح ـ فهو من إرساله.

ترجمته في: التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٢، وتهذيب الكمال ٦١٨، والتهذيب ٤/ ٤٥٣، والخلاصة ١٧٧، والتقريب، والسير ٤/ ٥٩٨، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/ ٣١٢.

وعلى كل فالحديث له علل عديدة في إسناده وقد مرت، والكلام على متنه كسابقه.

والوارد عن عمر بن الخطاب ء بأسانيد محتملة الحسن في مجموعها قوله موقوفاً:

[٧٢/ب] ٤- وفي الصَّحيح(١) المَعرُوف بسُّنن اللاَّلَكائِي(٢) عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنَّه قال : «يذهبُ النَّاسُ حتى لا يَبقى أحدٌ يقولُ لا إله إلاَّ الله

«القرآن كلام الله» أي إضافته إلى الله على أنَّهُ كلامه فقط كما رواه عنه الدارمي في الرد على الجهمية رقم (٣٠٤)، وعبدالله الدارمي في سننه ٢/ ٤٤١، وعبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٤٥ (١١٧ و ١١٨)، والآجري في الشريعة ص ٧٦ و ٧٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩١-٥٩٢ (٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣)، وفي الاعتقاد ص ١٠٤، كلهم من عدة طرق عنه.

(١) وردت أسماء عديدة لهذا الكتاب منها: شرح السنة، والسنن، وأصول السنة، والسنة، وشرح اعتقاد أهل السنة، وشرح حجج أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

والذي ورد على أصوله الخطية: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، كما في المقدمة ص ١٠٨.

وفي مقدمة اللالكائي ١/ ٢٦ قال: «قد كانت تكررت مسألة أهل العلم إياي عوداً وبدءاً في شرح اعتقاد أهل الحديث» اهـ.

ولم يسم اللالكائي كتابه باسمه، وإنما كان هذا اجتهاداً من بعده من خلال مضمونه، ومن هذه الاجتهادات تسمية المؤلف كتابه بالسنن أو الصحيح، والثانية وصف أكثر ممّا هو اسمه.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ سيعدد تسميتهم أيضاً حيث يسميه بالصحيح والسنن.

(٢) هو الحافظ المجدد شيخ الإسلام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، نسبة إلى بيع اللوالك، وهي نوع من النعال تُلبس في الأرجل، المتوفَّى في رمضان سنة ٤١٨هـ.

سمع الحديث من عيسى بن علي الوزير، وأبي طاهر المُخَلِّص، وعلي القصَّار، وآخرين.

فإذا فعلوا ذلك ضَرب يَعْسُوبُ الدِّينِ ذَنَبه فيجَتمعون إليه مِنْ أَطرافِ الأَرضِ كاجْتَماعِ قَزَعِ الخَريفِ يقولون: القُرآنُ غيرُ مَخلوقٍ، وليس بخَالقٍ ولا مَخلُوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله مِنْه بدأ وإليه يعود»(١).

وقرأ الفقه على أبي حامد الإسفرائيي حتى برع في الفقه الشافعي.

وروى عنه: الخطيب، وابنه محمد بن هبة الله، وأحمد بن علي الطريثيثي في جماعة غيرهم.

قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتاباً في السنة، وعاجلته المنية.. اهـ، وله غيره.

وقال ابن كثير: كان يفهم ويحفظ وعنى بالحديث، ووقعت له أوهام قليلة غير مؤثرة في إمامته.

ترجمته في: مقدمة كتابه، وتاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٣، والسير ١٧/ ٤١٩، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤، والمنتظم ٨/ ٢٤، وطبقات الحفاظ ٤٢٠.

(١) أخرجه في شرح أصول السنة ٢/ ٢٢٨ من طريقين (٣٧٣ و ٣٧٤):

١- أخبرنا محمد بن الحسين بن يعقوب، ثنا أحمد بن عثمان بن يحيي، ثنا عبدالكريم ابن الهيثم، ح.

٢- وأخبرنا أحمد بن محمد، أخبرنا عمر بن أحمد، ثنا أحمد بن عبدالله بن خالد، ثنا عبدالكريم ابن الهيثم، حدثنا علي بن صالح، ثنا يوسف بن عدي، عن محبوب ابن محرز، عن الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن الحارث بن سويد قال: قال علي رضي الله عنه: يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول: لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف ثم قال علي: «إني لا أعرف اسم أميرهم، ومناخ ركابهم

. . . .

يقولون: القرآن مخلوق، وليس بخالق ولا مخلوق، ولكن كلام الله منه بدأ، وإليه يعود».

واليعسوب هو: فحل النحل الذي تتبعه، والمراد به هنا رئيس الفتنة ومقدَّمُها في الدين وضربه بذنبه أي اتّبعه أذنابه وأصحابه، وأقاموا معه على فتنته.

وانظر: النهاية، والفائق، والمجموع المغيث، والقاموس، شرح مادة (عسب)، وكتاب المنتخب لكراع النمل ص ١١٤ و ٣١١ و ٣٢٦.

وقَرعُ الخريف، هو النبات المعروف بالدَّباء، وهو من الخضروات، وكان النبي ﷺ يحبها، ويلتمسها في طعامه.

والحديث مداره على عبدالكريم بن الهيثم، وهو: الحافظ المكثر أبو يحيى البغدادي القطان الديرعاقولي.

سمع أبا نعيم الفضل بن دُكَيْن، وسليمان بن حرب والحميدي وغيرهم.

وعنه: ابن صاعد وابن السماك، وأبو سهل القطان.

قال فيه الخطيب: كان ثقة ثبتاً، وقال ابن كامل: كتبنا عنه وكان ثقة مأموناً.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٧٨، والأنساب ٥/ ٣٩٥، واللباب ١/ ٥٢٣، وطبقات الحنابلة ١/٢١٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٢، والسير ١٣/ ٣٣٥، وطبقات ابن عبدالهادي ٢/ ٣٠٢ (٥٩٥)، ومعجم البلدان ٢/ ٥٢١، والشذرات ٢/ ٧٢.

* ولكن شيخَ عبدالكريم: عليُّ بن صالح الأنماطي، قال فيه الذهبي في الميزان ٣/ ١٣٣: «لا يعرف له خبر باطل» اهـ.

وقد تعقبه الحافظ في اللسان ٤/ ٢٣٥ حاكياً قول ابن حبان في الثقات ٨/ ٤٧٠ قال: «علي بن صالح الأنماطي يروي عن عبدالله بن إدريس، روي عنه أهل العراق، مستقيم الحديث» اهـ.

. . . .

وقال الحافظ متعقباً: «فهو هذا بلا شك، فينبغي التثبيت في الذين يضعفهم المؤلف - يعني الذهبي - من قِبَلِهِ، وينظر في من دون صاحب الترجمة» اهـ.

* وشيخه يوسف بن عدي هو ابن زريق التيمي مولاهم، كوفي نزيل مصر، ثقة من العاشرة، مات سنة ٢٣٢هـ، وروي له البخاري والنسائي.

ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي ١٥٦٠، وتهذيبه، وتقريبه والخلاصة.

* محبوب بن محرز هو التميمي القواريري العطار، أبو محرز البغدادي الراوي عن الأعمش، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: يُكْتَبُ حديثه.

وقال شريح بن عثمان: محبوب كوفي ثقة، ولينه الحافظ وضعفه الدارقطني.

ترجمته في: تهذيب الكمال ١٣٠٧، والتهذيب ٤/ ٣٠ (الرسالة)، والتقريب والكاشف والخلاصة.

* والأعمش ثقة لا تضر عنعنته، لأنه محتمل التدليس.

- وإبراهيم التيمي والحارث بن سويد ثقات أثبات، كما في التقريب.

* والراويان عن عبدالكريم بن الهيثم:

١- أحمد بن عثمان بن يحيى، هو: أبو الحسن البغدادي العطشي الآدمي (٢٥٥-٣٤٩هـ).

سمع من أحمد بن عبدالجبار العُطاردي، وعباس الدُّوري وجماعة.

وعنه: الحاكم، وابن رزقويه، وهلال العطار وخلق كثير.

قال الذهبي: الشيخ الثقة المسند. وقال الخطيب مثله: كان ثقة. وكان البرقاني يوثقه.

ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٩، والأنساب ٨/ ٤٧٨، والعبر ٢/ ٢٨٠، والسير ١٥/ ٥٦٨، والشذرات ٢/ ٣٨٩.

٥- وذكَر أيضاً في السُّننِ بالإِسْنَادِ عن عَبدِالله بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه كان في جِنَازةٍ فقال رَجلٌ: يا ربَّ القُرآنِ اغفرْ له، فَوَثَب إليه عبدُالله بنُ عباس فقال: «مَه! القُرآنُ كَلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ وليس بمِرَبوبٍ، مِنْه خَرج وإليه يَعُود»(١).

٢- أما أحمد بن عبدالله بن خالد فهو: الجويباري ويقال الجوباري - وهي من أعمال هراة - قال النسائي والدارقطني: كذاب، وقال الحافظ في اللسان: الجويباري ممن يُضرب المثل بكذبه، وكذبه الحاكم والبيهقي وابن حبان، وابن عدي وقال: كان يضع الحديث لابن كرام، وقال الحاكم: كذاب خبيث لا تحل رواية حديثه بوجه.

ترجمته في: الميزان ١/ ١٠٦، وفي لسانه ١/ ١٩٣-١٩٤.

وهو علة هذه الطريق، ولا يضر الحديث لوروده من طريق من هو خير منه بلاشك، وهو أحمد بن عثمان بن يحيى وسبق.

والحديث من طريق أحمد هذا إسناده حسن والله أعلم.

وسبق قول عمرو بن دينار: أدركت تسعة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يقول القرآن غير مخلوق، من قال إنه مخلوق فهو كافر.

وفي رواية أخرى عنه قال: «أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود» اهـ.

وهو رحمه الله من كبار التابعين مات سنة ١٢٦هـ، وسيأتي خبره بعد أثرين إن شاء الله.

(١) رواه اللالكائي عن ابن عباس من طريقين ١/ ٢٣٠ (٣٧٥ و ٣٧٦):

١- من طريق عبدالرحمن بن أبي حاتم قال: ثنا أبي، حدثني علي بن صالح بن جابر الأنماطي، ثنا علي بن عاصم. ح.

. . . .

٢- قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي، ثنا الصهبي - عم علي بن عاصم - عن علي بن عاصم، عن عمران بن حدير عن عكرمة قال: كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في لحده، قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له.

فوثب إليه ابن عباس، فقال: «مه! القرآن منه».

زاد الصهبي في حديث، فقال ابن عباس: «القرآن كلام الله، ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود» اهـ.

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩٠-٥٩١ (٥١٩) م طريقين:

١- أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنا أبو محمد بن حيان، ثنا محمد بن العباس، ثنا إسحاق بن حاتم العلاف، ثنا علي بن عاصم به.

٢- من طريق أحمد بن منصور الرمادي، عن علي بن عاصم به وفيه:

صلّى ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة، فقال رجل من القوم: اللهم رب القرآن العظيم اغفر له، فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك، إن القرآن منه.

وأخرجه من طريق البيهقي الجورقاني في الأباطيل ٢/ ٢٨٧ معارضاً به ما لم يصح في باب أن القرآن قديم.

والأثر ذكره في شرح السنة ١/ ١٨٦، وشيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى ٥/ ١٧٤ مثبتاً له عن ابن عباس.

وعلى كل حال فهذه أربعة طرق مدارها على علي بن عاصم به.

وهو علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، أبو الحسن التيمي مولاهم (١٠٥-٢٠١).

روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وجماعة.

وعنه: الإمام أحمد وابن المديني والذهلي وخلق آخرين.

. . . .

وهو مختلف فيه:

قال وكيع: ما زلنا نعرفه بالخير، فقال له خلق: إنه يغلط في أحاديث، قال: دعوا الغلط وخذوا الصحاح، فإنا ما زلنا نعرفه بخير.

ووثقه العجلي، وقال عمرو بن علي: فيه ضعف وكان إن شاء الله من أهل الصدق.

أما جرحه فأكثر من تعديله: حيث قال أحمد فيه: كان يغلط ويخطىء، وكان فيه لجاج ولم يكن متهماً بالكذب، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن معين: ليس بشيء ولا يُحتج به، قال له يعقوب بن شيبة ما أنكرت منه؟ قال: الخطأ والغلط ليس ممن يكتب حديثه.

وقال ابن المديني: كان كثير الغلط، وإذا غلط ورد عليه لم يرجع.

وقال الدارقطني: كان يغلط ويثبت على غلطه، وشذرات النسائي فقال: متروك.

وقال ابن عدي: والضعف بين على حديثه.

ولهذا قال ابن حجر في التقريب متوسطاً: «صدوق يخطىء ويُصرّ ورُمي بالتشيع، من التاسعة، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

ترجمته في: تهذيب الكمال ٩٨٠، وفي التهذيب ٧/ ٣٤٤ و ٣/ ١٧٣-١٧٥ (الرسالة) وأطالا فيه، والجرح والتعديل٦/ ١٩٨، وبحر الدم ص ١١٢ (٧١٧)، الكامل ٥/ ١٩١-١٩٤، والميزان ٣/ ١٣٥-١٣٨، والسير ٩/ ٢٤٩-٣٦٥، والتذهيب ٣/ ٦٦، والخلاصة ٢٣٥، والتاريخ الكبير ٦/ ٢٩٠، والصغير ٢/ ٢٩٥، وتاريخ ابن معين ٢/ ٤٢١، والضعفاء للعقيلي ٣/ ٢٤٥، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢/ ١٩٥ (٢٣٨٥)، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣١٦، والضعفاء الصغير ٨٢، وطبقات ابن عبدالهادي ١/ ٤٥٨ (٢٧٨).

وبقية رجال الأثر ثقات، فإن عمران بن حدير ثقة ثقة، وكذا عكرمة.

ويشهد لهذا الأثر ما حكاه عمرو بن دينار، وكان لقي ابن عباس، والله أعلم.

٦- وأيضاً ذكَرُه أبُو القَاسمِ هِبَةُ الله الطَّبريُّ اللاَّلكائِيُّ في سُننِه عن ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه قال: «مَنْ حَلفَ بالقُرآن فعَليه بكُلِّ آيَةٍ يمَينٌ، ومَنْ كَفر بِحَرفٍ مِنْه فقد كَفَر به أَجمع»[1].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة من طريقين ١/ ٣٢٢ و ٢٣١ (٣٧٩ و ٣٧٨):

١- قال أخبرنا علي بن أحمد بن حفص المقري، ثنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم، ثنا معاذ بن المثنَّى، ثنا مسدد، ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان، عن الأعمش عن عبدالله بن قرة، عن أبي كنف قال: قال عبدالله «من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين»!.

قال: فذكرت ذلك لإبراهيم - يعني النخعي - فقال: قال عبدالله: «من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين، ومن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع».

٢- وقال أخبرنا جعفر بن عبدالله بن يعقوب، أخبرنا محمد بن هارون الرُّوياني، ثنا أبو الربيع، ثنا أبو عوانة، عن أبي سنان، عن عبدالله بن أبي الهذيل، عن حنظلة، عن خويلد العنزي قال: أخذ عبدالله بيدي، فلما أشرفنا على السُّدَّة، إذ نظر إلى السوق فقال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير أهلها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها»، قال فمرَّ برجل يحلف بسورة من القرآن أو آية، قال: فغمز عبدالله بيدي ثم قال: أتراه مكفراً؟ أما إن كل آية فيه يمين.

* والأول أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٨/ ٤٧٢ (١٥٩٤٦) في الأيمان والنذور - باب الحلف بالقرآن والحكم فيه، عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود قال: «من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به أجمع، ومن حلف بالقرآن فعليه بكل آية منه يمين».

وهذا إسناد صحيح، وأعلى من إسناد اللالكائي.

والبحث في سماع إبراهيم وهو ابن يزيد النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه،

. . . .

الثقة إلا أنه كثير الإرسال، من الخامسة مات سنة ٩٦هـ وله ٥٠ سنة، وقد روى له الجماعة.

وروايته هاهنا عن عبدالله بن مسعود حكمها الإرسال لإنه لم يلق أحداً من الصحابة سوى أنس على القول المختار، وقد احتمل الأئمة تدليسه، حيث عده الحافظ من المرتبة الثانية ص ٥٠.

ولكن قال الأعمش ـ وهو تلميذه وقد عدله بقوله: إبراهيم صيرفي الحديث ـ قلت لإبراهيم: «أسند لي عن ابن مسعود؟ فقال إبراهيم: إذا حدثتكم عن رجل عن عبدالله فهو الذي سمعت، وإذا قلت، قال عبدالله، فهو عن غير واحد عن عبدالله» اهـ.

قال العلائي في التحصيل ١٤١: «هو مكثر الإرسال، وجماعة من الأئمة صححوا مراسيله، وخصَّ البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود».

لأنه كان يرسل عنه كثيراً، وأحب ابن معين مراسيله.

وعليه فيقبل إرساله عن عبدالله بن مسعود لما تقدم، ولأنّه رواه عنه عن غير واحد، وغالباً الأسود وعلقمه النخعيان!

ترجمته في: الكمال للمزي ١/ ٨٤، وتهذيبه ١/ ١٧٠-١٧٩، و ١/ ٩٢-٩٣ (الرسالة)، وتعريف أهل التقديس ٥٠-٥١، والمراسيل لابن أبي حاتم ص ٨-١٠، وجامع التحصيل للعلائي ص ١٤ و ١٤١-١٤٢ (١٣)، والعلل لعلي بن المديني ص ١٥ و ٤٤-٤٥، ومواضع أخر، والعلل للإمام أحمد ١/ ١١٢ (٤٦٨) وعلل الحديث لابن أبي حاتم (١/ ٢٢ (٣١).

والخبر أخرجه البيهقي ١٠/ ٤٣ من طريق سعيد بن منصور ثنى إسماعيل بن زكريا عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن أبي كنف قال بينما أمشي مع عبدالله في

. . . .

سوق الدقيق، إذ سمع رجلاً يحلف بسورة البقرة، فقال ابن مسعود: «إن عليه لكل آية فيها يميناً»، قال الأعمش، فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: قال عبدالله: «من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين، ومن كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله». .

ورواه عبدالرزاق في المصنف ٨/ ٤٧٢ (١٥٩٤٧) عن الثوري عن الأعمش به مختصراً على قوله «أما إنّ عليه بكل آية منها يميناً» ورواه أيضاً (١٥٩٥٠) بسنده عن الأحوص عن ابن مسعود ومثله.

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ٧٧ (١٢٢٣٠) في كتاب الأيمان ـ باب في الرجل يحلف بالقرآن ـ ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: قال عبدالله: «من حلف بالقرآن، فعليه بكل آية يمين» مختصراً.

كما أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٧٦ (١٥٢٢٧) من وجه آخر عن عبدالله بن مرة عن أبي كريب ـ والصواب كان كما مرَّ ـ عن عبدالله مثله.

كما أخرجه عنه من طريق سفيان عن أبي سنان عن عبدالله بن أبي الهذيل عن ابن مسعوده مثله وكالآتي:

* والثاني أخرجه كذلك البيهقي في الكبرى ١٠/ ٤٣ من طريق سعيد بن منصور، ثنا خالد بن عبدالله عن أبي سنان عن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: خرجت مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى أتى السدة: سدة السوق، فسمع رجلاً يحلف بسورة من القرآن، فقال: يا حنظلة أترى هذا يكفر عن يمينه، إن لكل آية كفارة أو قال يمين.

وكذلك رواه مسعر عن أبي سنان.

وقال شعبة: سويد بن حنظلة، وقال سفيان هو عبدالله بن حنظلة.

ورواه كذلك من طريق سفيان عن أبي سنان الشيباني عن عبدالله بن أبي الهذيل عن حنظلة به كما أخرجه اللالكائي.

٧- وذكر أيضاً اللاَّلَكَائِيُّ في سُنَنِه مُسنَّداً عن عَمرو بنِ دِيَنارٍ أَنَّه قال أدركَتُ شُيَوخاً(١) والنَّاس مُنذ سَبعين سَنةً يقولون: «القرآنُ كَلامُ

واللالكائي أخرجه من طريق الرُّوياني، ولم أجده في القطعة الموجودة من مسنده!

* والخبر رُوي مرفوعاً:

١- حيث رواه عبدالرزاق في مصنفه ٨/ ٤٧٣ (١٥٩٤٨) عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية يمين صَبرٍ، فمن شاء برّه ومن شاه فجره**».

وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ٧٦ عن عبدالرحيم بن سليمان عن الليث به.

كذلك أخرجه البيقهي في السنن الكبرى ١/ ٤٣ من طريق سفيان الثوري عن الليث به.

٢- ورواه عبدالرزاق أيضاً ٨/ ٤٧٧٣ عن معمر قال أخبرني من سمع الحسن وهو البصري، قال: من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها يمين صَبرٍ.

وهكذا أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٤٣ من طريقين عن سفيان عن يونس عن الحسن البصري ـ مرفوعاً إلى النبي ﷺ مثله.

وقال أبو بكر البيهقي: «هذا الحديث إنما روى من وجهين جميعاً مرسلاً.

وروى عن ثابت بن الضحاك موصولاً مرفوعاً وإسناده ضعيف» اهـ.

ثم قال: «فقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، مع الحديث المرسل فيه دليل على أن الحلف بالقرآن يكون يميناً في الجملة، ثم التغليظ في الكفارة متروك بالإجماع» اهـ.

(١) هكذا في الأصل، وفي الأصول: (شيوخنا) بالنسبة.

***

اللهِ مِنْه بَدأ وإليه يعود»[١]، وقد أدرَكَ عمرُو بنُ دِينَارٍ جَماعةً كَثيرةً مِنْ

(١) هذا الأثر تكرر قبلُ، وهو خبر مشهور منشور يتضمن حكاية إجماع من لقيهم عمرو وهم بقية الصحابة ـ وهم التسعة الذين مرَّ ذكرهم ـ وكبار التابعين من علماء الأمصار على ما قاله.

واختصاراً لتخريجه أقول:

* أخرجه أبو القاسم اللالكائي من سبعة طرق:

١- ستة منها بأسانيد مختلفة أكثرها صحيحة، بلفظ كاللفظ الذي ساقه المؤلف، كما في شرح أصول السنة ٢/ ٢٣٤-٢٣٦ (٣٨١ و ٣٨٢ و٣٨٣ و٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦).

٢- ومن طريق واحد ٢/ ٢٣٣ (٣٨٠) عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: «أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: من قال القرآن مخلوق فهو كافر» وإسناده صحيح أيضاً.

ورواه عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه: الرد على الجهمية ص ١٦٣ (ت البدر)، وفي كتابه: النقض على المريسي ص ١١٦ كلاهما من طريق إسحاق بن راهويه عن سفيان عن عيينة عن عمرو بن دينار قال: «أدركت أصحاب النبي ﷺ منذ سبعين سنة، فمن دونهم، كلهم يقولون: إن الله خالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود».

والخبر أخرجه أيضاً جماعات معتبرة من الأئمة منهم:

الإمام البخاري في خلق أفعال العباد ٧ في أول خبر ساقه في كتابه، وأخرجه في التاريخ ٢/ ٣٣٨، والخلال في السنة، كما في الإيمان ١/ ق ١٨٨، ومختصر العلو ص ١٦٤ (١٧٣)، ورواه محمد بن جرير الطبري كما في صريح السنة ص ١٦ (١٦)، وابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى (الرد على الجهمية) ٢/ ٧-٨ (١٨٥-١٨٦).

. . . .

والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٤٣، وفي الأسماء والصفات ١/ ٥٩٦ و ٥٩٨ (٥٣١-٥٣٢).

وأخرجه اللالكائي من طريقين ثامنة وتاسعة، عن الإمام البخاري ثنا الحكم بن محمد ثنا شعبان بن عيينة قال: «أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار، يقولون: «القرآن كلام الله ليس مخلوقاً» اهـ.

رواه في شرح السنن ٢/ ٢٣٦ و ٢٤١ (٣٨٦ و ٣٩٦)، وقال: «قلت: ولقد لقي ابن عيينة نحواً من مائتي نفس من التابعين من العلماء، وأكثر، من ثلاثمائة من أتباع التابعين من أهل الحرمين والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن» اهـ.

وقال الذهبي: «وقد تواتر هذا عن ابن عيينة» اهـ. ص ١٦٤ من مختصر العلو.

وهذا إسناد جيد، الحكم بن محمد هو أبو مروان الآملي الطبري نزيل مكة، صدوق من العاشرة، مات سنة ٢١٩هـ.

وسفيان بن عيينة الثقة الحافظ الفقيه مات سنة ١٩٨هـ عن ٩١ سنة، وكان أثبت الناس في الرواية عن عمرو بن دينار.

فهذه حكاية أخرى ـ بعد حكاية عمرو ـ تتضمن إجماع أكثر أهل المائة الثانية.

وذكر اللالكائي أيضاً (٣٩٥) عن عبدالرحمن بن أبي حاتم، قال: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال: لما امُتحن أبو نعيم الفضل بن دكين، وأحمد بن يونس، وأصحابه ثبت أبو نعيم وقال: «لقيت سبعمائة شيخ، ذكر الأعمش وسفيان وجماعتهم، ما سمعت أحداً منهم قال ذا القول، يعني: بخلق القرآن إلا رجل واحد» يعني جهماً.

وأخرجه أيضاً (٤٠٦) من طريق ابن أبي شيبة نحوه.

وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٧٢ (٢٠٧) من وجه آخر قال: حدثني أبو الحسن بن العطار محمد بن محمد، قال سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين، وذكر

. . . .

عنده من يقول القرآن مخلوق: «والله والله ما سمعت شيئاً من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم».

وأخرجه الخطيب البغدادي من وجه آخر في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٩.

ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٣٦ (٢٢٨) من وجه آخر أيضاً من طريق حنبل، قال سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول: «أدركت الناس ما يتكلمون في هذا، ولا عرفنا هذا إلا من بعد سنين، القرآن كلام الله منزل من عند الله، لا يؤول إلى خالق ولا مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذا الذي لم نزل عليه ولا نعرف غيره».

قال: «وسمعت شريكا ـ هو ابن عبدالله النخعي (١٧٧هـ) ـ يقول: كفر بالله، الكلام في ذات الله وهذا إسناد صحيح إليه، فإن أحمد بن سنان الواسطي ثقة حافظ صدوق، كما في الجرح ٢/ ٥٣ والتقريب» اهـ.

والفضل بن دكين مشهور بكنيته أبي نعيم، ثقة ثبت من كبار شيوخ البخاري، مات سنة ٢١٨، وممن ثبت مع أحمد في فتنة خلق القرآن.

وروى اللالكائي بسنده ٢/ ٢٤٤ (٤٠٥) عن عبدالله بن المبارك قال: «سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون: من قال القرآن مخلوق، فامرأته طالق ثلاثاً بتة، قلت ولم ذاك؟ قال: لأن امرأته مسلمة، ومسلمة لا تكون تحت كافر».

قلت: «فقد لقى عبدالله بن المبارك جماعة من التابعين مثل: سليمان التيمي، وحميد الطويل وغيرهما، وليس في الإسلام في وقته أكثر حمله منه، وأكثر طلباً للعلم وأجمعهم له، وأجودهم معرفة به، وأحسنهم سيرة، وأرضاهم طريقة مثله. ولعله يروى عن ألف شيخ من التابعين، فأي إجماع أقوى من هذا» اهـ.

ولذا ولما تكاثر عن السلف الصالح من تكفيرهم، وتبدعهم وتضليلهم حكى

أَصَحاب رسَول الله ﷺ ذكَرهُم(١) أبُو القَسْم الطَّبري اللاَّلَكَائِيُّ.

٨- وحدَّث أيضاً الشَّيخُ الإِمَامُ الحَافِظْ أَبو القَاسمِ هِبةُ اللهِ بنُ الحُسينِ بن مَنصُور الطَّبري في سُننه بإسَنادهِ عن شُعيبِ بنِ حَربٍ(٢)

اللالكائي، وابن بطة والطبراني قبله وغيرهم كفر الجهمية والمعتزلة عن إجماع العلماء من السلف الصالح وقَرَّره ابن القيم ناظما له:

فهم بذا جهميَّةٌ أهل اعتزا ... لِ ثَوبُهُمْ أضحى له علمان
ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللاّلكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

(١) سبق أن توفي سنة ١٢٦هـ والتسعة الذي أدركهم من أصحاب النبي ﷺ هم:

١- ابن عباس ٢- ابن عمر ٣- عبدالله بن الزبير ٤- جابر بن عبدالله ٥- المسور بن مخرمة ٦- السائب بن يزيد الكندي ٧- أنس بن مالك ٨- سعد بن عائذ بن قرط مؤذن النبي ﷺ ٩- عامر بن واثلة أبو الطفيل.

(٢) ترجمته في: التقريب، فقال: «شعيب بن حرب المدائني، أبو صالح، نزيل مكة، ثقة عابد، من التاسعة، مات سنة ١٩٧هـ، وروى له البخاري وأبو داود والنسائي».

وقد روى عن: عن شعبة بن الحجاج والثوري ومسعر بن كدام وخلق سواهم.

وروي عنه: الإمام أحمد وعلي بن حرب الموصلي ويحيى المقابري في آخرين.

وقد وثقه النسائي مع تشدده.

وانظر: التاريخ الكبير ٤/ ٢٢٢، والتاريخ لابن معين ٢٥٧، والطبقات ٧/ ٣٢٠، والجرح ٤/ ٣٤٢، وتهذيب الكمال ٥٨٥، وتهذيبه ٤/ ٣٥٠، والكاشف ٢/ ١٢، والخلاصة ١٦٦، والميزان ٢/ ٢٧٥، والعقد الثمين للفاسي ٥/ ١١، والشذرات

قال: قُلت لأَبي عبدِاللهِ سُفيانَ بنِ سَعيدٍ الثوَّريِّ[(١)] حَدَّثْنا بحِدَيثٍ مِنَ السُّنَةِ ينَفعُ اللهُ به، فإذا وقفتُ بين يَدي الله تعالى وسَألَني عنه، وقال لي: مِنْ أَين أخذتَ هذا؟

قلت: يا ربِّ حدَّثني بهذا الحَديثِ سُفيانُ الثَّوريُّ، وأخَذتُه عنه، فانَجو أنا وتُؤَخُذ أنت! فقال: يا شُعَيبُ هذا تَوكيدٌ وأيُّ تَوكيدٍ. اكتب:

بسمِ الله الرَّحمٰن الرَّحيم، القُرآنُ كَلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ مِنْه بدأ وإليه يعودَ، ومَنْ قَال غيرَ هذا فهو كَافِرٌ، وذكَر الحديثَ بِطُوله[(٢)]. [٧٣/أ]

١/ ٣٤٩، والسيرة ٩/ ١٨٨، ومعجم شيوخ أحمد ٢٠٧ (١٠٠). وروى عنه في المسند سبعة أحاديث، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٣٨.

(١) هو ابن مسروق، أبو عبدالله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، مات سنة ١٦١هـ، وله ٦١ سنة. روى له الجماعة، وكان ولد سنة ٩٧هـ.

عدد له الذهبي مشيخة على المعجم وقيل إنهم أزيد من ٥٠٠ شيخ، أما الرواة عنه فخلق لم يزد عليه في كثرتهم إلا الإمام مالك.

انظر: السير ٧/ ٢٢٩-٢٧٩، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٧١٣-٧٢٨، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١-١٧٤، والطبقات ٦/ ٣٧١-٣٧٤، والجرح والتعديل ١/ ٥٥-١٢٦، وتهذيب الكمال ٥١٥، وتهذيبه ٤/ ١١١-١١٥، والحلية ٦/ ٣٥٦-٧/ ١٤٣، وطبقات المفسرين ١/ ١٨٦-١٩٠.

(٢) رواها اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ١٥١-١٥٤ وترجم لها: «اعتقاد أبي عبدالله سفيان بن سعيد الثوري رضي الله عنه: أخبرنا محمد عبدالرحمن بن العباس، حدثنا أبو الفضل شعيب بن محمد الراجيان قال، ثنا علي بن حرب الموصلي بسر من

. . . .

رأى سنة ٢٥٧هـ، قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: قلت لأبي عبدالله سفيان بن سعيد الثوري:

حدثني بحديث من السنة . .

والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة.

قال شعيب: فقلت له يا أبا عبدالله: وما موافقة السنة؟

قال: تقدمة الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

يا شعيب: لا ينفعك ما كتبت حتى تقدم عثمانَ وعلياً على ما بعدهما.

يا شعيب: بن حرب: لا ينفعك ما كتبت لك حتى لا تشهد لأحد بجنة ولا نارٍ إلا للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ وكلهم من قريش.

يا شعيب بن حرب: لا ينفعك ما كتبت لك حتى ترى المسح على الخفين دون خلعهما، أعدل من غسل قدميك.

يا شعيب بن حرب: ولا ينَفعُك ما كتبت لك حتى يكون اخفاء بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة أفضل عندك من أن تجهر بهما.

يا شعيب بن حرب: لا ينفعك ما كتبت حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، كل من عند الله عز وجل.

يا شعيب بن حرب: والله ما قالت القدرية، ما قال الله، ولا ما قالت الملائكة، ولا ما قال النبيون، ولا ما قال أهل الجنة، ولا ما قال أهل النار، ولا ما قال أخوهم إبليس لعنه الله.

. . . .

قال الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقال نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

وقرأ شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال أهل النار: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وقال أخوهم إبليس لعنه الله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ١٣٩].

يا شعيب: لا ينفعُك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان، جار أم عدل.

قال شعيب: فقلت لسفيان: يا أبا عبدالله الصلاة كلها؟

قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صلِّ خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مخير، لا تصل إلا خلف من تثق به، وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة.

يا شعيب بن حرب: إذا وقفت بين يدي الله عز وجل، فسألك عن هذا الحديث فقل: يا رب حدثني بهذا الحديث سفيان بن سعيد الثوري، ثم خلِّ بيني وبين ربي

. . . .

عز وجل» اهـ.

وقد ذكرها الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٦-٢٠٧ مختصرة عن السنة للالكائي ثم عقب: «هذا ثابت عن سفيان، وشيخ المخلص ثقة رحمة الله عليهم» اهـ.

وإسنادها صحيح.

١- فإن شيخ اللالكائي: محمد بن عبدالرحمن بن العباس هو ابن عبدالرحمن أبو طاهر المُخلِّص (٣٠٥-٣٩٣هـ).

وسمع ابن أبي داود وابن صاعد وشعيب الراجيان، وجماعة أمثالهم.

وعنه: البرقاني، والخلال، وهبة الله الطبري في آخرين.

قال فيه العتيقي: شيخ صالح ثقة.

ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٢-٣٢٣.

٢- وشيخه أبو الفضل شعيب بن محمد بن الراجيان: هو أبو الفضل الكاتب (٣٢٦هـ).

روى عن: عمر بن شبه وعلي بن حرب الموصلي الطائي وسليمان الهندي في غيرهم.

وسمع منه: الدارقطني، والمخلص، وأبو القاسم بن الثلاج.

قال الخطيب البغدادي: كان ثقة، وانظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٤٦-٣٤٧.

٣- وعلي بن حرب الموصلي هو: أبو الحسن الطائي، مسند وقته (١٧٥-٢٦٠هـ).

وسمع من: سفيان بن عيينة ووكيع ويزيد بن هارون في خلق سواهم.

وعنه: النسائي، ويحيى بن صاعد، أبو الفضل الراجيان.

٩- وذكر أَبُو القَسْم الطَّبريّ أيضاً في سُننِهِ بإِسَنادِهِ عن أَبي زكَرِيا يَحيىَ بنِ يُوسفَ الأَدمي[١]، قال: سُفيانُ بُن عُيَّينة[٢] وقد قال له

قال أبو حاتم: صدوق ووثقه الدارقطني.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٤١٨-٤٢٠، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٢٣، وتهذيب الكمال ٩٦١ وتهذيبه ٧/ ٢٩٤، والجرح والتعديل ٦/ ١٨٣، واللباب ٢/ ٢٧١.

(١) هكذا في الأصل وفي الأصول الزِّمِّي ـ بكسر الزاي والميم مع تشديدهما.

وهو أبو زكريا أو أبو يوسف ابن أبي كريمة الخراساني البغدادي.

روي عن عبدالله بن إدريس، وابن عيينة، ووكيع، وخلق سواهم.

وعنه: البخاري، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين وغيرهم.

كان ثقة صدوقاً من كبار العاشرة، مات سنة ٢٢٦هـ، وقد روى له البخاري وابن ماجه.

ترجمته في: تهذيب الكمال ١٥٢٧، وتهذيبه ٤/ ٤٠٢ (الرسالة)، والكاشف، والخلاصة، والتقريب، والجرح والتعديل ٩/ ٢٠٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٦٦، والسير ١١/ ٣٨، والخلاصة ٤٣٠.

(٢) هو الإمام الجليل ابن أبي عمران ميمون الهلالي أبو بكر الكوفي ثم المكي (١٠٧- ١٩٨هـ) عن ٩١ سنة.

ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بِآخَرَةٍ، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، من رؤوس الثامنة، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، روى له الجماعة.

وانظر توسع ترجمته في: التاريخ الكبير ٤/ ٩٤، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٨٥، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٧، والجرح والتعديل ١/ ٣٢، والسير ٨/ ٤٥٤، وتهذيب الكمال ٥١٧، وتهذيبه ٤/ ١١٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢، والميزان ٢/ ١٧٠.

رجَلٌ عنده: إنَّ أَقوَاماً يَزعمون أنَّ القُرآنَ مَخلُوقٌ، فَفَزِعَ لذلك وقال: مَه! مرَتين أو ثَلاثاً! إنَّ القُرآنَ مِنْ عند الله جَاءَ، وإليه يَعوُد، وهو قُرآنٌ كما سَمَّاه الله عزَّ وجلَّ[(١)].

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٣٤٨ (٥٨٣) قال:

أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن الحسين، ثنا أحمد بن زهير، ثنا أبو زكريا يحيى بن يوسف الزِّمي، قال: سمعت سفيان بن عيينة، وقال له رجل عنده: إن قوماً يزعمون أن القرآن مخلوق، ففزع وقال:

مه! مرتين أو ثلاثاً، إن القرآن من عند الله جاء وإلى الله يعود، وهو قرآن كما سمَّاه الله.

وشيخ الطبري اللالكائي هو ـ والله أعلم ـ: أحمد بن عبيد بن الفضل بن سهل بن بيري الواسطي أبو بكر المعمر المحدث.

روى عن: علي بن عبدالله الواسطي، ومحمد بن الحسن الزعفراني، وابن قانع وعدة.

وعنه: أهل واسط وعبدالكريم الشروطي وجماعة.

كان ثقة صدوقاً كف بصره بآخر عمره، مات سنة نيف وأربع مائة.

ترجمته في: الإكمال ١/ ٥٢١، والأنساب ٢/ ٣٦٥ (بيري)، وسؤالات السلفي ١٧، وتبصير المنتبه ١/ ١١٣، والسير ١٧/ ١٩٧، والمشتبه ١/ ١٠٧ للذهبي.

وشيخه محمد بن الحسين، لعله الزعفراني، وفي طبقته عدة:

١- محمد بن الحسين الآجري صاحب الشريعة (٣٦٠هـ) وهو بعيد، ترجمه في السير ١٦/ ١٣٣.

٢- ومحمد بن الحسين النيسابوري أبو بكر الحافظ (٣٢٢هـ)، ترجمه في السير ١٥/ ٣١٨.

. . . .

٣- ومحمد بن الحسين بن ماهيان الجرجاني الحافظ (٣٤٤هـ)، وترجمه في السير ١٥/ ٥٠٢.

٤- ومحمد بن الحسين أبو الفضل الحدادي محدث مرو (٣٨٨هـ)، ترجمه في السير ١٦/ ٤٧٠.

٥- ومحمد بن الحسين بن حفص الأشناني الخثعمي الكوفي (٣١٥هـ)، ترجمه في السير ١٤/ ٥٢٩.

وكلهم ثقات مأمونون، والله أعلم.

وشيخه أحمد بن زهير: هو ابن أبي خثيمة، أبو بكر النسائي، البغدادي صاحب التاريخ الكبير، سمع أباه والفضل بن دكين والإمام أحمد وابن معين وخلق.

وعنه: البغوي وابن صاعد، وأبو سهل القطان، وجماعات سواهم.

وثقه الدارقطني والخطيب وأعظم فيه ثناءً، توفي سنة ٢٧٦هـ.

ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢، وطبقات ابن أبي يعلى ١/ ٤٤، والأنساب ١٢/ ٨٠، وسير النبلاء ١١/ ٤٩٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٦، واللسان ١/ ١٧٤، والطبقات لابن عبدالهادي ٢/ ٢٩٤ (٥٨٨)، وطبقات القراء لابن الجزري ١/ ٥٤.

* ومن أمثاله مما روى عنه ابن عيينة:

١- ما رواه اللالكائي بسند آخر ١/ ٣٤٧ (٥٨١) عن إسحاق بن إسماعيل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول: «لا نحسن غير هذا، القرآن كلام الله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]» وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٥٥ (١٤١) كذلك.

٢- وروى أبو داود صاحب السنن في مسائل الإمام أحمد ص ٢٦٥ عن عمرو بن هارون قال سمعت سفيان بن عيينة وسئل عن القرآن؟ فقال: «كلام الله وليس بمخلوق»، وهكذا رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٥٥ من طرق (١٤٢ و١٤٣).

ولمَّا كَانت مِحَنةُ الإِمَام أحمدَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، وقد قِيَل له: تَقولُ القُرآنُ مَخلُوقٌ وإلا قُتلتَ. فقال: أَقول، فقالوا يكون ذَلك على رُؤوسِ النَّاسِ فلما أَصعَدوُه على نَشَزٍ[1] مِنْ الأَرضِ والنَّاسُ يَبكُون في وَجهِهِ،

والخلال أيضاً في السنة ١/ ق ١٨٦ ، ومن طرق أخرى عن سفيان في ١/ ق (١٨٥ و ١٨٧)، وابن بطه في الكبرى كتاب «الرد على الجهمية» ١/ ٩ (١٨٦ و ١٩٥).

٣- ما رواه المروزي بسنده عن سفيان بن عيينة قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال هو مخلوق فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ» رواه الخلال في السنة ١/ ق ١٨٥ ، وابن بطه في الكبرى «الرد على الجهمية» ١/ ٥٩ .

٤- وروى عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١١٢ (٢٥) بسنده عن محمد بن جنيد عن ابن عيينة قال: «من قال القرآن مخلوق كان محتاجاً أن يصلب على ذباب» وهو جبل في غربي طيبة معروف هناك. ورواه أبو داود في مسائله ص ٢٦٥ من طريق عمرو ابن هارون.

٥- ما رواه عبدالله في السنة ١/ ١١٢ (٢٤) عن غياث بن جعفر قال سمعت سفيان ابن عيينه يقول: «القرآن كلام الله عز وجل من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر».

٦- وما رواه أيضاً في السنة ١/ ١٥٤ (١٤٠) عن عثمان بن أبي شيبة قال: كنت عند ابن عيينة أنا وأبو بكر وأبو محمد ـ وهما عبدالله وقاسم أخوه ـ فسأله منصور بن عمار عن القرآن؟ فأنكر سفيان ما سأله عنه، وغضب، واشتد غضبه وقال له سفيان: إني أحسبك شيطاناً مرتين، بل أنت شيطان. فقيل يا أبا محمد: إنه صاحب سنة وإنه. . فأبى وأنكر ما سأل عنه.

(١) هو المكان المرتفع من الأرض، ويطلق على الارتفاع من كل شيء بحسبه كقوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ

قال: مَنْ عَرفَني فقد عَرفني، وَمنْ لم يَعرِفُني فأنا أعرِّفُه بنِفَسي! أنا أحمدُ بنُ مُحمَّدٍ بنِ حَنبل: القُرآنُ كَلامُ الله مُنَزلٌ غَيْرُ مَخلُوقٍ مِنْه بَدأ وإليه يعود.

فلما ردُّوهُ وأنكَر المُعْتَزلَةُ ذلك مِنْه، قال أحمَد رحمة الله عليه: ما هو شَيءٌ قُلته مِن تلِقَاء نَفْسِي، هو شَيءٌ حدَّثني به الثِّقاتُ عن رسَولِ الله ﷺ.

١٠- سَمِعتُ عبدَالرزَّاق الصَّنعانيَّ(١)، يقولُ: أَخبرنا معَمرُ بنُ

وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وفي النساء: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، وبعدها: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]، وفي البقرة: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢].

(١) هو أبو بكر بن همام بن نافع الحميريُّ ولايةً، ثقة حافظ، مصنف شهير، عَمِيَ في آخر عمره، فتغير وكان يتشيع، من التاسعة، مات سنة ٢١١هـ، وله خمس وثمانون سنة. روى له الجماعة.

له كتاب المصنف المشهور، وهو إحدى مدونات السنة المطبوعة، وقد سمع منه الإمام أحمد قبل عمى بصره الذي به اختلافه، وتشيعه في التفضيل، ورواية أحاديث فضائل الآل ومثالب غيرهم.

ترجمة عبدالرزاق في: تاريخ ابن معين ٣٦٢، والتاريخ الكبير ٦/ ١٣٠، والصغير ٢/ ٣٢٠، والجرح ٦/ ٣٨، والسير ٩/ ٥٦٣، والكامل ٤/ ٦٤٠، وشرح العلل لابن رجب ٢/ ٥٧٧، وتهذيب الكمال ٨٣١، وتهذيبه ٦/ ٣١٠ وتقريبه.

***

رَاشِدٍ[(١)]، عن عبدَاللهِ بنِ جرادٍ[(٢)]، قال: سمَعتُ رسَولَ الله ﷺ، يقولُ في قَوْلِه تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فقال رسُولُ الله ﷺ: «غير ذي عوج»، غَيْرُ مُخْلوقٍ يقولُها ثَلاثاً، مِنْه بَدأ

---

(١) هو أبو عروة الأزدي مولاهم، البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة، من كبار السابعة، مات سنة ١٥٤هـ، وهو ابن ٥٨ سنة. روى له الجماعة وعليه فهو لم يلق أيَّ صحابي. والله أعلم.

ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار ١٩٢، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٧٨، والصغير ٢/ ١١٥، والجرح ٨/ ٢٥٥، وتهذيب الكمال ١٣٥٤، وتهذيبه ١٠/ ٢٤٣، والكاشف والخلاصة والتقريب والسير ٧/ ٥، والميزان ٤/ ١٥٤، والعلل لابن المديني ٣١.

(٢) ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٣٥، وقال: له صحبة وذكر حديثه في تسمية المولود.

وذكره الحافظ في الإصابة ٤/ ٤٧ في القسم الأول من حرف العين ـ وهم من وردت صحبتهم بطريق الرواية عنه أو عن غيره، سواء كانت الطريقة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأي طريق كانت ـ.

ونقل عن ابن ماكولا نسبه فقال: عبدالله بن جراد بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن العامري العقيلي، له صحبة، ورواية عن النبي ﷺ.

ونقل القول بصحبته عن البخاري وابن حبان ويعقوب النسوي وابن منده، ولم يذكر له الحافظ سوى حديثٍ واحدٍ هو حديث التسمية.

وذكره ابن حبان في تاريخ الصحابة (٨١٣) وذكر أن الصحيح عنده أنه ليس له صحبة.

وذكر أنه مات سنة ١٦٤هـ، وهو غلط فما أدري منه أوْمن الطابع وهو أظهر.

وانظر: الإكمال ٢/ ١٧٤، والثقات ٣/ ٢٤٤، وتاريخ الصحابة ص ١٦٤ (٨٨٣).

وإليه يعود[١] .[٢]

وغيرُ ذلك مِنْ الأَخبار عنَ رسَولِ الله ﷺ، والأُمةِ والصَّحابةِ ما تَضِيقُ عنه هَذه الرِّسَالةِ المُختصَرةِ .

---

(١) وهذه القصة لم أجدها هكذا في محنة الإمام أحمد، وبنحوها ما رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام ص ٣٢٩-٣٣٠ بسنده إلى عبيدالله الزهري قال قال المروزي في محنة أحمد بن حنبل وهو بين الهُنبازين ـ وهو ما يشدون عليه للضرب ـ يا أستاذ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

فقال أحمد: يا مروذي اخرج انظر أي شيء ترى.

قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة، فرأيت خلقاً من الناس لا يحصى عددهم إلا الله والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم.

فقال لهم المروُّذي: أي شيء تعملون.

فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه!

قال المروُّذي: مكانكم، فدخل إلى أحمد بن حنبل وهو قائم بين الهُنبازين، فقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينظرون ما تقول فيكتبونه!

فقال: يا مروُّذي، أضل هؤلاء كلهم، أقتل نفسي، ولا أضل هؤلاء كلهم».

وأعلها الذهبي في السير ١١/ ٢٥٣-٢٥٤ بالانقطاع.

وقال ابن الجوزي عقبها: «هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال نفسه . . ، وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلُمِّحهم العواقب، فعيونُ البصائر ناظرة إلى المآل لا إلى الحال، وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه، لأنه صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُبتَلَى الرجل على حسب دينه**» فسبحان من أيده وبصره وقواه ونصره».

وانظر الجوهر المحصل ٨٦-٨٧، والقصة مطولة في طبقات الحنابلة ١/ ١٦٣ وما بعدها ولعلني أجعلها في ملحق بآخر الكتاب إن شاء الله.

. . . .

كما أسند ابن الجوزي ٣١٣-٣١٤ إلى أبي جعفر الأنباري أنه قال: «لما حُمل أحمد إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات فإذا هو جالس، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت.

فقلت: ليس في هذا عناء، وقلت له: أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليُجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك تموت ولابد من الموت، فثق بالله، ولا تجبهم إلى شيء.

فجعل أبو عبدالله يبكي ويقول: «ما شاء الله، ما شاء الله» اهـ.

وذكرها الذهبي في السير ١١/ ١٣٩، وفي مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٥١، وفي الجوهر المحصل ص ٧٠-٧١، وفي نوادر أخر من ثباته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعلى كل حال فإن خبر المحنة تفصيلاً مستفيض موجود في مظان كثيرة ككتاب المحنة للحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي، وذكر محنة الإمام أحمد لابن عمه حنبل بن إسحاق، وسيرة الإمام أحمد (محنته)، لابنه صالح، الجزء الثاني ٩٩-١٣٢، والمناقب لابن الجوزي من الباب السادس والستين ٣٠٨ ـ إلى السابع والسبعين ٣٨٧.

وترجمة أحمد من السير والمحنة في ١١/ ٢٣٢-٢٧٨، وتاريخ ابن جرير في حوادث سنة ٢١٨ وما بعدها، وكذا تاريخ ابن كثير في أول سنة ٢١٨ (١٠/ ٢٨٤-٣٥٤)، والجوهر المحصل ٦٢-١٢٣، والإبانة الكبرى (الرد على الجهمية) ٢/ ٢٤٩ وما بعدها.

(٢) لم أجده هكذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ إلا عن أنس، وإنما روي عن حبر الأمة عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] قال: غير مخلوق.

وأخرجه الآجري في الشريعة ص ٧٧، وابن بطه في الكبرى (الرد على الجهمية)

ثالثاً: الأدلة العقلية على أن القرآن كلام الله.

أما مِنْ طَريقِ الاستَدلالاتِ :

١ - وهو أنَّ البَارئَ جلَّت قُدرتُه لو جَاز وصُفهُ بِغَيرِ الكَلامِ لم نَجْد لنا في هَذه الصِّفَةِ بُدَّاً مِنْ أَحدِ قِسَمين :

(أ) إمَّا خِيفَة مِنْ الكَثرةِ في الصِّفَاتِ ،

(ب) وإمَّا خِيَفة مِنْ المُشاركةِ لنا في التَّسمِيَةِ والسِّمَاتِ .

فيجبُ على هذا أنْ يُنفى عن الله تعالى وَصفُه بالعلم والسَّمعِ والبَصرِ والحَياةِ والوُجودِ والقُدرةِ والرِّضَا والغَضب، لما في ذلك ممَّا خَاف مِنْه في وَصْفهِ بالكَلامِ الحقيقي[1] ، كما دَلَّت هذه الصِّفَاتُ التي وَصَف بها نَفْسَه ، وجاءتْ به الكُتبُ المُنَّزلَهُ ، والأنبياءُ ـ صلوات الله عليهم ـ أَوجَب نَفيهُا كَوْنُه عَدماً[2] ، وبطَلَ أنْ يكونَ إلهاً ؛ ولأنَّ

١/ ٢٨٩ (٥٦-٥٧)، واللالكائي في شرح السنة ١/ ٢١٧ (٣٥٥ و ٣٥٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩٠ (٥١٨) .

وقوام السنة في الحجة ١/ ١٤٨ من طرق عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي سماع ابن طلحة منه نظر .

وعزاه في الدرّ المنثور ٥/ ٣٢٦ إلى ابن مردويه وإلى مسند الفردوس عن أنس مرفوعاً، وانظر اللالیء المصنوعة ١/ ٦-٩ ، وتنزيه الشريعة ١/ ١٣٤ ، وفي سنده عبدالرحمن بن محمد بن علويه الأبهري وكان وضاعاً ويركب الأسانيد ترجمه في الميزان ولسانه ٣/ ٣٧٠ ، وهو في مسند الفردوس للديلمي في ٣/ ٢١٧ (٤٦٢٨) .

(١) وهو حلول الحوادث، حيث من حلت به الحوادث فهو حادث! ولله ما جره هذا التبرير من التعطيل في صفات الله وذاته!

(٢) لأن العاري عن الصفات هو المعدوم في الحقيقة .

بُطلانَ الصِّفَةِ يُؤدي إلى تَعطْيلِ المَوصُوف، وتَحقْيقِ كَذبِ الأنْبَياءِ، وبُطلانِ ما نُزِّل عليهم مِنْ الكُتبِ المُتضمِنَةِ لصِفاتِ الله تعالى.

ونعوذ بالله يا أخي مِنْ مَقَالَةٍ أدّتْ إلى هذه الضَّلالة.

دليل السبر والتقسيم

٢- ومِنْ ذلك أيضاً: أَنَّه لو كان القُرآنُ مَخلُوقاً لم يَخلُ:

(أ) إما أنْ يكون البارئُ جلَّت قُدرَتُه خَلقَه في ذَاتِهِ.

(ب) أو في ذَاتِ غَيرِهِ.

(ج) أو خَلَقَ الكَلام قائِماً بنِفَسِه.

(أ) ولا يَجوزْ أن يكَون خلقُه في نَفْسِه، لأنَّه لو كَان في نَفْسِهِ كان مَحَلاً للَحِوادث[1]، ومَنْ حلَّت الحَوادِثُ فهو مُحدثٌ.

---

(١) مصطلح كلامي، مفرده حادث، ويعني المخلوق الذي أحدثه غيرُه، أي خلقه وعند الفلاسفة والمتكلمين كما في التعريفات ص ٨١ الحدوث نوعان:

١- زماني، وهو ما يكون مسبوقاً بالعدم.
٢- مكاني، وهو المحتاج لغيره.

وانظر غاية المرام ٤٤٦ و ٢٥٦ و ٢٦١-٢٦٣.

قال شيخ الإسلام في درء التعارض ١/ ٣٧٤: «والحدوث في لغة العرب العامة ليس هو الحدوث في اصطلاح المتكلمين، فإن العرب يسمون ما تجدد حادثاً، وما تقدم على غيره قديماً؛ وإن كان بعد أن لم يكن كقوله تعالى: ﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]. .» اهـ.

وأكثر ما يستعملونه في مسألة حدوث العالم ولها في عرف الناس ثلاثة معانٍ ذكرها الشيخ في أول الدرء ١/ ١٢٥-١٢٦:

(ب) ولا يَجَوزُ أن يكونَ خَلقُه في ذَاتِ غَيرِهِ، لأنَّه لو كان ذلك لكانَ كَلاماً لذلك المُتكَلِّمِ به.

ولو جاز مِثْلُ ذلك، لجازَ أنْ يَخلُقَ الله عِلماً في غَيرِهِ يكونُ به عَالماً، وقُدرةً في غَيرِهِ يكون بها قادراً، أو سَمعاً في غَيرِهِ يكونُ به

١- معناه أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وهو المعروف عند الأنبياء وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وهو مذهب أكثر الناس غير أهل الملل والفلاسفة.

٢- أن العالم حدث من غير سبب يقتضي ذلك، لا فعل الله ولا مشيئته، لأنه يمتنع وجود حوادث لأول لها، وهو قول الجهمية والمعتزلة ومن أتبعهم بحدوث العالم من المتكلمين، وهو عندهم الحدوث الزماني، وهذا المعنى لا يوجد في كتاب من الكتب السابقة ولا في سنة ولا يُعرف عن أحد من الصحابة.

٣- ما أحدثه ملاحدة الفلاسفة كابن سينا وغيره بأن: نقول العالم محدث، أي: معلول لعلة قديمة أزلية أوجبته، فلم يزل معها، وسموه الحدوث الذاتي، وغيره الحدوث الزماني.

وهذا المعنى لا يُعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم.

وانظر: غاية المرام ص ١٦٢ و ٢٥٦-٢٥٧ و ٢٦٥ و ٢٦٨-٢٧٣ وغيرها.

وفي أبكار الأفكار ١/ ق ٧٢ المسألة الرابعة في بيان امتناع حلول الحوادث بذات الله.

وق ١٠٤ وما بعدها في أنه لا خالق إلا الله ولا مؤثر في حدوث الحوادث سواه، وفروعها.

ومعيار العلم ص ٣٢٣-٣٢٥، وتهافت الفلاسفة ص ٤٨ وما بعدها.

وللكندي موقف متوسط بين الفلاسفة والمتكلمين كما في رسائله ص ٦٢ وهو إلى الكلامية أقرب!

سَامعاً، وبَصراً في غَيرِهِ يكون به بَصِيراً، وهذا مُحَالٌ بيِّنُ الفَسادِ.

(ج) ولا يجَوزُ خَلْقُ الكَلامِ قَائِماً بنَفِسهِ، لأنَّ الكلامَ صِفَةٌ، والصِّفةُ لا تَقومُ بنِفَسها.

لم يبقَ إلا أنَّه مُتكلِّمٌ بكِلاَم حَقِيقيٍّ كالعَلمِ والقُدرةِ وغير ذِلك، مِنْ غَيرِ جَسمِ[1] وتَأْليفٍ ولا تكْيِيفٍ.

دليل التقابل

٣- ومِنْ ذلك أيضاً: أَنَّه لو جَاز نَفْيُ الكلامِ عنه لَوجبَ وَصْفُه بِضْدٍّ مِنْ أَضْدادِ الكَلامِ وهو الخَرسُ والسُّكوتُ، ولا يُوصفُ أَخرس أَو سَاكِتٌ إلاَّ مِنْ عُدِمَ مِنْه الكلامُ الحَقِيقيُّ وهو الحَرفُ والصَّوْتُ، لأَنَّ الكلامَ ما ظَهَر وبانَ، دوُن ما قام بالجَنانِ.

---

(١) مَضَى أن هذا من الألفاظ المجملة الموهمة التي لا يجوز نفيها ولا إثباتها إلا بعد الاستفصال.

ومراد المؤلف نفس الأمر في مشابهة صفات الله لصفات الأجسام، التي تتألف من أبعاض وأعضاء وجوارح.

ونفي التكييف، وهو علمنا بكيفية صفات الله وماهيتها، وحقائقها التي هي عليها في نفس الأمر.

ونفي التكييف قاعدة من قواعد توحيد الأسماء والصفات الخمس.

١- التوقيف في الأسماء والصفات عن الله وعن رسوله ﷺ
٢- إثباتها من غير تحريف.
٣- إثباتها من غير تعطيل.
٤- إثباتها من غير تمثيل.
٥- إثباتها من غير تكييف.

ووَصْفُه بِضِّد الكَلامِ يُوجب قِدَمَ تلك الصِّفةِ[١] له، وثُبوتُ قِدمِها يمنع من وجود الكلام منه الآن، وفي إجماعنا على أنَّه متكلم الآن دَليلٌ على قِدَمِ كلامه[٢]، لأنَّه إذا وُجِدَ الكَلامُ عُدِم الخَرس والسُّكوت.

إبطال الكلام النفسي في حق الخالق والمخلوق

٤- ومِنْ ذلك أيضاً: أنَّه لو كَان الكَلامُ مَعْنىً قائِماً في النفَّسِ في صِفَتنا/ وصِفَةِ الله تعالى، لكان في ذلك خَرْقُ إجْمَاعِ أَهل اللُّغة والعُلماءِ والعُقلاءِ، لأنَّ الأَخرسَ لا يُسمى مُتكلماً، وكذلك السَّاكتُ والطِّفل الصَّغير[٣].

والحَقيقُة لا يَصحُّ نَفْيُهَا، فمَنْ أَثْبتَ لِهؤَلاءِ كَلاماً، كانَ بِمَنْزِلةِ مَنْ أَثْبتَ للمِواتِ حَياةً وللحيِّ قُدرةً وفِعْلاً. [٧٤/أ]

---

(١) لأنه إذا وُصف بضد الكلام وهو الخرس أو السكوت اللذان هما عجز عن الكلام كان هذا الوصف ملازماً لله فيكون قديماً كَقِدَمِ ذاته الموصوفة به.

كما أنه سبحانه لما وصف بالكلام، كانت هذه الصفة صفة قديمة، ملازمة لذاته سبحانه وتعالى.

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة أن كلام الله سبحانه وتعالى قديم النوع، متجدد الآحاد بمعنى أن الله موصوف بالكلام أزلاً وقديماً، إلا أن كلامه سبحانه بمشيئته وإرادته، فمتى شاء تكلم، ومتى شاء لم يتكلم.

ومعنى أنه محدث في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، أي متجدد، حيث معنى الإحداث هنا التجدد، أي تكلم بهذا الذكر لما شاء ذلك وأراده.

وليس الإحداث هنا كما عند المتكلمين والفلاسفة.

(٣) وإن كانوا متكلمين بالقوة، ولكن انعدم عنهم التكلم بالفعل.

ولو كانَ الكَلامُ ما قَامَ بالنَّفسِ لبَطَلَ وصَفُ المُتكلِّمِ بالعِلْمِ والإِرَادةِ والمَحبةِ والمَشيئةِ لقيام ذلك بالنَّفسِ فَصَار الكلُّ كَلاماً، وهذا مُكابرةُ العَقْلِ ومُعاندةُ الحِسِّ.

نقض قولهم بنفي تبعُّض كلام الله أو تعدده

٥- ومِنْ ذلك أيضاً: أنَّهم يُوهِمونُ العَوامَّ بأنَّ الله كَلَّم مُوسى، فإنْ كانَ الكلامُ مَعنى قَائِماً بالنَّفسِ فهل وصَلَ إلى مُوسى البَعضُ أو الكُلُّ؟

(أ) فإنْ قالوا: وصَلَ إليه الكُلُّ فقد شارك الباريءَ في عِلْمهِ على الكَمالِ.

(ب) وإنْ قالوا أَسَمعُه البَعضَ، أو وصَل إليه البَعضُ فقد خَالفُوا أُصولَهم: أنَّ كَلامَ اللهِ لا يتَبعضُ ولا يتعددُ عندهم.

٦- ومِنْ ذلك: أنَّ المجُتهَدين في مَعرِفَة البَاريءَ مِنْ غَيرِ طَريقِ النُّبواتِ(١) اختلفوا:

(١) أي طريق الأنبياء، وما جاء عنهم من كتب الله المتضمنة توحيده ودينه وحكمه.

والطريقة المشهورة عند المتكلمين تقسيمهم مباحث العقيدة إلى:

١- الإلهيات: وهي ما يتعلق بذات الإله إثباتاً ونفياً، ووجوباً وجوازاً، أو امتناعاً.

٢- السمعيات: وهي ما يتعلق بالآخرة والقبر مما لا مجال للعقل في إنشائه.

٣- النبوات: وعندهم هي فرع عن السمعيات.

ولم يبق إلا الشرعيات وهي الأحكام الشرعية التفصيلية التعبدية كالصلاة.

وانظر: المواقف للإيجي وشروحه وحواشيه.

(أ) فمِنْهم مَنْ قال بالأَصلين: النُّور والظُّلمة[١].

(ب) ومِنْهم مَنْ قال: الفَلَكُ هو الصَّانعُ للمِوجُودات[٢].

---

(١) هم الثنوية من المجوس قال شيخ الإسلام في الدرء ٩/ ٣٦: «وأما المجوس الثنوية فهم أشد الناس قولاً بالإلهين، لكن القوم متفقون على أن الإله الخير المحمود هو النور الفاعل للخيرات، وأما الظلمة التي هي فاعل الشرور فلهم فيها قولان: أنه محدث أحدث عن فكرة ردئية من النور.

والقول الآخر: أن الظلمة قديمة كالنور.

فهؤلاء أثبتوا قديمين، لكن لم يجعلوهما متماثلين ولا مشتركين في الفعل، بل يمدحون أحدهما ويذمون الآخر» اهـ.

وبنحوه في ٩/ ٢٥٧ و ٢٦٠، واقتصاء الصراط المستقيم ١/ ١٤٣، ومنهاج السنة ٣/ ٤٥٣، وهم فرق: الكيومرثية، والرزادشتية، والمانوية، والمزدكية، والديصائية، والمرقونية، وبعضهم زاد خامسة هم التناسخية، وبالجملة فهم فرق كثيرة.

وانظر: الملل والنحل ٢٤٥ وما بعدها، والاعتقادات للرازي ١٢١ وما بعدها، والتنبيه للملطي ٢٢ وص ٩٠ وما بعدها، والتبصير ١٣٥، والفرق بين الفرق ٢٠١، والفرق المفترقة ١٠٢، والمنيه والأمل ٦٠ وما بعدها، ومروج الذهب ١/ ٢٥٠ وما بعدها، والبرهان ٩٠، والفهرست لابن النديم ٣٩١ و ٤٠٢ وما بعدها، واغاثة اللهفان ٢/ ٣٥٤.

(٢) هو قول الصابئة أصحاب الهياكل ومن تأثر بهم، الذين قالوا إن مصدر العالم هو الفلك بما فيه من الكواكب السبعة والنجوم وأنها هي مدبرته، ولهذا يتوجهون إليها بالعبادات القلبية والعملية، ويبنون لها الهياكل.

وكانوا قديماً بحران، ولذا ربما سموا بالصابئة الحرانيين، وكانت لهم دولة ومَدْنيّة ويسمى ملكهم بالنمرود كما أن كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم.

(ج) ومِنهْم مَنْ قال: طبيعةٌ في جَميع المَوجُودات[1].

فهو علم جنس لا عَلُم ذات، وفيهم بعث خليل الرحمن صلىّ الله عليه وعلى نبينا وآلهما وسلم، ويطلق الصابئة أيضاً على الحنفاء المؤمنين بجامع الأصل اللغوي في أن الصابئي هو من خالف أو خرج ومال من دين إلى دين.

والحنفاء هم الذين امتدحهم الله في القرآن في آية البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

وكذا في سورة آية المائدة والحج، وتأثر بهم الفلاسفة اليونانيون فظنوا أن الحوادث كلها سببها حركة الأفلاك.

وانظر: تفسير القرطبي ١/ ٣٧٠، والرد على المنطقيين ٢٨٧ و ٤٥٤ وما بعدهما، ودرء التعارض ٧/ ١٤٤ و ٣٣٤، والرد على المنطقيين ٢٦٩، والملل والنحل ٢٥٨-٣١١ وفيه عقد مناظرة طويلة بين الصابئة والحنفاء.

والاعتقادات للرازي ١٢٥، والفهرست ٣٩٣-٣٩١، ومروج الذهب ١/ ٢٢٣، والمنيه والأمل ٦٧، والتبصير للاسفرائيي ١٤٩ وما بعدها، والبرهان للسكسكي ٩٢، وإغاثة اللهفان ٢/ ٣٥٩-٣٦٦، والخطط للمقريزي ٢/ ٣٤٤.

وانظر: اللسان مادة (صبا) والقاموس وشرحه.

(١) هو خلاصة قول الدهرية الطبعية أو الطبائعية الذين عطلوا المخلوقات عن خالقها، حيث زعموا أن العالم بما فيه لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع وهم منكرون للنبوات والبعث والحساب، بل وللخالق جلا وعلا.

ومنهم مشركو العرب الذين قال الله عنهم في سورة الجاثية: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقد صارت ديناً صريحاً في عهد يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧م)، وهم فرقتان:

(د) ومِنْهم مَنْ يَقول: قوةٌ فَاضَ عنها العَقلُ، وفَاضَ عن العَقْلِ النَّفسُ، وعن النَّفسِ الفَلَكُ عَالمُ الكَونِ والفَسادِ(١).

١- فرقة زعموا أن الخالق لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته.

٢- وفرقة زعموا أن الأشياء ليس لها أول أبداً، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، وبهذا تتكون الأشياء.

ومقالة الدهرية داخلت بعض الطوائف بنسب شتى، ولهذا يعبر عنهم شيخ الإسلام بالدهرية الإلهية والدهرية الطبيعية والدهرية المعطلة، والمحضة والملحدين، والفلاسفة، كما في الدَّرْءِ ٥/ ٤، ٩ و ٩/ ٢٥٥، والسبعينية ٤٣٠، والمجموع ١٨/ ٢٢٥، وتفسير الرازي ٢٧/ ٢٣١، والقرطبي ١٦/ ١٧٠.

وانظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٣٦٦-٣٦٨، والفِصَل ١/ ٩، والمنقذ من الضلال للغزالي، والموسوعة الفلسفية ١٨٣، والملل والنحل ٤٩٠، ونونية القحطاني ٢٧-٣٠، والبرهان ص ٨٨، وتفسير الرازي ٢٧/ ٢٣١-٢٣٣.

وقال: فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة.

(١) هو قول الفلاسفة- ومضى في أول الكتاب (٢٣٦)- ذكر القائلين بقدم العالم.

قال ابن القيم في الإغاثة ٢/ ٢٧٤ مفرقاً بين الفلاسفة وأرسطو: «وقول هؤلاء الملاحدة أصبح من قول معلمهم الأول أرسطو، فإن هؤلاء أثبتوا وجوداً واجباً ممكناً، هو معلول له وصادر عنه صدور المعلول عن العلة، وأما أرسطو فلم يثبته إلا من جهة كونه مبدءاً للكثرة وعلة غائية لحركة الفلك فقط» اهـ.

وانظر: الصفدية ١/ ٨-٩، والدرء ٥/ ٨٢-٣٨٤-٣٨٦، وانظر: تهافت الفلاسفة ٨٩-١٠٩.

***

(هـ) ومنِهْم مَنْ قال: ما ثَمَّ شَيْءٌ غَيرُ ما نحن فيه مِنْ الوُجودِ والأَشْياءُ وُجِدتْ اتِّفاقاً[١].

فلمَّا جَاءت النُّبواتُ برِسَالةِ خَالقِ الأَرضِ والسَّمَواتِ ومُكَوِّنِ المَوجُوداتِ، أُثبتَ له الأَسْماءُ والصِّفاتُ، وأَخبَروا عنه أنَّه كَلَّمهم وأَرَسَلهم، وأنَّهم كَلمُوه، وجَاوبهم، وأنَّه سَيراه أَهلُ الطَّاعةِ في دَارِ الثَّواب ويكُلُّمهم[٢]، فإذا هَتَفَتْ هَواتفُ الطِّباع بالمِشَيئةِ[٣] والتكَيِّيف، كان الدَّواءُ مِنْ المِعْدَن الذي جَاء مِنْه الدَّاء، فالذي سمَّى نَفْسَه سَمِيعاً بَصيراً حَيَّاً مُتكلماً/ هو الله، لا يَعْلَم أَحدٌ كَيْفِيَّتَهُ إلاَّ هو، لا يُعِبرُ عنه اللِّسانُ ولا يَجري في نَشِره البَيانُ، له القُدَرةُ والمشَيئةُ في خَلقِه،

إنقداح التشبيه ودواؤه

[٧٤/ب]

---

(١) هذا قول القائلين بالصدفة، وهم فرع من الدهرية، يتمثل في الفرقة الثانية منهم، بأن الموجودات تخرج من القوة إلى الفعل إتفاقاً من ذاتها.

قال شيخ الإسلام في الدرء ٩/ ٣٣٢: «وأما مثال الدهرية في هذا، الذين جحدوا الصانع سبحانه وتعالى فمثال من أحسن مصنوعاته فلم يعرف أنها مصنوعات، بل ينسب ما رأى فيها من الصنعة إلى الاتفاق والأمر الذي يحدث من ذاته» اهـ. وانظره أيضاً: في ٨/ ١٠٦.

وهؤلاء معنيون بقوله تعالى في سورة الطور: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] في أحد قولي المفسرين.

وانظر: مفاتح الغيب ٢٨/ ٢٢٤.

(٢) سيأتي بيان الأدلة على رؤية الله يوم القيامة في باب مستقل، وتكليمه للناس سبق الاستدلال له.

(٣) هكذا في الأصل، والأظهر (بالتشبيه)، كما يدل عليه سياق الكلام.

سميعٌ بَصير عَلِيمٌ حَكيمٌ حَفْيِظٌ رَقيبٌ، وكُلُّ ما وَصَف به نَفْسَه في كِتَابِهِ وجَميعُ أسمائِهِ وصِفَاتِهِ حَقٌّ الإيمانُ به وَاجِبٌ، والكَلامُ فيه بدعَةٌ مِثلُ قَوْلِه: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾. [الزمر: ٦٧]

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. [المائدة: ٦٤]

وقَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. [طه: ٥]

وقَوْلِهِ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. [الفجر: ٢٢]

وما أشْبَه ذلك، ففي القُرآنِ مِثلُ ذَلِكَ كثيرٌ.

جُمل من السنة في أحاديث الصفات

وكذلك الإيمَانُ وَاجِبٌ بِمُجْمَلِ الأَحاديثِ التي رُويتْ عن رَسولِ الله ﷺ وإقرارها كما جَاءت بلا كَيفٍ، مِثْل حَديثِ الإسْراءِ حَيثُ قال ﷺ: «رأَيْت رَبِّي في أَحسنِ صّورةٍ»(١)، و «قُلوبُ العِبادِ هي بَين

---

(١) هذا الحديث - ليس حديث الإسراء - وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم:

١- معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث المنام الطويل - والحديث قطعه منه - وأوله احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله سريعاً فثوب بالصلاة، وصلى وتجوز في صلاته فلما سلّم قال: «كما أنتم على مصامكم» ثم أقبل علينا فقال: «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورةٍ.

فقال يا محمد: أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى. . » الحديث، وفيه: «فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري أو بين ثديي، وتجلى لي كل شيء».

الحديث أخرجه الترمذي في جامعه عن معاذ في التفسير، تفسير سورة (ص)

. . . .

رقم (٣٢٣٥).

وقال: «هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل - هو البخاري - عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال: هذا أصح من حديث عبدالرحمن بن عائش الحضرمي».

وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٣ بسنده عن ابن عائش الحضرمي عن مالك بن يخامر، عن معاذ به مثله.

وهذه الطريق تبين مخرج الحديث عن عبدالرحمن بن عائش الذي لم تثبت صحبته، وسيأتي أنه رواه عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ١٠٩ (٢١٦) و (٢٩٠) من ثلاثة طرق عنه به. وكتاب الدعاء (١٤١٤) و (١٤١٥) من طريقين عنه.

وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٥٤٠ (٣٢٠).

والحاكم في المستدرك ١/ ٥٢١ وسكت عليه هو والذهبي.

والنجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق (٧٠)، وابن منده في (الرد على الجهمية) ص ٩١، كلهم عن طريق معاذ بن جبل.

والحديث عن معاذ هو المحفوظ الذي صححه بعض الأئمة، وانظر العلل للدارقطني ٦/ ٥٦ وما بعدها، والعلل الكبير للترمذي ٢/ ٨٩٥، والهدى لابن القيم ٥/ ٣٧، وشرح ابن رجب للحديث في اختيار الأَوْلَى وذكر من صححه وعلل طرقه، والحافظ في الإصابة ٤/ ١٦٥ في ترجمة عبدالرحمن ابن عائش حيث أطال الكلام فيه على روايته وصحبته، وكذا في التهذيب ٦/ ٢٠٥.

٢- حديث عبدالله بن عباس رواه بلفظ مقارب لحديث معاذ وفيه: **«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة»** الحديث.

. . . .

رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٢٣٣) و (٣٢٣٤) من طريقين عنه، وقال في الثانية: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن معاذ ابن جبل وعبدالرحمن بن عائش عن النبي ﷺ.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٦٨ من طريق أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس، و١/ ٢٥٨ و ٢٩٠.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨) و (٤٣٣) و (٤٦٩).

وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٥٤٠ (٣٢٠).

وأخرجه محمد بن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ص ١٨ و ٣٣.

وأخرجه الآجري في الشريعة ص ٤٩٦ من طريقين.

وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٤٢٠).

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٧٤.

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٤ من طريق أحمد في المسند وقال عقبه: «رواه أحمد بإسناد حسن» اهـ.

وقال الحافظ في نتائج الأفكار: هذا حديث حسن لكنَّه معلول.

وأخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» كما في ظلال الجنة (٤٣٣)، وروى عن أبي زرعة الرازي قوله: «حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس صحيح ولا ينكره إلا معتزلي».

وحديث ابن عباس هذا عند جماعة من المحققين فيه اضطراب واختلاف في سنده، نص عليه ابن خزيمة في التوحيد، والمروزي في مختصر قيام الليل، والدارقطني، وابن عدي ٦/ ٢٠٥ من الكامل، وفي مجمع الزوائد ١/ ٢٣٧ و ٧/ ١٧٦-١٧٩، ويشهد له حديث معاذ والحمد لله.

. . . .

٣- حديث عبدالرحمن بن عائش الحضرمي وقد رواه مرة مرفوعاً ومرة عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

(أ) فالمرفوع إلى النبي ﷺ أخرجه جماعة منهم:

الدارمي في سننه ٢/ ١٧٠ (٢١٤٩) في الرؤيا ـ باب رؤية الله تعالى في المقام.

وابن أبي عاصم في السنة من طريقين عنه (٤٦٧) و (٤٦٨) بلفظ: «**رأيت ربي في أحسن صورة**».

وأخرجه الترمذي في العلل ٢/ ٨٩٢.

وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد/ ٥٣٦-٥٣٨ (٣١٨).

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٢٠ وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه الدارقطني في كتابه الرؤيا ١٣٩-١٤٠.

وأخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة ٣/ ٥١٤ (٩٠١ و ٩٠٢) من طريقين.

وأخرجه الآجري في الشريعة ص ٤٩٧.

وأخرجه البغوي في شرح السنة ٤/ ٣٥.

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣١.

وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ص ٩٠ (٧٥).

وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٧/ ٢٤٧.

وقال ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٥٣٧: «في سماع عبدالرحمن من النبي ﷺ وهم» اهـ، ونص عليه غير واحد من العلماء.

(ب) عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه خرج ذات غداة فقال وهو طيب النفس مشرق اللون: «**قال: وأتاني ربي عز وجل في أحسن صورة**» وفي بعضها: «**رأيت ربي**

. . . .

عز وجل في أحسن صورة» .

رواه أحمد في المسند ٤/ ٦٦ بسنده عن ابن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وهو حديث الرؤيا الطويل، وكذا في ٥/ ١٧٨ .

وعبدالله بن أحمد في السنة ٢/ ٤٨٩ (١١٢١) .

وابن منده في الرد على الجهمية ٩٠ (٧٤) .

وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٢ .

وفي هذه الطرق مرة يرويهِ ابن عائش مرفوعاً - وهو وهم - ومرة عن بعض أصحاب النبي ﷺ ولم يصرح من هم؟ وطرقها معلولة .

ومرة ثالثة يرويه عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل، وهي التي صححها الأئمة : البخاري وأحمد والترمذي وغيرهم، وهي سالمة من القوادح .

* وللحديث شواهد كثيرة حيث قال ابن منده في الرد على الجهمية ص ٩١ :

«وروى هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ، ونقله عنهم أئمة البلاد من أهل الشرق والغرب» اهـ.

ومن هذه الشواهد :

١- عن جابر بن سمرة مرفوعاً : «**إن الله تجلى لي في أحسن صورة**» رواه ابن أبي عاصم في السنن (٤٦٥) بسند جيد .

٢- عن ثوبان مولى النبي ﷺ مرفوعاً رواه ابن أبي عاصم (٤٧٠) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٣)، والبغوي في شرح السنة ٤/ ٣٨ (٩٢٥)، والبزّار كما في المجمع ٧/ ١٧٦ .

٣- عن أبي هريرة مرفوعاً عن الطبراني في الدعاء (١٤٢١)، وابن منده في الرد على الجهمية (٧٢) وسند الطبراني فيه متروك .

. . . .

٤- عن أبي رافع مولى النبي ﷺ عند الطبراني في الكبير ١/ ٣١٧ (٩٣٨)، وقال في المجمع ١/ ٢٣٧: «فيه عبدالله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه ولم أر من ترجمهما» اهـ.

٥- عن أم الطفيل زوجة أُبي بن كعب عند ابن أبي عاصم في السنة (٤٧١) بسند ضعيف، وفي العلل المتناهية ١/ ١٢٩، وفي تاريخ بغداد ١٣/ ٣١١، ومتنهما فيه منكر.

٦- عن أبي أمامة عند ابن أبي عاصم (٤٦٦) وفيه ليث بن أبي سليم وفيه ضعف.

٧- عن أبي عبيدة عامر بن الجراح عند الخطيب في تاريخه ٨/ ١٥١ من طريقين، وفي العلل المتناهية ١/ ٣٠.

٨- عن أنس بن مالك في العلل المتناهية ١/ ٣١.

وقال في الدر المنثور ٥/ ٣٢٠: «أخرجه أبو بكر في الزيادات ـ ونقله عنه في الإصابة ٢/ ١٦٦، والطبراني في السنة، والشيرازي في الألقاب، وابن مردويه» اهـ.

وأحاديث رؤية النبي ﷺ ربه على أنواع:

١- أحاديث ورد إثباتها مطلقاً عن ابن عباس وأبي ذر وكعب الأحبار.

٢- أحاديث وردت في رؤيته ﷺ لربه عن عائشة وابن مسعود وأبي هريرة.

٣- ونوع ثالث بإثبات رؤياه القلبية لربه لا بعيني رأسه كما في حديث أبي هريرة وابن عباس وأبي ذر وأم الطفيل ومعاذ بن جبل.

وقد بسط الكلام فيها ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٧٧-٥٤٧، وفي تفسير الطبري ٧/ ٢٩٩-٣٠٤ و ٢٧/ ٤٤-٥٢، وشيخ الإسلام في الفتاوى ٦/ ٥٠٧-٥١٢ و ٣/ ٣٨٦ و ٥/ ٨٩ وما بعدها، وحادي الأروح ٢٨، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٩-٢٥٣، والميزان للذهبي ٢/ ٥٧١، ولوامع الأنوار ٢/ ٢٥٠-٢٥٦، وسيأتي إن شاء الله في باب الرؤية للنبي ﷺ تخريج أحاديث عائشة وأبي ذر.

إصبَعين[١] مِنْ أَصابع الرَّحمٰنِ يُقلِبُها كيف شَاء، ويُودِعُها ما أَراد، إنْ شَاء أقامهَا وإنْ شَاء أَزاغَهَا»[٢]، . . . .

وأختم البحث بعبارة شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «قد تدبرنا عامة ما صنفه المسلمون في هذه المسألة، وما تلقوه فيها قريباً من مائة مصنف، فلم أجد أحداً يروي بإسناد ثابت ولا صحيح ولا عن صاحب، ولا عن إمام أنه رآه بعيني رأسه. فالواجب إثبات ما كان عليه السلف والأئمة، وهو إثبات مطلق الرؤية، أو رؤية مقيدة بالفوائد. . ولم يثبت عن الإمام أحمد التصريح بأنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه» اهـ، ملخصاً.

(١) إصبع فيها عشر لغات، لأنها مثلثة الهمزة، ومع كل حركة تثلث الباء، والعاشرة أصبوع بضم الهمزة. اهـ، من القاموس وشرحه مادة (صبع).

(٢) رواه بلفظ مقارب الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً بلفظ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**».

ثم قال ﷺ: «**اللهم مُصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**».

ونصف الحديث الآخر أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٨٢، ثناء الوليد بن مسلم، سمعت ابن جابر، سمعت بشر بن عبيد، سمعت أبا إدريس الخولاني، ثنى النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، وكان رسولُ الله يقول: يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك، قال: والميزان بيد الرحمن، يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة**» اهـ.

أخرجه في كتاب القدر ـ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (٢٦٥٤).

وأخرجه بمثل أحمد ابنُ ماجه في سننه رقم ١٩٩ وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح. وانظر: تحفة الأشراف (١١٧١٥).

«وخَلقَ آدمَ على صُورَتهِ»(١)، و «يَنَّزلُ الله تعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى سَماءِ

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم ٢١٩ به، وذكر أحد عشر طريقاً (٢٢٠-٢٢٩).

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٨٩ وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وأخرجه في موضع آخر ١/ ٥٢٥، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وأخرجه الآجري في الشريعة ٢/ ٢٨٩ من تسعة أوجه.

والحديث مخرج في كثير من كتب السنة:

كالرد على المريسي لعثمان الدارمي ص ٤١٧.

وفي تفسير ابن جرير الطبري ٦/ ٢١٧ (طبعة شاكر).

وعند ابن خزيمة في التوحيد رقم ١٠٨.

وعند ابن منده في التوحيد (١٢٠)، وفي الرد على الجهمية له (٦٨).

وعند البيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩) و (٧٤١).

(١) هذا حديث الصورة المشهور وهو مخرج في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه وتمامه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب إلى أولئك ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم! فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوا ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن»**.

حيث أخرجه البخاري في أول كتابه الاستئذان في باب بدء السلام برقم (٥٨٧٣).

ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب يدخل الجنة أقوام.. (٢٨٤١).

وللشيخ ابن تيمية بحث مطول على هذا الحديث ودلالاته، في المجلد الثاني من

الدُّنَيا»[١]، و «يَنْزِلْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِفَصل القَضَاءِ»[٢]، و «يَنْزِلُ مع كُلِّ

كتابه بيان تلبيس الجهمية، ورجح فيه رواية ابن خزيمة وغيره «خلق الله آدم على صورة الرحمن».

والصورة ثابتة لله على الحقيقة اللائقة به سبحانه كما في الصحيح «رأيت ربي في أحسن صورة»، وحديث أبي سعيد الآتي في الحديث بعده.

وإثبات الصورة لله لا يستلزم منها تشبيهه بصورة المخلوق، وإنما نثبت الصورة لله على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، من غير تصور للتشبيه أو التمثيل، حيث لله صورة وسمع وبصر ووجه ويد وقدم.. كل ذلك لائق به مع قطع المماثلة، ولخلقه صورة وصفات لائقة بهم.

مع أنه لا يمكن تصور مماثلة أو مشابهة بين صور وصفات خلقه بعضهم مع بعض، فكيف مع صورة وصفات خالقهم سبحانه وتعالى، هذا من باب أوجب.

(١) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، فمن يستغفرني فأغفر له**».

أخرجه البخاري في كتاب التهجد متصلاً ـ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١٠٩٤)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في الداء والذكر في آخر الليل (٧٥٨)، وقد شرح الحديث ورد على نفاته شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حافل اسمه شرح حديث النزول.

(٢) الحديث أخرجه الآجري في الشريعة ٢٦٤ بسنده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: إن الله عز وجل يجمع الأمم فينزل عز وجل من عرشه إلى كرسيه، وكرسيه وسع السموات والأرض، فيقول: أترضون أن تتولى كل أمة ما تولوا في الدنيا.. الحديث بطوله في اتِّباع كل أمة ما كانت تعبد.

. . . .

وأخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ١٨٠ (١٠٣٨٦) بسنده من طريق الفضل بن موسى ثنا عبدالأعلى بن أبي المساور به مختصراً على الجملة الأولى إلى قوله «وسع السموات والأرض».

قال في المجمع ١٠/ ٣٤٤: «وفيه عبدالأعلى بن أبي المساور وهو متروك» اهـ، وكذا حكم عليه في التقريب، وزاد: كذبه ابن معين، مات سعد ١٦٠هـ.

والحديث لم أجده في مظنته من كتاب النزول للدارقطني؛ إذ كله عن النزول في ثلث الليل الآخر.

والحديث أصله في الصحيحين بطوله من غير ذكر النزول، بل بذكر الإتيان من حديثي أبي سعيد الطويل وأبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب التفسير ـ باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة (٤٣٠٥)، وفي التوحيد أيضاً (٧٠٠١)، وفي الرقاق، وأخرجه مسلم في الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣).

واللفظ المشهور في الصحيحين لفظ المجيء والإتيان من ربنا سبحانه وتعالى لفصل القضاء في حديث أبي سعيد الطويل في أمر المحشر وفيه: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعه. . .**» الحديث.

* ومن أنواع النزول الذي جاءت به السنة، نزول الله سبحانه وتعالى عشية عرفة.

فعن أم سلمة مرفوعاً: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا يباهي بأهل عرفة الملائكة ويقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً**».

رواه اللالكائي في شرح أصول السنة ٣/ ٤٥٠ (٧٦٧ و ٧٦٨) من طريقين.

قَطْرَةٍ مَلَكٌ مِنْ السَّمَاء حتى يَضعَها حَيْث يُؤمر»(١)، و «السَّمَوٰاتُ

ورواه الدارمي في الرد على الجهمية ٢٨٧ من طريق آخر عن جابر مرفوعاً بلفظ: **«إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا يباهي بأهل عرفة الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق»**.

وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٦٣، وابن حبان كما في صحيحه ٩/ ١٦٤ (٣٨٥٣).

وكما في الموارد ص ٢٤٨، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٤/ ٦٩ (٢٠٩٠)، والبزار كما في كشف الأستار ٢/ ٢٨ (١١٢٨)، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ١١٤ من طرق، وابن عبدالبر في التمهيد ١١/ ١٢٠، واللالكائي ٣/ ٤٣٩، والبغوي في شرح السنة ٧/ ١٥٩ كلهم من طرق عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله به.

وأصله في صحيح مسلم عن عائشة بلفظ: **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء»**.

رواه في فضل الحج والعمرة (١٣٤٨)، وهو عند ابن ماجه (٣٠١٤)، والنسائي ٥/ ٢٥١، وعند ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٥٩.

وفيه نزوله ليلة النصف من شعبان بأحاديث ضعيفة ذكرها اللالكائي.

(١) ١- أخرجه بنحوه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة ٤/ ١٢٧٤ (٧٦١) بسنده إلى هشيم عن إسماعيل عن الحسن البصري على قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، قال: «ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله عز وجل يصرفه حيث يشاء، وربما كان ذلك في البحر ينزل مع المطر كذا وكذا من الملائكة فيكتبون حيث يقع ذلك المطر، وما يخرج منه مع كل قطرة» اهـ.

وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٤ عند تفسير آية البقرة: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

. . . .

ولكن علته هشيم بن بشير السلمي أبومعاوية الواسطي ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي. مات ١٨٣ هـ، وروى له الجماعة، وعده الحافظ في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين ص ١٥، وهم الذين لم يحتج الأئمة إلا بما صرحوا فيه بالسماع، وهو عل كل حال من مراسيل الحسن إن صح رفعه!

٢- وأخرجه ابن جرير في تفسيره لآية: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] ١٤/ ٢٦ بسنده إلى الحكم بن عتيبة وفيه: «قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع».

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣/ ٩٦٨ (٤٩٣) من طريقه عنه.

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٩٥ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ولأبي الشيخ في العظمة. اهـ.

ولكن فيه هشيم بن بشير ومضى الكلام فيه، وهو أيضاً على تقدير رفعه مرسلاً!

وابن جرير أخرجه قبله بنحوه عن ابن مسعود موقوفاً من طريقين.

٣- وأخرج ابن عدي في الكامل ٣/ ١٤٤ في ترجمة روح بن جناح الشامي بسنده من طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «في السماء الدنيا بيت يقال له البيت المعمور حيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان، فيدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه الغمسة ثم يخرج فينفض انتفاضة فتخرّ عنه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيطوفون فيه» الحديث.

وأخرجه العقيلي في الضعفاء ١/ ٥٩-٦٠ في ترجمة روح بسنده بنحو سياق ابن عدي وقال عقبة، لا يحفظ حديث الزهري إلا عن روح بن جناح، وفيه رواية من غير هذا الوجه بإسناد صالح وذكر البيت المعمور. اهـ.

وأخرجه في الموضوعات ١/ ٩٨-٩٩ من طريقين الأول عن العقيلي، والثاني عن

والأَرَضُون يَوْمَ القِيَامَةِ في كَفِّهِ وقَبْضَتِه»(١)، و «يَضُع قَدَمَه في جَهَّنَمَ

أبي إسماعيل الهروي كلاهما من طريق روح به عن أبي هريرة.

وقال عقبه: «هذا حديث لا يتهم به إلا روح بن جناح فإنه يعرف به ولم يتابع عليه أحد» اهـ.

وقال ابن حبان في روح: «يروي عن الثقة ما إذاسمعه من ليس بمتبحر في هذه الصناعة، شهد بالوضع» اهـ.

وقال عبدالغني المقدسي: «هذا حديث منكر بهذا الإسناد وليس له أصل عن الزهري» اهـ.

وروح عند الحافظ في التقريب ضعيف من السابعة، ومع هذا وثقه دحيم، وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به.

وانظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٥، وتنزيه الشريعة ١/ ١٩٤، والفوائد المجموعة (١٣١٧) ص ٤٠٢، واللالىء المصنوعة ١/ ٩١-٩٢، وفيه ذكر له شاهداً عن أبي سعيد، ومرسلين عن قتادة ويزيد بن هارون من طرق عند أبي الشيخ في العظمة.

فلعل الحديث بمجموع الطرق: المرفوع والموقوف والمراسيل يكون معتبراً، والله أعلم، ومناسبة هذا الحديث: أنه لو كان نزول الله إنزال للملك لصُرَّح به كما هنا.

(١) لأن الله يقول في آية الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

حيث أخرج الشيخان في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض**».

أخرجه البخاري متصلاً في صحيحه في مواضع: في كتاب التفسير ـ على آية الزمر (٤٥٣٤)، وفي كتاب الرقاق (٦١٥٤)، وفي كتاب التوحيد (٦٩٤٧).

فُتزوى»[١]، و «يُخرِجُ قوماً مِنْ النَّارِ بِيَده»[٢]. وما أَشبه هذهِ الأَحاديثَ

وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٧).

ومضى في حديث: «رأيت ربي في أحسن صورة» إثبات صفة الكف لله تعالى على ما يليق به.

(١) الحديث أيضاً متفق عليه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً ولفظه:

«لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض».

أخرجه البخاري موصولاً في كتاب الإيمان والنذور ـ باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (٦٢٨٤)، وفي التفسير (٤٥٦٩) وفيه:

«فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض» ومثله في التوحيد (٧٠١١).

وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٨).

(٢) الحديث أيضاً ورد في الصحيحين ضمن حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في رؤية الله يوم القيامة والصراط والخروج من النار وفيه:

«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة..» الحديث.

رواه البخاري في صحيحه متصلاً في كتاب التوحيد ـ باب قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] (٧٠٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣).

وبنحوه حديث أبي هريرة عندهما: عند البخاري في ذلك الموضع (٧٠٠٠)،

الصِّحاحَ كُلَّها بِغَيْرِها كما جَاءت بلا كَيفٍ لأنَّها جاءت مُقفلةً[(١)] ومَفاتِيحهُا مَعَ رسَولِ الله ﷺ.

وُروِيَ عَن أَميرِ المُؤمِنين عليٍّ بنِ أَبي طَالبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: نَهانا الله تعالى ذِكُره عن تَفْسِيرِ مُتَشابهِ القُرْآنِ، وعن تَفْسيرِ بَعْضِ الأَحاديثِ المَروِّية عن رسَولِ الله ﷺ التي سَبيلُها كَسبيلِ مُتشابهِ القُرآنِ، وأَمرنَا بالإِيمانِ بُجملتِها، والإِمَساكِ عن تَفْسيرِها لِقَوْلِه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ

ومسلم أيضاً ورقمه (١٨٢).

وثبوت صفة اليد لله مقطوع به في القرآن في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وفي قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥].

وفي السنة في أحاديث كثيرة منها:

حديث أبي هريرة في الصحيحين مرفوعاً: «**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاءُ الليل**».

وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع**».

رواه البخاري في التفسير بقوله «كان عرشه على الماء» (٤٤٠٧)، وفي مواضع كالتوحيد (٧٠٥٧) و (٦٩٧٦) و (٦٩٨٣)، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة ـ باب الحث على النفقة (٩٩٣).

(١) أي مقفلة الحقيقة والكيفية والماهية التي تؤول إليها، أما ما معناها فمعلوم معروف من اللغة العربية التي نزل بها الخطاب، بدليل قوله قبله: نمرها كما جاءت بلا كيف!

وهذا الذي انعقد عليه اتفاق أهل السنة والجماعة بجهلنا بكيفيّة الصفات مع علمنا بمعناها ومدلولها.

أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١) (٢). [آل عمران: ٧]

---

(١) هنا بلغ العرض.

(٢) الخبر في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ثم قال: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم**».

أخرجه البخاري في الصحيح متصلاً في كتاب التفسير ـ باب منه آيات محكمات (٤٢٧٣).

ومسلم في كتاب العلم ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٦٦٥).

وعند أحمد في المسند ٦/ ٤٨، وأبي داود في السنة (٤٥٩٨)، والترمذي (٢٩٩٣ و ٢٨٨٤)، وابن ماجه (٤٧): قالها ثلاث مرات.

ولم أجده مروياً عن علي رضي الله عنه هكذا. وإنما روى الآجري في الشريعة ص ٧٤ أن علياً رضي الله عنه قال يوماً: سلوني! فقام ابن الكواء فقال ما السواد الذي في القمر؟ فقال: قاتلك الله، سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً، ألا سألت عن شيء ينفعُك في أمر دينك، أو أمر آخرتك، ثم قال: ذاك محو الليل.

وفي الباب آثار نحوها عن أبي هريرة وابن مسعود وسعد وغيرهم رضي الله عنهم في التحذير من ذلك، كما في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ١/ ٣٩٠ ـ باب ترك السؤال عما لا يعني، وفي الشريعة ص ٧٢ باب تحذير النبي أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن وعقوبة الإمام لمن يجادل، وفي ذم الكلام وأهله للهروي في باب تعظيم المصطفى الجدال في القرآن، ونهيه عنه ١/ ق (٧٣-٨٨)، وفيه ذكر خبر عائشة بطرقه، وعن ابن عباس وأبي أمامة وأُبي بن كعب، وفي باب شدة كراهية المصطفى

طرف مما ورد عن الأئمة في منهج نصوص الطبقات وذم البدع

وقال جَعْفَرُ بنُ مُحمَّدٍ الصَّادِقُ[1] عليه السَّلام: «الإِيمانُ علينا وَاجِبٌ بِجَميعِ ما في القُرآنِ، والتَّصديقِ به، وليس مِنْ دِينِنَا ولا عَلينا تَفْسِيُر مْتشابهِ القُرآنِ، لا يَسألُنا الله عنه تعالى ذِكُره، وقد وَضَعَ الله عنَّا عِلْمَه ومَعِرفَتُه وتَفْسِيُره، لأنَّ عِلمَه عند اللهِ عزَّ وجلَّ وعند رسَولهِ ﷺ،

وخيار أمته التعمق في الدين ١/ ق (١٧١-١٩٩).

وبالمناسبة فإن المتشابه هنا في باب الصفات هو حقائقها وكيفياتها وهي التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

أما معانيها ومدلولاتها في العربية فهي معروفة مفهومة لدى العلماء، وإن كان بعض أفرادها قد يكون من المتشابه الخاص ليس إلا.

(١) هو الإمام جعفربن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي ابن أبي طالب، ابن بنت رسول الله، وجده من جهة أخواله أبو بكر الصديق رضي الله عن الآل والأصحاب، ولد سنة ٨٠هـ ـ وتوفي سنة ١٤٨هـ عن ٦٨ سنة بالمدينة، وهو ثقة لا يُسأل عن مثله، كان من سادات أهل البيت، وعُباد أتباع التابعين.

قال شيخ الإسلام: «فإن جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنة»، وأثنىٰ الشيخ عليه وعلى آبائه ما لو جمع في باب لكفى وشفى.

كان كريماً سخياً مهيباً حكيماً واسع الفهم بعيد النظر، سريع البديهة، سُنيّاً متبعاً، ولم يكذب قوم على أحد ككذب الرافضة عليه.

ترجمته مفصلة في: مقدمة المناظرة له ١٥-٤٦، ومنهاج السنة ٢/ ٢٤٥، و ٤/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٤٥، والتاريخ الكبير ٢/ ١٩٨، والصغير ٢/ ٩١، وتهذيب الكمال ص ٢٠٢، وتهذيبه ٢/ ١٠٣، ومشاهير علماء الأمصار ١٢٧، والسير ٦/ ٢٥٥-٢٧٠، والإمام الصادق لأبي زهرة.

***

وأنَّ مُتَشابهاتِ القُرآنِ جاءت مُقْفَلةً(١)، وكذلك بعْضُ الأَحاديثِ التي رُويت عن رسَولِ الله ﷺ ليس علينا تَفْسيرُه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٢). [الإسراء: ٣٧]

---

(١) وقد أخرج ابن جرير في تفسيره لهذه الآية، وكذا ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ [آل عمران: ٧] يعني: أهل الشك، فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم، ويلبسون فلبس الله عليهم: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ قال: تأويله يوم القيامة لا يعلمه إلا الله.

وأخرجه ابن جرير بسنده عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال: شك.

وأخرج أيضاً هو وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكه قال: قرأت على عائشة هؤلاء الآيات، فقالت: كان رُسوخُهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ولم يعلموا تأويله.

وأخرج ابن جرير وعبد بن حميد عن عمر عبدالعزيز قال: «انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كتاب الله ما استبان منه فاعملْ به، وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه.

وبنحوه عن ابن مسعود ومعاذ رضي الله عنهم.

وانظر تفسير ابن جرير ٣/ ٢٣٣ وما بعدها، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٣ وما بعدها، والدر المنثور ٢/ ٨-١١ (العلمية).

(٢) قول الصادق رحمه الله لم أجده ولكن ذكر ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٩ عن محمد ابن الحنفية أنه قال على هذه الآية: يعني شهادة الزور، وعن ابن عباس: يقول لا تقل، وعن العوفي عنه: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم.

ورُويَ عن الزُّهريِّ(١) رَحِمَهُ اللهُ أنَّه وقَفَ في تَفسيرِ بَعْضِ الأَحاديثِ التي رُويت عن رسَولِ اللهِ ﷺ فقيل له ما هذا؟ فقال: مِنْ اللهِ عزَّ وجلَّ العَلمُ، وعلى الرَّسولِ البَلاغُ وعَلينا الإِيمانُ والتَّسليمُ، وقال: ما لم يُفسَرهاالنَّبي ﷺ وأصحُابه ليس علينا أنْ نُفسَرهِ مِنْ تلِقَاءِ أَنْفُسِنا

وكذا رواها ابن جرير ١٥/ ١٠٩ عن ابن عباس وعن قتادة وعن مجاهد بن جبر، ثم قال: «وأولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفو» اهـ.

وهكذا رواه عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره ١/ ٣٢٢ (١٥٦٦)، وانظر الدر المنثور ٤/ ٣٢٩ (العلمية).

(١) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي المدني من بني زهرة (٥١-١٢٣هـ) عن ٧٢ سنة.

روى عن: ابن عمر وجابر وأنس وابن المسيب رضي الله عنهم وجماعة بعدهم.

وعنه: عطاء ـ وهو أكبر منه ـ وعمر بن عبدالعزيز ـ مات قبله ـ وعمرو بن دينار وقتادة ومالك وجماعة كثيرة من الأجلاء، وصحب عبدالملك بن مروان.

كان حافظاً فقيهاً إماما في السنة، متفق على جلالته واتقانه وثبته وفضله، وقد تكلموا في مراسيله، حتى عدها الذهبي معضلة.

ترجمته في: جامع التحصيل ص ٢٦٩ (٧١٢)، والتاريخ الكبير ١/ ٢٢٠، والصغير ١/ ٣٢٠، والحلية ٣/ ٣٦٠-٣٨١، وتهذيب الكمال ١٢٦٨ وتهذيبه ٩/ ٤٤٥ وتقريبه، وسير النبلاء ٥/١٢٦، والميزان ٤/ ٤٠، والطبقات للشيرازي ٦٣، وصفة الصفوة ٢/ ١٣٦١.

***

ورَأينا، لأنَّ النَّبي ﷺ قد نَهانا عن الرَّأي والقَياسِ في الدِّين(١) إلا ما وَافقَ الكِتَابَ والسُّنة(٢).

كذا الرِّوَايةُ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: «لو رَضِيَ اللهُ تعالى ذِكُره للِخَلقِ بعُقولِهم ما أَرسَل إليهم الرُّسلَ، وما أنزلَ عليهم الكِتَابَ، ولم يُبين لهم السُّننَ، ولم يأْمُرْهُمْ باتِّباعِ الكِتَابِ والسُّنة»(٣).

---

(١) في غير ما حديث وستأتي، كحديث: «أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء»، وحديث: «ذروا المراء، فإن المماري لا أشفع لهم يوم القيامة» وأحاديث ذم القدرية.

(٢) لم أقف عليه، وفي الباب عن الزهري أنه قال: «كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض سريعاً، فَنَعْشُ العلم ثبات الدين والدنيا وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله».

أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٨١ (٨١٧).

أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ـ باب اتباع السنة ١/ ٨٥ (٩٦).

وأخرجه الآجري في الشريعة ٣١٣.

وأخرجه ابن بطه في الكبرى (الإيمان) ١/ ٣٢٠ من طريقين (١٥٩ و ١٦٠).

وأخرجه اللالكائي من ثلاث طرق عن الزهري في شرح أصول السنة (١٥ و ١٣٦ و ١٣٧)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية ٣/ ٣٦٩.

وذكره القاضي عياض في الشفا ٢/ ١٤.

(٣) هذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

. . . .

وقال في آخر هود: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وفي معنى ما أورده المؤلف عن ابن عباس ما رواه ابن بطة في الكبرى (الإيمان) ١/ ٤٢١ (٣٤٥) بسنده عن أبي اليقظان قال: خرج رجل من أسلاف المسلمين يطلب علم السماء، ومبتدأ الأشياء ومجاري القضاء ومواقع القدر المجلوب وما قد احتجبه الله عز وجل من علم الغيوب التي لم ينزل الكتاب بها ولم تتسع لها العقول.

وما طلبه حتى انتهى إلى بحر العلوم ومعدن الفقه وينبوع الحكمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه فلما انتهى بالأمر الذي ارتحله إليه وأقدمه عليه قال له: أقرأ آية الكرسي، فلما بلغ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، قال: أمسك يا ابن أخي فقد بلغت ما تريد، فقد أنبأك الله أنه لا يحاط بشيء من علمه، قال له الرجل: يرحمك الله إن الله قد استثنى فقال: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

قال عبدالله بن عباس: صدقت ولكن أخبرني عن الأمر الذي استثناه من علمه وشاء أن يظهره لخلقه أين يوجد، ومن أين يعلم؟

قال: لا يوجد إلا في وحي، ولا يعلم إلا من نبي.

قال: فأخبرني عن الذي لا يوجد في حديث مأثور، ولا كتاب مسطور أليس هو الذي نبأ الله لا يدركه عقل ولا يحيط به علم؟

قال: بلى. فإن الذي تسأل عنه ليس محفوظاً في الكتب ولا محفوظاً عن الرسل.

فقام الرجل وهو يقول: لقد جمع الله لي علم الدنيا والآخرة، فانصرف شاكراً.

وروى ابن بطة أيضاً بسنده (٣٤٦) أن رجلاً من المسلمين أتى ابن عباس بِابْنٍ له، فقال: لقد حَيَّرَتِ الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه.

. . . .

فقال ابن عباس: يابن أخي أمدد بصرك، ما السواد الذي ترى؟ قال: فلان.

قال: صدقت.

قال: فما الخيال المسرف من خلفه؟

قال: لا أدري.

قال عبدالله: يابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حداً محدوداً من دونها حجاباً مستوراً، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها، وحدوداً لا يتعداها.

قال: فرد الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه والنظر فيما لا ينفعه والتفكر فيما يحيره» اهـ.

فعقول الخلق قاصرة عن إدراك ما حولها مما تحت بصرها وسمعها، فكيف مما غاب عنهما، مع تباينهم في إدراك الأمور أشد التباين.

وروى الهروي في ذم الكلام ـ من إنكار الصحابة على أهل الأهواء في الطبقة الأولى ١/ ٢٠٦ق، أن نجدة الحروري كتب لابن عباس رضي الله عنهما، كيف معرفتك بربك؟ لأن من قبلنا اختلفوا علينا.

فقال إن من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في إلتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الأعوجاج، أعرفه بما عرف نفسه من غير روية، وأصفه مما وصف به نفسه» اهـ.

وذكره السيوطي ملخصاً لذم الكلام في صون المنطق والكلام ص ٥٠

وذكره شيخ الإسلام في الدرء ٨/ ٥١١، وأشار إليه في الحموية ص ٤٥.

وفي صحيح مسلم (١٨١٢) أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: «لولا أن أكتم علماً ما كتبت إليه. . » الحديث.

***

وقال محمَّدُ بنُ عَبدِالعَزيز[1]: «أصحابُ الرَّأي والقِيَاس في الدِّين مُبتَدِعٌ ضَالٌ، خَوَارِجُ عن مِلَّةِ الأُمَةِ، لأنّ أَصحابَ الرَأي والقِيَاس في الدِّين يُرِيدُون بذلك تعطِيل الكِتَاب والسُّنَةِ، وتَبْطيلَ العِلْمِ والأثَرِ، والتَفْرُدَ بِرأيهم وقِيَاسهِم».

(١) هو ابن غزوان أبي رزمة اليشكري مولاهم، أبو عمرو المروزي.

روى عن: أبيه، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، وجماعة.

وعنه: الأربعة، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، إبراهيم الحربي في غيرهم.

وقال فيه الدارقطني وقبله النسائي: ثقة، ووثقه ابن حبان أيضاً.

وقال أبو حاتم: صدوق، ووثقه الحافظ في التقريب، وقد أخرج له البخاري الأربعة، وقد توفي سنة ٢٤١هـ.

ترجمته في: تهذيب الكمال ١٣٢٤ وتهذيبه ٣/ ٦٣٢ (الرسالة) وتقريبه، والتاريخ الكبير ١/ ١٦٧، والثقات ٩/ ٩٥، والجرح والتعديل ٨/ ٨.

وخبره هذا لم أجده، مع كثرة ذم السلف للخصومات والجدال في الدين، حتى عقد الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة من صحيحه باباً سماه: «باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس»، وذكر فيه قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا، ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيفتون برأيهم فُيضلون ويضلون**».

وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب العلم برقم (٢٦٧٣).

وخبر سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر».

وقال سُفْيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمنُ يَأَخذ الدِّيَن مِنْ ربِّه ونَبْيِهِ، والمُنَافِقُ يأَخذُ مِنْ رَأيهِ وقِياسه»(١).

رُوي عنه أنّه جَاء رَجلٌ إلي عليٍّ بنِ أَبي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: يا أَميرَ المُؤمِنين أينَ كان الله قَبْلَ اليومِ؟ فقال: حيثُ هو اليَوْمَ، فقال: [٧٥/ب]
أينَ هو اليَوْمَ؟ فقال: حيث كان قبلَ اليومِ، لا تَخطُر عليه القُلُوبُ،

---

(١) ما وقفت عليه بنصه من كلام الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنه مفهوم من مجموع كلامه.

حيث أسند شيخ الإسلام الهروي في ذم الكلام وأهله في الطبقة الرابعة من إنكار الأئمة للرأي والكلام والبدع، ذكر ثمانية عشر أثراً عن الثوري، وانظره في ٢/ ق (٣٤٣-٣٨٥).

وفي باب التغليظ في معارضة الحديث بالرأي من ذم الكلام ١/ ق (١١١-١٧٠)، أسند فيه آثاراً كثيرة منها عن الثوري قوله: «إنما الدين الآثار»، وقوله: «ينبغي للرجل ألاَّ يحك رأسه إلا بأثر» اهـ. من ١/ ق ١٤٤.

وأول من قاس برأيه هو إبليس ـ أعاذ الله منه.

ومما يناسب المقام ما أسنده الهروي في الباب من طريقين ١/ ق ١١٤ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قام في الناس فقال: «أيها الناس ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا إذا سألهم الناس أن يقولوا: لا ندري، فعاندوا السنن برأيهم، فضلّوا وأضلّوا كثيرا، والذي نفس محمد بيده ما قبض الله نبيه، ولا رفع الوحي عنهم حتى أغناهم عن الرأي، ولو كان الدين يؤخذ بالرأي لكان الخف أحق بالمسح من ظاهره، فإياك وإياهم ثم إياك وإياهم» اهـ.

وبمعناه ما رواه اللالكائي (١٨٣ و ١٩٨) بسنده عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * *

ولا تقعُ عليه الأوهام، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (١). [الأنعام: ١٠٣]

---

(١) فيه تضمين من آية الأنعام ١٠٣.

والخبر لم أجده، وفي معناه ما في البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله» وفي رواية عنده «غيره» وفي ثالثة عنده «معه».

أخرجها البخاري متصلة في مواضع عدة آخرها في كتاب التوحيد ـ باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] رقم ٦٩٨٢.

وللشيخ تقي الدين شرح لهذا الحديث في المجموع ١٨/ ٢١٠، رجح فيه رواية «ولم يكن شيء قبله» ص ٢١٦.

ولما رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١١ و ١٢، من طريق حماد بن سلمة عن يعلى ابن عطاء عن وكيع عن عُدس عن أبي رزين العقيلي قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يسأل إذا سأله أبو رزين أعجبه، فقلت يا رسول الله: أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كانَ في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء».

وأخرجه الطيالسي أبو داود في مسنده ص ١٤٧، وأخرجه الترمذي وحسنه (٣١٠٩)، وابن ماجه في المقدمة (١٨٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٢)، ومحمد ابن أبي شيبة في العرش وما روى فيه (٧)، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٨ (٦١٤١).

وفي الموارد (٣٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره لآية هود: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ١٢/ ٤ (١٧٩٨٠) شاكر، وفي تاريخه ١/ ٣٧، والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة ١/ ق ١٠٦، وعبدالله بن أحمد في السنة (٤٥٠)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ١/ ٣٦٤ (٨٣)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (٣١)، وابن عبدالبر في

وقال عَمرُو بنُ عُثمان المكيُّ[(١)]: . . . .

التمهيد ٧/ ١٣٧ ، كلهم من طرق عن حماد بن سلمة به .

وعند معظمهم زيادة في أوله أنه قال: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **هل ترون ليلة البدر القمر أو الشمس بغير سحاب**»؟ قالوا: نعم. قال: «**فالله أعظم**»، ثم ذكره، وهو من طريق حماد به .

وذكره الذهبي في العلو ـ كما في المختصر ص ١٨٦ ـ وحسن إسناده .

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٣٥ (٨٠١ و ٨٦٤)، وقال هذا حديث تفرد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن حُدس ويقال ابن عُدس، ولا نعلم لوكيع ابن عدس هذا راويا غير يعلى بن عطاء .

قلت، ورجاله ثقات غير وكيع بن عدس أو حدس فإنه ابن أخي أبي رزين العقيلي، أبو مصعب الطائفي من الرابعة روى له الأربعة .

وثقه ابن حبان وذكره البخاري وابن أبي حاتم من دون ذكر جرح فيه أو تعديل .

وقال ابن القطان: مجهول الحال، وقال الذهبي: لا يعرف تفرد عنه يَعْلَى .

وقال الحافظ في التقريب: مقبول، يعني حيث يتابع وإلا فلين الحديث .

وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٠٧: «ان حديث أبي رزين هذا مختلف فيه، وقد جاء من غير هذا الوجه بألفاظ تستشنع أيضاً، والنقلة له أعراب، ووكيع بن حدس الذي رُوى عنه حديث حماد بن سلمة أيضاً لا يُعرف» .

ترجمته في: الكمال ٣/ ١٤٦٦ ، وتهذيبه ١١/ ١٣١ وتقريبه، والميزان ٤/ ٣٣٥ ، والتاريخ الكبير ٨/ ١٧٨ ، والجرح والتعديل ٩/ ٣٦ ، والثقات ٥/ ٤٩٦ ، والمؤتلف والمختلف ٢/ ٧٧٢ ، وظلال الجنة في تخريج السنة للألباني .

(١) هو ابن كُرب أبو عبدالله الزاهد الإمام شيخ الصوفية، توفى بعد الثلاثمائة .

روى سماعاً عن يونس بن عبدالأعلى، والربيع المرادي، وسليمان بن سيف الحراني .

«كلمَّا توَّهَمهُ قَلْبك، أو سَنح(١) في مَجاري فِكْرِكَ، أو خَطَر في معَارضَاتِ قَلْبكِ مِنْ حُسنٍ أو بَهاءٍ، أو أُنسٍ(٢) أو ضِيَاءٍ، أو جَمَالٍ، أو شَّبَح(٣) أو نُورٍ، أو شَخْصٍ، أو خَيالٍ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ مِنْ وَرَاءِ ذلك كُلِّه؛ بل هو أَعظمُ وأَجلُّ وأَكبرُ، أفلا تَسمعُ قَوْلَهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٤). [الشورى: ١١]

وعنه: أبو الشيخ الأصبهاني صاحب «العظمة»، ومحمد الأصبهاني، وجعفر الخلدي، وكان من أئمة الفقه والزهد، وممن ينكر على الحلاج ويذمه، وهو من أرباب السلوك، ولي قضاء جدة فهجره الجنيد.

أثنى عليه شيخ الإسلام في الدرء ٥/ ٥ و٦/ ٢٦٦ مع غيره من الشيوخ.

ترجمته في: الحلية ١٠/ ٢٩١، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ٣٣، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣، والسير ١٤/ ٥٧، وصفة الصفوة ٢/ ٤٤٠، وطبقات الصوفية ٢٠٠-٢٠٥، والعقد الثمين ٦/ ٤١٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٧، والشذرات ٢/ ٢٢٥، والمنتظم ٦/ ٩٣.

(١) في رواية الحلية «أو رسخ».

(٢) في رواية تاريخ بغداد «أو إشراف».

(٣) في رواية الحلية «أو شبح ماثل، أو شخص متمثل».

والشَّبَحُ هو: الممدود كالمصلوب، وفيه أن أبا بكر مر ببلال رضي الله عنهما، وقد شبح في الرمضاء، أي مد فيها.

وانظر: الفائق واللسان والنهاية مادة (شبح)، وكذا القاموس وشرحه.

(٤) رواها أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٩١ عن أبي محمد بن عبدالله بن جعفر عن المكي بسياق طويل ـ في صفحتين ـ أوله:

لا يُوصَفُ الله تعالى ذِكْرُهُ إلاَّ بِمَّا وصَفَ به نَفْسَه، ولا نُفكر فيه(١)

أملى علي ـ المكي ـ في جواب مسألة سئل عنها يخاطب السائل: «أقم على نفسك الموازنة بعقلك في تفقد حالك ومقامك. . ».

ورواها السلمي في ترجمته في طبقات الصوفية بإسناده ١٠٢، وذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢/ ٢٢٤ ـ بمثل ما ذكر المصنف ـ مختصراً، وزادا: «وقال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي لا شبه ولا نظير ولا مساوي ولا معه».

وذكرها منسوبة إليه شيخ الإسلام في الحموية ص ٣٧-٣٨ مطولة، والذهبي في العلو ص ١٥٥، وفي مختصره ٢٩٩، ورواها السلمي في طبقات الصوفية ص ٢٠٢، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٧٤، وابن العماد في الشذرات ٢/ ٢٢٦، والمناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ص ٢٥٩، والشعراني في الطبقات الكبرى «لواقح الأنوار» ١/ ٨٩.

(١) لما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ على قوم يتفكرون في الله، فقال: «**تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره**».

أورده في الدر المنثور ٢/ ١١٠ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر، والأصبهاني في الترغيب والترهيب، وأورده في الجامع الصغير ١/ ١٣٢، وعزاه لأبي الشيخ في العظمة، ورمز له بالضعف.

وقد أخرجه قوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ق ٧٣ و ١٧٤ من طريقين كلاهما عن الأعمش بسنده عن ابن عباس، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١/ ٢١٦ (٣و٥).

قال العراقي في تخريج الأحياء ـ كما في الاستخراج (٣٨٨٠ و ٣٨٨١)ـ: أخرجه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف، ورواه الأصبهاني في الترغيب من وجه آخر أصحّ.

. . . .

وللحديث شواهد:

١- عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ «تفكروا في آلاءِ الله ولا تفكروا في الله».

أخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٩٥، والطبراني في الأوسط، كما في مجمع البحرين، والبيهقي في شعب الإيمان، وقال في المجمع ١/ ٨١ بعد عزوه إليهما: في إسناده نظر.

وأخرجه اللالكائي في السنة ٣/ ٥٢٥ (٩٢٧)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ق ١٧٤، وذكره في الجامع الصغير ١/ ١٣٢، ورمز له بالضعف، ومع هذا حسنه الألباني في صحيح الجامع ٣/ ٤٩، وذلك بالنظر لمجموع الطرق.

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا».

أخرجه أبو الشيخ هو والذي قبله في العظمة ١/ ٢١٠-٢١٥ (١-٥).

وعزاه في الدر المنثور ٦/ ١٣٠، وفي الجامع الصغير ١/ ١٣٢ للمؤلف في العظمة ورمز له بالضعف.

٣- عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله».

أخرجه أبو الفضل المقري في أول أحاديث في ذم الكلام ق ٢، وذكره في الصحيحة عازياً له لذيل ابن النجار على تاريخ بغداد.

٤- عن عبدالله بن سلام مرفوعاً بلفظ «لا تفكروا في الله، وتفكروا في خلق الله، فإن ربنا خلق ملكاً قدماه في الأرض السابعة السلفى، ورأسه قد جاوز السماء العليا، ما بين قدميه إلى ركبتيه مسيرة ستمائة عام وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام، والخالق أعظم من المخلوق».

رواه في الحلية ٦/ ٦٦ وفي سنده ضعف.

فإن في الفِكَرة تَقْدحُ الشَكَّ في القَلْبِ(١).

٥- عن ابن عباس موقوفاً: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة إلاف سنة نور، وهو فوق ذلك تبارك وتعالى».
رواه في الأسماء والصفات ٥٣٠، وقبله ابن أبي شيبة في العرش ص ٥٩ (١٦).
وأبو الشيخ في العظمة (٢)، وقوام السنة في الترغيب ٢/ ق ١٧٣.
ونقله شيخ الإسلام في الدرء ٦/ ٢٠٣ عن الحافظ العسَّال أبي أحمد الحاكم بسنده عنه: «فكِّروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله. . .» مثله.
وذكر الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٨٣، وقال موقوف وسنده جيد.
كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٢ وسَكَتَ عنه هو المناوي في الفيض ٣/ ٣٩٢.
وقد رواه أبو الشيخ من وجه آخر عن عطاء بن السائب، عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً ١/ ٣٢٤ (٣). ورواه كذا الحافظ في كما في الدرء ٦/ ٢٠٣.

والحديث بمجموع الشواهد حسن كما ذكره السخاوي في المقاصد ١٥٩ (٣٤٢) والزرقاني في مختصر المقاصد ٨٦، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٣٧١، والألباني في الصحيحة (١٧٨٨)، بل أثبته شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما كما في المجموع ٦/ ٣٤٢، ونقض التأسيس ١/ ٨٠.

وتوسع في تخريجه العراقي والزبيدي في تخريجهما للإحياء رقم ٣٨٨٠-٣٨٨١ كما في الاستخراج.

(١) وفيه هذا ما رواه البغوي في تفسيره لآية ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] ٦/ ٢٢٣، عن سفيان الثوري قال: لا فكرة في الرب عز وجل.

ورواه أبو الشيخ في العظمة ١/ ٢١٨ (٦ و ٩) وعزاه في الدر المنثور ٦/ ١٣٠ أيضاً للدارقطني في الإفراد. وانظر: عن غيره في الموضوع باب الأمر بالتفكر في آيات الله عز وجل. . من أول كتاب العظمة.

وَرُوِيَ أنَّ رَجلاً سَأَلَ مَالكَ بنَ أَنسٍ عن قَوْلهِ تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيفَ استوى؟ فُصعِقَ مَالِكٌ وُغشِيَ عليه[١]، وُقبِضَ على الرَّجلِ، فلما أَفاقَ قال: أينَ الرَّجلُ السَّائِلُ؟ قال: فأُوتِيَ به، فقال مَالِكٌ: كيف قلت؟ قال قلت: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال مَالِكٌ: «الاستواءُ مَعْلومٌ، والكَيفُ غيرُ مَعقُولٍ، والإِيمانُ به وَاجِبٌ، والسُّؤال عنه بِدَعةٌ، وإِنِّي لأَراكَ ضَّالاً، أَخرِجوه! فأُخْرِجَ مِنْ مَجلسِه مَجْروراً»[٢].

---

(١) في الرواية المشهورة أن الإمام مالك «وجد من سؤاله، وأطرق رأسه، وعلاهُ الرحضاء، وهو العرق، وأطرق القوم وجعلوا ينظرون ما يأتي منه فيه، حتى سُرِّي عنه ورفع رأسه..».

(٢) هذا الخبر مشهور جداً عن الإمام مالك، وقد روى عنه من عدة طرق منها:

١- عن عبدالله بن وهب القرشي عن مالك.

٢- عن يحيي بن يحيي التيمي عن مالك.

٣- عن جعفر بن عبدالله عنه.

٤- من طريق جعفر بن ميمون.

٥- وعن عبدالله نافع عن مالك.

وأخرجه عنهم:

عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (١٠٤).

واللالكائي في «شرح أصول السنة» ٣/ ٣٩٨ (٦٦٤).

وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٢٥-٣٢٦.

وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» من طرق رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦.

. . . .

وابن عبدالبر في «التمهيد» ٧/ ١٥١ .

والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٠٤-٣٠٥ من طريقين (٨٦٦ و ٨٦٧) .

في الأول منهما أن مالكاً لما سأله الرجل أطرق وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: «الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه، فأخرج الرجل» .

وقال الحافظ في هذه الرواية إسنادها جيد في الفتح ١٣/ ٤١٧ .

وقال الذهبي في سير النبلاء ٨/ ١٠٠-١٠١ .

وذكره في العلو ص ١٠٣-١٠٤، وفي مختصره ص ١٤١ من وجهين (١٣١ و ١٣٢)، وقال في الأول: إسنداه صحيح، وقال عقبه: هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة .

وذكره البغوي في شرح السنة ١/ ١٧١ .

وكذا ابن قدامة في العلو ص ١١٩ (١٠٤) وفي لمعة الاعتقاد ص ٤ .

والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٧٣ .

وأثبته عن الإمام مالك شيخ الإسلام ابن تيمية في مواطن عديدة من كتبه كشرح حديث النزول ص ١٣٣، والحموية الكبرى ص ٢٥، وفي الدرء ٦/ ٢٦٥ وقال: «وهذا الكلام مروي عن مالك صاحب ربيعة من وجوه متعددة يقول في بعضها: الاستواء، وينفي العلم بالكيفية» اهـ.

* والخبر مروي عن ربيعة بن عبدالرحمن شيخ مالك المعروف بربيعة الرأي من طرق:

١- من طريق سفيان بن عيينة عن ربيعة، وهي أشهر الطرق .

٢- من طريق عبدالله بن صالح بن مسلم عن ربيعة .

. . . .

٣- من طريق سفيان الثوري عن ربيعة.

وذلك أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟

فقال: «الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلينا البلاغ».

وزاد بعضهم: «.. والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» كما في العلو للذهبي.

وأخرجه جماعة منهم:

اللالكائي في شرح أصول السنة ٣/ ٣٩٨ (٦٦٥).

والعجلي في تاريخ الثقات في ترجمته ص ١٥٨ (٤٣١) عن أبيه عن عبدالله بن صالح عنه، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٠٦ (٨٦٨ و ٨٦٧).

ورواه الخلال ـ كما قال الشيخ في الحموية ٢٥ ـ والدرء ٦/ ٢٦٤ بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة.

وذكره الموفق بن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١١٤ رقم ٩٠.

وذكره الذهبي في العلو ص ٩٨، وفي المختصر ١٣٢ (١١١)، وفي تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٨، وصححه شيخ الإسلام في الحموية ـ كما سبق ـ، وفي شرح حديث النزول ص ١٣٣ وقال عقب إيراده:

«ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يُعتمد عليه»، وضمن المجموع ٥/ ٣٦٥.

وانظر: مثله درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٢٦٤-٢٦٥.

وخبر أم سلمة رضي الله عنها لفظه كما عند اللالكائي: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر».

رواه اللالكائي في شرح أصول السنة (٣/ ٦٦٣).

وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (٢٣).

فهذا دَلِيلٌ على أنَّ كُلَّ ما وَصفَ اللهُ نَفْسَه في كِتَابِهِ وجَميع أَسمائِه، الإِيمانُ به وَاجِبٌ والكَلامُ فيه بِدْعَةٌ.

دلالة الأسماء على الصفات

والأَسماءُ كُلُّها نَعتُه وصِفَاتُه[1] لِقَولِ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]، فالأَسماءُ كُلُّها صِّفةُ المُسمى، غيرُ مُتَّصل ولا مُنفَصلٍ، مَجموعٌ في الحَقيقةِ مُتفرقٌ في العِلمِ، مِنْه بدأ وإليه يعود، غير بائن عنه[2].

وذكره الموفق في العلو رقم (٨٢).

وذكره الذهبي في العلو ص ٦٥ وقال: «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كِنانةَ ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه» اهـ.

وأشار إليها الحافظ في الفتح ١٣/ ٤١٧-٤١٨، ومضى قول الشيخ ابن تيمية.

وأبو كنِانةَ هو محمد بن الأشرس الأنصاري، متهم، تركه الحافظ ابن الأخرم وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره.

ترجمته في: الميزان ٣/ ٤٨٥، ولسانه ٥/ ٨٤.

وفيه أيضاً الراوية عن أم سلمة وهي أم الحسن البصري.

ترجمتها في: التهذيب، وقال اسمها خيرة، ولم يذكر بها جرحاً أو تعديلاً، وذكرها ابن حبان في الثقات ٤/ ٢١٦، والتقريب وأصله التهذيب ٤/ ٦٩٤ (الرسالة).

(١) لأنه في القواعد المقررة في الأسماء والصفات: أن كل اسم من أسماء الله الحُسْنَىٰ قد دلّ على صفة له سبحانه.

فاسم الله العلي، دل على صفة العلو، واسمه العظيم دل على عظمته وهكذا.

(٢) أي أن أسماء الله ونعوته غير متصلة به اتصال الذات، ولا منفصلة عنه انفصال المضافات من الأعيان، وإنما مضافة إليه إضافة معاني لا تنفك عنه، حيث

لأنَّ الاسَم هو الله الذي تَفَردَ به وسَمَّىٰ به نَفْسَه، لا يُقالُ به غَيره، لِقْولِه تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يعَني هل تَعلمُ أَحدًا يُسمَّىٰ اللهُ غيرُ اللهِ؟(١)

أن الاسم لا يقوم إلا بمسمى، والصفة لا تقوم إلا بموصوف.

ولا يعرف بشرع أو بعقل قيام الاسم والصفة بذاتهما البتة!

وكذلك الأسماء والصفات مجموعة في الحقيقة على الذات الإلهية المتقدسة العليا، ومع هذا فهي متفرقة في العلم والذهن، لأنه في المعلوم أن اسم الله غير الرحمن وغير العليم.. وكذا صفة العلم غير الرحمة وغير السمع والحياة.

وكون الاسم والصفة من الله بدأ وإليه يعود، بعود العلم والقرآن والوحي إلى الله الذي بدأ منه؛ فإن العلم بالأسماء والصفات إنما جاء بالوحي وهو من الله بدأ وإليه يعود، ومضى التدليل عليه.

والاسم والصفة أيضاً غير بائن عن الله أي منفصل عنه، لأنه لا يتصور شرعاً ولا عقلاً قيام الاسم والصفة بنفسيهما.

(١) هذا أحد الأقوال المروية عن السلف رحمهم الله في الآية وهو:

١- هل تعلم أحداً يسمى الله غيره، وليس أحد يسمي الرحمن غيره تبارك وتعالى، وهذا مروي عن ابن عباس من رواية عطاء في الأول وعكرمة في الثاني عنه.

٢- هل تعلم له مثلاً أو شبهاً أو شبيهاً أو شريكاً، وهذا التفسير هو المشهور في الآية، وهو مروي عن ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وابن جريج، وهو اختيار ابن جرير رحم الله الجميع ورضي عنهم.

٣- هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالق قادر.. إلا هو سبحانه، وهو قول الزجاج.

٤- لا سمَّي لله ولا عدل له، وهو رواية عن قتادة.

أظهَر الله تعالى أَسماءَه وصِفاتِه ليُعرفَ به ويُذكَر في السَّمواتِ والأَرضين.

تنوع الأسماء إلى معان وصفات عديدة

والأَسماءُ تَتَصرفُ على مَعانٍ مُختلفةٍ، لِقَوْلهِ تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فهذه مَعْرِفَةُ صِّفَةِ ذَاتِه[1].

وقال الجُنَيدُ[2]: «ما كَانَ كَثِيْرُهُ مِنْ قَوْلهِ تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾، ونحو هذا مِثْل: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ [٧٦/أ]

وانظر: تفسير ابن جرير لآية مريم ١٦/ ١٣٣، وزاد المسير ٥/ ١٧٥، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٣١، والدر المنثور للجلال السيوطي.

(١) حيث ورد تفسيرها في الحديث الوارد عند الاضطجاع للنوم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله يأمر إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول: «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته.. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا عن الفقر».

رواه الإمام مسلم في صحيحه ـ في كتاب الذكر والدعاء ـ باب ما يقول عند النوم (٧١٣).

(٢) هو ابن محمد الجنيد النهاوندي البغدادي الخراز المولود سنة نيف وعشرين ومائتين، والمتوفي سنة ٢٩٨هـ.

سمع السرى السقطي والحسن بن عرفة والحارث المحاسبي في غيرهم.

وعنه: جعفر الخلدي، وأبو بكر الشبلي وعدة.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ فَهذِه صِّفَةُ مُلكِه وقُدرتِه .(١)

وما كَان مِنْ قَوْلِه : ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ، ومِثلُ قوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فهذه تَنْزِيهٌ لِنفْسِه .

وقَوْلُه : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فهذا مَدْحُهُ لِنَفْسِه .

وما هو مِثلُ قُوْلِه : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ فَهذه صِّفَةُ عِلْمِهِ ومَعرِفتِهِ وعَظْمتِه .

كان شيخ الصوفية، وسيدهم لضبط مذهبه بالكتاب والسنة، ولذا كان يمدحه شيخ الإسلام ويعتبره من أئمتهم مع الفضيل بن عياض، وسهل التستري، وعمر المكي. . ويلقبه الشيخ بسيد الطائفة .

وانظر: الاستقامة ١/ ٨٢، ٩٢-٩٣ و ٩٧ و ١٤٣-١٤٥ و ٢/ ٨١-٨٢ و ١٤١، وشرح حديث النزول ٥٢، ومنهاج السنة ٤/ ٣٤٢ و ٥/ ٣٣٩-٣٤١ و ٣٦٩-٣٧٠، ودرء التعارض ٥/ ٤ و ٣٤٩ و ١٠/ ٢٨٦، هذا في الجملة وله مؤاخذات يغفرها الله له .

ترجمته في: الحلية ١٠/ ٢٥٥-٢٨٧، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١-٢٤٩، وطبقات الصوفية ١٥٥-١٦٣، والطبقات الكبرى ١/ ٨٤-٨٦، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣٥-٢٤٠، وطبقات الحنابلة ١/ ١٢٧-١٢٩، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٦٠-٢٦٥، والسير ١٤/ ٦٦-٧٠، والرسالة للقشيري ٤٣٠، والوفيات ١/ ٣٧٣-٣٧٥، والشذرات ٢/ ٢٢٨-٢٣٠، وروضات الجنات ١٦٤-١٦٥ .

وخبره هذا لم أجده .

(١) هذا ليس بسديد، بل هي أسماء وأعلام لذاته، متضمنة لكريم الصفات .

ودلالتها على صفتي الملك والقدرة دلالة استلزام، وفي بعضها أيضاً دلالة تضمن .

إلا إن قصد مدلولات تلك الأسماء

وما كان مِنْ قَوْلِه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الجواد الكريم ﴿ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ فهذه صِّفَةُ أَخلاقِه أظهرَ الله تعالى هذه الأَسماءَ ليتَخلقَ بها عِبادُه وأَصْفِياؤُهُ وأَوْلياؤُهُ، الذين اختارَهم الله مِنْ خَلْقِهِ»(١).

منهج أهل العلم والمعرفة في العلم والدعوة

وأَهَلُ العَلم والمَعْرِفَةِ لَزموا مُحكَم الكِتَاب والسُّنةِ والعِلْمِ، ولم يُحدثوا مِنْ رَأيهِم بِدَعةً، ولم يَتكَّلُفوا ما لم يُكَلَّفُوا عِلَمه، فيعملِونَ بُمحكَم الكِتَابِ والسُّنَةِ، ويُؤمُنونِ بالمُتشَابهِ مِنْ ذلك، ويَقفُون عِنَد مَا اختلفَ فيه أَهلُ الجَهلِ والعَمَايةِ فيه.

ولذلِكَ صَاروا أهلَ المَعرفةِ لأنَّهم لَزِموا الأَصَل مِنْ الكِتَابِ والسُّنةِ وتركوا ما اختلف فيه أهلُ الزَّيغ والزَّلَلِ والرأي والقِيَاسِ، ثم دَعوا الخَلقَ إلى الله تعالى، وإلى طَريقِه المُستَقيمِ بالمِوعَظِة الحَسَنةِ(٢)

---

(١) ذكر نحوه في بعضه أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٣/ ٣٤٩.

ومما نقل عن الجنيد في هذا الصدد قوله: «أول ما يحتاج إليه المكلف من عقد الحكمة: أن يعرف الصانع من المصنوع، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث». نقله عنه في الإنصاف الباقلاني ص ٣٣.

(٢) كما قال تعالى آمراً لهم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال في سورة فصلت: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

والحُجَةِ البَالغةِ(١)، واستعملوا بُمحِكَم الكِتَابِ والسُّنةِ، فأمَر اللهُ تعالى الخلقَ كُلَّهم أنْ يَسألُوهم إذا جَهلِوُا، وأن يَردُّوا فيما اخْتُلِفَ فيه إليهم لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال مُجاهِدٌ(٢) وعَطاءٌ(٣): «هؤلاء هُم الفُقهاءُ . . . .

---

(١) قال تعالى في آخر سورة يوسف: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(٢) هو ابن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولاهم شيخ القراء والمفسرين.

روى عن ابن عباس فأكثر وعارضه المصحف يقفه عند كل آية، وعن أبي هريرة وعائشة وسعد وابن عمر وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وعنه: عكرمة وطاووس وعطاء بن السائب وقتادة، ومن القراء ابن كثير وأبو عمرو.

كان إماماً في التفسير عن حبر الأمة.

قال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد.

قال في التقريب: ثقة إمام في التفسير ولي العلم، مات سنة ١٠٣هـ عن ٨٣ سنة وقد روى له الجماعة.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦، والتاريخ الكبير ٧/ ٤١١، والمعرفة والتاريخ ١/ ٧١١ وتهذيب الكمال ١٣٠٦، وتهذيبه ١٠/ ٤٢ وتقريبه، والتذهيب ٤/ ٢٢، وخلاصته ٣٦٩، وحلية الأولياء ٣/ ٢٧٩، والسير ٤/ ٤٤٩، والعقد الثمين ٧/ ١٣٢.

(٣) هو ابن السائب الكوفي الثقفي مولاهم.

سمع من عبدالله بن أبي أوفي وأبي عبدالرحمن السلمي وسعيد بن جبير وجماعة.

والعُلَماء»(١) .

[٧٦/ب] ثم قال : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ .

وقال عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ .

وعنه : إسماعيل بن أبي خالد والثوري وابن جرير والحمادان .

قال فيه الإمام أحمد : «عطاء ثقة ثقة رجل صالح» اهـ، ولكنه اختلط في آخرةٍ .

قال الذهبي فيه : الإمام الحافظ . . كان من كبار العلماء .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣٨، والتاريخ الكبير ٦/ ٤٦٥، والصغير ٢/ ٣٩ و ٤٥، وتهذيب الكمال ٩٣٩، وتهذيبه ٧/ ٢٠٣، وتقريبه، والخلاصة ٢٦٦، والسير ٦/ ١١٠، والميزان ٣/ ٧٠، والشذرات ١/ ١٩٤ .

(١) رواه عنهما ابن جرير الطبري في تفسيره من عدة أوجه ٥/ ٢٠٦-٢٠٧ وفي بعضها : هم أهل الفقه والعلم .

وكذلك رواه عن شيخهم ابن عباس وجابر رضي الله عنهما، وعن الحسن وابن أبي نجيح وأبي العالية وعطاء والنخعي والضحاك .

وقال ابن جرير : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم الأمراء الولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة، الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة» .

وروى عن مجاهد أيضاً أنهم أصحاب النبي ﷺ، وعن عكرمة أنهم الشيخان وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

تفسير عبدالرزاق ١/ ١٦١، وزاد المسير ٢/ ١٤٤، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٣٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٥١٨، وتفسير أبي الليث ١/ ٣٦٣، وتفسير القرطبي ٥/ ١٦٨ .

وقال عزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾. [النساء: ٨٣]

وُهم أَهلُ البَحثِ والنَّظرِ الذين عَمِلُوا بِشَرطِ الكِتَابِ والسُّنةِ، ولم يتجَاوزوا إلى غَيرهِما فكلَّما نَزلَت نَازِلةٌ مِنْ غيرِ السُّنَةِ، أو أُحدِثَ حَدَثٌ مِنْ بِدَعةٍ رجعوا فيه إلى الكِتَابِ والسُّنَةِ وقَابلوه بهما، فما وَجدوا فيهما أثبَتُوها وما لم يَجدوا فيهما تَركُوها.

فأولئك أَهلُ الاسْتِنَباطِ والمَعرفَةِ، فهم مَنْ خَالِصتُه وليس ذلك لِغيرَهِم، مِنْ أَهلِ الجَهلِ الضَّالينِ الذين يُضلِوُن أَنْفُسَهُمْ بغيرِ عِلْمُ، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [النساء: ٥٩]

اشتمال القرآن والسنة على بيان ما يحتاج إليه وذم البدع

وقد أخبر الله تعالى في القُرآنِ تِبيُاناً لِكُلِّ شَيءٍ[1] وأظهَر لِنبيه مُحمَّدٍ ﷺ ولِلمُؤمنين كُلَّ ما احتاجه إليه وجدُوه، ولم يَبقْ لهم شَيءٌ ممَّا احتاجوا إليه، وأخبرهم النَّبي ﷺ بذلك كما قال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]

وقال عزَّ اسمُه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾. [الأنعام: ٣٨]

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل: ٨٩]

(١) كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال أَبُو ذَرِ الغِفَارِيُّ رَحمَةُ الله عليه: «قُبِضَ النَّبي ﷺ وما تَرك طَائِراً يَطيرُ بِجنَاحِيه في الهَواءِ، إلاَّ أنبأنا بذلك عِلْماً، عَلِمهُ مَنْ عَلِمه وجَهله مَنْ جَهِلَهُ»(١). فمُحالٌ أن يكونَ أمرٌ يَنْزِل بالأُمَةِ يحَتاجُون لذلك

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند بموضعين ٥/ ١٥٣ و ٦٢ من طريق ابن نمير عن الأعمش عن المنذر الثوري ثنا أشياخ من التيم قالوا: قال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً».

وفي الإسناد مُبْهَمُون وهم الرواة عن أبي ذر.

والأعمش هو سليمان بن مهران وهو ثقة حافظ مدلس وتدليسه محتمل لإخراج الأئمة له، وهو هنا قد عنعن.

ورواه الطبراني في الكبير ٢/ ١٥٥ (١٦٤٧) من طريق أخرى عن أبي ذر.

ورواه الطبراني في الصغير ١/ ٢٦٨ ورجاهل الصحيح غير سلام أبي المنذر كما في المجمع ٧/ ٢٦٥.

وقال في المجمع ٨/ ٢٦٣: «رواه أحمد والطبراني وزاد: قال النبيُّ ﷺ: «**ما بقى شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا بين لكم**» ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم» اهـ.

وصحح شيخ الإسلام الحديث في أول الحموية ص ٥.

والحديث أصله في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله.

رواه البخاري متصلاً في كتاب القدر باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ برقم (٦٢٣٠)، ومسلم في كتاب الفتن ـ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون (٢٨٩١)، وفي رواية لهما: «**حفظه من حفظه ونسيه من نسيه**» بروايته.

وأخرجه مسلم في الموضع ذاته من صحيحه (٢٨٩٢) عن أبي زيد عمرو بن

العِلْمِ، ولا يكونُ مَوجُوداً عند أهلِ الاسْتِنَباطِ مِنْ أَهلِ الكِتَابِ والسُّنَةِ.

ورُوي عن ابِنِ عَبَّاس رضي الله عنهما، وعن جَابرِ بنِ عَبدِالله رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إنَّ أصدقَ الحَديث كِتَابُ الله، وأَحسنَ الهَدْيِ هَديُ مُحمَّدٍ، وشَرَّ الأُمورِ مَحَدثاتُها»(١).

أخطب قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا».

وله شاهد من حديث سلمان رضي الله عنه عند مسلم في الصحيح (٢٦٢) في الطهارة، أن المشركين قالوا له: «علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ونستنجي باليمن، أو بأقل من ثلاثة أحجار أو برجيع أو عظم» ورواه الأربعة.

وأخرج البخاري معلقاً في أول بدء الوحي شاهداً عن عمر رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه».

ووصله في الفتح ٦/ ٣٣٦ وأشار إلى شواهد أخر عن ابن مريم وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وله شاهد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عند أحمد في المسند والطبراني.

وشاهد عن أبي سعيد عند أحمد والترمذي وحسنة وعند أبي يعلى في المسند.

وعن أبي الدرداء عند الطبراني.

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣١٩ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته بعد التشهد: «إن أحسن الحديث كتاب الله عز وجل، وأحسن الهدي هدي محمد» قال يحيى ـ روايته ـ: ولا أعلمه إلا قال: «وشر الأمر محدثاتها»، وكان إذا ذكر الساعة أعلى بها صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش،

وقال عمُر بُن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، سَمعتُ رسَولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أخَوفُ ما أخَافُ على أُمَتي كُلُّ مُنَافِقٍ عَليمِ اللِّسَان»[(١)] .

ثم يقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأومأ يحيى بالسبابة والوسطى.

والحديث مخرج في صحيح مسلم (٨٦٧) في كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «. . **فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**».

وطرق الحديث ورواياته عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم، ليس فيها «**إن أصدق**»، والحديث مروي أيضاً عن ابن مسعود وعائشة وأبي موسى وبنيط بن شريط وسهل بن سعد رضي الله عنهم، وجمعها الألباني في خطبة الحاجة.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٢ و ٤٤ ثنا أبو سعيد، ثنا ديلم بن غزوان عبدي، ثنا ميمون الكردي، ثنى أبو عثمان، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أخوف ما أخاف**» الحديث.

وهذا إسناد جيد:

١ - أبو سعيد هو: يحيى بن سعيد القطان البصري ثقة حافظ إمام قدوة، روى له الجماعة.

٢ - ديلم غزوان هو: أبو غالب العبدي البرَّاء البصري صدوق يرسل من الثامنة.

٣ - ميمون الكردي هو: أبو بصير وقيل أبو نصير من السادسة قال فيه الحافظ مقبول، ولكن أبا داود وابن حبان وثَّقَاهُ، وقال ابن معين لا بأس به، وفي رواية أخرى: صالح كما في الكمال للمزي ١٤٠٠.

٤ - أبو عثمان هو: النهديُّ عبدالرحمن بن مل، مخضرم من الثانية ثقة ثبت فقيه.

وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب، به برقم (١١) بلفظ: «**إنما أخاف عليكم كل منافق يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور**».

. . . .

وأخرجه الفريابي في صفة المنافق عن ١٩-٢١ (٢٤-٢٩) من طرق وألفاظ عديدة عن عمر رضي الله عنه رقم (٢٤) بمثل ما هاهنا. وبرقم (٢٣) بلفظه عن عمران بن الحصين رضي الله عنه.

وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ٢/ ٧٠١ (٩٤٠ و ٩٤١) من طريقين عن عمر، أحدهما بمثل ما أخرجه أحمد.

وأخرجه البزار ـ كما في كشف الأستار ـ من طريقين (١٦٨ و ١٦٩) وقال في المجمع ١/ ٨٧: «رواه البزار وأحمد وأبو يعلى ورجاله موثوقون».

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٧٧) من طرق مدارها على ديلم به.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١/ ٢٨١ (٨٠) بإسناد صحيح عن عمران بمثله، وفي الموارد ١٠، وكذا أخرجه البزار ـ كما في الكشف ـ ١٧٠، وقال في المجمع ١/ ١٨٧ عليه: «ورواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

ورواه الطبراني في الكبير ١٨/ ٢٣٧ (٥٩٣).

وأخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٤ في ترجمة ديلم من طريق أبي يعلى الموصلي بلفظ أحمد.

وأخرجه أبو إسماعيل الهروي عن عمر من خمسة طرق في ذم الكلام ١/ ق ٣٩.

وصحح حديث عمر أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم (١٤٣ و ٣١٠).

وأطال العراقي في تخريج الإحياء ومما قاله: «فيه عن أبي الدرداء ومعاذ وعلي وعمران» ثم تكلم على مروياتهم.

وقال الزبيدي في شرح الإحياء: «حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعاً بلفظ. ورواه إسحاق بن راهويه، والحارث بن أبي أسامة ومسدد بسند

وقال أَبُو ثَعْلَبَة الخُشَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قال رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا رَأيتَ شُحّاً مُطَاعاً، وهَوىً مُتبَعاً، وإِعجَابَ كُلِّ ذي رَأي بَرأيه فعليكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِك»(١)، لأَنَّه مَنْ غلبَ عليه الهَوى لم يَنْفَعه العِلْمُ لِغَلبةِ

صحيح عن عبدالله بن بريدة عن عمر بلفظ أطول» اهـ. وانظر تتمة البحث في الاستخراج ١/ ١٧٥ (١٥٦).

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي (٤٣٤١) قال: ثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكي، ثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم، ثنى عمرو بن جارية اللخمي، ثنى أبو أمية الشعباني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: كيف تقول في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول رسول الله ﷺ فقال: «**بل اؤتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**».

قال ابن المبارك: وزادني غيره: قال يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**».

وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير، تفسير آية المائدة (٣٠٥٨) من طريق سعيد الطالقاني به، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن (٤٠١٤) من طريق هشام بن عمار ثنا صدقه بن خالد ثنى عتبة به.

وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره لآية المائدة ٥/ ١٣١ من طريق عتبه به.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ١٠٨ (٣٨٥) من طريق ابن المبارك عن عتبة به، وانظر الموارد ٨٥٠.

الهَوى عليه، فَيعْمَى وُيصمُّ عن الحَقّ(١)، لِقوْلِهِ تعالى ذِكْره: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، **يعني لا يقْتُدون بالِكتاب والسُّنةِ، وهم أَهلُ الرَأْيِ والقِياسِ.**

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٩٢ من طريقين عن عتبة به.

وأخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٤٧ (٤١٥٦)، وفي التفسير ٣/ ١١٠.

وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٤٥ من طريق عتبة.

* والحديث بطرقه مداره على عتبة بن أبي حكيم عن عمرو اللخمي عن أبي أمية الشعباني عن أبي ثعلبة رضي الله عنه به.

وعتبة هو: أبو العباس الهمداني الأزدي صدوق يخطىء كثيراً من السادسة.

وعمرو اللخمي مقبول من السابعة، وهو شامي.

وأبو أمية اسمه يحمد، وقيل: عبدالله الشعباني الدمشقي مقبول من الثانية.

فهذا إسناد فيه ضعف، ولكن له شواهد تعضده:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه، رواه البزار في مسنده ٥/ ١٧٨ (١٧٧٦)، وفي الكشف ٤/ ١٣١ (٣٣٧٠)، والطبراني في الكبير ١٠/ ١٨٢ (١٠٣٩٤) و ١٧/ ١١٧ (٢٨٩)، والدارقطني في الأفراد (مخطوط) ٢/ ق ٢٠٨، قال في المجمع ٧/ ٢٨٢: ورجال البزار رجال الصحيح غير مهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان، اهـ.

٢- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بمعناه عند الإمام أحمد في المسند (٦٥٠٨) و (٧٠٦٣) و (٧٠٤٩)، ورواه أبو داود في سننه برقم (٤٣٤٢)، والحاكم ٤/ ٤٣٥ و ٥٢٥ وصححه ووافقه الذهبي.

٣- عن عتبة بن غزوان مرسلاً بنحوه، رواه محمد بن نصر في السنة ص ٩.

(١) قال سبحانه في سورة الجاثية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال مُجَاهِدٌ: «رحِمَ الله عَبداً نَظر لِنَفْسِه وتَركَ الكَلامَ فيما لا يتَكلمُ فيه مَنْ كان قَبْله، فإنَّه كَفُاه بِغَيرِه»(١).

وقال ابُن مَسْعودٍ رحمةُ الله عليه: «اتّبعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فقد كُفِيتُمْ»(٢).

---

(١) لم أقف عليه، وفي الباب عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: «البدع والشبهات».

وقال: «ما أدري أي النعمتين أعظم أنْ هدانا للإسلام، أو عافانا من هذه الأهواء».

رواهما عنه من غير ما طريق أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام في الطبقة الثانية من ذم السلف للأهواء والأغاليط ٢/ ق ٣١٨.

وروى الأول منهما محمد بن نصر في السنة ص ١٢ (١٩) بإسناد صحيح.

(٢) وتمامه: «وكل بدعة ضلالة».

أخرجه وكيع في الزهد ٢/ ٥٩٠ (٣١٥) قال: ثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عبدالرحمن السلمي عن ابن مسعود به.

وأخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٦٢) عن وكيع بمثله.

وأخرجه الدارمي في سننه ١/ ٨٠ (٢٠٥) عن يعلى عن الأعمش به.

وأخرجه محمد بن نصر المروزي في السنة (٧٨)، وابن وضاح في البدع ص ٤٣ (١٤).

والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٦٨ (٨٨٧٠).

وابن بطة في الإبانة الكبرى في (كتاب الإمان) ١/ ٣٢٧ (١٧٥).

وأبو القاسم اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٨٦ (١٠٤).

والبيهقي في المدخل إلى السنن (٢٠٤).

وقوام السنة أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب ١/ ق ٥١ ب، كلهم من طريق الأعمش به.

. . . .

وكذا أبو شامة في الحوادث والبدع ص ٦٥ رواه من طريق الدارمي بمثله.

قال في المجمع ١/ ١٨١ : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» اهـ، ولكن علته عنعنة الأعمش، وحبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس، ولم يصرحا بالسماع.

* ومن المتابعات له:

١- ما خرجه ابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها ص ٤٢ (١٢) من طريق آخر عن قتادة عن ابن مسعود به، ولكن لم يصح سماع قتادة من ابن مسعود.

٢- وما رواه ابن خيثمة في العلم ص ١٦ (٥٤) من طريق آخر عن حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود وصححه محققه الألباني.

٣- ما رواه محمد بن نصر في السنة (٧٩) عن الأعمش من وجه آخر عن ابن مرداس عن ابن مسعود بلفظ «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**» وهي أتم المتابعات.

٤- ومثلها ما رواه ابن نصر في السنة (٨٠) بالإسناد السابق إلى أبي الشعثاء عبدالله بلفظ: «**إنكم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويُحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدى الأول**»، ورواه وكيع في الزهد (٣١٦) وأحمد في الزهد (١٦٢) عن وكيع به، والدارمي في مقدمة سننه ـ باب كراهية أخذ الرأي.

٥- ما ذكره البوصيري في إتحاف المهرة ١/ ٩٧ ق: قال محمد بن يحيى العدني ـ صاحب الإيمان بسنده ـ في مسنده ـ عن ابن مسعود أنه وقف على قوم فقال: «والله لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً، ولقد ابتدعتم بدعة ظلماء، اتبعوا ولا تبتدعوا، والله لقد سبقتم سَبْقاً بيناً، ولئن ابتدعتم لقد ظلمتم ظلماً بعيدا، أو قال: ضللتم ضلالاً بعيدا».

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

وقال ابْن عَباسٍ رضي الله عنه: «يشاقق الرسول» يعني: مَنْ يُخَالِفْ الرَّسولَ: «من بعد ما تبيَّنَ لَهُ الهدى» يعني به: بَعد إِظْهارِ النُّبوةِ والرِّسالةِ عليه، «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سبيل المؤمنين» يعني به: إِجْمَاعَ

ورواه بنحوه ابن وضاح في البدع (٩)، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٣٥٨، وعبدالرزاق في المصنف (٥٤٠٩)، والطبراني في الكبير ٩/ ١٢٦ (٨٦٣٠ و ٨٦٣٣).

ولابن مسعود رضي الله عنه موقوفات أخر يأتي بيانها في مناسباتها.

وعليه فالمتابعات التامة والقاصرة تجعل الأثر صحيحاً عن ابن مسعود.

* كما أن له شواهدَ عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته على المنبر: «فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» رواها ابن بطة في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٥٠.

٢- عن حذيفة رضي الله عنه بنحوه أخرجه البخاري في الصحيح متصلاً في الاعتصام بالسنة رقم (٦٨٥٣) ولفظه: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً أو شمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدا». رواه ابن وضاح في البدع (١٠ و ١٣ و ١٥)، وابن نصر في السنة (٨٦ و ٨٧).

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه ولفظه: «عليكم بالاستقامة والأثر، واتباع الأمراء، وإياكم والتبدع» أخرجه ابن نصر في السنة ٨٣ بسند صحيح عنه، ومن وجه آخر الدارمي في سننه ١/ ٦٥ (١٣٩) في المقدمة ـ باب من هاب الفتيا. وابن وضاح في البدع (٦١) من وجه آخر أيضاً.

الصَّحابةِ عليه، «نولِهِ ما تولى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيراً» يعني: مَنْ خَالفَ النَّبي ، وأَصحابَهُ وعَدهُم الله نارَ جَهنْمَ وسَاءت مصيراً(١).

وقال ابنُ مَسْعودٍ: «خطَّ لنا رَسولَ الله خَطّاً، وقال: هَذا سَبيلُ اللهِ، ثم خَطَّ عن يَمينِ الخَطِّ خُطوطاً وعن يَسارهِ كذلك، وقال: هذه سُبُلٌ، وعلى كُلِّ سَبيلٍ مِنْها شَيطَانٌ يَدعو إليه الخَلقَ، ثم تَلاَ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٢).

---

(١) ذكره نحوه في التفسير المنسوب لابن عباس «تنوير المقياس» ص ١٠٥ قال: «﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ في التوحيد والحكم وهو طعمة ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ يتخذ ﴿غَيْرَ سَبِيلِ﴾ دين ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يختر على دين المؤمنين دين أهل مكة ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نتركه إلى ما اختارَ في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ صار إليه» اهـ.

وبنحو قول ابن عباس في المتن قال ابن جرير في تفسيره ٥/ ٣٧٦، وأبو الليث في تفسيره ١/ ٣٨٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ١٩٢.

وفي سبب نزولها عن ابن عباس: ان قوماً قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ثم سرقوا فهربوا إلى المشركين ثم ارتدوا.

هذا القول تجتمع عليه الروايات الواردة في تفسيرها.

انظر مستدرك الحاكم ٤/ ٣٨٧ وصححه على شرط مسلم، وزاد المسير ٢/ ١٩١-١٩٢، والوسيط للواحدي ٢/ ١١٦، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ١١٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٥٢، وعن قتادة بنحوه عند الترمذي في التفسير (٥٠٢٧).

وسيأتي للآية مزيد بيان في باب فضائل الصحابة إن شاء الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من طريقين ١/ ٤٣٥ و ٤٦٥ ورقم (٣١٤٢ و

. . . .

٤٤٣٧) شاكر، كلاهما من طريق عاصم بن أبن النجود عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به.

وأخرجه أبو داود الطيالسي في المسند (٢٤٤).

والدارمي في سننه ١/ ٧٨.

والنسائي في السنن الكبرى ـ في كتاب التفسير رقم (١١١٧٤) ٦/ ٣٤٣.

وابن أبي عاصم في السنة (١٧).

والشاشي في مسنده من ثلاث طرق (٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧).

والبزار كما في ـ كشف الأستار ـ من طرق (٢٢١٠-٢٢١٢) وهو في المسند له ٥/ ٩٩ (١٦٧٧) وقال: وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن أبي وائل. . اهـ.

وابن حبان ـ كما في الإحسان ـ ١/ ١٨٠-١٨٢ من طريقين (٦، ٧).

والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٨ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وابن جرير في تفسيره لآية الأنعام ٨/ ٥٣ (١١٠٢٦).

وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٦٣ كلهم من طرق عن حماد بن زيد عن عاصم به. ورجاله رجال الشيخين خلا عاصم بن بهدلة بن أبي النجود، فإنه صدوق له أوهام، وحديثه في الصحيحين مقرون. وهو من السادسة مات سنة ١٢٨هـ، فالحديث به حسن والله أعلم.

قال في المجمع ٧/ ٢٢ عقبه: «رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف» اهـ.

* ووردت له متابعات:

أخرج النسائي في الكبرى ـ في الموضع نفسه ـ (١١١٧٥) من طريق أخرى عن ابن مسعود مثله.

يعني الخُطوطَ الذين عن يَمْينهِ وعَنْ يَسارِه، فهذا بَرَاءَةٌ مِنْ قَوْلِ المُلْحِدَةِ والزَّنادِقَةِ[1] وما يَتشَعَّبُ مِنْ مذَاهِبِهم وأَقاوِيلهم».

وقد أخرجها الحاكم ٢/ ٢٣٩، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ومتابعة أخرى أخرجها البزار ـ كما في كشف الأستار ـ (٢٢١٢) عن الربيع عن ابن مسعود نحوه.

* والحديث أصله في البخاري في كتاب الرقاق ـ باب الأمل وطوله (٦٠٥٤) عن ابن مسعود بلفظ آخر هو: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: **«هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ـ أو قد أحاط به ـ وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»**.

وانظر شرحه في الفتح ١١/ ٢٤١-٢٤٢ حيث رسم هذه الصورة في خمسة أشكال على اختلاف الأقوال فيها.

* وللحديث شواهد عن عدد من الأصحاب رضي الله عنهم:

١- عن جابر.
٢- وابن عباس.
٣- والنواس بن سمعان.
٤- وأبي هريرة رضي الله عنهم.

أخرجها ابن ماجه في المقدمة (١١) والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٩١، ومحمد بن نصر في مقدمة السنة ص ١٠ وما بعدها.

وانظر: اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٨٠ وما بعدها، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٢، والدر المنثور ٣/ ٥٥-٥٦.

وعلى كلٍ فالحديث مشهور ومروي في كثيرٍ من كتب أصول السنة.

(١) سبق التعريف بهم ص (٤٨٦).

وأنّ الإسلامَ غيرُ الإِيْمَانِ(١)، لأنَّ الإِسلامَ: هو القَوْلُ والإِيمانَ: هو العَمَلُ.

---

(١) هذا عند اجتماع الإسلام والإيمان، فإن لكل منهما معنى يختص به، وهو ما حكاه المؤلف من أن الإسلام هو القول يعني كلمة التوحيد، حيث بها يدخل للإسلام، كما أن بقية الأركان الظاهرة من الإسلام، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الآية [الحجرات: ١٤].

وكما ورد في حديث ابن عمر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**».

ولحديث عمر بن الخطاب: «لما اطلع عليهم رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد.

فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، وجعل يديه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟

فقال الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله. . فذكر الأركان الخمسة.

قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدِّقه.

قال أخبرْني عن الإيمان؟

قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. . الحديث.

رواه مسلم بطوله، والبخاري لبعضه وجمع طرقه وألفاظه الحافظ ابن منده في أول الإيمان له.

والإيمان هو الشعائر الباطنة كما في حديث جبريل، كما أن العمل من الإيمان لأن الإيمان في تعريف أهل السنة والجماعة: قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد

علاقة الإسلام بالإيمان وهل الإيمان مخلوق

والإِيمانُ ما كان مِنْ صِفَاتِ الله تعالى فهو غَيرُ مخَلُوقٍ، وما كان مِنْ أَفعالِ العِبَادِ فهو مَخلوقٌ(١).

بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، فالعمل من الإيمان.

* أما عند افتراق الإسلام عن الإيمان فإن أحدهما يتضمن الآخر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. [٧٧/ب]

فإن الدين عند الله أيضاً الإيمان، وأيضا ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

يؤيده حديث وفد عبدالقيس في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لهم: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم**».

وهذا معنى قول العلماء: الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

(١) هذه المسألة من المسائل المبتدعة وهي رد على المبتدعة، كما نقله ابن تيمية عن جماعة ممن حكى أقوالهم في الحموية ص ٤٦ و ٥٠، لأن إطلاق القول بأن الإيمان مخلوق باطل؛ لأنه يوهم أن كلام الله وأسماءَهُ وصفاته مخلوقة.

وإطلاق القول أنه غير مخلوق، يوهم أن أفعال العباد قديمة وغير مخلوقة.

فلما ابتُدعت هذه المقالة عقب مقالة اللفظية بالقرآن، احتاج العلماء إلى التفصيل فيها على ما ذكره المؤلف.

وقد نقل ابن حامد عن أبي طالب عن الإمام أحمد أنه قال في الإيمان:

«من قال: مخلوق فهو جهمي، ومن قال إنه غير مخلوق فقد ابتدع، وأنه يهجر حتى يرجع» اهـ، من طبقات الحنابلة في ترجمة الحسن بن حامد ٢/ ١٧٦.

. . . .

ولذا عقد أبو يعلى في مختصر المعتمد في أصول الدين ١٩١ وما بعدها فصلاً قال فيه: «فصل في الإيمان هل هو مخلوق أم لا؟

وأعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق. .» وانظر مسائل الإيمان له ٤٥٩.

وللشيخ ابن تيمية في المسألة جُزْءٌ، بل قاعدة في الفتاوى ٧/ ٦٥٥-٦٦٥ في أن الإيمان هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟

ذكر فيها نشأة هذه البدعة مع غيرها من الألفاظ المجملة المستشكلة، وأن هذه الأقوال كلها مبتدعة مخترعة لم يقل السلف شيئاً منها.

وقال في آخرها: «وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟

قيل له: ما تريد بالإيمان؟

أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه، كقوله (لا إله إلا الله)، وإيمانه الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق.

أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم، فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة.

ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة.

ولا يقول هذا من يتصور ما يقول.

فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل. .» اهـ.

وانظر الفتاوى ١٢/ ١٧٠ و ٢١٠-٢١١ و ٣٠٦ و ٣٧٣ و ٤٣١ وغيرها. ومختصر الصواعق المرسلة ٤١٦-٤٢٨، وانظر مختصر المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص ٨٨-٩٠، ولوامع الأنوار ١/ ٤٣٩ - ٤٤٦ مع حاشية ابن سحمان عليه.

وهذه المسألة في ثنايا بحث البخاري في خلق أفعال العباد، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة.

بَابُ الإِيمانِ بأنَّ القُرآنَ كَلامَ اللهِ تعالى غيرُ مَخلُوقٍ

والإِيمانُ بأنَّ القُرآنَ كلامُ الله غيرُ مَخلُوقٍ، بل هو وَحيُ الله وتَنْزِيلُهُ.

وقراءة القُرآنِ هو القُرآنُ، والتِلاَوةُ، واللَّفظُ به هو المَسمُوعُ مِنْ كَلام الله تعالى دُون حَركاتِ العَبادِ به(١).

---

(١) يفرق المؤلف هاهنا بين أمرين:

١- فعل العباد الذي هو حركات ألسنتهم وشفاههم وخياشيمهم.. وهذا كله مخلوق من فعل العباد.

٢- الملفوظ المتلو عند حركاتهم وهو القرآن وهو غير مخلوق.

وذلك أنه روى فوران صاحب الإمام أحمد، أنه طلب منه خلوة فسأله عن الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

القرآن كيف تصرف في أقواله وأفعاله فغير مخلوق، فأما أفعالنا فمخلوقة.

قلت: اللفظية تعدهم يا أبا عبدالله في جملة الجهمية؟ فقال: لا، الجهمية الذين يقولون القرآن مخلوق. رواها الذهبي في السير ١١/ ٢٩١.

وروي عنه من غير ما وجه أنه قال: «يتوجه العبد بالقرآن إلى الله لخمسة أوجه، كلها غير مخلوقة: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بآذان، ونظر ببصر، وخط بيد.

فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق..» رواها إبراهيم الحربي في رسالته ٣٢ أن القرآن غير مخلوق وابن بطه في الإبانة «الرد على الجهمية» ١/ ٣٤٠ (١٤٥) من وجهين.

وتمام البحث في مختصر الصواعق ٤١٦-٤٢٧.

أما الجَهْمّيةُ[١] تَقولُ: إنَّ القُرآنَ مَخلُوقٌ، شَبَّهوا الله تعالى بِهَذا القَوْلِ بِعَبدةِ الأَوثَان، وهم كُفَّار زَنادِقَةٌ، وأَنّ الوَثَنَ لاَ يتكلَّم ولا يَسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغني عنك شَيْئاً.

وهكذا قَوْلُ هؤلاِء: إنَّ الله جلَّ اسُمه لا يَتكلَّم، ومَنْ قال هذا فَقَد كَفَر، لأنَّه لا يَجوزُ أنْ يكونَ الخَالقُ غيرَ مُتَكِلمٌ.

وبالكِلاَم خَلَق الخَلْقَ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. [النحل: ٤٠]

---

(١) نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي الترمذي، الذي قتله سَلْم بن أحوز سنة ١٢٨ هـ الذي أخذ مقالته عن الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري بالعراق سنة ١٢٣ هـ، وعن غيره.

فقد ظهرت الجهمية بظهورهما في أواسط القرن الثاني الهجري، وكان الجهم جاحداً للأسماء والصفات ورؤيته الله في الآخرة، قائلاً بخلق القرآن، وأن الله في كل مكان، وبالإرجاء المحض: بأن الإيمان هو المعرفة والكفر هو الجهل، وقائلاً بالجبر وفناء الجنة والنار، وأنهما لم تخلقا بعد، ونفي الحكمة عن أفعال الله، ونفي حقيقة الروح.

وكان قد ناظر السُمنية ـ ومن فلاسفة الهند ـ فبقي أربعين يوماً لا يصلي ولا يعرف رباً ثم ظهر ببدعة.

قال شيخ الإسلام ١٣/ ١٨٢: «المقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب، والتي أوجبت إدبارها، وفي آخر دولتهم ظهر الجهم بن صفوان بخراسان، وقد قيل: إن أصله من ترمذ، وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية.. وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون، وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه..» اهـ.

فأخبرَ الله تعالى أنَّه بالكَلامِ خَلَقَ الخَلْقَ .

فأما عَبدةُ الأَوثَانِ والأَصنامِ[1] فإِنَّهم عَبدوا ما لا يتكُلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٤٨]

وقال أيضاً تعالى ذِكُره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤]

وانظر أقوال جهم في أوائل النونية لابن القيم والتبصير لابن جرير ١٦٩ ، ومقالات الإسلاميين ٢١٤ والملل والنحل ٨٦ ، والتبصير في الدين للاسفرايني ١٠٧ ، والفرق بين الفرق ١٥٧ ، والتنبيه ٩٣-١٣٩ ، والفصل ٣/ ٣٥ و ٨١ ومواضع بعدها ، والخطط ٢/ ٣٤٩ ، والميزان ١/ ٤٢٦ ، ولسانه ٢/ ١٤٢ ، والاعتقادات للرازي ٨٩ ، وتاريخ الجهمية ١٠-٥٥ .

والمقصود أن قول الجهمية هو عين قول المعتزلة في كلام الله .

ولذا يقسم شيخ الإسلام الجهمية المعطلة إلى طوائف :

١- الجهمية المحضة وهم هؤلاء .
٢- الجهمية المعتزلة .
٣- الجهمية الأشاعرة ، وهم النفاة من كل منهما .

(١) الوَثَن : محركة يطلق على الصنم ، وما عبد من دون الله مما ليس له صورة .

والصنم بما يعبد مما له صورة من حجر وغيره .

انظر : مادة (وثن) و (صنم) من القاموس وشرحه والصحاح واللسان ، ونزهة القلوب ٨١ نص عليه وأيضاً ٨٧ .

فأخبر أَنَّ كلَّ مَنْ لم يُجبْ إذا دُعي لا يكون رَبّاً .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ .

[الأعراف : ١٤٤]

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ . [الزمر : ٢٨]

يعني غَيرَ مَخلُوق(١) .

وقال النَّبيُّ ﷺ : «قَرأ ربُّنا طه ويّس قَبل أنْ يُخلَق آدمُ ﷺ بألفي عَامٍ»(٢) .

---

(١) كما مر تفسيره عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، ويأتي في تخريج حديث عمر بعد قليل إن شاء الله .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، في كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل سورة طه ويس ٢/ ٥٤٨، ثنا إبراهيم الحزامي، ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان، عن مولى الحرقة عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قرأ طه ويّس قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجساد تحمل هذا، وطوبى لألسن تنطق بهذا»** .

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٦٩ (٦٠٧)، وأبو بكر بن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٠٣ (٢٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريقين ١/ ٥٦٦-٥٦٧ (٤٩١ و ٤٩٢)، وفي شعب الإيمان (٢٤٥٠)، وابن عدي في الكامل ١/ ٢١٦، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٦٦، وابن بطه في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٦٩ (٣٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ٢/ ٢٢٦، وابن حبان في المجروحين ١/ ١٠٨ وقال: هذا متن موضوع، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٧، وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة إبراهيم بن المهاجر رقم (٢٢٤) وذكره في اللسان ١/ ١٤ .

. . . .

كلهم من طرق عديدة عن إبراهيم بن المهاجر به .

وإبراهيم بن المهاجر هذا هو : المدني ، مُضعف لم يروِ عنه الجماعة ، وقال فيه البخاري منكر الحديث ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً ، وضعفه النسائي والحافظ في التقريب ولم يوثقه إلا ابن معين ، قال فيه : صالح ليس به بأس .

وانظر : التهذيب ١/ ٣٠١ ، وتاريخ الدارمي ٧٢ ، والميزان ١/ ٦٧ ، ولسانه ١/ ١١٤ ، والمجروحين ١/ ١٠٨ .

وعمر بن حفص هو : ابن ذكوان أبو حفص العبدي ، قال فيه أحمد : تركنا حديثه وحرقناه ، وقال النسائي : متروك ، وضعفه الدارقطني ، وقال ابن المديني : ليس بثقة .

وانظر : الميزان ٣/ ١٨٩ ، والتاريخ الكبير ٦/ ١٥٠ ، والمجروحين ٢/ ٨٤ .

ومولى الحرقة هو : عبدالرحمن بن يعقوب الجهني المدني ثقة من الثالثة ، روي له مسلم والأربعة والبخاري في جزء القراءة .

فالحديث على هذا ضعيف جداً ، بل منكر .

قال ابن كثير في أول تفسير طه : هذا حديث غريب وفيه نكارة .

بل قال ابن حبان وابن الجوزي : إنه موضوع .

وفي اللآليء المصنوعة ١/ ١٠ نقل عن الحافظ أنه تعقبهما فقال : «زعم ابن حبان وتبعه ابن الجوزي أن هذا المتن موضوع ، وليس كما قالا ، فإن مولى الحرقة هو عبدالرحمن بن يعقوب من رجال مسلم ، والراوي عنه ، وإن كان متروكاً عند الأكثر ضعيفاً عند البعض (وهو منهم) فلم يُنسب للوضع . . » اهـ .

وعزاه السيوطي إلى أبي نصر السجزي في الإبانة ، والطبراني في الأوسط .

وله شاهد عن الديلمي عن أنس .

وروى أَنَّه قال: «فَضلُ القُرآنِ على سَائرِ الكَلامِ كَفضلِ اللهِ على خَلْقِهِ»(١) وذلك أنّه مِنْه.

وذكره في المجمع ٧/ ٥٦ وعزاه للطبراني في الأوسط، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ١٣٩، وذكره العراقيُّ وضعفه، والزبيدي وعزاه لابن مردويه كما في تخريج الإحياء من الاستخراج ٨٠٧، وذكره في النكت البديعات رقم (١).

(١) الحديث مروي عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم:

١- منهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٢٦)، والدارمي في سننه ٢/ ٤٤١، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨١/ ٥٠٧، وفي الاعتقاد ص ١٠١، والطبراني في الدعاء (١٨٥١)، ومحمد بن نصر في قيام الليل ١٢٢، وعثمان الدارمي في الرد على الجهمية رقم ٢٨٥ و ٣٣٩، وعبدالله ابن الإمام أحمد في السنة ١/ ١٤٩، وابن بطه في الرد على الجهمية من الإبانة الكبرى ١/ ٢٢٤.

٢- وعن أبي هريرة أخرجه عنه: الدارمي في السنن ٢/ ٤٤١، وأبو داود في المراسيل (٣٥٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن (١٣٩)، وعبدالله بن أحمد في السنة (٢٢)، وعثمان الدارمي في الرد على الجهمية (٢٨٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨٣ (٥٠٩)، وابن بطه في الإبانة (الرد على الجهمية) ١/ ٢٦٧ (٣٧)، واللالكائي في شرح السنة ١/ ٣٣٩ (٥٥٧)، وابن عدي في الكامل ٥/ ٤٨ من رواية شهر بن حوشب، وانظر: الفتح ٨/ ٦٨٤.

٣- وعن عمر بن الخطاب، ورواه عنه: يحيى بن عبدالحميد الحماني في مسنده، وفي إسناده صفوان بن أبي الصهباء، مختلف فيه، ذكره الحافظ في الفتح ٨/ ٦٨٤.

٤- وعن محمد بن كعب القرضي، رواه عنه: ابن بطه في الإبانة الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٦٧ (٣٨).

. . . .

٥- وعن عثمان بن عفان موقوفاً ومرفوعاً:

فالموقوف أخرجه الدارمي عثمان في الرد على الجهمية ٣٣٩، واللالكائي في شرح السنة ٢/ ٣٣٨ (٥٥٦).

والموقوف أخرجه ابن بطه في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٢٨ من طريق الحمّاني، ثنا إسحاق بن سليمان الرازي، ثنا الجراح عن علقمة بن مرثد عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله عز وجل على خلقه وذاك أن القرآن منه خرج وإليه يعود**».

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٧٩ (٥٠٥) بمثله وقال: تابعه يعلي بن المنهال عن إسحاق بن سليمان في رفعه، ويقال إن الحماني منه أخذ ذلك والله أعلم.

والحديث بهذا اللفظ رجاله كلهم ثقات إلا يحيى بن عبدالحميد الحمّاني، فإنه كوفي حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث، وهو من صغار التاسعة روى له مسلم، مات سنة ٢٢٨هـ.

ولهذا أشار البخاري إلى عدم صحته ـ بهذا اللفظ ـ في خلق أفعال العباد ١٩٩ (ضمن عقائد السلف)، وفي الفتح ٨/ ٦٨٤: ترجم بلفظ الحديث البخاري، حيث روي البخاري في صحيحه الحديث متصلاً عن عثمان مرفوعاً بلفظ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» دون باقيه. كما في كتاب فضائل القرآن ـ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧)، وقال الحافظ في الفتح: «وقد بين العسكري أنها (أي هذه اللفظة) من قول أبي عبدالرحمن السلمي» اهـ.

ولذا رواه ابن بطه في موضع آخر ١/ ٢٥١ من طريق أخرى عن الجراح الكندي،

وقال النَّبيُّ ﷺ : «إنّ هذا القُرآنَ مِنْ الله كَكلامَ الخَلقِ مِنْ الخَلقِ، فلّما كَانَ اللهُ غيرَ مَخلُوقٍ كان كَلامُه غِيرَ مَخلُوقٍ»(١) .

شبهةٌ في معنى «محدث» والجواب عنها:

فإنْ قال مُخَالِفٌ : وقد قال الله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ . [الأنبياء: ٢]

(أ) قِيَل له هذا : اللَّفظُ ذَكُره ولم يعنِ به القُرآن(٢) .

عن علقمة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان مرفوعاً بلفظ : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» قال أبو عبدالرحمن : فذلك الذي أقعدني مقعدي هذا وكان يعلم القرآن في مسجد الكوفة ٤٠ سنة، قال أبو عبدالرحمن : «وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الرب على خلقه، وذلك منه» والله أعلم .

(١) لم أجده! ولقد سألت عنه سماحة شيخنا ابن باز فقال : «ليس له أصل، هو من كلام الناس» ويُغني عنه الحديث «**فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه**» وسبق قبله .

(٢) للمفسرين في معنى الذكر أقوال :

١- المشهور من قولهم : أنه القرآن وهو المروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وهو الذي أختاره، بل لم يذكر غيره ابن جرير الطبري ذكره في آية الأنبياء، وعلى آية أول الشعراء ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الأنبياء: ٢] ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية .

٢- أنه ذكر من الأذكار سواء كان من قول الرسول ﷺ وبيانه، أو غيره مما يُحدث الله من الأمر بعد الأمر، والأخير مروي عن مجاهد وقال به أبو الحسن في الإبانة ١١٦ .

٣- أنه الرسول ﷺ بدليل قوله تعالى في الآية بعدها : ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] .

(ب) وقد قِيلَ في بَعضِ التَّفاسيرِ: إِنَّه مُحدَثٌ على اسْتِمَاعِ الخَلق، لأنَّهم سمعوا شَيئاً لم يَسمعْوا به[١] إلا بعَد ما أَنَزله الله على مُحمدٍ ﷺ فكان مُحدَثاً على اسِتْمَاعهم، فيدلُّ أَنَّه مُحْدَثُ التَّنزيلِ على اسْتَماعِ الخَلقِ[٢]، إذْ وقَعَ في أَسمَاعِهِم شَيْءٌ لم يَسمعُوا قطّ. [٨٧/ب]

وعن أَبي هُرَيرةَ رضي الله عنه أَنَّه قال كُنْتُ عند عمَر بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه إِذْ جَاءه رَّجلٌ فقال: يا أميرَ المُؤمنين ما تَقولُ في القُرآنِ أَمَخلوقٌ، أمْ

وانظر: تفسر الطبري ١٧/ ٤، والدر المنثور ٤/ ٥٦٣، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٩، وزاد المسير ٥/ ١٠٤، وفتح القدير ٣/ ٣٩٧، وتفسير سهل التستري ٦٩، وتفسير ابن تيمية ضمن الفتاوى ١٥/ ٢٦٥، وتنوير المقباس ٣٣٨، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٦٧، والوسيط للواحدي ٣/ ٢٢٩، وتفسير السمرقندي ٢/ ٣٦٢، وتفسير الماوردي ٣/ ٤٣٦، وتفسير ابن جزي الكلبي ٢/ ٣١، وتفسير ابن سعدي ٤٦٧ و ٥٣٧.

(١) جاء في حاشية المخطوط من أعلى: وفي نسخة أخرى: لم يعرفوا.

(٢) وقال به جماعة من المفسرين: بأن الذكر محدث النزول، أي متجدد في النزول، لأن القرآن أنزل آية بعد آية، وسورة بعد سورة، فالإحداث يعود إلى الإنزال.

قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٢٢٩، وفي تفسير ابن جزي ٢/ ٣١، وقال سهل التستري في تفسيره لآية الشعراء ص ٦٩: «أي ما أحدث لهم من علم القرآن الذي لم يكونوا يعلمونه من قبل وهو النزول، إلا أعرضوا عنه، ليس أن يكون الذكر في نفسه محدثاً لأنه من صفات ذات الحق، ليس بمكون ولا مخلوق» اهـ، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٦٧ وقال: «كان ينزله الله عليه في وقت بعد وقت، لا أنَّ القرآن مخلوق» اهـ.

وفي تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٣ وقال: «(محدث) أي جديد إنزاله» اهـ، وفتح القدير ٣/ ٩٧، وهذا جارٍ على قاعدة: أن كلام الله قديم النوع، متجدد الآحاد.

غيرُ مَخلُوقٍ؟ فتَعجبَ عمرُ مِنْ قَوْلِهِ، فأخذ بِيَده ومرَّ به إِلى عليٍّ بنِ أبي طَالب رضي الله عنه، وقال يا أبا الحَسنِ: ألا تَسمعُ ما يقَولُ هذا؟ فقال: ما يَقُول؟ فقال الرَّجلُ: سألتُ أميرَ المُؤمنين عن القُرآن أمَخلوقٌ هو، أَمْ غيرُ مَخلُوق؟ قال فَوجَمَ لها عليٌّ! ثم قال: يا أميرَ المؤمنين: إنَّه سَيكُون في كِلاَمه هذا في آخر زِمَانِنا، ولو وُلِّيتُ الأمرَ ما وُليتُه لضَربت عُنقَه!(١)

---

(١) لم أجده، ويشكل عليه كون المسألة لم تعرف في زمن الصحابة، أعني هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق، فضلاً عن صدرهم، لأنها قضية واضحة ومحسومة، بأن القرآن كلام الله وصفة من صفاته كما نطق بذلك جماعة منهم، ممن نقله عنهم ابن بطه واللالكائي ويأتي بعضه إن شاء الله.

ولذا قال الحاكم أبو أحمد: «.. لأنه لا يعرف للصحابة رضي الله عنهم الخوض في القرآن».

قال البيهقي: «قلت: إنما أراد أنه لم يقع في الصدر الأول والثاني من يزعم أن القرآن مخلوق، حتى يحتاج إلى إنكاره..» من الأسماء والصفات ١/ ٥٩٥.

وقد نصّ شيخ الإسلام ـ في الكيلانية ضمن المجموع ـ ١٢/ ٣٥٠-٣٥٢: على أن أول من أظهر نفي كلام الله وصفاته هو الجعد بن درهم، شيخ الجهم بن صفوان السمرقندي، وكان من أهل العراق، وبه ضحى خالد القسري في زمن بقايا التابعين بعد موت الحسن البصري بنحو ثمانِ سنين، وقد ظهرت مقالته في حياته!

حتى قال ابن القيم في أول النونية:

جهم بن صفوان وشيعته الأولى ... جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السموات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام الربّ جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان

إلى آخر الفصل.

. . . .

* وأما ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من أن القرآن كلام الله، ابتداءً وتقريراً فالتالي:

١- فعن أبي بكر رضي الله عنه لما قرأ على المشركين أول سورة الروم قالوا له: كلامك هذا أم كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، ولكن كلام الله عز وجل.

وفي رواية: «قال: لا، ولكن كلام الله وقوله».

أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٠٤-٤٠٥، والبخاري في خلق أفعال العباد (٩٢) معلقاً، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨٥ (٥١٠) من طريقين وصححه، وفي الاعتقاد ١٠٢، وأخرجه قوام السنة في الحجة ١/ ٢٩١، وأصل القصة مطولة عند الترمذي (٣١٩٤) وقال حديث صحيح حسن.

٢- وعن أبي عبدالرحمن السلمي أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: «أيها الناس، إن هذا القرآن كلام الله، فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم، فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس فدخلوه طوعاً وكرهاً، وقد وضعت لهم السنن ولم تترك مقالاً، إلا أن يكفر عبد عمد عين، فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، اعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهِهِ».

وأخرجه الدارمي في سننه ٢/ ٥٣٣، وعثمان بن سعيد في الرد على الجهمية ١٤٥، وعبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٤٤، وابن بطه في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٤٨ و ٢٤٩ من طريقين، وكذا في الأسماء والصفات ١/ ٥٩١ (٥٢١) و (٥٢٢) و (٥٢٣) من طريق يتابع بعضها بعضاً.

٣- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعت من كلام ربنا، وإني لا أكره أن يأتي علي يوم لا أنظر فيه في المصحف، قال الحسن البصري ـ راويه ـ وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه»

. . . .

رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٤٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩٣ (٥٢٤).

٤- وقال علي رضي الله عنه - لما قالوا له حكمت كافراً ومنافقاً -: «ما حكمت مخلوقاً، ما حكمت إلا القرآن».

أخرجه اللالكائي في شرح السنة ٢/ ٢٢٨ (٣٧٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩٤ (٥٢٥) وقال: هذه الحكاية عن علي رضي الله عنه شائعة فيما بين أهل العلم ولا أراها شاعت إلا عن أصل، والله أعلم، وقد رواها عبدالرحمن بن أبي حاتم بإسناده هذا. . اهـ. وذكره في الدرّ المنثور ٥/ ٣٢٦ وعزاه لابن أبي حاتم في السنة والبيهقي.

٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه في ألفاظ كثيرة من خطبة الحاجة «إنّ أحسن الكلام كلام الله. . .» وغيرها.

رواها عنه ابن بطه في (الرد على الجهمية) ١/ ٢٤١ و ٢٥٢ و ٢٥٤، وعبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٤٥-١٤٦، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٤٨٢ (٤١٣ و ٥١٥ و٥١٦ و ٥١٧).

٦- وعن خباب بن الأرتّ رضي الله عنه أنه قال لفروة بن نوفل: «إن استطعت أن تقرب إلى الله تعالى فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه».

رواه عنه أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥١٠ (الهندية)، والإمام أحمد في الزهد ٣٥، وابنه عبدالله في السنة ١/ ١٤١، وعثمان الدارمي في (الرد على الجهمية) (٣١٠)، والبخاري في خلق أفعال العباد ص ١٣٢ (النشار)، والآجري في الشريعة ٧٧، وابن بطة في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٤٦ (١٩ و ٢٠) من طريقين، والحاكم ٢/ ٤٤١ وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات

. . . .

١/ ٥٨٧ (٥١٣ و٥١٤) وصححه كلهم من طرق عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف عن فروة.

٧- وقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - كما في قصة الإفك -: «.. ولشأني أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى» والخبر في الصحيحين.

٨- وقد اتفق متأخِّرو الصحابة والتابعين على ذلك كما رواه ابن راهويه عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه قال: «أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود» وقد مضى تخريجه منه.

وكان عمر وقد أدرك تسعة من أصحاب النبي ﷺ هم: ابن عمرو وجابر وابن عباس وابن الزبير والمسور بن مخرمة وسعد بن عائذ والسائب بن يزيد وأبي الطفيل عامر بن واثلة وأنس، رضي الله عنهم.

٩- وأما خبر عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨] قال: غير مخلوق.

فقد أخرجه الآجري في الشريعة ٧٧، وكذلك البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٩٠ (٥١٨) وعزاه في الدرّ المنثور ٥/ ٣٢٦ لابن مردويه.

كلهم من طرق عن معاوية بن صالح عن علي بن طلحة عن ابن عباس، وعلته أن علياً لم يسمع من ابن عباس.

هذا وروي في الباب حديث موضوع عن أنس مرفوعاً: «كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون: القرآن مخلوق، فمن قاله منهم كفر بالله العظيم، وطلقت إمرأته من ساعته، لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول».

فدَّل ذلك كُلَّه على تكفيرِهم وضَلالَهم بهذا القَوْل، وقد قال سَهلُ ابْن عبدِالله(١): «وممَّا يَدلُك على أنَّ القُرآن غيرُ مَخلوق بإجماعِ أَهلِ العَلم: أنَّ مَنْ حلَف بشيءٍ مِنْ خَلْقِ الله مثلِ السَّموات والأَرَضين والمَلائكةِ والأنْبياءِ صلواتُ الله عليهم وغيرِهم، ثم حَنثَ بيمينه فلا كَفَّارَة عليه، ومَنْ حَلفَ بالقُرآنِ أو بآيةِ مِنْه أو بِحَرفٍ، فيحنَثُ فيه

وإنه رواه الخطيب في تاريخ ١٣/ ١٤٢، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٦ وقال: «هذا حديث موضوع، والمتهم به محمد بن يحيى بن رزين، وعزاه في تنزيه الشريعة ١/ ١٣٤ لابن حبان ـ ولم أجده فيه ـ والديلمي عن أنس، وانظر اللالىء المصنوعة ١/ ٣.

وهذا الكلام يشبه قول السلف مِمَّنْ عاصروا الفتنة لا قَوْلَهُ عليه الصلاة والسلام.

والمقصود أن الاستطراد في المسألة لجلالة قدرها، ولتبرئة الصدر الأول من إحداث الفتنة فيه، مع تقريرهم كون القرآن كلام الله بدون نزاع فيه. والله أعلم.

(١) ابن يونس، أبو محمد التُّستري، شيخ الصوفية الزاهد، صحب خالَهُ محمد ابن سوّار، وذا النون المصري لقيه في الحج فلازمه.

لم ينشغل بالحديث لكن كان محباً لأهله، وله كلمات نافعة ومواعظ حسنة، وقدم راسخة في الزهد، وكان على الطريقة المرضية، توفي سنة ٢٨٣هـ، عن أكثر من ثمانين حولاً، وقد جمع له تفسير للقرآن مختصر جداً، وفيه أشياء مستنكرة.

ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، وطبقات الصوفية ٢٠٦، وطبقات الأولياء ٢٢٢، والسير ١٣/ ٣٣٠، والعبر ٢/ ٧٠، وطبقات المفسرين ١/ ٢١٠، ومعجم البلدان «تستر» واللباب ١/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩، والشذرات ٢/ ١٨٢، ومختصر العلو ٢٢٠.

***

فعليه كَفَّارةٌ(١)، وليس بينهم في هَذا خِلَافٌ»(٢).

---

(١) نقل ابن المنذر الإجماع على وجوب الكفارة فيمن حنث بعد أن حلف بالله أو بأسمائه، كما في الإجماع ص ١٣٧ (٦٠٥) وكذا نقله الموفق في المغني ١٣/ ٤٥٢، ووافقه الوزير في الإفصاح ٢/ ٣٢٠ وقال: «واتفقوا على أن اليمين بالله تعالى منعقدة، وبجميع أسمائه الحسنى: كالرحمن والرحيم والحي وغيرها، وبجميع صفات ذاته سبحانه. . .» اهـ.

وقال ٢/ ٣٢٣: «واختلفوا فيما إذا حلف بالمصحف، فقال مالك وأحمد: تنعقد يمينه، فإن حنث فعليه الكفارة، وهو مذهب الشافعي. وقد نُقل في ذلك خلافٌ لمن ذكرناه، لكن عمن لا يعتد بقوله. .» اهـ.

ثم نقله كذلك عن ابن عبدالبر عمن لا يُعتد بخلافه.

أما من حلف بالقرآن أو آية منه فنقل الموفق في المغني ١٣/ ٤٦٠: أنه قول عامة أهل العلم، وخالف فيه أبو حنيفة بأنه ليس بيمين، ولا تجب فيه الكفارة، فمنهم من زعم أنه مخلوق، ومنهم من قال: لا يعهد اليمين به» اهـ.

وانظر: تفسير القرطبي على آية المائدة ٦/ ٢٩٦-٢٧١، والإشراف على مذهب أهل العلم لابن المنذر ١/ ٤١١ مسألة الحلف بالقرآن.

(٢) لم أقف عليه، وقد أسند اللالكائي في شرح أصول السنة ٢/ ٢٦٨ (٤٦٩) عن سهل التستري أنه قال: «من قال: القرآن مخلوق فهو كافر بالربوبية، لا كافر بالنعمة» اهـ.

وقال شيخ الإسلام في الاستقامة ١/ ٢٠٨ بعد سوقه كلاماً للقشيري عن سهل بلا إسناد: «وكلام سهل بن عبدالله وأصحابه في السنة والصفات والقرآن أشهر من أن يذكر هنا، وسهل من أعظم الناس قولاً بأن القرآن كله حروف ومعانيه غير مخلوقة» اهـ.

الأدلة من القرآن على إثبات صفة الكلام لله

والآيَتَان في سُورَةِ البَقرة وآل عمران تَدُلان على أنَّ القُرآن كَلامَ الله غَيرُ مَخلُوقٍ، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

[البقرة: ١٧٤]

وفي آل عمران: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

[آل عمران: ٧٧]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾. [الشورى: ٥١]

ووجُه الكَلامِ: يدلُّ على أنَّ كلامَ الله ليس بمخلُوقٍ.

وقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾. [يس: ٥٨]

وقَوْلُه تعالى: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾. [السجدة: ١٣]

وقَوْلُه: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾. [الزمر: ١]

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. [فصلت: ٢]

فاخبر تعالى ذكره أنَّ القُرآنَ مِنْه، ولا يكونُ مِنْ الخَالق شيء مخلوق[١].

---

(١) استدل المؤلف على إثبات صفة الكلام لله، وأن القرآن من كلام الله بثلاثة أنواع من الأدلة:

١- نوع في إثبات صفة الكلام من خلال آيتي البقرة وآل عمران في الذين ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] فعدم تكليم هؤلاء يدل على تكليمه لغيرهم، كما في قوله ﷺ: «**ثم ليقفنَّ أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له..**» الحديث متفق عليه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه رواه البخاري في الزكاة (١٣٤٧)، ومسلم فيه برقم (١٥٦).

شبه الاستدلال بكون القرآن شيئاً على أنه مخلوق وردها

فإن احتجَّ مُحتجٌ بِقوْلِهِ تعالى : ﴿خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]

(أ) فقل: هو خالُق كُلِّ مخلوقٍ[1] .

(ب) وبقولِه : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]

فقل: يَهلِكُ كُلُّ ما كُتِبَ عليه الهَلاكُ[2] .

(ج) قال الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ١٥٧]

[٧٨/ب] وقال عزَّ اسمه : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ . [آل عمران: ٣٠]

وقد قال : ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ . [المائدة: ١١٦]

فهل نُدخلُ نَفسَ الله تعالى في الأَنْفُسِ في ذَوْقِ المَوت وَغيرِه؟

٢- ونوع في إثبات القول، والقول كلام .

٣- ونوع في إثبات تنزيل الكتاب والقرآن والذكر والفرقان من الله، ولم ينطق فيها سبحانه بلفظه الخلق ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وعليه فلو كان القرآن مخلوقاً لأبانَهُ سبحانه وأوضحه أشد الوضوح، لبيان أنه منزلٌ ومقولٌ ووحي. .

(١) فلا يدخل فيها ما ليس مخلوقاً، والله سبحانه وأسماؤه وصفاته ليس مخلوقاً فلا يدخل فيها. وهذه الشبهة هي شبهة المعتزلة وأضرابهم!

(٢) وخرج منه ما لم يكتب الله عليه الهلاك والعدم كالعرش والكرسي والجنة والنار والأرواح، وعجب الذنب واللوح والقلم، وما شاءه الله من غيرها مما لم يطلعنا عليه، وقد جمعها قول الناظم:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون من حيِّز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وعَجْب وأرواح كذا اللوح والقلم

فإنْ قال: لا، فقل، فكذلك القُرآن لم يَدْخل في جُملةِ ما قاله الله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾. [الأنعام: ١٠٢]

وقال عزَّ اسمه في قِصَةِ بَلْقِيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، ولم تُؤَت مِنْ كُلِّ شَيءٍ! لأنَّ اللِّحيةَ أيضاً مِنْ الأشَياء ولم يكنْ لها انثيان(١).

(هـ) وقال عَزَّ اسمه: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾. [الأحقاف: ٢٤-٢٥]

فهل دُمرَّ كُلُّ شَيءٍ في الأَرض؟ إِنَّما دُمرّ ما كُتبَ عليه الدَّمارُ(٢).

---

(١) وأيضاً لم تؤت ملك سليمان وهو أضعاف ملكها بكثير، بل لم تؤت علم كل شيء، والقدرة على كل شيء.. إلخ.

(٢) ضمن هذه الأجه من الردود على شبه المعطل بقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] على خلق القرآن، والإمام عبدالعزيز بن يحيى الكنانيُّ (٢٤٠) في مناظرته لبشر المريسي كما في كتاب «الحيدة» ص ٤٣-٥٨، ومما لم يذكره المؤلف من الوجوه:

١- أن هذه الآية من أنواع الخبر، وهو الذي خرج مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص في كل شيء مخلوق، كقوله تعالى: ﴿أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، حيث خرج منها إبليس ومن تبعه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٥]، لأن رحمة الله وسعت من يستحقها ليس إلا، وكقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥].

ونوع من الخبر خرج مخرج العموم ومعناه معنى العموم، كقوله تعالى في سورة

عوداً على الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق

ثم إنَّ الذي يَدُلُّك أيضاً على أنَّ القُرآنَ كلامَ الله غيرُ مخلُوقٍ، قَوْلُ الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ الآية. [البقرة: ٢٥٣]

يقرأ ذلك بالرفعِ والنَصبِ(١)، جميع كلامُ الله، يَدلُّ ذلك أنّه كلامُ الله.

وقال عزّ اسمه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾. [النساء: ١٦٤]

النحل: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٩١]، فجمع هذا الخبر الخلق والأمر ولم يبق شيئاً إلا وقد أتى عليه، لأن كل شيء هو له، مما هو مخلوق وغير مخلوق.

٢- قال الكناني ص ٥٨: «وكذلك حين قدَّم إلينا في كتابه خبراً خاصاً فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]، فدل على قوله باسم معرفة، وعلى الشيء باسم نكرة، فكانا شيئين مفترقين عند العرب وأهل اللغة، فقال: ﴿ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ ﴾، ولم يقل إذا أردناهما، وقال: ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾، ولم يقل أن نقول لهما، ففرق بين القول والشيء المخلوق، والذي يقول له كن فيكون بالقول مخلوقاً.

ثم قال عز وجل: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر العام أنه لم يعن كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة، لما قدم في ذلك من الخبر الخاص: أن الأشياء المخلوقة إنما تكون بقوله» اهـ.

وانظر شرح الطحاوية ١٧٨-١٨٢.

(١) ليس في القراءات العشر المتواترة خلاف في رفع لفظ الجلالة، بل ولا الأربع عشرة، حيث لم يذكروا قراءة النصب، بل ولا الخلاف في لفظ الجلالة جماعةٌ ممَّنْ كتبوا في القراءات ووجوهها كأبي بكر ابن مهران الأصبهاني (٣٨١) في الغاية في القراءات

فَمنْ زَعم أنَّ الله تعالى «أسمعَ مُوسى كَلاماً مِنْ غير أنْ تكَلَّم به هو، فأَوجدَ إيَّاه مِنْ غير أنْ تكلَّم به، فقد زَعَم أنَّ الكَلامَ دَعاهُ إلى عِبَادته مِنْ دون الله تعالى»!

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾. [طه: ١٤]

فالقَرآنُ كَلامُ الله عزَّ وجل غيرُ مخَلوق، مِنْه بَدأ، يعني: عرَف العبادُ به الأَمرَ والنَّهيَ، والحَلالَ والحَرام[1]، «وإليه يَعْود» يعني: حُكمَ ما يَستعمُلون به العِبَادُ مِنْ الأَمْرِ والنَّهْيِ.

العشر، وأبي عمرو الداني (٤٤٤) في التيسير، وابن الباذش الأنصاري (٥٤٠) في الإقناع، وابن أبي مريم الفَسَوي (٥٦٥) في الموضح، وابن الجزري في التحبير، ولا المفسرون المعتنون بالقراءات كالبغوي والقرطبي والشوكاني، والأمين الشنقيطي.

وإنما ذكر ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ١/ ٢٦٣ وجه النصب فقال: «وقرأ أبو المتوكل وأبو نهيك وابن السَّميفع: «منهم من كالم الله» بألف خفيفة اللام، ونصب اسم الله» اهـ.

وذكره أيضاً في البحر المحيط ٢/ ٢٧٣، والتبيان للعكبري ١/ ٢٠١، تفسير الرازي ٦/ ٧٠، وذكر الثلاثة الأخيرون قراءة [وكلَّم اللهَ] بالنصب للفظ الجلالة، لكن قال ابن البنا الدمياطي في الاتحاف: «اتفق القراء الأربعة عشر على رفع الجلالة من قوله ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ على الفاعلية، والضمير المحذوف العائد على الموصول هو المفعول. وقُرِئ بالنصب على أن الفاعل ضمير مستكن عائد على الموصول أيضاً، والجلالة تنصب على التعظيم» اهـ.

وانظر: معجم القراءات القرآنية ١/ ١٩٤.

هذا وقد كلم الله من الأنبياء آدم وموسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام.

(١) منه بدأ: أي من الله ظهر ومِنْهُ الحديث: «من بدا جفا» أي من ظهر إلى البادية

فهذا القرآن الذي يَقرأه النَّاسُ وما في المَصاحفِ وما يُقرأُ في الكَتَاتِيبِ، وذلك القُرآنُ الذي تكلَّم الله به تعالى، وهو كَلامُ ربِّ العَالمين، أَمَر الله به القَلمَ، وأمرَّ القَلمُ اللَّوحَ وأمرَ اللَّوحُ إسْرَافِيلَ، . وأمرَ إسْرَافيلُ مِيكائيلَ، وأمرَ مِيكَائيلُ جِبْرِيَل، وأمر جِبْرِيلُ محمداً

وسكنها، وبالهمز بدأ أي ابتدأ الله بالكلام به، ثم أنزله على رسوله وحياً.

وقد رَوَىٰ ابن بطه في الرد على الجهمية من الإبانة (٢٢٦) بإسناده أن الإمام أحمد سئل عن تفسير قوله «القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود» قال: «منه خرج هو المتكلم به، وإليه يعود» اهـ، وانظر شرح الطحاوية: ١٧٦ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في المناظرة على الواسطية ـ لما نازعوه في كون القرآن منه بدأ وإليه يعود ـ من المجموع ٣/ ١٧٤ : « . . فإن قولهم: «منه بدأ» أي: هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقول الجهمية: أنه خلق في الهواء أو غيره، أو بدأ من عند غيره.

وأما «إليه يعود»: فإنه يُسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبق في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحاف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين، وسكت المنازعون» اهـ.

وانظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ٦٠ .

هذا وبالوحي عرف العباد الأمر والنهي والحلال والحرام، فهو من تفسير الشيء بأثره، كتفسير الغيث بأنه ما يخرج به الزرع.

وكذا إليه يعود كما فسره الشيخ ابن تيمية يعود القرآن إلى الله من الصدور والسطور.

***

ﷺ (١) مَنْ فرّق بينَ هذا وبيَن ذلك . . . .

---

(١) لا أعلم على ما ذكره المؤلف هنا دليلاً، وإنما روى ابن جرير في آخر تفسيره للبروج بسنده عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «إنّ اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة إسرافيل» اهـ، ٣٠/ ١٧٦، وذكره القرطبي ١٩/ ٢٩٨ عنه وعن مجاهد، وانظر: الدر المنثور ٦/ ٥٥٧.

ونقل ابن كثير في تفسيره لآخر البروج ٤/ ٤٩٧ عن ابن أبي حاتم بسنده: أن أبا الأعبس هو عبدالرحمن بن سلمان قال: «ما من شيء قضى الله، القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه» اهـ.

وقد قال سبحانه في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقد صَحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ.

رويت من عدة أوجه، أخرجها النسائي والحاكم والبيهقي والطبراني وابن أبي شيبة والبزار وابن أبي حاتم، قال فيها السيوطي في الاتفان ١/ ٥٣-٥٤: «أسانيدها كلها صحيحة».

ووقفت بعدُ على حديث ذكره في تنزيه الشريعة ١/ ٣١٨ عن أبي بكر قال: سمعت والله النبي ﷺ يقول: سمعت والله جبريل يقول، سمعت والله ميكائيل يقول، سمعت والله إسرافيل يقول: «**سمعت والله الرفيع يقول: سمعت والله اللوح يقول: سمعت والله القلم يقول: سمعت والله الرب جَلَّ جلاله يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر، فمن آمن بي ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فيلتمس**

فَقَدْ كَفَرَ لا زِيادَةَ فيه ولا نُقَصانَ[١] .

رباً غيري، فلست له برب» .

«وعزاه إلى أبي نصر السجزي (٤٤٤) في الإبانة هكذا مسلسلاً بالحلف بالله، وفيه محمد بن عكاشة الكرماني» اهـ.

قلت: وكتاب «الإبانة» هذا لم يوجد بعد.

ومحمد بن عكاشة الكرماني البصري كذبه الذهبي في الميزان، وقال الدارقطني فيه: يضع الحديث، وقال أبو زرعة: كان كذاباً.

وانظر: الميزان ٣/ ٦٥٠، ولسانه ٥/ ٢٨٦ وأحال فيه، والمغني ٢/ ٦١٥، والضعفاء للدارقطني ٣٥٢ (٤٨٨)، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣/ ٨٦ (٣١٢٧).

فالخبر موضوع به والله أعلم.

وذكر أيضاً ابن عراق حديثاً باطلاً في نحو هذا التسلسل عن النبي ﷺ عن جبريل عن إسرافيل عن اللوح عن الله في ١/ ١٤٨.

وكأن المؤلف ـ عفا الله عنه ـ اعتمد في ذلك على خبر المحنة الذي رواه سليمان بن عبدالله السجزي لما حبسه المعتصم، وفي آخره ذكر أحمد أنه رأى ربه في الموقف فذكر حجته في القول بأن القرآن غير مخلوق، فذكر أنه حدثه عبدالرزاق، حدثه معمر، حدثه الزهري، حدثه عروة، حدثته عائشة، حدثها النبي ﷺ، حدثه جبريل، حدثه إسرافيل، حدثه اللوح عن القلم عن رب العزة. . ».

رواه مسندةً ابن أبي يعلى في الطبقات ١/ ١٦٣-١٦٧، ونقلها ابن مفلح في المقصد الأرشد ١/ ٤١٩-٤٢٥.

(١) أي من فرق بين القرآن المقروء من الناس وما في المصاحف، وبين الذي تكلم الله به وكتبه في اللوح المحفوظ، من فرق بينهما بأن أثبت هذا كلامه والأول ليس كلامه فإنه يكفر، وليس المراد أن من لم يؤمن بالسلسلة التي ذكرها فإنه يكفر!

وقال في خَبرٍ آخر: «إنَّ جِبْريلَ عليه السّلام أنَّه سَمِعَ مِنْ ربِّه كَلامَ
[٧٩/أ][الله تَعالى بلا تُرجَمان، وسمع مِنْ غير رُؤيَة[١]»، وقال عليُّ بنُ أبي طَالب رضوان الله عليه: «أنزلَه على قَلْبِهِ وأَمَضاه على لِسَانِه»[٢]، فهو مُتَصلٌ غيرُ مُنفصلٍ، مَثلُه كَمثَلِ النَّار في الحِجَارةِ والحَديدِ إذا تحركتْ اليَدانِ بهما بَدا مِنْهما النَّارُ، فإذا سَكنتِ اليَدان ثابتةً رجع النَّارُ إلى وَطنِها.

---

(١) لم أجده، ويصدقه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. [البقرة: ٧٩]

وقوله في الإسراء: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾. [الإسراء: ١٠٦]

وقوله في الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾. [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾. [القيامة: ١٧-١٩]

وقد روي أن أبي حاتم بسنده عن إبراهيم التيمي عن أبيه أن رسول الله ﷺ وصف السحاب في يوم دجن فقال: «**كيف ترون بواسقها؟ فكيف ترون قواعدها؟ فكيف ترون جريها؟ فكيف ترون برقها؟ أوميض أم خفق أم يشق شقاً؟**» فقال رجل: يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحك، ما رأيت الذي هو أعرب منك، فقال عليه السلام: «**حق لي وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول**: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] نقله عنه ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٤٧.

(٢) لم أجده هكذا. ولقد روى ابن بطه في الإبانة «الرد على الجهمية» ٢/ ٣٢ (٢٢٣) بسنده عن عبيدالله بن حنبل قال حدثني أبو حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبدالله

والدَّلِيلُ على ذلك قولُ ابنِ عبَّاس رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه قال: قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «خَلقَ الله تعالى عِرْقاً مِنْ نُورٍ، أَصلُه في وَسطِ القَلْبِ وإلى الحُلقومِ، وفي وسَط اللِّسانِ، أدقُ مِنْ الشَّعر وأَبيضُ مِنْ الثَّلج، وأَطيبُ مِنْ المِسْكِ، وهو مخَصُوصٌ لمِجَاري كَلامِ الله عزَّ وجلَّ وأَسَمائِه وصِفَاتِه»(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إذا هَمَّ المَؤمنُ بقراءة القُرآن كسا الله قلَبه ولسَانه نُوراً أزلياً، ولولا ذلك النُّورُ لاحترقَ العبدُ وما تحَته إلى تُخومِ الأرضين السَّابعةِ السُّفلى، وكذلك، إذا همَّ المُنافقُ بقِراءَة القُرآنِ كسَا الله لِسَانه نُوراً، فيتلوَ بذلك النُّورِ مِنْ غير عِلْمه بتِلاَوته، وليس في قَلْبِه تصدِّيقٌ»(٢).

يقول: «قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي ﷺ من جبريل، وسمعه أصحابه النبي ﷺ من النبي ﷺ، فالقرآن كلام الله غير مخلوق، ولا نشك ولا نرتاب فيه، وأسماء الله في القرآن، وصفاته والقرآن من علم الله، وصفاته منه، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. فقد كنا نهاب الكلام في هذا، حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا، وقالوا ما قالوا، ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه، فبان لنا أمرهم، وهو الكفر بالله العظيم» اهـ.

(١) لم أجده! وسألت عنه سماحة الشيخ ابن باز ـ في داره ـ فقال: ليس له أصل.

(٢) وأيضاً لم أجده، وسألت عنه سماحة الشيخ ابن باز ـ في داره ـ فقال: لا أعرف له أصلاً.

وسُئل سُفيانُ الثَّوري(١) ـ رحمة الله عليه ـ عن اللَّفظِ بالقُرآنِ وعن طُرُقِ القُرآنِ مِنَ القَارئ؟ فقال: إنَّ جَوارحي كُلُّها يجري عليها القُرآن وهي مخَلوقٌ(٢)، والقُرآنُ غيرُ مخَلُوقٍ، واللَّفظُ به غيرُ مخَلوق»(٣).

---

(١) هو ابن سعيد الثوري الكوفي أبو عبدالله، المولود سنة ٩٧هـ وتوفي سنة ١٥٧هـ.

روى عن جماعة أشهرهم: حبيب بن أبي ثابت، والسختياني.

وعنه خلق كثير منهم: الأعمش، وعبدالرحمن بن أبي ذئب، وجعفر الصادق، وشعبة وكلهم ماتوا قبله.

كان من كبار الأئمة الحفاظ، فهو ثقة حافظ فقيه إمام عابد حجة.

ترجمته في: الطبقات ٦/ ٣٧١، والتاريخ الكبير ٤/ ٩٢، وتهذيب الكمال ٥١٥ وتهذيبه، وتقريبه، وخلاصته، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١، وسير النبلاء ٧/ ٢٢٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب «مخلوقة».

(٣) لم أجده عنه، ومعناه صحيح وهو التفريق بين اللفظ والملفوظ، والتلاوة والمتلو، والقول باللفظ لم يعرف في زمن الثوري، وإنما عرف في أول المائة الثالثة بعد مقالة المعتزلة والجهمية بخلق القرآن.

وقد روى أبو بكر الخلاَّلُ في السنة (ق ١٩٩)، وابن بطه في الرد على الجهمية ١/ ٣٤٧ ـ من غير ما وجه ـ وبطرق عديدة إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه يقول: «ما سمعت عالماً يقول: «لفظي بالقرآن غير مخلوق» وأي شيء ذهب على أبي عبدالله من أمر الإسلام؟» يعني علمه به وبأقوال العلماء ورسوخ قدمه.

وروى الخلال أيضاً في السنة (ق ١٩٩)، وابن بطه ١/ ٣٤٩-٣٥٠ (١٥٧) بسندهما إلى الحسن بن علي بن مسلم الطوسي ـ وكان ثقة مات سنة (٢٥٣هـ) ـ عن (١١٣) سنة، أنه قال: «ما سمعت عالماً قال هذا ـ أي بمسألة اللفظ ـ فمن خالف أبا عبدالله

مسألة اللفظ بالقرآن وأنواعه

وتَفْسيرُ ذلك أنَّ اللِّسانَ والشَّفتين والأَسنانَ والحَنكَ والحَلْقَ وهي طُرقُ القُرآنِ ومجَاريهِ ومجَاري الكَلام كُلُّه، فإذا جَرى القرآنُ على هذه المجَاري والطُّرقِ وهو كَلامُ اللهِ غيرُ مخلُوقٍ، وإذا خَرجَ مِنْ الفَمِ وسَمِعَه السَّامعُ، فحِينَئذ سماعُ اللَّفظِ، واللَّفظِ بالقُرآنُ بعِينَهِ، وهو كَلامُ ربِّ العَالمين.

فيما نهى عنه، فنحن غير موافقين له، منكرون عليه، وقد أدركنا من علمائنا مثل: عبدالله بن المبارك، وهشيم بن بشير، وإسماعيل بن علية، وسفيان الثوري، وعباد ابن عباد، وعباد بن العوّام، وأبي بكر بن عياش، وعبدالله بن إدريس، وعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم، ويحيى بن زائدة، ويوسف بن يعقوب بن الماجشون، ووكيع، ويزيد بن هارون، وأبي أسامة، وقد أدركوا هؤلاء كلهم التابعين، وسمعوا عنهم، ورووا عنهم ما منهم أحد قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فنحن لهم متبعون، ولما أحدث بعدهم مخالفون.

وتنوع النقل عن الإمام أحمد قوله «القرآن كيفما تصرف فهو غير مخلوق، وقوله: يتوجه بالقرآن على خمسة كلها غير مخلوقة..» وقد سبق.

وانظر رسالة في أن القرآن غير مخلوق للحربي ٣٦ وما بعدها، والسنة للخلال ٥/ ١٢٥ وما بعدها، والإبانة لابن بطه «الرد على الجهمية» ١/ ٣١٧ وما بعدها كلها تشهد لقول الثوري رحم الله الجميع.

وقد قال ابن جرير في عقيدته مؤكداً هذا: «وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغنا والشفاء، رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه..» اهـ. من صريح السنة ٢٥-٢٦، وفي اعتقاده عند اللالكائي في شرح السنة ١/ ١٨٥، وفي عقيدة السلف لشيخ الإسلام الصابوني ص ١٠-١١ نقلها عنه.

واللَّفظُ على نَوعْيَن:

١- كُلَّما كان مِنْ الخَالقِ وصِفَاته، فهو غيرُ مَخْلوقٍ.

٢- وما كان مِنْ صِفَاتِ المخَلُوقين وكَلامِهم فهو مخَلُوقٌ.

ولفظٌ مخَلُوقٌ، ولفَظٌ غَيرُ مخَلُوقٍ.

١- ومعنى المَخْلُوق تقول: لفَظَ به، أي نَطَق به، كَلَّم به، رَمىٰ به(١).

٢- ومعنى اللَّفظِ الذي ليس بِمخَلوقٍ: لفَظَ به، أي جَارٍ عليه، مَضىٰ به(٢).

---

(١) فالمخلوق هنا نفس الأمر من فعل النطق والتكلم والرمي المتمثل في حركة لسانه وشفتيه وخيشومه.

(٢) وهو الملفوظ المنطوق والكلام الجاري على لسانه وشفتيه وخيشومه الماضي بها.

وذا التفريق هو الذي بيّنه ابن القيم في الكافية حيث قال ص ٨٢ وما بعدها:

وتـلاوة القـرآن أفعـال لنـا ... وكذا الكتابة فهي خط بَنَانِ
لكنمـا المتلـو والمكتـوب والـ ... محفوظ قول الواحد الرحمن

إلى قوله:

إن الذي في المصاحف مثبتٌ ... بـأنـامـل الأشيـاخ والشبـان
هـو قـول ربي آيـه وحـروفـه ... ومـدادنـا والـرق مخلـوقـان
فشفى وفرق بين متلو ومصـ ... ـنوع وذاك حقيقة العرفان

وابن القيم يشيرُ إلى ما قاله القحطاني في نونيته حيث نظم:

فالقُرآن عَلمٌ بين عَلمين، وسِرٌّ بين سِّرَين، وأمرٌ بين أَمَرين، عَلَمُه مرَموز، وتحته كُنوز، مَنْ يَناله يفوز(١)، لا تَحيَّرَ ولا تَشْبيه ولا حَدَثَ [٧٩/ب] ولا مخَلوقَ، هو كلامُ المَلِكُ الجبَّارِ العَزيزِ الغفَّارِ، فهو غَيبٌ يظَهرُ في الغَيبِ للغَيبِ، وهو حَقٌّ يَنْطِقُ الحقَّ بالحقّ للحَقِّ، وهو يُنطِقِ بنطقِ النَّاطِقِّ لا بلِفَظِ المَلفُوظ، فإذا سَكتَ القارىءُ رجَع الكَلامُ إلى مُتكلِمِه، لا كَيفيَةً ولا أبييَّة(٢).

فاللَّفظُ مخَلوقٌ، والنُّطقُ بالقُرآن غيرُ مخَلوق، واللِّسانُ مخَلوقٌ،

إن الذي هو في المصاحف مثبت	بأنامل الأشياخ والشُّبان
هو قول ربي آيه وحروفه	ومدادنا والرق مخلوقان
من قال في القرآن ضد مقالتي	فالعنه كل إقامة وآذان

فقال:

فشفى وفرق بين متلو ومصـ	ـنوع وذاك حقيقة العرفان
الكل مخلوق وليس كلامه الـ	ـمتلو مخلوقاً هما شيئان
فعليك بالتفصيل والتَّمييز فالـ	إطلاق والإجمال دون بيان

(١) حق الفعل الجزم على جواب الشرط: (يفز).

(٢) هكذا في الأصل مشددة الياء الثانية.

والمعنى نفي أبوة الله للفظ القرآن، بقطع أن يكون القرآن متولداً من الله، كما تقوله النصارى في كلمة الله المسيح بن مريم، هذا الذي ظهر لي والله أعلم.

والمعنى نفي العلم بكيفية رجوع القرآن إلى ربنا المتكلم به، ونفي أن يكون هذا الرجوع رجوع المولود إلى أبيه، أو رجوع المتولد إلى من تولد عنه

والمَتلُو به غيرُ مخَلوق. والعَينُ مخَلوقٌ[١]، والمنَظُور بهما غيرُ مخَلوق، والسَّمعُ مخَلوقٌ، والمَسموعُ به غيرُ مخَلوق، واليَدان مخَلوقَتان، والمخَطوط بهما غيرُ مخَلوق، فمن يخوض[٢] في مخُاطَبتها بِغير عَلمٍ فقد هَلَك، إلا بِعْلمِ البَصيرَةِ والعَيان، بعنَاية الله.

تكفل الله بتيسير القرآن وبيانه وتفهمه لمن شاء

وقال عزّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ﴾. [القمر: ١٧]

ولولا أنْ منَّ اللهُ عَلينا وعلى عِبَاده، ويَسَّرهُ على قُلوبِهم، ما أطَاقَ أحدٌ أنْ يتكَلمَ بِحَرفٍ مِنْ القُرآنِ[٣].

وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧]: «أي قُلوبُ العِبادِ معناه: أنَّ كُلَّ إنسَانٍ يَحْملُ مِنَ القُرآن ومِنْ فَهمِه وعَجائبه على قَدْرِ سَعَةِ عَقْلِه ورِزْقِه

(١) كذا، والصواب: مخلوقة.

(٢) كذا، ولعل الأولى بحذف عين الفعل، حرف العلة (يخض) جزماً لفعل الشرط.

(٣) وقد روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لولا أن يسره الله على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل».

رواه عنه ابنُ أبي حاتم في تفسيره، والبيهقي كما ذكر في الدر المنثور ٦/ ١٨٠، وقد ذكره عن أنس مرفوعاً عن الديلمي ولم أجده في مسنده! وكذا نقله ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٦٤.

وذكر منّة الله في بيانه وتيسيره ابن جرير في تفسيره عن عدد من أئمة التفسير من التابعين ٢٧/ ١٢٧-١٢٨.

ومَقامِه عليه»[١].

قَوْلُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]

---

(١) روى نحوه ابن جرير في تفسيره لهذه الآية من سورة الرعد ١٣/ ١٧٧ بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: «فهذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرعد: ١٧]، وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو اليقين، كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه، ويترك خبثه في النار. فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك».

وبمثله ما نقله البغوي في تفسيره ٤/ ٣٠٨، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٠٨، وبنحوه عند الواحدي في الوسيط ٣/ ١٢.

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٣٧ المثلين المضروبين في الآية على ثلاثة أقوال:

١- أنه القرآن.

٢- أنه الحق والباطل، وهو ما رجحه ابن جرير في تفسيره في الموضع السالف.

٣- أنه مثل للمؤمن والكافر.

وعلى كل حال فالآية تحتمله جميعاً، لاسيما وقد أخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا، وأصابت طائفة منها أخرى قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه الله بما بعثني، ونفع به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

أخرجه البخاري متصلاً في كتاب العلم ـ باب فضل من علم وعلّم (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل ـ باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢).

قال ابنُ عَبَّاس: «قُلوب أُقْفِلَتْ عن التَّدبُر، ومُنعتْ عن التِّلاَوة والبُلوغ، وصُمَّت عن الاسْتِمَاع، ومِنْ القُلوب قُلوبٌ كُشَف عنها الغِطَاءُ، فلا يكونُ لها رَاحَةٌ إلاَّ مِنْ تِلاَوة القُرآن والاستِمَاعِ إليه والتَّدبُرِ فيه، فشَتَّان بين القَلبينِ»(١).

قَوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]

وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾. [القيامة: ١٦]

---

(١) لم أجده هكذا، وقد رَوَى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في قلوبهم يتهافتون تهافتاً، قيل يا رسول الله: وما تهافتهم؟ قال: يقرأ أحدهم فلا يجد حلاوة ولا لذة يبدأ أحدهم بالسورة وإنما معه آخرها، فإن عملوا قالوا: ربنا اغفر لنا، وإن تركوا الفرائض، قالوا: لا يعذبنا الله ونحن لا نشرك به شيئاً، أمرهم رجاء ولا خوف فيهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٣-٢٤].

ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٣.

وروى ابن جرير في تفسيره ٢٦/ ٧٥ بسنده عن عروة بن الزبير أن النبي ﷺ تلا الآية يوماً فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتى يكون الله عز وجل يفتحا أو يفرجها، فمازال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به».

وذكره في الدر المنثور ٦/ ٥٣ عن سهل بن سعد مثله، رواه الدارقطني في الأفراد، وابن مروان، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير عند آية النساء ٢/ ١٦٠ عن ابن عباس قوله: «أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه، فيرون تصديقه بعضه لبعض، وإن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه» اهـ.

أي لا تَعجَلْ به، وقد بَلغنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ إذا أُنزِلَ عليه الوَحيُ [٨٠/أ]
استَعجل رسولُ الله ﷺ في قراءته مخَافة أنْ يَنساه، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾. [طه: ١١٤]

وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾. [القيامة: ١٧]

أي نَجْمعُه في صَدرِكَ، ونُؤَلفه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] أي: إذا ألفَّناهُ فاتَّبع تأليفه(١)، ويُقال: أتَّبع حَلالَه وحَرامَه(٢).

---

(١) وهذا ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يُعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] قال: علينا أن نجمعه في صدرك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، فإذا أنزلناه فاستمع، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] علينا أن نُبيِّنه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله».

أخرجه البخاري موصولاً في كتاب التفسير ـ باب قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (٥٦٤٥)، ومسلم في كتاب الصلاة ـ باب الاستماع للقراءة (٤٤٨).

(٢) وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قوله: «﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ يقول: حلاله وحرامه فذلك بيانه» اهـ.

وعزاه في الدر المنثور ٦/ ٤٦٨ إلى ابن مردويه. وكذا عن قتادة عند عبد بن حميد وابن المنذر وهؤلاء تفاسيرهم لا أعلم أنها مطبوعة أو مخطوطة، خلا قطعة من تفسير عبد بن حميد وابن المنذر مخطوطاً من أول القرآن في خزانة أيا صوفيا بتركيا.

وقوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾. [الأعلى: ٦]

يعني سَنُعلِمَك يا مَحمُد فلا تَنْسَ، فأنا مُعَلمك ومُعرِّفُك لا تخفْ، فإنَّك لا تَنْسَى، يعَني به: إنَّ قَلبَكَ خزائِنُ عِلْمِي ومَعرفتي[1].

لا تخَفْ فإنَّك لا تَنْسَى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾، ولا تَنْسَ إلا ما شاء الله، يعني: وقَدْ شَاء ربُّكَ بما عَلَّمكَ مِنْ القُرآنِ والوَحيِ وغَيرِهِ.

حفظ القرآن في الصدور ومعناه ونفي الحلول

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، يَعْنِي به القُرآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. [البقرة: ٩٧]

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. [العنكبوت: ٤٩]

---

(١) هذا قول لا يصح، وتجاوز من المؤلف عَريٌّ عن الدليل والبرهان.

حيث قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

والصواب في معنى الآية ما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس فيها قال: يقول إلا ما شئت أنا فأنسيك.

وهو تفسير قتادة كما أخرجه عنه عبدالرزاق ٢/ ٢٩٨ (٣٥٨١) وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن جرير ٣٠/ ١٩٣ وقال: «فلا تَنسَ إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه أو رفعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك أظهر معانيه».

وانظر: الدر المنثور ٦/ ٥٦٧، لا أن قلبه ﷺ خزائنُ علم الله ومعرفته.

***

قَومٌ يَقولون إنَّ القُرآنَ في الصَّدر، هو مَمْزوجٌ به، فقد أَخْطَؤوا ذلك، لأنَّ القُرآنَ هو صِفَةُ الله تعالى، وصِفَاتُه لا تحَلُّ بالاشَياءِ المخَلُوقةِ، كسَائر الشيْءِ بالشَيءِ[1]، ومَنْ قالَ ذلك فهو حُلُوليٌّ[2].

---

(١) أي كحلول الأشياء المخلوقة بعضها ببعض، كحلولِ الجنين في بطن أمه.

(٢) أي معتقد عقيدة الحلولية، وهي عقيدة وثنية قديمة وجدت عند اليونانيين وعند النصارى وأول ظهورها في فرق القبلة لدى غلاة الرافضة ثم لدى الجهمية، وآلت إلى الصوفية والمشبهه حتى عدها أصحاب المقالات من فرقهما، بأن قالوا إن عين الخالق حلت في عين المخلوق.

ففي مقالات الإسلاميين ١/ ٨١ وما بعدها عدها من غلاة الرافضة، وكذا في الفرق بين الفرق ١٩٣ وجعلهم عشر فرق، وكذا في التبصير ١٣٠، وفي الاعتقادات ص ١٠٠ عدهم من الصوفية، وفي الفرق المفترقة ٨٦ عدهم من المشبهه وعلى كل حال هم أنواع كالتالي:

١- أهل الحلول العام: ومنهم متقدمو الجهمية وعبادهم وعوامهم القائلون إن الله في كل مكان، وهو لازم قول أهل الوحدة والاتحاد، وهم الذين رد عليهم الإمام أحمد في الرد على الجهمية ١٣٨ وما بعدها، وقال فيهم ابن القيم في النونية ص ٥١:

وأتى فريق ثم قال وجدته   بالذات موجوداً بكل مكان

٢- أهل الحلول الخاص: وهم وثنيو اليونان، والنصارى وغلاة الرافضة، وغلاة الصوفية والمشبهة الذين جعلوا الحلول في أفراد مخصوصين، كإله الطب حلَّ في ثعبان عند اليونانيين، وحلول الله في عيسى، وفي علي أو آل بيته، أو في الحلاج أو من يدعونهم أولياء.

وكلا النوعيين حلولهم حلول ذات.

وأقولُ إنَّ القُرآنَ في الصُّدوُرِ وهو بائنٌ عن الصُّدوُرِ، غيرُ مَمزوُجٍ به، ولا محَلُولٌ به، لأنَّ الصَّدرَ مخَلوقٌ، والقُرآنَ غيرُ مخَلوق، وما كان مِنْ صِفَاتِ الله تعالى فهو غَيرُ مخَلُوق، وما كانَ مِنْ صِفَات العِبَادِ فهو مخَلوق.

قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فهو مَنْسُوبٌ إلى الصَّدرِ، والصَّدرُ مخَلوقٌ.

الأركان والمعادن الأربعة والعلاقة بينها

وهكذا الأَركانُ الأَربعةُ التي هي مَعادِنُ الأَشياءِ الذي ليس بمِخَلوقٍ، وهو: الإِسَلامُ والإِيمان والمَعْرفةُ والتَّوحيدُ، ومعادِنُها التي هي مَنسُوبَةٌ إليها: القَلبُ والفُؤَادُ والعَين والصَّدرُ هي مخَلُوقةٌ.

[٨٠/ب] والإِسْلاَمَ مَنسوبٌ إلى الصَّدرِ، وهو قَولُه تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الآية. [الزمر: ٢٢]

والإِيمانُ مَنْسوبٌ إلى القَلْبِ، لِقَوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ

وقد كفَّر ابنُ عربي من النوع الأول وأشباهه، أهلَ الحلول الخاص لقولهم بالتخصيص.

٣- حلول الصفات: الذين ادعوا حلول بعض صفات الله في المخلوق، كعلمه وكلامه، ومنه ما ذكره المؤلف.

وانظر: مجموع الأنواع عند شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض ٦/ ١٤٨-١٥٩ و ١٧٣-١٧٨ و ٢/ ٢٥٢، ومجموع الفتاوى ٢/ ١٧١-١٧٢، ومنهاج السنة ٤/ ٥٣٧ و ٥/ ٤٢٦ و ٢/ ٣٧٢، والإيمان ص ٣٦٤، وفيه نسبه إلى طائفة من الجهمية هم: النجارية، خلا عامة الجهمية والمعتزلة.

إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. [الحجرات: ٨]

والمَعرِفَةُ مَنْسُوبةٌ إلى الفُؤادِ، لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾. [النجم: ١١]

والتَّوحِيدُ مَنْسُوبٌ إلى العَين، لِقَوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[1] [النجم: ١٧]

---

(١) معنى الآية ما عدل بصر رسول الله ﷺ في مقامه الذي أقامه ربه، يميناً ولا شمالاً من كمال أدبه.

وقال بعدها ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] وللمفسرين في المراد بالمرأيِّ أقوال:

١- أنه رَفْرَفٌ أخضر من الجنة سد الأفق. وهذا قاله ابن مسعود، ورواه عنه البخاري في الصحيح.

٢- أنه رأى جبريل على صورته الحقيقية، وقد صح في الخبر أنه ﷺ رآه هكذا في المعراج.

٣- أنه رأى من أعلام ربه وأدلته الكبرى، وهو اختيار ابن جرير.

وانظر تفسيره ٢٧/ ٧٦، وزاد المسير ٧/ ٢٣٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٧، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٠٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٩٨، والبغوي ٧/ ٤٠٦، والدر المنثور ٦/ ١٥٦ وما بعدها، وبحر العلوم ٣/ ٢٨٩، والوسيط ٤/ ١٩٢ وما بعدها، وأضواء البيان ٧/ ٧٠٣ و ٣/ ٢ .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ٨-١٦].

فهذه الأَنْوارُ الأَربعةُ في صِفَاتِ اللهِ تعالى، وهو غَيْرُ مخلُوق، ومَعادِنُها الأَماكُن المذكُورة مخلُوقة.

فالقَرآنُ في جَميعِ الجِهَاتِ وكَيفما تَصرَّفَ على لِسَان العَربي والعَجمي، وحيثُ ما تُلِي، وكَيفما فُسِّرَ، على كُلِّ حَالٍ هو كَلامُ الله عزَّ وجَلَّ، وهو غَيْرُ مخلُوقٍ.

مسألة اتصال القرآن بلفظ القارئ مع اختلاطه بالقارئ وأمثلته المطرودة

وحِفْظُ القُرآنِ هو القُرآن، فَمنْ قال: حِفْظُ القُرآنُ غَيْرُ القُرآن، فَقَدْ كفَر[1]، ولا يجَوزُ أنْ يقَولَ هذا القُرآنُ مِثَل ذلك القُرآن، ولا يُقالُ هذا القُرآنُ شِبهُ ذلك القُرآن؛ بلْ ذلك القُرآنُ هو القُرآنُ والرَّبُّ تعالى وَاحدٌ، والقرآنُ وَاحدٌ، والدِّينُ وَاحدٌ.

فالقَرآنُ لا يُختلف بِشَيءٍ مِنْ الأَشياءِ، وهو مُتَصلٌ بِلسَانِ القَارئِ، ومَنْسُوبٌ إلى القَارئ، والقَارئُ مُنفصلٌ عن القُرآن، كما أَنَّ الإِسْلاَمَ مُتَصلٌ بالصُّدوُر، والصَّدرُ مُنْفَصلٌ عن الإِسْلاَم، وكذا الإِيمانُ مُتَصلٌ بالقِلَب، والقَلبُ مُنْفَصلٌ عنه، والتَّوحِيدُ مُتصلٌ بالعَينِ والعَينُ مُنْفَصلَةٌ عنه، وعِلْمُه وقُدْرَتُه تعالى مُتَصَلٌ بالعَالم، والعَالُم مُنْفَصلٌ عنه.

فإن الصحيح أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه في الدنيا، لا ليلة المعراج، ولا غيرها، وأن هذا الداني المُتدلي، المرأي هو جبريل عليه السلام، لأنه هو المُعلَّم، الشديد القوي ذو المرة، والله أعلم.

(١) لأن المحفوظ هو القرآن الذي تكلم الله به، وأنزل على رسوله ﷺ، وبُلغ إلينا والله سبحانه وتعالى يقول في سورة العنكبوت بعد الجزء منها: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩].

وكذلك القُرآنُ مُتصلٌ بِصَوت القَارئ، والقَارئُ مُنْفَصلٌ مع صَوْتِه عن القُرآنِ وعِلْمُه وقُدْرَته تعالى مُتَصلُ بِكلِّ شَيءٍ بِدَليلِ قَوْلِه تَعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]

وَكُلُّ شَيءٍ مُنْفَصلٌ عن عِلْمِهِ وقُدرتِه(١). [٨١/أ]

كما أنَّ عَيْنَ الوَجهِ مُتَصلٌ بالنَّار المَوْقُودةِ، والنَّار مُنْفَصلٌ عن العَين.

وكذلك شُعَاعُ الشَّمسِ مُتَصلٌ بالعَينِ، والعَينُ مُنْفَصلٌ عن شُعَاعِ الشَّمسِ.

هذا دَلِيلُ المَثلِ لا دَليلَ القِيَاسِ بلِسَان أهلِ الإِشَارَةِ، لا بلِسَانِ أَهلِ العِبَارةِ، لأنَّ العَبدَ يَتبَيَّنُ في العِبَارةِ ولا يَتبَيَّنُ في حَقِيقَة الإِشَارةِ، والإِشَارةُ من جِهَةِ الحَقيقةِ، والعبارةُ مِنْ جَهةِ الشَّريعةِ(٢).

والعَبدُ إذا تَبَيَّنَ في الشَّريعةِ فهو العَبدُ، وإذا تَبَيَّن في الحَقِيقة فهو العَارفُ(٣).

---

(١) سيمثل المؤلف بأمثلة لهذا في المخلوقات من جهتي الاتصال والانفصال، مع عدم الممازجة والمخالطة بينها، فهو في باب ذات الله وصفاته أولى.

(٢) ومؤدى هذا الكلام أن الألفاظ ـ وهي العبارات من كلامه ـ ترد في الشريعة، وهي الوحي من كتاب ربنا وسنة نبيه ﷺ، ولها معانٍ مفهومة ومدركة ومعلومة، هي عنده الإشارة. أي: المشار إليها بعبارات الوحيين.

(٣) أي عرف العبد ألفاظ الشريعة وأدلتها، ثم تعرف على معانيها والمراد منها، فهو العارف، أي: العالم والعاقل.

كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ

وإذا ظَنَّ أنَّه عَارفٌ فليس بِعَارفٍ .

والقُلوبُ صِفَةُ العبودية ، وأنوارُ القُلوبِ صِفَةُ الرُّبوبيَّةِ ، والرُّبوُبيَّةُ مُتَّصلةٌ بالعُبوديَّةِ ، والعُبوديَّة مُنْفَصلةٌ عن الرُّبوبيَّة .

هذا عِلْمُنا والله أَعلمُ بالصَّواب .

التفصيل في كون القرآن في الصدور ونظائره

قَومٌ يَقولون : إنَّ القُرآنَ ليس هو في الصِّدُورِ ، أَرادَوا به : أَنَّه غَيْرَ ممزوجٍ به لا محلول فيه ، فقد أَصابوا في ذلك .

ومَنْ قال : إِنَّ القُرآنَ ليس هو في الصَّدرِ ، ولا يَثْبتُ فيه ، فهو مُعتزلي(١) .

إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

وكما قال عن اليهود عليهم لعائن الله المتابعة ، في سورة البقرة : ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٧٥] ، فانظر كيف جمع سبحانه بين العقل والعلم !

وقال عنهم في أولها : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ٤٤] .

وقال عن الكفار في سورة تبارك : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك : ١٠] .

وهذا متعدد في القرآن .

ولا يُفهم من كلام المؤلف دعوى التفريق بين الشريعة والحقيقة على طريقة الصوفية !

(١) أي معطل جهمي ، نافٍ لكون القرآن كلام الله حقيقة ، محفوظاً في الصدور .

وإلا فالمعتزلة تعتقد أن القرآن خلق من خلق سواء خلقه في محمد أو جبريل أو

وقَوْلُنا في إِثْبَاتِ القُرآنِ في الصَّدرِ فهو كما وصَفَناه لأنَّه هو في الصَّدرِ، والصَّدرُ مُنْفَصِلٌ عنه بَدِليل قَوْلِهِ تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾. [البروج: ٢١-٢٢]

فالصَّدرُ كاللَّوحِ وهما مخلُوقان، فكما أَثبت تعالى ذكره أنَّه في اللَّوحِ مِحَفُوظٌ، فكذلك في الصَّدرِ محَفوظٌ مُتصِلٌ به والصَّدُرِ مُنْفَصِلٌ عنه.

ألا ترى الشَّمسَ والقَمرَ أنَّهما مخَلُوقتان فإذا طَلَعا على الأرضِ، أو على المَاءِ، أو على الشَّجرِ، أو على النَّاسِ، أو على غَيرِهِ، لا يخَتلِطُ بِشيءٍ مِنْ ذلك. فالشَّمسُ والقَمرُ مخَلُوقان هكذا صِفتهما، كيف يخَتلِطُ كَلامُ الله بِشَيءٍ مخَلُوق؟[1]

أقوال المعطلة في القرآن

والجَهِمْيِةُ - لعنهم الله - على أَصنافٍ مُختلِفة[2]:

غيرهما فلا مشاحَّة عندهم.

والأشاعرة والماتريدية (الكلابية) زعموا أن ما في الصدور ليس هو حقيقة كلام الله الذي تكلم به، إذ المتكلم به معنًى نفسيٌ قائم بالله لم ينفصل عنه، وما في الصدور هو عبارته أو حكاية عنه!

(١) فإذا كان لا يصح في صفة المخلوق، فكيف صحَّ في صفة الخالق، وهذا تطبيق آخر للقاعدة الأولى.

(٢) ذكر المؤلف أقوال أهل التعطيل، بمن فيهم الجهمية المحضة، والمعتزلة، والأشاعرة.. وعدد الأقوال للأصناف التي ذكرها أحد عشر قولاً، بعضها عكس بعض، أو لازمها.

١ - فَمِنْهم مَنْ يَقولُ: القُرآنُ ليس هو كَلامَ الله، ولا هو مخَلُوقٌ؟[١]

٢ - وَمِنْهم مَنْ يَقولُ: القُرآنُ كَلامُ اللهِ ولا يَقولُ إنَّه مخَلُوق أمْ غَيرُ مخَلُوقٍ[٢].

---

(١) هذا هو حقيقة قول الأشاعرة وذلك من جهتين:

١- أن القرآن يطلق على الألفاظ مجازاً، وعليه فليس هو كلام الله حقيقة، لأن الكلام الحقيقي هو المعنى النفسي ليس إلا.

٢- وقوله «لا هو مخلوق» أي كلام الله، وهو المعنى النفسي.

ولذا قال ابن القيم في النونية ص ٦٩:

إحدهما جعلته معنى قائماً ... بالنفس، أو قالوا بخمس معان
والله أحدث هذه الألفاظ كي ... يبديه معقولاً إلى الأذهان
وكذاك قالوا إنها ليست هي الـ ... ـقرآن بل مخلوقه دلت على القرآن
ولربما سمى بها القرآن تسـ ... ـمية المجاز وذاك وضع ثان

وانظر شرح ابن عيسى على النونية ١/ ٢٧٩-٢٨٦، وكذا قاعدة في القرآن لابن تيمية ضمن المجموع ١٢/ ٣٤-٣٥.

(٢) هو قول الواقفة.

قال شيخ الإسلام في التسعينية ص ٩٤ (العجلان): «ولهذا أنكر الأئمة على الواقفة في مواضع كثيرة حين تنازع الناس، فقال قوم بموجب السنة، وقال قوم بخلاف السنة، وتوقف قوم فأنكروا على الواقفة، كالواقفة الذين قالوا: لا نقول القرآن مخلوق ولا نقول إنه غير مخلوق هذا مع أن كثير من الواقفة يكون في الباطن مضمراً للقول المخالف للسنة، ولكن يظهر الوقف نفاقاً ومصانعة، فمثل هذا موجود» اهـ، ونصَّ عليهم ابن جرير في التبصير ٢٠١.

٣- وطَائِفَةٌ مِنْهم تَقول : إِنَّه حِكَايةٌ عن ذلك القُرآنِ[1] .

والإمام أحمد له مع الواقفة حالات :

١- فمرة يجعلهم من الجهمية ـ وهو الغالب ـ فقد روى الخلال في السنة (١٧٨٣) بسنده أنه قيل لأبي عبدالله ما تقول فيمن وقف، قال : لا أقول خالق ولا مخلوق؟ قال : هو مثل من قال القرآن مخلوق، وهو جهمي .

٢- ومرة يجعلهم شراً من الجهمية، حيث روى الخلال أيضاً (١٧٨٢) عن المخرمي أنه سأل الإمام أحمد عن الواقفة؟ فقال : «هم شر من الجهمية، استتروا بالوقف» اهـ، وربما قال : هو جهمي كبير . كما في السنة ١/ ١٧٩ .

٣- ومرة يستفصل في حاله ـ وهذا يجمع الحالتين السابقتين ـ حيث روى ابنه عبدالله في السنة (٢٢٣) والخلال (١٧٨٦) أنه سمع أباه يسأل عن الواقفة؟ فقال :

من كان يخاصم، ويُعرف الكلام فهو جهمي .

ومن لم يُعرف بالكلام، يجانب حتى يرجع .

ومن لم يكن له علم، يسأل ويتعلم .

وربما سماهم شكّاكه أو مشككة، كما في السنة ضمن شذرات البلاتين ١/ ٨١، والسنة للخلال (١٨٧٧)، وانظر نصوص الإمام أحمد منهم في السنة للخلال ٥/ ١٢٩ وما بعدها، والسنة لعبدالله ١/ ١٧٩، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود ٢٧٠، والرد على الجهمية لعثمان الدارمي ١٠٢-١٠٥ (المكتب)، وسيأتي عن الإمام أحمد أنهم من فرق الجهمية عند التعليق على اللفظية منهم، ومناقب الإمام أحمد ص ١٧٥ (الخانجي)، والإبانة عن أصول الديانة ص ١٠٣ وما بعدها، والرد على الجهمية من إبانة ابن بطة ١/ ٢٨٤ وما بعدها .

(١) وهو قول الكلابية بالخصوص حيث نصوا على أنه حكاية ـ وربما صار قول الأشاعرة عند من جعل الخلاف بينهم في العبارة والحكاية لفظياً وقال في النونية ٦٩-٧٠ :

٤- وَمِنْهم مَنْ يَقولُ: أَلفاظُنا بِالقُرآنِ مخَلُوقةٌ[١].

وكذلك اختلفوا فقيل حكاية ... عنه وقيل عبارة لبيان
إذا كان ما يُحكىٰ كمحكيٍّ وهـ ... ـذا اللفظ والمعنى فمختلفان
ولذا يقال حكى الحديث بعينه ... إذْ كان أوله نظير الثاني
فلذاك قالوا لا نقول حكاية ... ونقول ذاك عبارة الفرقان
والآخرون يرون هذا البحث لفـ ... ـظياً وما فيه كبير معاني

وانظر: شرح ابن عيسى ١/ ٢٨٦ ومقالات الإسلاميين ٢/ ٢٦٨ وما بعدها، ومجموع الفتاوى ١٢/ ٥٥٢، ومختصر الصواعق ٤١٠-٤١١.

(١) وهم اللفظية الذين ذمهم الإمام أحمد، وعدّهم من طوائف الجهمية.

فقد روى الخلال في السنة من غير ما وجه وبأكثر من لفظ، منها (١٧٧٨) عن حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «الجهمية على ثلاثة ضروب ـ وربما قال على ثلاث فرق ـ:

١- فرقة قالوا: القرآن مخلوق.
٢- وفرقة قالوا: كلام الله وتقف.
٣- وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فهم عندي في المقالة واحدة» اهـ.

وزاد في السنة له: «فكل هؤلاء جهمية كفار، يُستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا».

وانظر: الروايات عنه فيهم في السنة للخلال ٥/ ١٢٥-١٢٧، وفي السنة ضمن شذارات البلاتين ١/ ٨١ وما بعدها ـ ورسالة في أن القرآن غير مخلوق للحربي ٣٤-٣٨، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود ٢٦٤ وما بعدها، والرد على الجهمية من كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٣١٧ و ٣٣٠ وما بعدها، ومسائل ابن هانىء ٢/ ١٥٢-١٥٤.

***

٥- وَمِنْهم مَنْ يَقولُ: القُرآنُ بألفاظِنا مخلُوقٌ[١].

٦- وَمِنْهم مَنْ يَقول: القُرآنُ بِظَاهر العِلْمِ في صُدورِ المُؤمنين، وبالحقيقةِ ليس هو في صُدورِ المُؤمنين[٢].

---

(١) وهو من فروع قول اللفظية أيضاً، لكن قصروه على أن القرآن يكون مخلوقاً عندما يتلفظ به العباد، وهو ثمرة قول الأشاعرة والكلابية، كما في قاعدة في القرآن لابن تيمية في المجموع ١٢/ ٣٥.

وهو ظاهر قول الجهمية والمعتزلة من أن الله خلق كلامه في غيره وهو هنا ألفاظنا؟!

فقد روى ابن بطة في الرد على الجهمية ١/ ٣٣٧ (١٤٢) بسنده عن أبي إسحاق الهاشمي قال: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل فقلت: إذا قالوا لنا: القرآن بألفاظنا مخلوق، نقول لهم: ليس بمخلوق بألفاظنا، أو نسكت؟

فقال: «اسمع ما أقول لك، القرآن في جميع الوجوه ليس بمخلوق»، ثم قال أبو عبدالله: «جبريل حين قاله للنبي ﷺ كان منه مخلوقاً؟ والنبي حين قاله كان منه مخلوقاً؟ هذا من أخبث قول وأشره».

ثم قال أبو عبدالله: «بلغني عن جهم أنه قال بهذا في بدء أمره» اهـ، مما يفيد أن هذا القول هو قول الجهمية في أول أمرهم، قبل أن يذيعوا مقالتهم الخبيثة بأن القرآن مخلوق، صراحة دون تمويه.

ولأجله وقف الإمام أحمد من تلك المقالات من اللفظية والواقفة والجهمية موقفاً واحداً ثابتاً راسخاً فللّه دره، والله أعلم.

(٢) هذا شبيه بقول الفلاسفة والقرامطة ـ المنتسبين إلى الإسلام ـ القائلين بأن القرآن فيض فاض عن العقل الفعال على النفوس الزكية الفاضلة، فأحدث لها تصورات وتصديقات بحسب استعدادها وقبولها.

وقال في النونية ص ٨٣ عن ابن سينا وأشباهه:

٧- وَمِنْهم مَنْ يقولُ: هذه القِرَاءةُ شِبْهُ ذلك القُرآن.

٨- وَمِنْهم مَنْ يقول: هَذا القُرآنُ مثل ذلك القُرآنُ.

٩- وَمِنْهم مَنْ يَقول: القُرآنُ يَختلِطُ في بَني آدمَ في لُحومِهم ودِمَاءِهم وغَير ذلك(١).

١٠- وَمِنْهم مَنْ يقول: القُرآنُ مُحَدثٌ، والمُعَوذتانِ ليستا مِنْ القُرَآن بَلْ هما دُعَاءٌ.

١١- وَمِنْهم مَنْ يقَول: لا يَكفُر هَؤلاء بل يُسكَتُ عنهم.

فرآه فيضاً فاض من عقل هو الـ ... ـفعّال علّة هذه الأكوان
حتى تلقاه زكيّ فاضل ... حسن التخيل جيد التبيان
فأتى به للعالمين خطابة ... ومواعظاً عريت عن البرهان

والعقل الفعال عند هؤلاء هو الله جل جلاله، وربما سموه العلة، والأكوان معلولة له.

وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣/ ١٠٣٦، والتعريفات ص ١٥٤ (العلة)، وربما هذا الذي ذكره المؤلف قول من جنح منهم إلى الفلسفة أو القرمطة والباطنية ووجه الشبه ـ والله أعلم ـ أنه عند الجميع ليس عند الناس حقيقة كلام الله، وإنما هو علم أو تصورات أو تصديقات في قلوب المؤمن.

وانظر: مختصر الصواعق ٤٠٩، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٦، والرد على المنطقيين ١٤١.

(١) وهو قول الحلولية ـ وسبق للشيخ المؤلف بيانه ـ وهو في حلولية الصفات أجلى!

فهؤلاء الأصنافُ كُلها هم الجَهمَّيةُ[١]، وهم كُفَارٌ زَنادِقُةٌ حُلاَّلُ القَتلِ. ومَنْ لم يَكفُر هؤلاء الأصنافِ كُلَّها، فهو كَافرٌ زِنْدِيقٌ حَلال القَتْلِ.

قال: وقرأ أَبوُ طَالبٍ أَحَمدُ بنُ حُميدٍ[٢] على أحمدَ بنِ حَنبلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ وأَشَار بِيَده إلى فِيه، وَوَضع سَبَّابَتهُ على شَفتَيْهِ، وقال: هذا اللَّفظ الذي تَلْفظتُ به، هو والله كَلامُ الله

---

(١) وبقية الأقوال لم أقف على قائليها، ما لم تكن ثمرة الأقوال السابقة.

وقد ذكر الآشعري في المقالات ١/ ٢٦٧-٢٧٠، أقوالاً ستة في المعتزلة في هل القرآن جسم أو عرض مع الاتفاق على أنه مخلوق، ثم اختلفوا هل الكلام هو القراءة، وهل هو حروف كلاهما على قولين لهما. وانظر: مختصر الصواعق ٤١٠.

(٢) هو المشكاني، صاحب الإمام أحمد والمتخصص به، فقد روى عنه مسائل كثيرة ولازمه، وكان أحمد يكرمه ويعظمه.

قال الخلال فيه: «صحب أحمد قديماً إلى أن مات، وكان أحمد يكرمه ويقدمه، وكان رجلاً صالحاً، فقيراً صبوراً على الفقر، علمه أبو عبدالله مذهب القنوع».

وروى عنه: زكريا الساجي، وأبو بكر الخلال، وعبدالله بن المهاجر وغيرهم، مات سنة ٢٤٤هـ.

ترجمته في: طبقات الحنابلة ١/ ٣٩، وتاريخ بغداد ٤/ ١٢٢، ومعجم ابن المبرد ١٦، والجرح والتعديل ٢/ ٣٨، والمقصد الأرشد ١/ ٩٥ (٣٢)، والمنهج الأحمد ١/ ١١٠، ومناقب الإمام أحمد ٥٠٦.

ولا يلتبس بأبي طالب أحمد بن نصر بن طالب شيخ الدارقطني، فإنه توفى سنة ٣٢٤، انظر: السِّير ١٥/ ٦٨.

غيرُ مخلُوقٍ»(١).

(١) لم أجده هكذا عن الإمام أحمد، لاسيما والمعروف المشهور عن الإمام أحمد ذم اللفظية جملة، وعدم التفصيل مع أكثرهم.

وإنما روى الخلال في السنة (ق ١٩٠) قال أخبرني أبو يحيى زكريا بن يحيى الناقد، قال حدثنا أبو طالب قال: قلت لأبي عبدالله: «كُتب إلي من طرسوس أن الشراك يزعم أن القرآن كلام الله، فإذا تلوته فتلاوته مخلوقة، قال: «قاتَلَهُ الله» وهذا كلام جهم بعينه.

قلت: رجل قال في القرآن: كلام الله ليس بمخلوق، ولكن لفظي هذا مخلوق؟

قال: «هذا كلام سوء، من قال هذا، فقد جاء بالأمر كله».

قلت: الحجة فيه حديث أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما قرأ ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١-٢].

فقالوا: هذا جاءَ به صاحبك؟ قال: لا، ولكنه كلام الله.

قال أحمد: نعم، هذا وغيره إنما هو كلام الله.

قلت ـ (هو أبو طالب) ـ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] هذا الذي قرأت عليك الساعة كلام الله؟

قال: أي والله، هو كلام الله، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق، فقد جاء بالأمر كله، إيش بقى إذا قال لفظي، إنه لم يرجح هذا، فاجتنبه ولا تكلمه، هذا مثل ما قال الشراك أخزاه الله.

قال: تدري من كان خالد؟

قلت: لا.

قال: عَبْدَكْ الصوفي، كان صاحب كلام ورأى سوء، وكل من كان صاحب كلام فليس ينزع إلى خير، واستعظم ذلك واسترجع وقال: إلى ما صار أمر الناس؟!

. . . .

ثم قال لي بعد ذلك: [. . وبعده غير واضح في المخطوط بقدر سطرين ونصف].

قلت: يا أبا عبدالله: اني احتججت عليهم بالقرآن والحديث، وأحب أن أعرض عليك؟

(بعده طمس قدر ثلاث كلمات) قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] أليس من محمد سُمع كلام الله.

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾. [البقرة: ٧٥]

وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، وقال: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩٢]، وقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وعلى كل حال هو قرآن.

وقال في حديث جابر: «إن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي».

وقال النبي عليه السلام لمعاوية بن الحكم: «**إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الآدميين إلا القرآن**» فالقرآن غير الكلام.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا ولكن كلام الله وقوله.

قال أبو عبدالله: ما أحسن ما احتججت، جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق والنبي عليه السلام جاء إلى الناس مخلوقاً؟!

قلت: إن أقول هذا الكلام جهم.

. . . .

وعلى كل حال هو كلام الله عز وجل.
قال نعم.

ثم أتيته بعد ذلك، فقال: «فقد وجدت فيه غير آية: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وفي سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢]» اهـ.

وأخرجه ابن بطه في الإبانة (الرد على الجهمية) ١/ ٣٣٨-٣٣٩ (١٤٣) مختصراً، وقول أبو بكر في نزول آية الروم، أخرجه الترمذي في جامعه في التفسير (٣١٩٤) من طريق البخاري، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن غريب، وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٨ و ٢٤.

وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٤٣، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٠٤ والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨٥ (٥١٠)، وقال: وهذا إسناد صحيح، وفي الإعتقاد ١٠٢، وقوام السنة في الحجة ١/ ٢٩١، وابن بطه في الكبرى (الرد على الجهمية) ١/ ٢٧٣ (٤١)، وقال الحافظ في الإصابة ٣/ ٥٧٩: رجال السند ثقات.
وانظر: الدر المنثور في زيادة من خرجه ٥/ ٢٧٩ وما بعدها.

والمقصود أن الرواية عن الإمام أحمد، ليست كما ساقها المؤلف من الإشارة إلى الفم ووضع السبابه على الشفتين.. لأنه لم يؤثر عن الإمام أحمد مثل ذلك، وإنما هو وهم عليه، كيف وقد روى الخلال في السنة (ق ١٩٢)، وابن الجوزي في المناقب ص ٢٠٨ بسنديهما من طريق صالح بن أحمد قال:

تناهى إليّ أن أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك فقال: من أخبرك؟ فقلت: فلان، قال: ابعث إلى أبي طالب!

فوجهت إليه، فجاء وجاء فوران ـ «وهو عبدالله بن المهاجر صاحب أحمد (٢٥٦هـ)».

. . . .

فقال له أبي: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب وجعل يرعد. فقال: قرأت عليك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقلت لي: ليس هذا مخلوقاً!

فقال له: فلم حكيت عني أني قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتاب، وكتبت به إلى قوم، فإن كان في كتابك فامحُه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت لهم أني لم أقل ذلك.

وغضب، وأقبل عليه فقال: تحكُّ عني ما لم أقل. فجعل فوران يعتذر له، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فذكر أنه حكَّ ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي في الحكاية» اهـ.

وذكرها الذهبي في السير ١١/ ٢٨٨.

وروي الخلال (ق ١٩٣) الحكاية عن أبي طالب من وجه آخر، أنه قال: «فقال لي الإمام: حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق.

قال: إنما حكيت عن نفسي!

قال: لا تحك عني ولا عنك هذا، ما سمعت عالماً قال هذا، وقال: القرآن كلام الله حيث تصرف، وعلى كل جهة» اهـ.

فالإمام أحمد قطع الاستشراف في المسألة ـ والتفصيل فيها وسد الباب بواضح الكلام، وأتم البيان، لظروف زمنه والفتنة التي عمت فيه، ولئلا يفتح للجهمية اللفظية وغيرهم باباً يلبسون منه على الأمة، ولئلا يأتي بأمر لم يسبق إليه من أهل العلم، والله أعلم.

وقد نص شيخ الإسلام على أن أبا طالب قد غلط على الإمام أحمد فيما حكاه ١٢/ ٢٨٠-٢٨٣.

وانظر: المجموع ١٢/ ٢٣٨، والكيلانية منه ١٢/ ٣٦٤ و ٣٧٣-٣٩٥، ومختصر

وعن الحَسنِ أنَّه قال: قال لي أبو عَبدِالله مُحمد بن جَعفر القاضيَّ[١]، قال: قرأت على أحمدَ بن حِنَبل رضي الله عنه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى آخره ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقلت له: هذا اللَّفظُ الذي لَفظت السّاعة كلامُ اللهِ؟ قال: نعم! مَنْ قال غيَر هذا فَقَدْ كَفر.

وعن الحَسنِ بن إسماعيل[٢] أنَّه قَال: قَرأَتُ على أحمدَ بن حِنَبل

الصواعق ٤٢١-٤٢٨، والسير للذهبي ١١/ ٢٨٨-٢٩١، حيث أشار إلى بعض الأعذار لأحمد عن التفصيل في المسألة.

(١) هو القطيعي صاحب أحمد، فقد روى عنه أشياء وكان الإمام يأنس به، وبأبيه قبله، له معه صحبة.

وروى عن أحمد بن محمد الصانع أبي الحارث صاحب أحمد المتقدم، روى عنه مسائله حتى روي بضعة عشر جزءاً.

وروى عنه الخلال في السنة في مواضع وحمدان الوراق ومحمد بن موسى، ولم تذكر سنة ولادته ولا وفاته.

وانظر السنة للخلال ٥/ ١١٥١، ١١٥٤، ومواضع من طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٨، والمنهج الأحمد ١/ ٢٣٦ والمقصد الأرشد ٢/ ٣٨٧ (٩١٣) ومختصر الطبقات ٢٠٨.

* أما تلميذه الحسن فلم أعرفه، إلا أن يكون الحسن بن علي بن خلف البربهاري (٣٢٩) إمام أهل السنة في عصره، فإنه محتمل لأنه من طبقته.

وانظر ترجمته في: الطبقات ٢/ ١٨، والسير ١٥/ ٩٠، والمنهج الأحمد ٢/ ٢٦، والعبر ٢/ ٢١٦، والمنتظم ٦/ ٣٢٣، ومناقب أحمد ٦١٨ (الخانجي).

(١) هو الربعي نسبة إلى قبيلة ربيعة المشهورة.

رضي الله عنه : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ . [الإخلاص]

وقد صاحب أحمد وروى عنه مسائل، قال عنها الخلال: «عنده عن أحمد مسائل صالحة».

وروى عن عبدالرحمن العنزي وغيره.

وروى عنه: الخلال في السنة وغيرها، وأبو بكر المفيد المحدث، وغيرهما، ولم تذكر سنة ولادته ووفاته.

ترجمته في: طبقات الحنابلة ١/ ١٣٠ ومختصره ٩١، والمنهج الأحمد ١/ ٣٨٦، والمعضد الأرشد ١/ ٣١٦ (٣٢٧) ومعجم الكتب لابن المبرد ٣٧.

ومما ذكره في المقصد الأرشد مما يناسب هاهنا: «أنه قال: قال لي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: أجمع تسعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاءُ الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ: أولها الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، والصبر على حُكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة بر وفاجر، والصلاة على من مات من أهل القبلة، والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله منزل على قلب نبيه ﷺ غير مخلوق من حيث ما تلى، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من عدل أو جور، ولا يُخرج على الأمراء بالسيف وان جاروا، ولا تكفر أحداً من التوحيد، وإن عملوا بالكبائر، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ وأولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين، فهذه السنة إلزموها تسلموا، أخذها هدى وتركها ضلالة» اهـ.

* * *

[٨٢/ب] **ثم قال: الذي قَرأته والذي هو في اللَّوحِ المحَفُوظِ وَاحدٌ، وهو والله كلام الله غير مخَلوق(١).**

(١) هذا الأثر عن الإمام أحمد والذي قبله لم أجدهما، والكلام فيهما كالكلام في رواية أبي طالب قبله، وكلام الإمام أحمد في المسألة مثبوت في: السنة للخلال باب الرد على من قال لفظي بالقرآن مخلوق (ق ١٩٠-١٩٥)، والسنة لعبدالله بن أحمد ١/ ١٦٣-١٦٦، والرد على الجهمية للدارمي ص ١٠٦، ورسالة في أن القرآن غير مخلوق للحربي ٣٤-٣٨، ومسائل أبي داود ٢٥٦ وما بعدها، ومسائل ابن هانىء ٢/ ١٥٢ وما بعدها، والرد على الجهمية من الإبانة لابن بطة ١/ ٣١٧ وما بعدها باب ذكر اللفظية والتحذير من رأيهم، وشرح أصول السنة للالكائي ٢/ ٣٥٤-٣٥٦، ومناقب الإمام أحمد ٢٠٦-٢١٤ (التركي)، وطبقات الحنابلة لابن ابي يعلى في مواضع ومنها ١/ ٢٢٧-٢٧٨.

ومعنى المروي هاهنا عن الإمام أحمد صحيح.

فإن المتلفظ به الخارج من اللسان والفم والشفتين من القرآن هو كلام الله، لأنه ورد عنه من غيره وجه أن المتلو والمتلفظ به هو كلام الله، وأن القرآن كيفما توجه فهو كلام الله.

وكذلك هذا القرآن المتلو المقروء هو كلام الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ وتكلم به.

حيث روى ابن بطة في الرد على الجهمية ١/ ٣٤٠ (١٤٥) بسنده عن أبي أحمد الأسدي قال: دخلت على أبي عبدالله فقلت: يا أبا عبدالله لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ فما أجابني بشيء، ثم أعدت عليه المسألة فما أجابني بشيء، قال: ثم خرجت في سفري إلى مكة فصارت البادية فقطع بي الطواف، فخرجت إلى بئر زمزم وقبة الشراب فصليت ركعتين، ثم نعست فرأيت رب العزة تبارك وتعالى في منامي، فكان آخر ما قلت له: إلا هي، قراءتي لكلامك غير مخلوق؟ قال: نعم.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. [يونس: ٣٧]

فكَلامُ اللهِ مِنَ اللهِ، ولا يكونُ مِنَ اللهِ شَيءٌ مخلوقٌ، وهو قَديمٌ غيرُ مُحَدثٍ. ومَنْ قال: إنَّ القُرآن مُحَدثٌ فهو مُعْتَزلِيٌّ كَافرٌ بالله عزَّ وجلَّ، لأنَّ القُرآنَ صِفَةُ القَديمِ، ولا تَتَباينُ صِفَته عنه[1].

قال: فقوى عزمي، فلما قضيت حجي وسفري دخلت بغداد، وقد تغير أبو عبدالله تغيراً شديداً، فقلت له: يا أبا عبدالله، لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق؟ فانبسط إلي وقال: «ما حالك توجه القرآن على خمس جهات: حفظ بالقلب وتلاوة باللسان، وسمع بالأذن، وبصر بعين، وخط بيد»؟ فأشكل علي قوله، وبقيت متحيراً.

فقال لي: «ما حالك، القلب مخلوق والمحفوظ به غير مخلوق، واللسان مخلوق والمتلو به غير مخلوق، والأذن مخلوق والمسموع إليه غير مخلوق، والعين مخلوقة والمنظور إليه غير مخلوق» اهـ.

وانظر: روايات أخرى مثله في رسالة في أن القرآن غير مخلوق ص ٣٢ وحاشيتها.

(١) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منكر عليه لما تضمنه من ألفاظ محدثة لم توجد في القرن الأول، كقوله قديم ومعتزلي، والمؤلف ـ عفا الله عنه ـ يتساهل في النقل، فلربما وجد كلاماً لابن عباس فصاغه بعبارة نفسه، وربما تلك العبارة من كلام المؤلف نفسه وسقط كلام ابن عباس.

وعموماً فلم أجد لابن عباس رضي الله عنهما هاهنا كلاماً غير ما في تنوير المقياس ولا يناسب ما ذكر هنا ونقل في زاد المسير ٤/ ٢٨، عن ابن قتيبة في قوله ﴿أَن يُفْتَرَىٰ﴾ [يونس: ٣٧] قال: «أي يضاف لغير الله أو يُختلق» اهـ. وانظر ابن جرير والبغوي وتفسير ابن كثير ٢/ ٤١٧.

***

شبهة المعطلة في قوله (الله خالق كل شيء) على خلقه القرآن

فإنْ احَتجتْ الجَهْمِية لِعَنُهم اللهُ بقوله تعالى حيث يقول: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾. [الرعد: ١٦]

فالقُرآنُ شَيءٌ، ويَحتجُّ كذلك بمِتَشابه القُرآنِ «الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل» ونحو هذا فالجواب: كما قال النَّبي ﷺ رواه ابن عباس ـ رحمه الله ـ قال نزلت هذه الآية على نبيه محمد ﷺ قل: «الله خَالقُ كُلِّ شَيْءٍ وما سواه مخَلُوقٌ، والقُرآن كَلامُ اللهِ غَيْرُ مخَلُوقٍ، منه بدأ وإليه يَعودُ، فمَنْ قال غيرَه فقد كَفر»[١].

---

(١) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما روى ابن حبان والخطيب من طريق محمد بن يحيى بن رزين المصيصي بسنده عن أنس مرفوعاً: «كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق، غير الله والقرآن، وذلك أن كلامه منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء قوم من أمتي يقولون القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر وطلقت منه امرأته» اهـ.

ذكره في تنزيه الشريعة ١/ ١٣٤، وفي اللالىء المصنوعة.

وآفته المصيصي فإنه يروى الموضوعات، وقال ابن حبان فيه: دجال يضع الحديث، وقد أسنده عنه من طريقه.

وانظر: المجروحين ٢/ ٣١٢، والميزان ٤/ ٧٤، ولسانه ٥/ ٤٢٢.

وأول الخبر معناه صحيح وأراد في القرآن ـ قال ابن باز، ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «**لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله**».

رواه البخاري في الاعتصام بالسنة (٦٧٥٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٥).

والخبر روي عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»، رواه البخاري في خلق أفعال العباد ٢٥ من طريقين أحدهما مرفوع والآخر موقوف،

وقال النَّبيَّ ﷺ: «مَنْ اسْتَظْهَرَ القُرآنَ سُميَّ حَاملَ القُرآنَ»[(١)].

وقال: «لا تَغرَّنكم المَصاحفُ المُعَلقةُ فإن الله تعالى لا يُعذِبُ قَلباً بالنَّار وهو وَعى القُرآن»[(٢)].

وكذا أخرجه ابن أبي عاصم في السنة من طريقين (٣٥٧ و ٣٥٨)، والبزار ـ كما في كشف الأستار ٢١٦٠ ـ والحاكم في المستدرك ١/ ٣١، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن منده في التوحيد ١/ ٣١ (١١٥) من طريقين، والبيهقي في الأسماء والصفات من ثلاثة طرق (٣٧ و ٥٧٠ و ٨٢٥)، وفي الاعتقاد ١٤٤، وشعب الإيمان ١/ ١٤٠، كلهم من طرق عن مروان بن معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة به، وأورده في الدر المنثور، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٩٦ وعزاه إلى حذيفة وأبي هريرة.

(١) لم أجده هكذا، وسألت عنه الشيخ ابن باز، فقال: لم أقف عليه ولم أعرفه. اهـ.

ويشهد له ما رواه الترمذي في جامعه (٢٩٠٥) في فضائل القرآن بسنده من حديث علي ﷺ مرفوعاً: «من قرأ القرآن واستظهره فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه أدخله الله به الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم وجبت له النار».

وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بصحيح، وحفص بن سليمان يُضعف في الحديث.

ورواه ابن ماجه في المقدمة ـ باب ثواب من تعلم القرآن وعلمه (٢١٦)، وأحمد في المسند ١/ ٤٨-٤٩، كلهم من طريق حفص بن سليمان عن كثير بن زادان عن عاصم بن ضمرة عن علي به، وما ورد من النصوص في أن الحافظ للقرآن فهو حامل له أو آخذ أو معه القرآن.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٢/ ٥٢٤ في أول باب من كتاب فضائل القرآن من طريقين (٣٣١٩) و (٣٣٢٠):

. . . .

١- أخبرنا الحاكم بن نافع، أنا جرير عن شرحبيل بن مسلم الخولاني عن أبي أمامة ﷺ أنه كان يقول: «**اقرؤا القرآن، ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن**».

وهذا إسناد فيه ضعف:

فإن الحكم بن نافع هو البهراني أبو اليمان الحمصي شيخ ثبت.

ولكن شيخه فقد وقع في المطبوع من سنن الدارمي أنه جرير، وبمراجعة الكمال والتهذيب في شيوخ الحكم وتلاميذ شرحبيل، وجدت أن المشترك بينهما هو حرير ـ بمهملتين ثم ياء فموحدة ـ بن عثمان الغلبي، فغلب على ظني وقوع التصحيف في السنن.

وحرير هو الحمصي الرحبي ثقة رمي بالنصب، روي له البخاري والأربعة، ومات سنة ١٦٣هـ.

وشرحبيل بن مسلم هو: ابن حامد الخولاني الشافعي صدوق فيه لين، وهو علته، فالإسناد إلى أبي أمامة كلهم شاميون.

٢- وأخبرنا عبدالله بن صالح ثنى معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: «**اقرؤا القرآن، ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلباً وعّاءً للقرآن**».

وهذا اللفظ قريب من الذي ساقه المصنف، وهذا الإسناد ضعيف.

فإن شيخ الدارمي عبدالله بن صالح هو: الجهني أبو صالح المصري كاتب الليث، وهو صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وفيه غفلة، مات سنة ٢٢٢هـ عن ٨٥ سنة.

وشيخه معاوية بن صالح هو ابن جرير الحضرمي الحمصي القاضي صدوق له أوهام.

وقال أبو بكرٍ عَبدُالله بنُ مُحَمدِ بنِ نُعمانَ(١): . . . .

ولكن هذه الطريق متابعة ـ قاصرة ـ تصلح ليعتضد بها الطريق الذي قبله، فيحسن بها الخبر موقوفاً على أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه.

وأخرجه بهذا الطريق ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٠٥ (الهندية)، وابن بطة في الإبانة (الرد على الجهمية) ١/ ٣٦٣ (١٧٢) بالطريق الأولى.

وقد خرجه تمام في فوائده مرفوعاً ـ كما في الروض البسام ٤/ ٩٩ (١٣٠٣) بلفظ: «اقرؤوا القرآن، فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن».

ولكن فيه مسلمة بن علي متروك الحديث ترجمه في الكمال وتهذيبه.

وقد عزاه له السيوطي في الجامع الصغير (١٣٤٠) وفي تمييز الطيب من الخبيث ١٧٧، وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال (٢٤٠٠) بلفظه إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي أمامة، ولم أجده في النسخة المجردة من النوادر.

وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٥/ ١٥٥ (٧٧٩٨) بسنده عن عقبة بن عامر مرفوعاً، وفيه عبدالله بن لهيعة مضعف باختلاطه، وانظر إسناده في زهرة الفردوس للحافظ ٤/ ٢٢٠.

(١) ابن عبدالسلام التيمي الأصبهاني الزاهد المتوفَّى سنة ٢٨١هـ.

روى عن: الكوفيين كأبي نعيم وعمرو بن طلحة، وروى عن أبيه، وروى عنه: الصحاف، وابن مندار وخلق كثير، وكان ثقة مأموناً، ووثقه ابن حبان بذكره في الثقات، وقال الذهبي في التاريخ: كان ثقة صالحاً من أولياء الله.

ترجمته في: تاريخ أصبهان ٢/ ١٧ (٩٦٤)، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٨١ ص ٢٠٦ (٣١٦)، والثقات لابن حبان ٨/ ٣٦٩، والأنساب ١٢/ ١٥٥، والحلية ١٠/ ٤٠٠، وطبقات المحدثين ٣/ ٣٤٩، والسير ١٣/ ١٩٢، والمقتنى في سرد الكنى (٨١٢).

أخبرني أبي(١)، عن وَكيعِ بنِ الجرَّاح(٢) أَنَّه قال: «مَنْ زعَم أنَّ القُرآن مخَلُوقٌ فقد زَعم أنَّ أسماءَ الله مخَلُوقةٌ، ومَنْ زَعم أنَّ أسماءَ اللهِ مخَلُوقةٌ فقد كَفْر»(٣).

(١) هو محمد بن النعمان بن عبدالسلام بن حبيب بن حُطيط، أبو عبدالله التيمي، شيخ إصبهان، وابن شيخها وأبو شيخها.

روى عن: ابن عيينة ووكيع وابن عباس وخلق.

وعنه: ابنه وزيد بن أحزم وجماعة ليسوا بالكثير، لأنه لم يحدث إلا بالقليل، قال فيه أبو الشيخ هو أحد الورعين، توفي سنة ٢٤١هـ.

ترجمته في: تاريخ أصبهان ٢/ ١٥٤ (١٣٤١)، وطبقات المحدثين ٢/ ٢١١ (١٥٤)، والحلية ١٠/ ٣٩١، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٤١ ص ٤٧٥ (٥٠٠)، والوافي بالوفيات ٥/ ١٣٢ (٢١٤٢).

(٢) هو ابن مليح الرُؤَاسي، أبو سفيان الكوفي.

روى عن: هشام بن عروة والأعمش والأوزاعي وخلق سواهم حتى ذكر له المزني ١١٦ شيخاً.

وعنه: الثوري وابن المبارك وابن مهدي ومسدد وأحمد وابن معين في غيرهم من الأئمة، وهو صاحب كتاب الزهد، كان ثقة حافظاً عابداً من الكبار، مات آخر سنة ١٩٦هـ، وقد روى له الجماعة.

ترجمته في: الطبقات لابن سعد ٦/ ٣٩٤، والتاريخ الكبير ٨/ ١٧٩، والصغير ٢/ ٢٨١، والمعرفة للفسوي ١/ ١٧٥، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٦، والسير ٩/ ١٤٠، وتهذيب الكمال ١٤٦٣، وتهذيبه ١١/ ١٢٣، والجرح والتعديل ١/ ٢١٩، ومشاهير علماء الأمصار (١٣٧٤).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى عبدالله بن أحمد بمعناه في السنة ١/ ١١٧

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾. [التوبة: ٦]

بسنده عن وكيع قال: «من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر، ومن قال: إن منه شيئاً مخلوقاً فقد كفر».

ورواه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٢١٩ (٣٥٩) من وجه آخر قال وكيع: «من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق.

فقلت: يا أبا سفيان من أين قلت هذا؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣] ولا يكون شيء من الله مخلوقاً».

وذكره عنه شيخ الإسلام في المجموع ١٢/ ٥١٧ وقال عقبه: «وهذا القول قاله غير واحد من السلف».

أما تكفير وكيع لمن قال بالقرآن مخلوق فكثير.

وانظر: السنة للخلال ٥/ ١١٠ وما بعدها، ومسائل أبي داود ٢٦٦ وما بعدها، وعبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١١٤-١١٧، وشرح أصول السنة للالكائي ١/ ٢٥٧ وما بعدها و ٣١٧ (٥٠٦)، والإبانة لابن بطة (الرد على الجهمية) ١/ ٦٧، والأسماء والصفات ١/ ٦٠٨ وما بعدها، والعلو للذهبي ١١٧.

وقد روى عبدالله في السنة ١/ ١٠٣ عن أبيه أنه قال: «من قال القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر، لأن القرآن من علم الله ومنه أسماء الله، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]» اهـ، ورواه ابن بطة في الرد على الجهمية ١/ ٦٥ (٢٧٩)، ورواه بنحوه ابن أبي هانىء في المسائل ٢/ ١٥٣، وابن بطة عقبه ١/ ٦٦-٦٧.

***

وحدَّثَ نَصرُ الدِّمَشِقيُّ[١] قال: كنتُ جَالسا عند أبي عبدِالله أحمدَ ابنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه فدخلَ عليه عَمُّه وابنُ دُؤَادٍ[٢] ـ رحمهما الله ـ فقالا له: لم لا تَقولُ إنّ القُرآنَ مخَلُوقٌ؟ فقال أحمدُ بنُ حِنَبل رضي الله عنه: وكيفَ [٨٢/ب] أقولُ إنَّ القُرآن مخَلوقٌ، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾. [الرحمن: ١-٣]

---

(١) الاسم محتمل لثلاثة:

١- نصر بن عمران، وقد ذكره الخلال فيمن روى عن الإمام أحمد.
وانظر: الطبقات ١/ ٣٩١، والمنهج الأحمد ١/ ٤٥٤، والمقصد الأرشد ٣/ ٥٥ (١٧٣).

٢- نصر بن علي بن نصر الجهضمي الصغير (٢٥٠هـ).
فقد روى عن ابن عيينة وابن عليم وأحمد وخلق سواهم.
وروى عنه أصحاب الكتب الستة والذهلي وعبدالله بن أحمد، وقال سألت أبي عنه فقال: «ما به بأس ورضيه» وكان من أئمة السنة الإثبات الثقات.
ترجمته في: السير ١٣/ ١٣٣، والجرح ٨/ ٤٦٦، والتاريخ الكبير ٨/ ١٠٦، والصغير ٢/ ٣٩١، وتهذيب الكمال ١٤٠٨، وتهذيبه ١٠/ ٤٣٠، وتقريبه، والخلاصة ٤٠١.

٣- نصر بن عمر الحمصي، قال المزي في الكمال ١٤١٠:
روى عنه النسائي وقال: لا بأس به، هكذا ذكره أبو القاسم بن عساكر في المشايخ، وقال الحافظ في التقريب: صدوق من الحادية عشرة.

(٢) هكذا رسمها في الأصل، والظاهر أنه أبو داؤد صاحب السنن، سليمان بن الأشعث صاحب الإمام أحمد وتلميذه المتوفي (٢٧٥هـ)، ويحتمل أنه إسحاق بن داود البلخي، والأول أظهر! وعمه هو إسحاق بن حنبل أبو يعقوب الشيباني (٢٥٣هـ)، وقد ولد في سنة (١٦١هـ).

ولو كانَ مخَلُوقاً لقال: «الرحمن خلق القرآن، خلق الإِنسان؟» ولكنَّه وَحْيُهُ وتَنْزِيلُه وكَلامُه، فمَنْ زَعَم أنَّه مخَلُوقٌ فهو كَافرٌ، ومَنْ شَكَّ في كُفَرِه أيضاً فهو كَافرٌ.

فقالا: فماذا نَقُول باللَّفظِ بالقَراءَة؟ فقال: لفَظُنا بالقُرآنِ هو القُرآنُ، ومَنْ شَكَّ في ذلك فهو كَافرٌ، نعَتقد أنَّ حُروَفَ القُرآن ليسَ بمِخَلُوق[1]، لأنَّ الله تعالى لم يَزلْ مُتكلماً بها، فَمَنِ اعتقدَ أنَّ حُروفَ القُرآنِ مخَلُوقةٌ، فَقَدْ قال بِخَلقِ القُرآنِ، فهو كَافرٌ[2].

---

(١) هكذا في الأصل مذكرة، والأصوب (مخلوقة) بعود التأنيث للحروف، فإن عاد للقرآن فنعم.

(٢) ومثله ما رواه ابن بطه في الإبانة (الرد على الجهمية) ١/ ٢٩٢ (٦١) بسنده عن ابن هانيء الأثرم، قال: أتينا أبا عبدالله، أنا والعباس بن عبدالعظيم العنبري، فسألناه عن أشياء، فذكر كلاماً فقال العباس: «وقوم هاهنا يقولون: لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وهؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم، فإن لم تقولوا: ليس بمخلوق، فقولوا: هو مخلوق.

فقال أبو عبدالله: «قوم سُوءٍ هؤلاء، قوم سوء».

فقال العباس: «ما نقول يا أبا عبدالله؟ فقال: الذي أعتقده وأذهب إليه، ولا أشك فيه: أن القرآن غير مخلوق.

ثم قال: سبحان الله، ومن يشك في هذا.

ثم تكلم أبو عبدالله مستعظماً الشك في ذلك فقال:

سبحان الله في هذا شك، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرق بين الخلق والأمر وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣] فجعل يعيدها: علم، خلق، أي: فرّق بينهما.

. . . .

وقال أبو عبدالله: فالقرآن من علم الله، ألا تراه يقول ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ والقرآن فيه أسماء الله، أي شيء يقولون؟ لا يقولون إن أسماء الله غير مخلوقة؟ من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله قديراً عليماً حكيماً سميعاً بصيراً، فلسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله لا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله، ولم يزل الله متكلماً» اهـ.

وقال الإمام أحمد في رسالته للمتوكل ص ٥٩: «وقال تبارك وتعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] فأخبر تعالى أن القرآن من علمه».

وقد رواها صالح في مسائله (ق ١٣٣-١٣٧)، وعبدالله في السنة ١/ ١٣٣-١٣٩، وفي المحنة المطبوعة باسم سيرة الإمام أحمد لصالح ١٢٤-١٣٠، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ٢١٦، والذهبي في السير ١١/ ٢٨١-٢٨٦، وأخبر أن إسنادها كالشمس، وفي المحنة للحافظ عبدالغني المقدسي ١٨٠، وذكر محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص ٨٤.

وهذا ما احتج به الإمام أحمد لما دخل على المعتصم كما رواها ابن أبي يعلى في طبقاته ١/ ١٦٣ وما بعدها في ترجمة سليمان بن عبدالله السجزي، وكذا نقلها في المقصد الأرشد ١/ ٤١٩ (٤٤٨) وهي طويلة ومما فيها:

فقال له المعتصم: عندك حجة غير هذا.

فقال أحمد: نعم يا أمير المؤمنين قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢]، ولم يقل يٓس والقرآن المخلوق؟..».

وبمثل هذا الجواب أجاب الكناني بشراً في آخر مناظرته كما في الرد على الجهمية من الإبانة ٢/ ٢٤٧ والحيدة ص ٨٥.

«قال عبدالعزيز إن الله أخبر في كتابه عن خلق الإنسان في ثمانية عشر موضعاً،

بابُ القَدَرِ

والإِيْمَانُ بالقَدرِ خَيِّرِه وشَّرِه حُلوِه ومُرِّه كُلُّه بِقَضاءِ الله تَعالى وقَدَرِه على عِبَاده في سَابقِ عِلْمِه(١). وقَتْلُ النَّفْسِ المُحرَّمَةِ، وأَكلُ المَالِ الحَرام، وشُربُ الخَمرِ، والشِّرْكُ بالله العَظيم، والزِّنَى، والسَّرقةُ، والمَعاصي كُلُّها بقِضَاءِ الله وقَدرِه.

ما ذكره في موضع منها إلا أخبر عن خلقه، وذكر القرآن في ٥٤ موضعاً من كتابه فلم يخبر عن خلقه في موضع منها، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن والإنسان في موضع واحد، وأخبر عن خلق الإنسان، ونفي الخلق عن القرآن، فقال عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ ففرق بين القرآن وبين الإنسان، فزعم بشرٌ يا أمير المؤمنين: أن الله عز وجل فرط في الكتاب، وكان يجب عليه أن يخبر عن خلق القرآن..» اهـ.

(١) للإِيمان بالقضاء والقدر مرتبتان، متضمنتان درجتين هما:

(أ) الدرجة الأولى:

١- علم الله سبحانه السابق بكل شيء قبل وقوعه وعمله.

٢- وكتابته له في اللوح المحفوظ عنده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

ولما روى مسلم في صحيحه في كتاب القدر ـ باب بيان أن الآجال والأرزاق ـ (٢٦٦٣) و(٣٢ و ٣٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

خَلَقَ الجنَّةَ وأهَلهَا، وما هم عَاملون، فلابدَّ مِنْ أنْ يعَملوا كذلك، وخَلَقَ النَّارَ، وخَلَقَ أهَلهَا، وما هم عَامِلون، فلابُدَّ أنْ يَعملوا[1][2].

ولما رواه أبو داود في السنة (٤٧٠٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: «**أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب، قال يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**».

ورواه الترمذي في القدر (٢١٥٥)، والطيالسي في مسنده (٥٧٧)، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٣١٧.

(ب) الدرجة الثانية:

١- أن مشيئة الله وقدرته شاملة ونافذةٌ لكل شيء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٢- أن العباد فاعلون أفعالهم حقيقة، والله خالق لهم ولأفعالهم.

كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

(١) هذه الجملة سقطت من الأصل، وأكملت في حاشية الصفحة، ولكن أُهمل أول الفعل بالياء، أو التاء، فرجحت الياء لمناسبة ما قبله!

(٢) وهذا تضمين من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أنه أتى بصبي من صبيان الأنصار، فصلى عليه، قالت عائشة، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه.

قال صلى الله عليه وسلم: «**أو غير ذلك يا عائشة، خلق الله عز وجل الجنة، وخلق لها أهلاً، وخلقهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وخلقهم في أصلاب آبائهم**» أخرجه النسائي في كتاب الجنائز ـ باب الصلاة على الصبيان ٤/ ٥٧، وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤١.

كَذلِكَ قَال الله تَعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ . [الصافات : ٩٦]

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ۞ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ۞ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ . [الصافات : ١٦١-١٦٣]

أي : ما أَنتم بمضلِّينَ أَحَداً على الأصنامِ التي تَعبدُونها إلاّ مَنْ قُدِّر عليه أنْ يَصلَى الجَحيمَ(١) .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ .

[الأنفال : ٢٤]

أي : يَحولُ بَيْن المُؤمن وبين الكَافِر ، ويحولُ بين الكُفرِ وبَيْن الإِيمانِ(٢) ، قَدْ عَلِمَ الله الطَّاعة مِنْ أَهلِها ، ولها خَلقهم ، وعَلِمَ المَعصِيةَ مِنْ أَهلِها ، ولها خَلقَهم ، فَكُلٌّ عَامِلٌ لما خُلق له ، وَسَائِرٌ إلى ما قُدِّر عليه .

---

(١) وبنحوه فسره الحسن البصري كما أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره ٢٣/ ١٣١ ، وأخرجه عبد بن حميد ، وابن بطة من القدر ٢/ ١٩١ (١٧٠٠) ، والآجري في الشريعة ص ٢١٧ ، وانظر الدر المنثور ٥/ ٥٤٩ ، وأخرجه ابن بطة في الإبانة ـ كتاب القدر ٢/ ٢٢٢ (١٨٢) عن إبراهيم التيمي ، وكذا روي عن مجاهد والضحاك وعمر بن عبدالعزيز وعن ابن عباس نحوه ، ذكرها ابن جرير والسيوطي في الدر المنثور .

(٢) بنحوه فسره ابن عباس رضي الله عنهما قال : «يحول بين المؤمن وبين المعاصي ، وبين الكافر وبين الإيمان» .

أخرجه عنه ابن بطة في كتاب القدر من الإبانة ٢/ ١٥٩ (١٦٢٠) ، والبيهقي في الاعتقاد ص ٦٧ ، وروي نحوه من وجه آخر عن ابن عباس وابن أبي شيبة وخشيش بن أصرم في الاستقامة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه

يُضلِ مَنْ يَشاءُ ويَهدي مَنْ يَشاءُ، يغفِرُ لمِنْ يَشاءُ ويُعذِب مَنْ يَشاء، ولله الحُجَةُ البَالغة على خَلْقِهِ، وهو الفَّعالُ لما يُريد: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾. [الأنبياء: ٢٣]

[٨٣/أ] فمنْ أضافَ إلى نَفْسِه شَيْئاً مِنَ الاسْتِطَاعة فَقَدْ أعظَم الفِرْية على الله لأنَّ العَبدَ غيرُ مُستطيعٍ لما قد عَلِمَ الله مِنْه أنَّه لا يفعْله.

نفوذ مشيئة الله وشمولها لكل شيء ودلائلها

وأنَّ ما لا يشَاءُ الله لا يكونُ، وما شَاء الله أنْ يكونَ لا محالة يَحِلُّ بالعَبدِ مِنْ الخَيرِ أو الشَّر، والإيمَانِ والكُفرِ، والهِدَايةِ والضَّلالَةِ، والسَّعادَةِ والشَّقاوَةِ، والمَوتِ والحَياة، والرشد والغيِّ، مِنْ الله عزَّ وجلَّ.

والدَّليلُ على ذلك قَوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾. [يونس: ٩٩]

وقَوْلُه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. [السجدة: ١٣]

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾. [الرعد: ٣١]

وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾. [هود: ١١٨-١١٩]

وقال عزَّ ذِكُره: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن

وذكره في الدر المنثور ٢/ ٣٢٠.

وأسند ابن جرير مثله عن سعيد بن جبير وعن الضحاك وعن ابن عباس من عدة أوجه واختاره في تفسيره ١٩/ ٢٨٤ وما بعدها.

يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ . [الأنعام: ١٢٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ . [الأنعام: ١٠٧]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ . [آل عمران: ٢٦]

وقال عزَّ ذِكْره: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۞ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ إلى ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾(١) . [النجم: ٤١-٤٨]

---

(١) ويدل عليه من السنة أحاديث كثيرة منها:

١- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجيء جبريل وفيه: «**سأله عن الإيمان؟ فقال ﷺ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» أخرجاه في الصحيحين، واللفظ لمسلم عن عمر رضي الله عنه .

فقد رواه البخاري في الإيمان - باب سؤال جبريل النبي ﷺ - (٥٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم في أول كتاب الإيمان (٨)، وعن أبي هريرة (٩، ١٠).

وزاد مسلم في أوله: عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميدي حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب، داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام لي، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتفقهون العلم،

. . . .

وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أنْ لا قَدَرَ، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريئ منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» ثم ذكر حديث أبيه عمر في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ.

٢- وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**».

أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في جامعه في كتاب القدر (٢١٥٥)، وفي التفسير (٣٣١٩)، وأحمد في المسند ٥/ ٣١٧، والطيالسي في المسند (٥٥٧)، والآجري في الشريعة ١٧٧ وما بعدها، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣ و ١٠٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٣٨ (٨٠٣).

وله شاهد من حديث ابن عباس يرفعه. رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٨)، وعبدالله بن أحمد في السنة ١٠٩، وابن جرير في تفسيره ٢٩/ ١٦ و١٧، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٨١، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٣٧ (٨٠٣ و ٨٠٤) وفي سننه ٣١٩، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ٢١٧، والطبراني في الكبير ١٢/ ٦٨، والدارمي في الرد على الجهمية (٢٥٣)، والرد على بشر المريسي ١٩٨، والحاكم ٢/ ٤٩٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٣- وحديث ابن الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب، فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أنه ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك

فدَّلَ ذلك كُلَّه على أنّ كُلَّ ما يَحلُّ بالعَبدِ مِنْ الخير والشَّرِ، والإيمانِ والكُفرِ، والهِدَاية والضلالة، والسَّعادة والشَّقاوة، هو مِنْ الله عزَّ وجلَّ.

شبهة على أن خلق العباد لعبادتهم من دون إرادة منهم لذلك

فإنْ قال مُخَالِفٌ: ويَحتج بقَولِ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: ٥٦]

قيل له: إنَّ الله سُبحانه وتعالى ما خَلقَ الخَلقَ لحِاجَة إليهم، ولا لفاقَةٍ إلى ما عِنْدَهُمْ، ولا انْتَظاراً بهم على تحَقْيق رُبُوبيَّتِهِ؛ إذْ هو خَالقهم ورَازِقْهم والقَادرُ عليهم، فإنْ لم يَصلحوا لِذَلك هل يَصلُحون إلا لعِبَادته ليعَرفوا حق رُبُوبيَّتِهِ، وتُقِرُّوا له بعِبُودِيتهِ! إذْ هو المُنعمُ عليهم والمُشفِي لهم، ولكنَّ الخِلاَف بينَنا وبينكم أنَّكم ردَدتم القُدرةَ [٨٣/ب] إلى العِبَادِ، فقلتم: عبدَالله مَنْ ذَاتِهِ، لا بِتَوفيق الله إياهم لعِبَادته، ولا بتَقديره عليهم.

ونحن نَقُولُ: إنَّهم لن يَصلوا إلى عِبَادة الله به، وبما قَدره عليهم

لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار.

فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، كلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٨٥ و ١٨٩، وأبو داود في السنة ـ باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في المقدمة (٧٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٤٥)، وعبدالله بن أحمد في السنة (٧٧)، والطبراني في الكبير (٤٩٤٠ و ١٠٥٦٤)، والآجري في الشريعة ١٨٧، وابن حبان كما في الموارد (١٨١٧)، والحاكم وصححه، وانظر المجمع ٧/ ١٩٧، وتحفة الأشراف (٥٢ و ٣٧٢٦ و ٩٣٤٨) وكلاهما أوردهما الشيخ محمد في كتاب التوحيد ـ باب ما جاء في منكري القدر.

ووفقّه لهم ولم يصلوا إلى ذلك إلاّ بالله .

والدَّليلُ على ذلك قُول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . [يونس : ١٠٠]

فأخبر عزَّ وجلَّ أنَّهم لا يصَلون إلى الإيْمَان إلا به[(١)] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . [آل عمران : ٧٣]

---

(١) للمفسرين في الاستثناء ستة أقوال كلها مصدقة لقول المؤلف ، وهي :

١- إلا بقضاء الله وقدره وهو قول سفيان الثوري .

٢- بمشيئته وهو قول عطاء .

٣- بأمر الله وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٤- بعلم الله .

٥- بتوفيق الله وهما قولا الزجاج وابن الأنباري .

٦- إلا أن يأذن الله في ذلك ، قول مقاتل .

واختلافها من قبيل التنوع وتعدد العبارة .

وانظر : تفسير ابن جرير ١١/ ٢٢٥ ، وزاد المسير ٤/ ٥٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٥٣ ، والقرطبي ٨/ ٣٨٦ ، كما قال تعالى في الأنعام : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] ، وقال في سورة النحل في أقوام الرسل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل : ٣٦] الآية .

فهداية الله تكون بإذْنِهِ المشتمل على علمه وأمره وإرادته وقضائِهِ وقدره وتوفيقه ودلالته .

وقال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. [البقرة: ١٠٥]

وعيد منكري القدر

حدثنا أبو الحَسن مُحمَّدٌ الخَطيبُ[١] بإسَنادٍ صَحيح يَرفعه إلى أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت عند رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذْ دَخَلَ قَومٌ يتَنَازعون في القَدرِ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٢].

[القمر: ٤٧-٤٩]

(١) هو علي بن محمد بن محمّد بن الأخضر الخطيب الأنباري، المولود سنة ٣٩٢-٤٨٦هـ، عن أربع وتسعين سنة.

حدث عن أبي أحمد بن أبي الفرضي، وأبي عمر بن مهدي وجماعة.

وعنه: ابن الحنبلي، ونصر الله مفتي الشام، وابن إسماعيل بن محمد الحافظ.

كان على فقه أبي حنيفة، وثقة نبيلاً، عالي الإسناد خطيباً بالأنبار، وارتحل إليه الناس، وقد وثقه السمعاني وتلميذه إسماعيل الحافظ.

ترجمته في: الشذرات ٢/ ٣٧٩، والمعين ٢٠٦، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، والسير ١٨/ ٦٠٥، والتذكرة ٣/ ١١٩٩، والجواهر المضيئة ٢/ ٦٠٢، والمنتظم ٩/ ٧٩، والطبقات السنية (٥٤)، ومضىٰ في شيوخ ابن الحنبلي من الدراسة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩].

أخرجه في كتاب القدر ـ باب كل شيء بقدر (٢٦٥٦).

* * *

ويُروَى عنه ﷺ أنَّه قال: «صِنْفَان مِنْ أُمتي لا يَنالهم شَفَاعتي، وهم المُرجَئةُ والقَدْريَّةُ»(١).

(١) الحديث مروي عن ابن عباس بلفظ المؤلف، وعن أنس، وابن عمر، وجابر، وأبي سعيد معاذ، وواثلة، وغيرهم رضي الله عنهم.

١- فحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أخرجه بلفظه ابن أبي عاصم في السنة (٩٤٦) من طريق علي بن نزار بن حبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً به.

وفيه نزار بن حبان وهو الأسدي ضعيف من السادسة، وذكره في اللسان ٦/ ١٥٠ مع حديثه هذا، ونقل ابن عدي في الكامل ٥/ ١٩٤ (١٣٤٩) ان هذا الحديث أحد ما أنكره على ابن نزار وعلى أبيه.

وقال ابن حبان في المجروحين ٣/ ٥٦ فيه: قليل الرواية، منكر الحديث جداً، يأتي على عكرمة بما ليس من حديثه حتى سبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها..» اهـ، وفيه من تشدد ابن حبان ما لا يخفى.

وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب القدر - باب ما جاء في القدرية (٢١٤٩) من طريق على بن نزار بلفظ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية».

قال أبو عيسى: وفي الباب عن عمر وابن عمر ورافع بن خديج، وهذا حديث غريب حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (٧٤) من هذا الطريق وقال البوصيري فيه: هذا إسناد ضعيف، نزار بن حبان جرحه ابن حبان، وعبدالله بن محمد الليثي مجهول قاله الترمذي.

وأخرجه ابن ماجه بمثل ما عند الترمذي (٦٢)، وأخرجه ابن أبي عاصم بهذا اللفظ - كما عند الترمذي - في السنة (٩٤٧ و٩٤٨ و٩٥١ و ٣٣٤ و ٣٣٥).

. . . .

---

* وللترمذي طريق أخرى (٢١٤٨) عن ابن عباس، قال: ثنا محمد بن رافع ثنا محمد بن بشر ثنا سلام ابن أبي عَمْرَة عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه.

فتابع سلام بن أبي عمرة نزار بن حبان.

وأخرجها ابن أبي عاصم في السنة (٩٥١)، والطبراني في الكبير ١١/ ٢٠٩ (٦٨٢)، والبخاري في التاريخ الكبير ٤/ ١٣٣ في ترجمة سلام عنه به، وأخرجه اللالكائي كذلك (١١٥٦).

وسلام قال فيه ابن أبي حاتم عن ابن معين: ليس بشيء، وقد ضعفوه.

وأخرجه ابن عدي في ترجمة سلام ٣/ ٢٠٩ (٧٧٠) وقال: سلام بن أبي عمرة ونزار يعرفان بهذا الحديث، فلم يرو عن عكرمة غيرهما.

وانظر الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٨، والتهذيب ٤/ ٢٨٦.

وقال العلائي في حديث ابن عباس: والحق أنه ضعيف لا موضوع، وقد تابع الترمذي في تحسينه للحديث الحافظ ابن حجر.

٢- حديث أنس رضي الله عنه.

أخرجه ابن بطة في الكبرى - كتاب الإيمان ٢/ ٨٨٤ (١٢٢٠) بسنده من طريق إسماعيل بن داود عن أبي عمران عن أبيه بلفظ المؤلف.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٥٤ بسنده مثله، وإسماعيل بن داود ضعفه أبو حاتم، وقال ابن حبان كان يسرق الحديث، وانظره في الميزان ١/ ٢٢٦، واللسان ١/ ٤٠٣.

وأخرجه الخطيب البغدادي في المتشابه في الرسم ١/ ١٤٤ عن أنس بمثله وزاد: قلت يا رسول الله ماالمرجئة؟ قال: «**قوم يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل**» قلت: ما القدرية؟ قال: «**الذين يقولون المشيئة إلينا**».

. . . .

وذكره الألباني في الضعيفة (٦٦٢) عنه وقال: موضوع!

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٦٢ من طريقين عن أنس وقال: هذان لا يصحان عن رسول الله ﷺ.

وذكره في المجمع ٧/ ٢٠٧ عن أنس عند الطبراني في الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح غير روف بن موسى الفروي وهو ثقة» اهـ.

٣- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما:

أخرجه الطبراني في الكبير بلفظه وقال في المجمع ٧/ ٢٠٦: وفيه بحر بن كثير السقا وهو متروك.، وأخرجه الخطيب في تاريخه ٥/ ٣٦٨ من طريقه عن جابر وابن عباس، وأخرجه الطبراني في الأوسط وفيه: سهل بن قرين وهو كذاب، قاله في المجمع ٧/ ٢٠٦، وكذا أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ٤٤٣ في ترجمة سهل (٨٦١)، وابن الجوزي في العللل ١/ ١٦١ بمثله، وقال لا يصح، وسهل مجهول، وانظر: اللسان ٣/ ١٢٣، والمغني ١/ ٨٨.

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً ومرفوعاً:

(أ) فالموقوف رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان (٢١) من طريق محمد بن أبي ليلى عن نافع عنه.

(ب) والمرفوع أخرجه اللالكائي (١٧٩٩) من طريق محمد بن أبي ليلى، وهو مضعف، ضعفه يحيى القطان وقال أحمد: سيء الحفظ، وانظر التهذيب ٩/ ٣٠١. فاختلف عليه فيه.

وأخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٢٩١ في ترجمة إسماعيل بن إسحاق (١٢٦) وفي ٦/ ١٨٧ بسند آخر عنه.

وأخرجه الخطيب في التاريخ ٥/ ٣٦٧ عنه مرفوعاً وقال: «هذا حديث منكر من هذا الوجه جداً كالموضوع» اهـ.

. . . .

٥- حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه :

أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٢١ بسنده عنه في ترجمة إسماعيل بن المثنَّى (١٤٨) وهو مجهول، وذكره ابن حبان في الثقات، وانظره في اللسان ١/ ٤٣١ .

٦- حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه :

أخرجه الطبراني بلفظ المؤلف في الأوسط، «وفيه محمد بن محصن وهو متروك» اهـ، من المجمع ٧/ ٢٠٦ .

٧- حديث أبي سعيد رضي الله عنه بمثله :

أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه: عمرو بن القاسم بن حبيب الثمار وهو ضعيف، وكذا عطية العوفي. . اهـ، من المجمع ٧/ ٢٠٧ .

٨- حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده بلفظ: «**صنفان من أمتي لا يردان عليّ الحوض: القدرية والمرجئة**» .

ورواه اللالكائي في شرح أصول السنة (١١٥٧) وفيه ضعيف ومتروك .

وأخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار ص (٦٥٣-٦٥٥) عن جملة منهم، وكذا الحافظ في المطالب العالية (٢٩٥٨) .

وقال شارح الطحاوية عقب سوقه ٣٥٨ (التركي): «لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها» اهـ.

هذا وقد ورد شاهد له عن بكر بن عبدالله المزني مرفوعاً: «**حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة**» أخرجه ابن وضاح في البدع (٨٥) وهو مرسل .

وقد ورد في ذم المرجئة والقدرية أحاديث وآثار كثيرة ذكرها ابن بطة واللالكائي والآجري وابن وضاح في كتبهم وأبو عبيدالقاسم وابن أبي شعبة في الإيمان. والله أعلم .

وقال النَّبي ﷺ: يؤُتى بالقَدرِية يومَ القِيَامة زُرقٌ عُيونُهم، سُودٌ وجُوهُهُم، قد دُلِّعَتْ ألسَنتُهم على أذقانِهم، يسَيلُ مِنْها اللُّعابُ، أنَتنُ مِنْ الجِيفةِ، يَستْقذِرُهَم كُلُّ مَنْ رَآهم، فيقولن: رَبَّنا إنَّا وَحَّدْناك كما وَحَّدُوا، وآمَنا بك كما آمنوا، وعَبدناك كما عَبَدُوا، فيقول الله لهم: أتَاكم الأَمْرُ مِنْ حَيثُ لَمْ تَحْتَسِبُوا»[١].

---

(١) لم أقف عليه هكذا.

١- وإنما روي الآجري في الشريعة ص ١٩٣ بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما بعث الله عز وجل نبياً مُبْتَلىً فاستجمعت له أمته إلا كان فيهم مرجئة وقدرية يشوشون أمر أمته من بعده، ألا وإن الله عز وجل لعن المرجئة والقدرية على لسان ٧٠ نبياً أنا آخرهم».

ورواه الهروي الأنصاري في ذم الكلام ١/ ق ٢٨-٢٩، بسنده عن أبي هريرة بمثله، قال: وسمعت أبا يعقوب الحافظ يقوي هذا الحديث، وانظر الميزان (٣٦٢١)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة ١/ ١٤٢ و ٤٦٢، ورواه الحسن بن سفيان في الأربعين له كما في تنزيه الشريعة ١/ ٣١٢.

وله شاهد عن معاذ بن جبل بمثله، رواه الطبراني في الكبير وفيه بقية بن الوليد، وهو لين الحديث، ويزيد بن حصين لم أعرفه.. اهـ، من المجمع ٧/ ٢٠٤.

وله شاهدٌ آخر عن علي رواه ابن أبي شيبة، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل ١/ ١٥٦ بمثله.

وله شاهد عن عائشة ولفظه: «ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل لمحارم الله، والمستحل من عزتي ما حرم الله، وتارك السنة»

وقد رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.. اهـ، من

. . . .

المجمع ٧/ ٢٠٥ ، وهو عند ابن حبان ١٣/ ٦٠ (٥٧٤٩) بمثله وأَوَّلُهُ: «**ستة لعنتهم ولعنهم الله**».

وأخرجه الترمذي في كتاب القدر (٢١٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤) و (٣٧)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٢٥ و ١/ ٣٦ و ٤/ ٩٠ وصححه، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٣٦٦ من عدة طرق.

وروى ابن وهب في كتاب القدر له (٢٦) بسنده عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله في النار**» رواه ابن أبي عاصم (١١١)، الآجري في الشريعة ص ١٨٦ و ١٨٧، وانظر: ١٧٧ و ١٧٨، وباب ما جاء في المكذبين بالقدر خيره وشره من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وفيه انقطاع بين سليمان بن مهران الأعمش وبين عبادة، ولكن يشهد له حديث ابن الديلمي عن ابن مسعود وحذيفة وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب رضي الله عنهم عن النبي ﷺ وفيه «**وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على هذا لكنت من أهل النار**» وسلف ثمامة مخرجاً.

ومن أصح ما ورد في ذم القدرية حديث: «**إن لكل أمة مجوساً وإن مجوس هذه الأمة القدرية فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم**».

روى عن حذيفة وسهل بن سعد وجابر وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأنس رضي الله عنهم.

رواه أبو داود وابن ماجه والطبراني والدارقطني وابن أبي عاصم واللالكائي والخطيب في التاريخ والفريابي في القدر وابن عدي في الكامل، وابن بطة في القدر والعقيلي في الضعفاء وابن الجوزي، وفي آمالي ابن بشران.

والحديث بمجموع طرقه يكون حسناً قاله ابن عراق ١/ ٣١٦-٣١٧، وفي المجمع ٧/ ٢٠١-٢٠٨.

[٨٤/أ] وذلك في كِتَابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾(١).

[الكهف: ١٠٣-١٠٥]

فدلَّ ذلك كله على أن الطَّاعةَ والمَعْصِيَةَ كُلُّها بِيَدِ الله تعالى، وقَضاءَهُ وقَدَرَهُ، في سَابقِ عِلْمِهِ.

وسُئِلَ سَهْلُ بنُ عبدِالله(٢) عنَ القَدَرُ، فقال: «القَدُرِ في سَبْعِ مَراتبَ: في اللِّسانِ، والسَّمعِ، والبَصرِ، واليَدينِ، والرِّجْلَيْنِ، والقَلبِ، والفَرجِ حتى صَاروا إلى الخَواطرِ في القُلوبِ. فَقُلنا: هذا كُلُّه بلاءٌ

وقد روى الآجري ص ٢٣٠ بسنده عن عمر بن عبدالعزيز أنه قيل له في القدرية: «إن قوماً ينكرون من القدر شيئاً. فقال عمر: بينوا لهم، وارفقوا بهم، حتى يرجعوا، فقال قائل: هيهات هيهات يا أمير المؤمنين، لقد اتخذوا ديناً يدعون إليه الناس ففزع عمر فقال: أولئك أهل أن تُسلَّ ألسنتهم من أقفيتهم سلاً، هل طار ذباب بين السماء والأرض إلا بمقدار» اهـ، وبالمناسبة ليته يُجمع ما قاله هذا الراشد في القدرية وغيرهم!

(١) قد جعلها علي رضي الله عنه في الخوارج وأهل البدع كما أخرجه عنه ابن جرير ١٦/ ٤٣، وأخرجه عنه عبدلرزاق ١/ ٣٤٧، والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية، وانظر الدر المنثور ٤/ ٥٦، ولكن الآية عامة فيهم وفي من عمل عملاً يحسبه فيه مصيباً وأنه لله بفعله مطيع، والله أعلم.

قال ابن جرير في تفسيره، لاسيما وقد روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص أنها في اليهود والنصارى في كتاب التفسير ـ تفسير سورة الكهف، فما قاله ابن جرير متجه.. والله أعلم.

(٢) هو التستري وسبقت ترجمته، والمؤلف يستأنس لعباراته ولذا أكثر عنه!

مِنْ الله عزَّ وجلَّ ومُطالَبةُ النَّفسِ، ووَسَوسة الشَّيطانِ، والعَقْلُ للعَبد يَتَوَلَّى مِنْها الطَّاعاتِ ويَتَبرَّأ مِنْ المعَاصي، فإنْ تبرَّأ العَبدُ مِنْ نَفْسِه وعَدوِّه، وتَولى مَولاهُ نَجَّاه، وإن تَولى عَقْلَهُ واتَّبعَ هَواه ورأَيه وتَدبِيرَهُ، فأغواه عَدوُّه هَلك».

الأفعال من خير أو شر هي فعل العباد أنفسهم وهي من تقدير الله ودلائله

والأعمالُ الصَّالِحَةُ والطَّالحة منَسُوبةُ إلى العِبادِ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢]

وقال تعالى في أَهلِّ النَّارِ: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾. [آل عمران: ١٨٢]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾. [المائدة: ٣٨]

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. [الجاثية: ٢١]

وكما قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾. [العنكبوت: ٤٠]

وقال جلَّ جَلالُهُ إِخباراً عن مُوسى ﷺ حيثُ قال: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾. [القصص: ١٨]

فأضافَ وَسْوَسَةَ الشَّرِ إلى الشَّيطان، ثم قال بعد ما فعله: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص: ١٦]، أضَاف فِعلَه إلى نَفْسِهِ.

وقال أيضاً عزَّ ذِكُره إخْباراً عن يُونِس عليه السَّلام حيث قال:

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١). [الأنبياء: ٨٧] [٨٤/ب]

والخِذْلان.. فاسْتَوْلَى الشَّيطانُ عليهم، زَيَّن فِي أعْيُنِهم الأَعمالَ الرَّديَّئة، لقوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الآية. [النمل: ٢٤]

ألا ترى ما قال إبراهيمُ ﷺ حين دَعَا ربَّه: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾. [إبراهيم: ٣٥]

فدل أنَّ الخَير والشَّرَ مِنْ الله عزَّ وجلَّ، وهو الذي يُجَنِّبُ العَبْدَ ويَعْصِمه مِنْ الشِّر، ولا قَوة للعَبدِ على ذلك إلا بِعَونِ الله وتَوْفِيقِهِ.

والعَبدِ لا يَسْتَغْنِي عن الله عزَّ وجلَّ طَرفةَ عينٍ حَيَّاً ومَيتاً، في الدُّنيا والآخرةِ، ومتى وُكِلَ إلى نَفْسِه هَلك.

زعم أن اللَّه لا يريد الشر ولا يشاؤه، وسببه ثم بطلانه

ومَنْ زَعمَ أنَّ الله تعالى شَاءَ أنْ لا يَأكُل آدمُ وحَوّاء مِنْ الشَّجرة، إنَّما كانَ أَكْلهما مِنْ قِبَلِ إبْليس لِعَنه اللهِ، وهو حَملَهُما على ذلك دُون مَشِيئَةِ الله عزّ وجلَّ.

أو زَعم أنَّ دُخولَ إبليسَ لَعَنَهُ الله الجنَّةَ مِنْ غَيرِ مشيئة الله عزَّ وجلَّ.

أو قال: إنَّ خُروجَ آدمَ مِنْ الجنَّة، والذي ما قَضى عليه وعلى ذُرِّيَّتِهِ مِنْ المَوت والحَياةِ والشدِّةِ والرَّخاءِ ممَّا أحدثَ عليهم إبْليسُ لَعَنَهُ

(١) وفي آخر هذه الآية وهو آخر الصفحة (٥٨٤) كتب أسفلها: بلغ العرض، ويبدو بعده كلام ساقط!

الله ؛ فإنَّه افترى على الله أعظم مِنْ ذلك .

وإنَّما هَلَك مَنْ هَلَكَ مِنْ القَدريةِ والمُعتزلةِ لأنَّهم قَاسُوا أمر الله وأفعاله بِفعَالِ الخَلق ، فما يَسْتَحْسِنونَهَا مِنْ الخَلق يَسْتَحْسِنونَهَا مِنْ الله عزَّ وجلَّ ، رأوها عَدلاً ! وما اسْتَقْبَحُوا مِنْ خَلقه اسْتَقْبَحُوا مِنْ الله وجَعْلوه جوراً(١) .

---

(١) مبنيٌ هذا على أصلي المعتزلة :

١- الوعد والوعيد ، فهو كما يقول قاضيهم عبدالجبار : «وأما علوم الوعد والوعيد ، فهو أن يُعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب ، وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنه يفعل ما وعد به ، وتوعد عليه ، لا محالة ، ولا يجوز عليه الخلف والكذب» اهـ ، من شرح الأصول الخمسة ص ١٣٥-١٣٦ ، وانظر ص ٦١٤-٦١٥ .

وقال في المغني ١٤/ ٤٣ «إنه سبحانه لو كذب في وعده ووعيده ، وأخلفهما لكان ذلك فساداً في التدبير» اهـ . وانظر متشابه القرآن له ١/ ١٧٨ ، والمدارج لابن القيم ١/ ٢٧ .

٢- العدل ، وهو أن الله لا يقدر أفعال العباد ولم يردها منهم ، ولما كان الله تعالى عادلاً فإن أفعال الله كلها حسنة ، والله لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه ، وإذا قدر على العباد المعصية ثم حاسبهم عليها فهو قبيح منه ، فنفوا عندئذ تقدير الله لأفعال العباد .

وانظر : شرح الأصول الخمسة ١٣٢-١٣٣ و ٣٢٣ ، والمغني في أبواب العدل ٨/ ٣ .

ومن ثم نشأت عندهم مسألة التحسين والتقبيح العقلية ، وهي : أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها ثم الثواب عليها والعقاب من غير افتقار إلى الشرع ، وعندئذ حكموا على مراد الله وفعله بما هو عندهم حسن أو قبيح من مجرد مدركات عقولهم .

والله تعالى لا يُقاسُ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، ولا بِشَيْءٍ مِنْ الأَشْياءِ بِخَلقه، ولا يُشبَّه هو بهم، ولا تُقَاسُ أَفْعَالُه بأفعالِهم، ولا شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ بِصَفاتهم، ولا يُقَاسُ هو تعالى ذِكُره بِخَلقه، لأَنَّه مَالكُ لِرقَابِ الخَلْقِ، يحكَمُ فيهم ما يَشاءُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، ولا رادَّ لِفضَله.

المثل الأول لبطلان زعمهم

١- ويُقَالُ للمخُالفِ: ما قَوْلُكُمْ في رَجلٍ له عَبدٌ مُطِيعٌ مُسَارعٌ لأَمرِ مَولاه، في كُلِّ ما يأمرُه به، قَانِعٌ بكُلِّ ما يُوْليه ويَستند إليه، فيأُخذ المَولى ذلك العَبدَ فيكَسر يَديهِ ورِجْلَيْهِ، أو أَحَدَهُما، أو يَفقأُ عَينيه أو أَحَدَهُما.

ما قَوْلكُم في ذلك المَولى فيما يَفعلُ بهذا العَبدِ/ المُطيعِ القَانع؟ [٨٥/أ]
فإنْ قالوا: ظَلَمَهُ.

فقل: هل يُساغُ هذا القَوْلُ في الله؟ أو هَلْ يَجوزُ لأَحدٍ أنْ يقولَ فيه شيئا ممِّا يُقَالُ في المخَلوقِين؟

ألا تَعلُم أنَّ الله تعالى قد فَعل مِثْلَ هذا، ويَفعلُ بالمُطِيعينَ مِن

كما حكموا بها على أفعال العباد ومراداتهم، فما استحسنوه من الخلق، استحسنوه كذلك من الله، وما استقبحوه منهم، استقبحوه منه لأن المقياس واحد، وهو العقل بقياس تمثيل أو قياس شمول فقط. ولذا قال العلماء في المعتزلة والجهمية: «إنهم معطلة في صفات، مشبهة في أفعاله».

وانظر قولهم في التحسين والتقبيح العقْليين: كتاب المعتمد لأبي الحسين المعتزلي (٤٣٦هـ) ٢/ ٣١٥، وفضل الاعتزال ص ١٣٩، والمحيط بالتكليف ٢٣٤ وكلاهما للقاضي عبدالجبار، والبرهان في أصول الفقه ١/ ٨٧، والمستصفى لأبي حامد ١/ ٥٥، ومختصر المعتمد للقاضي أبي يعلى الحنبلي ٢١ المطبوع باسم «المعتمد»، ونهاية الإقدام للشهرستاني ٣٧١، وآراء المعتزلة الأصولين ١٦٥ وما بعدها.

عِبَادِهِ وخَالِصَتِهِ، كما فعل بأيوبَ عليه السَّلام فيما ابتلاه به(١)، وفي كَثيرٍ مِنْ الأنْبيَاءِ والصَّالحين صَلَواتُ الله عليهم أجمعين، ابتلاهم الله بأنواعِ البَلايا، وكانوا مُطيعين.

وهو تَعالى المَحْمودُ على السَّرآءِ والضرَّآءِ ولا يُحمد على الضّرآء غيرُه.

فمَنْ فَعل بِشَيءٍ مَنْ ذلك مِنْ المَخْلُوقينَ، حكم الله عليه بالجَزاءِ والقِصَاصِ، وقال عزَّ وجلَّ ذِكْره: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. [المائدة: ٤٥]

والله تعالى يَقضِي في خَلْقِه، ويُحدِثُ فيهم كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ ذَلِكَ كَثِيْراً

---

(١) كما قال سبحانه في سورة صٓ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٤١-٤٤].

وفي سورة الأنبياء يقول سبحانه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

فقد ابتلاه ربه بذهاب ماله الكثير، وأهله، وبِبَدنه بنتن الريح، وانظر الدر المنثور ٤/ ٥٨٨-٥٩٤ و ٥/ ٥٨٩-٥٩٣.

وابتلى الأنبياء قبله وبعده بالقتل والتحريق والإهانة والتكذيب والسخرية والطرد وأنواع من البلايا والمصائب فصلى الله عليهم وآلهم وسلم تسليماً.

أو يقتلُ مِنْهم بالشَدائِدِ والأَمراضِ والعِلَلِ والبَلايا الكَثيرة؛ هل يَقعُ على الله عزَّ وجلَّ في شَيءٍ مِنْ ذلك مُطالبةٌ؟ أو قِصَاصٌ؟ أو تَبعِةٌ؟ أو هل يَجوزُ أن يُقَالَ فيه ما يُقَال في المَخْلوقين إنَّهُ ظَالِمٌ؟ وكيف يُقاس هو بغيرِه؟

مثل ثاني لبطلان زعمهم

٢- ويُقَال لهم أيضاً: في رَجلٍ له عَبدٌ فَاسِقٌ رَدِيْءٌ، وَاقِعٌ في مَولاه، مُخالِفٌ له في كُلِّ ما يأمرهُ به والمَوْلى قَادِرٌ على إصْلاَحِه فلا يُصلحه!.

فإنْ قالوا: بئس ما فَعَلَ.

فقلْ لهم: أَلَسْتُمْ تَعلمون أنَّ الله عزَّ وجلَّ قَادِرٌ على إصَلاح الخَلْقِ أَجْمعين فلا يُصلحهم، لأنَّ فيهم عِلْمَهُ وسِرَّهُ، فهل يَجوزُ أنْ يُقَال فيه بئسَ مَا فعل؟ إذ هو يَقدِرُ على إصَلاحهم ولا يَفْعل(١).

---

(١) الجواب: لا يجوز أن يقال ذلك في حق الله، لأنه تنقص لجناب ربوبيته، وهم لا يقولون بجوازه، لأنه لا يجوز أن يقاس الخالق بالمخلوق في هذه الحالة عندهم، وكذا في غيرها.

قال سبحانه وتعالى في آخر سورة هود: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وكل هذه الأمثال التي يضربها المؤلف إنما هي لقياس الأولى: وهو أن كل كمال ثبت للمخلوق، لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله أولى به. وكل نقص تنزه عنه المخلوق لا كمال فيه بوجه من الوجوه فالله أولى بالتنزه عنه.

مثل ثالث في بطلان زعمهم

٣- وما قَوْلُكم في رجلٍ له عَبدٌ يأَمُره ويَنْهَاهُ مرَّةً بعد أُخرى، وهو عَالِمٌ بأنَّ العَبدَ لا يَنْتَهي عمَّا يأْمُرُهُ ويَنْهَاه، فيكون عليه بالأَمر والنَّهي مَرة بعد أُخرى والعَبدُ مُقِيمٌ على عِصْيَانِه، ويَعلمُ المَولى أنَّه لا يَأْتَمِرُ بأَمرِه ولا يَنْتَهي عمّا ينهاه وهو على يَقِينٍ مِنه؟[١]

[٨٥/أ]

فإنْ قالوا: هَذيانٌ.

فيُقَالُ لهم: فهل يَجوزُ أنْ يُقَال في الله عزَّ وجلَّ مثلَ هذا القَوْل؟ وَقَدْ عَلِمتم أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عَرفَ مِنْ الكُفَّارِ والمُنافقين أَنَّهم لا يَعْمِلُون بما يأمرهم به، ولا يَنْتَهون أيضاً عن نَهيه، وقد كرَّر عليهم القَوْلَ[٢].

مثل رابع في بطلان زعمهم

٤- ويُقَالُ لهم أَيضاً: في الأَطْفَالِ الذّين لم يُبلْغوا الحُلمَ في اكْتِسَاب الآثامِ.

وكذلك في البَهائِمِ وما يُصِيبهُا من العِلَلِ والأَمراضِ الشَدائدِ والجُوعِ، ولا ذَنب لهم ولا تَبِعةٌ عليهم، هل يتهيأ أنْ يُقال: الله عزَّ وجلَّ ظَلَمهمُ فيما يَبْتَليهِم من العِلَلِ والأَمراضِ؟

ويُقَالُ لهم أيضاً: هل شَاءَ الله مِنْ الكُفَّار الإِيْمَانَ؟

فإنْ قَالوا: بلى شَاءَ مِنْهم مشيئة ابْتلاءَ، لا مَشيئةَ خير!

---

(١) أي: يكون على مولاه والحالة هذه ملامة أو عبث؟!

(٢) في خطابه إليهم بوجوب الإيمان والإسلام والتوبة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..

فيُقَالُ لهم: فهل كَانَ ما شَاء؟

فإنْ قالوا: لا، فَقَدْ رَدُّوا على الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ الله تقدَستْ أَسماؤُه قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. [هود: ١٠٧]

و ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾(١). [آل عمران: ٤٠]

فهذا دليلٌ على أنَّ الله سُبحانه لا يُقَاسُ بخَلقهِ، ولا أَفعالُه بأَفعالِهم، لأنَّه لا شَرِيك له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢). [الشورى: ١١]

---

(١) وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. [إبراهيم: ٢٧]

وفي سورة الأنعام يقول سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وهو سبحانه وتعالى مع تقديره إضلال الضالين، لم يضلهم حتى بين لهم الحق والباطل، والهدى والضلال، وأراد منهم شرعاً وديناً وأمراً أن يهتدوا ويؤمنوا ويتوبوا.

كما قال سبحانه وتعالى في آخر سورة براءة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

وقوله في آخر النساء: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦]، فبهذا اجتمعت إرادته عز وجل الكونية العامة، والدينية الخاصة في المعاندين الضالين، فمن نظر في هذا اعتبر، وعن مثل قول المخاصمين في الله وقدره انزجر!

(٢) ولأنه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ولا سمي له ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ولا ند له ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

. . . .

هذا وقد تكرر من المؤلف نفي أن يُقاس الله بخلقه، ومراده به القياس المقتضي للمساواة بين الخالق والمخلوق، وهو في نوعين من أنواع القياس:

١- قياس الشمول ويسمى بالقياس العام الشامل لجميع أفراده، وهو: ما كان مركباً بين مقدمتين فأكثر مستعملاً فيه لفظة (كل).

ومثاله: المخلوق متكلم، وكل متكلم فهو جسم، فالنتيجة كل مخلوق فهو جسم، ولما أعملوا هذا القياس في حق الله نفوا عنه الكلام لئلا يكون جسماً، لأنهم جعلوا في الله قياس الشمول الذي تستوي أفراده، وطردته الأشاعرة والماتريدية والكلابية في باب الصفات الفعلية وطردت المعتزلة هذا القياس في الصفات، وطردته الجهمية في الأسماء والصفات.

٢- قياس التمثيل، وهو إلحاق فرع بأصل في الحكم لعلة جامعة بينهما.

ومثاله: لما كان المخلوق متصفاً بالصفات فهو جسم، فكذلك الله لو كان متصفاً بالصفات لكان جسماً، فهم كذلك جعلوا قياس التمثيل بين الله وخلقه.

ففيه أُلحق الشيء بمثيله، فجعلوا ما يثبت للخالق مثل ما يثبت للمخلوق، والحق أنه لا يصح البتة أن يشترك الله مع المخلوق في قياس تمثيل ولا قياس شمول.

* ولكن يستعمل في حقه سبحانه مع المخلوق المثل الأعلى وهو قياس الأولى والأولوية كما قال سبحانه في آية النحل: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

والمثل الأعلى هو: كل كمال يثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله أولى به. وكل نقص تنزه عنه المخلوق لا كمال فيه بوجه من الوجوه فالله أولى بالتنزه عنه.

قـــول الجبريـــة في تقدير اللّـــــه

وقَالَ قَوْمٌ مِنَ الجَبْرِيَّة، وهم أُنَاسٌ مِنْ القَدرِية(١) ليس لنَا ولا إِلَينا مِنْ الأَفْعَالِ شَيءٌ، إنَّما نَحنُ وجَوارحنا كُلُّها، وكُلَّ شَيءٍ مِنَّا مِثل اليَدينِ والرِّجلِين وجَميعِ الأَعضَاءِ، وحَركتنُا فيها هو مِنْ الله لا نَقْدِرُ على تْحرِيكها بالمعَاصِي إلاَّ به، فأضافوا إلى الله عِزَّ وجلَّ جميعَ الأشياءِ التي تكونُ مِنْهم، مِنْ الفَواحِشِ والمعَاصِي والقَبائح

أو قل إجمالاً: الفرع أولى بالحكم من الأصل.

ومثاله: العلم صفة كمال للمخلوق فالله أولى أن يتصف به، لأنه لا نقص فيه بوجه كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والنوم صفة كمال للمخلوق لكن فيها نقص آتٍ من تَعَبِهِ وحاجته إليه وخلقته، فلما وجد فيه نقص تنزه الله عنه كما في آية الكرسي ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والظلم صفة نقص ـ لا كمال فيه ـ فإنه لما تنزه عنه الأسوياء من المخلوقين فالله أولى بالتنزه عنه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال في غير ما آية: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

والمكر والكيد صفتا نقص، لكنهما كمال فيمن يستحقهما وضد من يتصف بهما، فلذا اتصف الله بها مقابل من يفعلهما من خلقه، كما قال: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا * وَأَكِيدُ كَيۡدٗا * فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [الطارق: ١٥-١٧].

وانظر التدمرية ٥٠ وشرحها التحفة المهدية ١١٩-١٢١، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ١٢٩ وما بعدها، والكواشف الجلية ١٠٢-١٠٥.

(١) الجبرية هم الجهمية وسبق التعريف بهم.

وهذا هو اسمهم في باب أفعال الله تعالى، فأهل السنة وسط فيه بين القدرية

والمناكر، كُلُّها على جِهَتِهِ، وجعلوا المشَيئةَ والفَعِلَ والرِضَا والمحَبةَ كُلَّها شَرعاً وَاحِداً.

والجبرية، قاله ابن تيمية في الواسطية.

ومذهبهم: أن أفعال العباد الاختيارية كأفعالهم الاضطرارية لا فرق بينهما، وهو أن العبد مجبور على كل فعل يفعله ليس له فيه إرادة ولا قدرة، وإنما هي فعل الله جبرهم عليها، ونسبتها إليهم مجاز لا حقيقة.

فالجبرية نفوا: ١- مقدرة العباد على الأفعال، ٢- نفوا صدورها منهم حقيقة.

قال ابن القيم مصوراً مذهب جهم في القدر في الكافية ص ٤١-٤٢ (مختصراً):

والجبر مذهبه الذي قرت به	عين العصاة وشيعةُ الشيطان
والعبد في التحقيق شبه نعامة	قد كلفت بالحمل والطيران
فلذاك قال بأن طاعات الورى	وكذاك ما فعلوه من عصيان
هي عين فعل الرب لا أفعالهم	فيصح عنهم عند ذا نفيان
نفيٌ لقدرتهم عليها أولاً	وصدورها منهم بنفي ثان
فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا	زكوا ولا ذبحوا من القربان
إلا على وجه المجاز لأنها	قامت بهم كالطعم والألوان
جبروا على ما شاءه خلاَّقهم	ما ثمَّ ذو عون وغير معان
والكل مجبور وغير ميسر	كالميت أدرج داخل الأكفان

وانظر شرحها لابن عيسى ١/ ١١٢، ولهراس ١/ ٤٤ وما بعدها، والتبصير لابن جرير ١٧٣، ومدارج السالكين ١/ ٤٠٨، وشفاء الغليل ص ١٠٩، ومجموع الفتاوى ٨/ ١٢٩ و ٤٣٧ و ٤٧٩، والمقالات ١/ ٣٣٨، والإرشاد للجويني ١٩٥-١٩٦، وشرح العقيدة الطحاوية ٦٣٩ وما بعدها.

والمؤلف عدَّ الجبرية من القدرية، وهو كذلك لأن الجبرية غلو في إثبات القدر، وهكذا سماهم شيخ الإسلام ابن تيمية: بأنهم القدرية الجبرية (بالتقييد) كما في

قـــــول المعتزلة في تقدير اللّـه

وقال أُنَاسٌ مِنْهم(١)، ليس إلى الله شيءٌ مِنْ أَفعالِنا إِنَّما الأَشياءُ كُلُّها سَببٌ، والأَسْبَابُ كُلُّها إلينا وفِينا، ونَحنُ السَّببُ، وقد رَكَّبَ فينا الاسْتِطَاعة والقُدرَة، فإن شِئَنا اسَتعملنَاهُا في المَعصيِة، وإلا في الطَّاعةِ.

ومَنْ قال كذلك فقد قال بالاسْتِغَناء عِن الله عزَّ وجلَّ بَزِعمهم، وأضافَ المَشيئِةَ والأَفعَال والعَقَل إلى أنْفسِهم. [٨٦/أ]

وفيما بين هذا القَوْل إِلى القَوْلِ الأولِ، مَقالةُ القَدرِيَّةِ والجَبريِّة، وكلاهما خطأٌ(٢).

المجموع ١/ ١٤٧، أو القدرية المجبرة من الجهمية كما في منهاج السنة ٥/ ١٧٢ و ٣٠٢ و ٣٠٥ و ٣٥٨ فهم القدرية الغالية أو الغلاة، وهم القدرية المشركية الذين مرَّ ذكرهم عند التعريف بالقدرية وانظر الدرر ٨/ ٢٥٦، والاستقامة ٢/ ١٣٩، والتدمرية ٢٠٧-٢٠٨، وهم القدرية النافية أو النفاة.

ولكن إذا اطلقت القدرية دونما قيد فالمشهور إنصرافها إلى المعتزلة، وهم نفاة القدر.

(١) هذا الذي ذكره المؤلف هو قول القدرية المعتزلة ـ ومضى التعريف بهم في أول الكتاب، وهم الذين نفوا قدرة الله على «أفعال العبار الاختيارية، وإنما هي بخلق العبد وإرداته فقط».

وهم القدرية المجوسية الذين قال فيهم الشيخ ابن تيمية في التدمرية ص ٢٠٧: «فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، وحقيقتهم أنهم أنكروا عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم» اهـ، وانظر شرح الطحاوية ٦٣٨، وشرح الأصول الخمسة ١٣١، ويسمونه العدل، والتبصير لابن جرير ١٦٧.

(٢) اعتنى أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين بذكر اختلاف المعتزلة في مسائل القدر، كالاستطاعة، وقدرة لله، واللطف، والصلاح والأصلح، والحكمة

وقد قيل لِسَهل بن عِبدَالله ما هو الصَّوابُ مِنْ هذه المقَالاتِ؟ قال: «مَنْ خَرجَ مِنْ هذه المقَالات، وأضاف الخَيراتِ كُلِّها إلى الله عزَّ وجلَّ، ويَعلم إنّما هي مِنَّةُ اللهِ عليه ورَحمتُه، ويُضيف المعَاصيَ والفَواحِشَ وفِعَل المساوئ والقَبائِحَ إلى نَفْسِه وإلى إبْلِيسَ والشَّيطانِ، بعد أنْ يتحقَق أنّ ذلك بمِشَيئةِ الله عزَّ وجلَّ في تَركهِ وخُذْلانَه، ويعَلم أنَّه لو شَاء الله تعالى يَعْصِمُه مِنْ ذلك، كما عَصَم غيرَه، ثم يَلتجِيء إلى الله عزَّ وجلَّ، ويَسألَه الخَلاصَ مِنْ هذه الاسْتَطِاعة»[1].

ما ورد عن السلف من التحذير من الخوض في القدر

والتعليل في مواطن منه ١٠/ ٢٩٨-٣٢٠.

وكذا اختلاف الجهمية الجبرية فيما ينسب للعباد من الفعل، والإستطاعة في ١/ ٣٣٨-٣٤٣.

وبالمناسبة فقد تمازجت أقوال القدرية والجبرية مع نظريات الفلاسفة وتولد عنها ما يمثل الخطين «الفرقتين» في الوقت الحاضر عند العقلانيين حيث:

١- مذهب الحرية الإرادية أو مشكلة الحرية والاستقلالية الإنسانية، وهي امتداد لخط المعتزلة والقدرية.

٢- مذهب الحتمية أو اللاإرادية، وهو امتداد لخط الجبرية.

وانظر القضاء والقدر في الإسلام ٢/ ١٦٣ و ٢٣٠ و ٣/ ١٨١ و ٢٧٦، ومواضع أخرى وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٣٠٨.

(١) لم أقف عليه، وهو كلام جديد، قال شيخ الإسلام في الاستقامة عن سهل ١/ ١٥٨: «وكلام سهل بن عبدالله في السنة وأصول الاعتقادات أسدُّ وأصوب من كلام غيره، وكذلك الفضيل بن عياض ونحوه، فإن الذين كانوا من المشايخ أعلم بالحديث والسنة واتبع لذلك، وهم أعظم إيماناً وعلماً، وأجل قدراً في ذلك من غيرهم» اهـ. ونحوه في: ١/ ٢٠٨.

وسُئلَ أَمُير المُؤمِنِين عليٌّ بن أَبي طَالبٍ كرَّمَ الله وجَهَهِ عن القَدَرِ؟ فقال: «القَدرُ سِرٌّ مِنْ الله، وسِترٌ مِنْ سِتْرِ الله، وحِرزٌ من حِرزِ الله، مختُومٌ بخَاتَمِ الله، سَابقٌ في عِلْمِ الله، منُظورٍ في حِجَابِ الله، مكَنونٌ في ظِلِّ عَرشِ الله، مَرفُوعٌ في عِلْمِ الله، فقد وضَعَ اللهُ عن العِبَادِ معَرفته، فهو فَوق رَأيِهم، ومَبلغِ عُقولِهِم، لأنَّهم لا يَنالُونه بحِقَيقَةِ الرَبَّانية، ولا بِعَظمةِ الفَردانيَّة، ولا بِقُدرةِ الصَمَدانيَّةِ، لأنَّ بَحْرَ الله عزَّ وجلَّ خَالِصٌ، عَرضُه ما بين المَشرقِ والمغَربِ، وعُمقُه ما بين السَّماء والأَرضِ، أَسَودُ كاللَّيلِ الدَّامِس، كَثِير الحيَّاتِ والحِيتَان، وفي قَعْرِه شَمسٌ مُضيءٌ لا ينبغي أَنْ يَراهُ إلاَّ الحيُّ القَيُّوم، فمَنْ ظَنَّ أنَّه يطَّلعُ عليه فقد ضَادَّ الله في مُلكه، ونازعه في سُلطانِه، وفشى عن سِرِّهِ، وكشف عن ستره، فباؤوا بغِضَبٍ مِنْ الله، ومأواهُ جهنم وبئس المصير»[(١)].

(١) لم أجده بهذا النحو وإنما رُوي بسياق آخر:

فقد أخرج الآجري في الشريعة ص ٢٠٢ قال ثنا ابن أبي داود، ثنا أيوب شيخ لنا، ثنا إسماعيل بن عمر البجلي، ثنا عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال: أتى رجل عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن القدر؟ قال: طريق مظلم فلا تسلكه.

قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه.

قال أخبرني عن القدر؟ قال: سر الله فلا تكلفه، ثم ولَّى الرجل غير بعيد، ثم رجع فقال لعلي: في المشيئة الأولى أقوم وأقعد، وأقبض وأبسطُ، فقال له علي: إني سائلك عن ثلاث خصال، ولن يجعل الله عز وجل لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجاً.
أخبرني:

١ - أخلقك الله عز وجل لما شاء، أو لما شئت؟ قال: لا، بل لما شاء.

. . . .

٢- قال أخبرني: أفتجيء يوم القيامة كما شاء، أو كما شئت؟ قال: لا، بل كما شاء.

٣- قال فأخبرني: أخلقك الله عز وجل كما شاء، أو كما شئت؟ قال: لا، بل كما شاء. قال: فليس لك في المشيئة شيئاً.

وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ـ كتاب القدر ـ ٢/ ١٤٠-١٤١ (١٥٨٣) بمثله، وعزاه في كنز الأعمال إلى تاريخ دمشق لابن عساكر عن علي مطولاً ١/ ٧٧-٧٨.

وأخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة ٣/ ٦٢٩ (١١٢٣) من طريق أخرى عن أبي الطيب السندي بسنده إلى علي.

والسند الأول فيه أيوب شيخ ابن أبي داود لا تعرف حاله، وفي سند اللالكائي جهالة حال أبي عبدالرحمن، فربما اعتضدا لاسيما مع شهرة أصل الخبر عن علي رضي الله عنه.

وقد ذكر محقق السنة للالكائي أن محمد بن بابويه القمي ذكره بسند آخر من وجه طويل في كتاب التوحيد له ص ٣٦٥ ـ دار المعرفة ـ بيروت.

* وأول الأثر عن علي ورد مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حديثي ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

١- فحديث ابن عمر لفظه: «**لا تكلموا في القدر فإنه سر الله فلا تفشوا سره**».

أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ١٨١-١٨٢، وابن عدي في الكامل ٧/ ١٠٢ في ترجمة الهيثم بن جماز البصري رقم (٢٠١٨)، واللالكائي في شرح السنة ٣/ ٦٢٩ (١١١٢)، كلهم من طريق الهيثم بن جميل (وعند ابن عدي ابن جماز) عن عمران القصير عن نافع عن ابن عمر به.

والهيثم بن جميل هو: أبو سهل البغدادي الأنطاكي ثقة من أصحاب الحديث، وكأنه ترك فتغير، من صغار التاسعة، مات سنة ٢١٣هـ، وبقية رجاله ثقات.

ورُوِيَ عن سُفيانَ الثّوريِّ ـ رحمة الله عليه ـ أنَّه قال: قال دَاودُ بنُ هِنْدٍ[١]: إنَّ عُزيراً سَألَ ربَّه تعالى عن القَدَرِ؟ فقال: لا تَسْألَنِي عن عِلْمي، وَعُقوبَتُك لما سَألتني أنّي لا أُسمَيك في الأَنبياء. وإنَّ عِيَسى

أما الهيثم ابن جماز فقد ضعفه ابن معين وأبو حاتم وتركه أحمد كما في اللسان ٦/ ٢٠٤ والكامل ٧/ ١٠١-١٠٣.

والحديث ضعفه العراقي كما في تخريج الإحياء، من الاستخراج (٣٦٦٩).

٢- حديث عائشة بلفظ: «**القدر سر الله من تكلم به، يسأله عنه يوم القيامة ومن لم يتكلم به لم يُسأل عنه**».

أخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ١٩١ في ترجمة يحيى بن أَبي أُنيسه (٢٠٩٦) بسنده وقال عقبه: وليحيى غير ما ذكرت، ويقع في روايته ما يتابع عليه وما لا يتابع عليه، وهو مع ضعفه يكتب حديثه.. اهـ، وقد ضعفه الحافظ في التقريب، وعليه فهو مُعتبرٌ بالحديث قبله. والله أعلم.

(١) هكذا في الأصل، والصواب: داود بن أبي هند.

وهو داود بن دينار أبي هند بن عُذافر القشيري مولاهم أبو بكر أو أبو محمد البصري.

روى عن: عكرمة والشعبي وابن المسيب وجماعة.

وعنه: شعبة والثوري، والحمادان وخلق.

قال فيه الإمام أحمد ثقة ثقة، مثل داود بن أبي هند يسأله عنه؟

وقال فيه الثوري: هو من حفاظ البصريين، مات سنة ١٤٠هـ، وقد روى له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة.

ترجمته في: تهذيب الكمال ٣٩١، وتهذيبه ١/ ٥٧٢ (الرسالة) والتقريب، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٣١، والجرح والتعديل ٣/ ٤١١، والخلاصة، وبحر الدم (٢٧٨).

عليه السَّلامُ سَألَ الرَّبَّ تعالى عن القَدرِ، فقال: يا بنَ العَذراءِ لا [١/٨٦]
تَسألني بعد عِلْمي»(١).

وقال بعَضُهم: «المُؤمِن قد نوَّر الله قلبه وأكَملَ عَقْلَه، ورزَقه اليَقين، فلا تَشُكَّ في إثباتِ المشيئةِ والقُدرة، وتَعلم أنَّ الله تعالى يُحدِثُ الأَشياء كما يَشَاءُ، لِمَا يَشَاءُ، كيفَ شَاء، ولا تَحدثُ عليه الحَوادثُ، ويَعْلَمُ ما كانَ وما يكونُ في خَلْقِه أجمعين، ولا يَحدثُ شَيءٌ في مُلكِه إلا بمِشَيئتهِ، وأنَّ الله تعالى لا يُعْصَى بالغَلَبةِ، ولو شَاءَ ما عصَاه إبْلِيسُ ولا أحدٌ مِنْ خَلقِه، ولكن شَاء تعالى ذِكْرُه أن يكونَ له ثَواباً وعِقَاباً، ورحمة على قَوْمٍ، وعِقَاباً وسُخَطاً على قَوْمٍ، مِنْ غَيرِ حَاجةٍ إلى الفَريقين»(٢).

---

(١) لم أجده، وقد روى له ابن بطه في القدر ٢/ ٢٨١-٢٨٣ (١٩١٧) لسنده عنه خبر العنقاء مع سليمان مطولاً، مما يدل على أخذه عن بني إسرائيل ـ مع كونه ثقة حافظاً ـ وما استشهد به المؤلف هنا من ذلك، والله أعلم.

(٢) هذا وقد روى ابن هانىء الأثرم في مسائل الإمام أحمد ٢/ ١٥٥: «أن أحمد سئل عن القدر، فقال: القدر قدرة الله على العباد، قال الرجل: إن زنى فبقدر الله، وإن سرق فبقدر الله؟ قال أحمد: نعم، الله عز وجل، قدَّره عليه» اهـ.

ونقل ابن القيم في شفاء العليل ٥٣ عن أحمد فقال: «قال الإمام أحمد: القدرُ قدرة الله. واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جداً، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء، فإن إنكار القدر، إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها» اهـ.

وقال في النونية ص ٦٥:

القاعدة الواجبة في أمور العقيدة ومنها القدر

فالمُؤمِنُ لا يسْتعملُ بالرَأيِ والقِيَاسِ والمعْقُولِ والكَلام، ويسَتعملُ ما في الكِتَابِ والسُّنةِ، ويَتّبِعُ لقَولِ الرَّسول ﷺ، ويأَخذُ دينَه عن الثِّقَاتَ، ويَتبُّع آثَارَ خَواصِّ النَّبي ﷺ، وخَواصِّ التَّابعين الأَخيارِ، ولا يأَخذْ في شَيءٍ مِنْ أَمرِ دِينِه بالقِيَاسِ والمعَقُولِ، ولا يَثِقُ بعِقَلِهِ ورأَيِهِ في اخْتِيارِ دينه؛ بل يختَارُ الأَثَر ويعَملُ به، ولا يأَخذُ دِينَه إلا عن الثِّقَاتِ مِنْ أَهلِ المعَرِفَةِ والعَلمِ والوَرَعِ، ومَنْ يخَافُ الله تعالى، ويسَتعملُ العِلَم في نَفْسِه، فيَعلمُ عند ذلك أنَّه عَالِمٌ قد نَفعَه عِلْمُه، ومِنْ المُحال أن يسأَلَ الطَبيبُ العَليلَ مِنْ عِلَتِه، وأنْ يَسأَلَ العَالمُ الجَاهِلَ الذي لا يَنْتَفعُ بعِلْمِه، ولا يُرى أَثُرهُ في شَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ، وأنْ لا يأَخذ الدِّين إلا عمّن يَصلحُ أنْ يكونَ بينه وبين الله حُجَّةٌ.

وإذا أعياكُم ذلك فَعليكُم بكِتَابِ الله عزَّ وجلَّ، وبِدَينِهِ، وسُّنَة رَسولِه ﷺ، وعليْكَ بالاقْتِدَاءِ بالمَوْتى(١) إذا لمْ تَجد فِي الأَحياءِ أحداً أنْ تَقتَدى به، وعَليكُم بالنَّظرِ في كتاب الصَّالحين(٢)، وتدَبَّر ما فيها،

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرِّضى الرباني
قال الإمام شفا القلوب بلفظةٍ ... ذات اختصار وهي ذات بيان» اهـ

(١) يعني بهم من سلف من علماء الأمة الموثقين في علمهم ودينهم كالصدر الأول من سلفنا الصالح رحمهم الله.

(٢) يعني بها كتبهم وسيرهم ومناقبهم.

والمؤلف بهذه الوصايا والقواعد وما بعدها يشبه أبا الحسن البربهاري (٣٢٩هـ) إمام أهل السنة في كتابه «شرح السنة».

واسَتعينوا بالله، واجتَهدوا في طَلبِ مَنْ يُرشِدُكم، ويُعلِمكُم سُبلَ الهُدى؛ فإنَّه خَيرُ مُعينٍ ومُستعان. [٨٧/أ]

وإيَّاكُم والقِيَاس في شَيءٍ مِنْ الأَشياءِ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يَكلْ نَبيَّه ﷺ، وهو أفضلُ الخَلقِ وأكَملُهم عَقلاً، وأحسُنهم قِيَاساً، واختياراً إلى قِيَاسِه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾.

[المائدة: ٤٨]

ولم يَقلْ فَاحكُمْ بيَنهم بما رَأَيت! ويُروَى عن عَبدِالله بنِ مَسُعودٍ ـ رحمة الله عليه ـ أنَّه قال: «إنَّا نقتَدَي ولا نعتَدَي، ونتَّبعُ ولا نَبْتَدعُ فإنَّ أَفضلَ ما يُتمسَّكُ به الأَثر»(١).

---

(١) هذه جملة جامعة من كلام ابن مسعود ء والمروي عنه في هذا الباب كثير.

وقد أخرجها بلفظها الخطيب البغدادي بسنده في كتاب الفقه والفقيه ١/ ١٤٧، وأخرجها اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٨٦ من طريقين (١٠٥ و ١٠٦) وكلاهما عن أبي جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب عن أبيه عنه بلفظ: «إنا نقتدي ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر».

وقد روى عبدالرازاق في المصنف (٢٠٤٦٥) عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود ـ نحوه ـ أنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، عليكم بالعمل وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق».

ورواه الدارمي في السنن ١/ ٦٦ (١٤٢ و ١٤٣) من طريقين بمثله وأحدهما مختصراً، وأخرجه محمد بن نصر في السنة (٨٥)، والطبراني في الكبير ٩/ ١٠٧ (٨٨٤٥)،

. . . .

واللالكائي في السنة ١/ ٧٨، والبيهقي في المدخل للسنن (٣٨٧ و ٣٣٨)، وقال: هذا مرسل، وروى موصولاً من طريق الشاميين ثم ساقه، وأخرجه أبو إسماعيل الأنصاري في ذم الكلام (١/ ق ١٥٧-١٥٨)، وذكره في المجمع ١/ ١٢٦.

وللأثر عن ابن مسعود أكثر من عشر روايات ذكرها ابن وضاح في البدع - في إنكاره على المبتدعة (١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٦٠).

ومن المشهور عنه أيضاً ما أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم بسنده عن معتمر بن سليمان عن سلام بن مسكن عن قتادة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

ورواه بنحوه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٠٥ عن عمر، وانظر شرح الطحاوية ٥٤٦.

وقد ورد لقول ابن مسعود الآنف شواهد نحوه عن عدد من إخوانه من الصحابة رضي الله عنهم منهم:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال على المنبر: «ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفوظها فافتوا برأيهم فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر»، أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ١٨١ وغيره.

٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لما قام بالشام: «أيها الناس: عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ألا وإن رفعه ذهاب أهله، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع، وعليكم بالأمر العتيق»، أخرجه ابن وضاح في البدع (٦٢) وفيه راوٍ مبهم وباقي رجاله ثقات.

وإيّاكُم ومُفارَقةُ الأَثرِ في شَيءٍ مِنْ أَمرِ دينِكُم ودُنياكم فتَهلكوا.

وسُئِلَ سَهلُ بنُ عبدِالله عن القَدَرِ، فقال: «لا يُطلعُ الله أَحَداً على القَدَرِ، وذلك أنَّ مثَلَ القَدَرِ كَمثَلِ ذَات اللهِ، وكما أنَّ الخَلق لا يعلَمون كيف ذَاتُ الله، كذلك لا يعلَمون كيفَ القَدَرُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ».

فهذا بَراءَةٌ مِنْ قَوْلِ القَدريَّة(١) وما يتَشَّعبُ مِنْ مِذَاهِبِهم!

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل عليه عثمان بن حاضر الأزدي فقال: أوصني، فقال: «عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع، اتبع ولا تبتدع» أخرجه الدارمي في سننه بسنده ١/ ٦٥ (١٣٩)، وابن وضاح في البدع (٦١)، وابن نصر في السنة (٨٣)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١/ ١٧٣.

(١) أي: عموم المنحرفين في القدر وأصولهم ثلاثة: المجوسية والمشركية والإبليسية.

***

بَابُ الإيْمَانِ(١)

قال عليُّ بنُ أَبي طَالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ «الإِيْمَانُ على أَربعةِ دَعائمَ:

(١) أي باب مباحث الإيمان وضمنه المؤلف ما يلي:
١- مسمى الإيمان وتعريفه.
٢- التفاضل في الإيمان، وزيادته ونقصه.
٣- الاستثناء في الإيمان.

* فأما مسمى الإيمان، فإنه قد اختلف في مسمَّى الإيمان أو تعريفه إلى أقوال كثيرة ـ مضت في الدراسة ـ، وقول أهل السنة والجماعة خلفاً عن سلف هو: أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان.

وهذه الجملة مستفيضة عند أهل السنة والجماعة رواها عن كثير منهم ابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ٢/ ٧٦٠-٨٦١، وقبله الخلال في السنة ٣/ ٥٦٩-٥٨٣، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان، ومن مصنفه ٦/ ١٥٧-٢٤٠، والإيمان لأبي عبيد، ولأبي عمر العدني، وكتابي الإيمان من صحيحي البخاري ومسلم والإيمان لابن مندة، وتعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر وأمثالها.

ومن ذلك ما قاله البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس، وهو قول وفعل، ويزيد وينقص» اهـ.

وروى اللالكائي بسند صحيح عن البخاري أنه قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان: «قول وعمل ويزيد وينقص» اهـ. شرح أصول السنة ٢/ ١٧٢ (٣٢٠)، وانظر فتح الباري ١/ ٦٠-٦١.

وكذا نقل عن جماعة غيره.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ

قَولٌ باللِّسَانِ، وعَمْلٌ بالأَركانِ، ونِيَّةٌ بالقَلبِ، وإِتِّباعِ السُّنةِ»[1]، وهي إِصَابةُ الحَقِّ فإِذَا كَملتُ الأَرْبَعَةُ بِشرائِطِها، بَاطنِها وظَاهِرِها، فهو كَمالُ الإِيْمَانِ.

﴿الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال عن الصلاة أولاً إلى بيت المقدس: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي حديث وفد عبدالقيس الذي خرجاه في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم أتوا النبي ﷺ فقال لهم: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «**شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم**».

رواه البخاري في كتاب الإيمان وغيره ـ باب أداء الخمس من الإيمان (٥٣)، ومسلم في الإيمان أيضاً ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (١٧).

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

وإنما روي العدني في الإيمان (٢٤٣) بسنده عن علي موقوفاً بلفظ: «الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والجهاد والعدل».

وفيه انقطاع إن لم يكن إعضال، لاحتمال سقوط راويين.

وأخرجه اللالكائي من وجه آخر ٤/ ٨٤٢-٨٤٣ (١٥٧٠) بلفظ مقارب جداً، وذكره الذهبي في الميزان ٢/ ١٩٩ في ترجمة راويه سليمان بن الحكم، مع ذكره تضعيفَ العلماء له.

. . . .

ورواه عالياً المزي في ترجمته سليمان من تهذيب الكمال ٨٣٢ بسنده به.

وذكره السيوطي في الجامع الكبير ٢/ ق ١٣٢ بمثل ما رواه اللالكائي.

* وروي نحوه عن علي ﷺ مرفوعاً ولفظه: «الإيمان بالله يقين بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».

رواه ابن ماجه في المقدمة ـ باب الإيمان (٦٥) من طريق عبدالسلام بن صالح أبي الصلت، ثنا علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنهم به.

وقال أبو الصلت: «لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لبرأ» اه.

قال البوصيري في الزوائد ـ بحاشيته ـ: «أبو الصلت هذا متفق على ضعفه واتهمه بعضهم».

وأخرجه البيهقي والطبراني ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٨٤ عن أبي الصلت به.

وأخرجه الخطيب في التاريخ في موضعين ١١/ ٤٧ و ٩/ ٣٨٦.

وابن حبان في المجروحين في ترجمة علي بن موسى الرضا كلاهما من طريق أبي الصلت.

وعلته أبو الصلت وهو عبدالسلام الهروي مولى قريش صدوق له مناكير وكان يتشيع، أفرط فيه العقيلي فقال: كذاب، ولكن وثقه ابن معين في رواية، وفي أخرى قال: ثقة صدوق، إلا أنه يتشيع، وثالث، قال: ليس ممن يكذب، وما أعرفه بالكذب. وذكره الحافظ في التهذيب ٢/ ٥٧٧، وقال: قال أبو الحسن: وروى حديث الإيمان.

وهو متهم بوضعه، لم يحدث به إلا من سرقه منه، فهو الابتداء في هذا الحديث، والأكثرون على ضعفه، ولم يوثقه إلا ابن معين، وقال أبو داود كان ضابطا» اهـ.

. . . .

وذكره ابن عدي في الكامل ٥/ ٣٣١ في ترجمته (١٤٨٦) واتهمه فيه وعدّه من مناكيره.

وقد ساق له ابن عدي في الكامل متابعين:

١- أحدهما: بسنده من طريق محمد بن صدقة العنبري ومحمد بن تميم النهشلي قالا: ثناء موسى بن جعفر عن أبيه به.

ثم قال ابن عدي: وهذا عن علي بن موسى الرضا، قد رواه عنه أبو الصلت وداود بن سليمان الغازي القزويني وعلي بن الأزهر وغيرهم.

وهؤلاء أشهر من الهيثم بن عبدالله الذي روى عنه العدوي، لأن الهيثم مجهول.

وأما روايته عن محمد بن صدقة ومحمد بن تميم فإنهما مجهولان، فروى عنهما عن موسى بن جعفر والرضا، فإني لم أكتب هذا إلا عنه - يعني العدوي -، ولم أسمع بأحدٍ روى هذا الحديث إلا من طريق علي بن موسى الرضا عن أبيه، فأما عن أبيه نفسه من غير حديث الرضا فلم أسمع به، ولم يحدث به غير العدوي» اهـ.

من الكامل ٢/ ٣٤٢ في ترجمة العدوي (٤٧٤) تحت باب ما سرق العدوي من الحديث.

٢- الثاني: ذكره في ترجمة أحمد بن العباس بن مليح ١/ ١٩٨ (٤١) أنه حدث بأحاديث عن محمد بن يوسف الفريابي، وعن علي بن موسى الرضا بأحاديث منها حديث الإيمان هذا، وقال: وهذا حديث يُعرف بأبي الصلت الهروي عن الرضا.

٣- وذكره الخطيب في تاريخه ١/ ٢٥٥ متابعاً ثالثاً بسنده عن إسحاق بن أحمد بن زيرك نا محمد بن سهل بن عامر البجلي عن علي بن موسى الرضا به.

٤- ورابعاً: عن عبدالله بن عروة أخبرنا علي بن غراب ثنى علي بن موسى الرضا به، وقد ذكرهما ابن الجوزي بأسانيدهما في الموضوعات ١/ ٨٤ وزادَ به.

٥- متابعة عن بن أحمد بن عامر بن سليمان الكافي عن أبيه عن علي بن موسى به.

. . . .

٦- وأيضاً ذكره، متابعة داود بن سليمان بن وهب عن علي بن موسى به.

ثم نقل عن الدارقطني وأن المتهم بوضع الحديث أبو الصلت الهروي.

قال: وأما عبدالله بن أحمد بن عامر فإنه روى عن أهل البيت نسخة باطلة.

وأما علي بن غراب، فقال السعدي: هو ساقط، وقال ابن حبان حديثه: بالأشياء الموضوعة.

وأما محمد بن سهل وداود بن سليمان فمجهولان» اهـ.

وذكر المزي في تهذيب الكمال ٢/ ٨٣٢ لأبي الصلت متابعين آخرين.

وذكر ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ١٥١ متابعي المزي وعزاهما لتمام في الفوائد، وذكره أيضاً أربعة متابعات أخرى غير ما سبق في كتب ليست مطبوعة، تركتها اختصاراً، فصحت المتابعات ثنتي عشرة.

وانظر المقاصد الحسنة (٢٧٨) ومختصره (٢٥٦)، وكشف الخفا ١/ ٢٢ (٢٤)، والفوائد المجموعة ٣٩١، واللاليء المصنوعة ١/ ٣٣-٣٤، وتمييز الطيب (٣٧٢)، والمصنوع (الموضوعات الصغرى) للملا القاري (٧٢)، والأسرار المرفوعة للقاري (١١١)، وتذكرة الموضوعات للزركشي ٦٧، وأسنى المطالب (٤٣٩)، والنكت البديعات (٦)، والدر الملتقط للصغاني ص ٤٠، والغماز على اللماز (٦٠)، الفوائد للكرمي ٧٢ (٦٠)، والميزان للذهبي ٢/ ٦١٦، والخلاصة للطيبي ٨٤، وضعيف الجامع، والسلسلة الضعيفة (٢٢٧٠).

وذكر شيخ الإسلام في الإيمان الأوسط من المجموع ٧/ ٥٠٥ أن النسخة المنسوبة إلى أبي الصلت الهروي عن الرضا من الموضوعات على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بحديثه.

١ -وللحديث المرفوع عن علي شاهد عن أنس رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب، وكل خطاؤون وخير الخطائين التوابون**».

وَرُوِيَ عن عَليٍّ بنِ أَبي طَالبٍ وابَنِ مِسَعُودٍ رضي الله عنها أَنَّهما قالا: «لاَ يَنفْع قَوْلٌ إلا بالعَملِ، ولا ينفَعُ العَمْلُ إلا بالقَوْلِ، ولا يَنفَعُ القَوْلُ والعَملَ إلا بالنِّيَةِ، ولا ينَفُع القَوْلُ والعَملُ والنِّيَةِ إلا بِمَوافقةِ السُّنَةِ»(١).

رواه الإمام أحمد ٣/ ١٣٥، وابن أبي شيبة في الإيمان، وابن مندة وكذلك في الإيمان (١٠٨٨)، وابن بطة في الإيمان ٢/ ٧٩٧ (١٠٧٦) وفيه علي بن مسعدة مضعف، وانظر الميزان ٣/ ١٥٦، والخلاصة، والتهذيب ٧/ ٣٨١، وقد ذكره شيخ الإسلام في الإيمان ص ٢٥٠ محتجاً به!.

٢- وشاهد آخر عن أنس مرفوعاً ولفظه: «**الإيمان الإقرار بالله والتصديق بالقلب والعمل بالأركان**».

رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٨٤ من طريق محمد بن نصر المروزي به.
قال وهذا إسناد ضعيف وفيه مجاهيل.

وفي الموضوع عن أبي هريرة وعائشة ومعاذ وابن عمر وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم بمثل حديث أنس وعلي ولا تصح مرفوعة.

أسندها ابن عدي في الكامل ١/ ٢٠٠ وابن الجوزي ١/ ٨٥ وغيرهما.

ونقل الذهبي في الميزان ٤/ ٢١ عن أبي العباس السراج قال: «شهدت البخاري ودُفع إليه كتاب من ابن كرام ـ زعيم الكرامية ـ يسأله عن أحاديث فيها: الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً: «الإيمان لا يزيد ولا ينقص» فكتب أبو عبدالله على ظهر كتابه: من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل» اهـ.

وعلى كل حال فالمروي عن علي رضي الله عنه سواء كان موقوفاً أو مرفوعاً فإن معناه صحيح، عليه اتفاق أهل السنة والجماعة.

(١) أخرجه عنهما ابن بطة في الإبانة ـ كتاب الإيمان ٢/ ٨٠٣ (١٠٨٩) بسنده بلفظ: «لا ينفع قول إلا بالعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية،

ومُوافَقَةَ السُّنَةِ إِصَابةُ الحَقِّ[١]، وهو النُّور الذي في القَلْبِ، قَدْ خَصَّ الله به أَهَل المعَرِفة الذين قد خَصّهم الله بالنُّورِ والمعرفةِ واليَقينِ،

ولا نية إلا بموافقة السنة».

وذكره الذهبي في الميزان ١/ ٩٠ من وجه آخر عن ابن مسعود، وقال عَقِبَهُ: «وهذا إنما هو من قول الثوري» اهـ، وانظر مفتاح الجنة للسيوطي ٤٥.

وقد رواه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٥٧ (٢٠) بسنده عن سعيد ابن جبير بمثله.

وكذا رواه ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ٢٢/ ١٤٥ عن قتادة بنحوه، وكذا ذكره القرطبي في تفسيره لها ١٤/ ٣٣٠.

كما أسنده اللالكائي عن سفيان بن عيينة في اعتقاده (٣١٦)، وكذا عن سفيان الثوري (١٧٩٢) وعن الحسن البصري (١٨)، وعن سعيد بن جبير (٢٠).

وكذا أسنده عن سفيان الثوري ابن بطة في الإبانة ـ الإيمان ـ ١/ ٣٣٣ (١٩٠).

وورد الخبر في حديث مرفوع عن أبي هريرة وأنس ومرسل عن الحسن لكنها ضعاف.

رواها ابن بطة في الكبرى ـ كتاب الإيمان ٢/ ٨٠١ (١٠٨٧ و١٠٨٨ و١٠٨٩)، وابن حبان في المجروحين ١/ ٣١٥، وذكرها السيوطي في الجامع الكبير ٩١٥ وعزاه الديلمي، وانظر ذم الكلام وأهله ق ١٩٤-١٩٥، فقد أسنده عن عبدالرزاق أنه قال: «الإيمان عندنا قول وعمل وتيقن وإصابة السنة، فمن عمل وأتقن، وقال ولم يصب السنة فهو منقوص، ومن قال ولم يعمل فهو منقوص، ومَنْ قال وعمل ولم يوقن فهو منقوص، على هذا أدركت العلماء» اهـ.

(٢) إذ العمل لابد فيه من شرطين حتى ينفع صاحبه وهما:
١- أن يكون خالصاً لله تعالى.
٢- وأن يكون صواباً على هدي النبي ﷺ.

وهو النَّورُ الذي يَصحُّ به الأَعمالَ، وتُكّمل به الطَّاعاتِ، ويَرْتَقى به أهل المَعرِفةِ في الدَّرجاتِ.

كما قال ابن القيم في الكافية ص ٦٥:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... ومع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالإخلاص والـ ... إحسان إنهما له أصلان
لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان

كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الآية [البينة: ٥]، وقال في سورة النساء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال في آخر الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودل على الأصلين من السنة ما في الصحيحين من حديثي عمر وعائشة.

فعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» وهو أول حديث أخرجه البخاري في الصحيح.

وحديث عائشة رضي الله عنها ترفعه: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

فهما حديثان عليهما يدور الإسلام الأول للإخلاص والثاني للمتابعة، وقاله الشيخ ابن باز غير مرة.

وَقَدْ ذَكَر الله تعالى في كِتَابه فقال عزَّ مِنْ قَائل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. [الزمر: ٢٢]

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾. [الأنعام: ١٢٢]

[٨٧/ب] وكذلك قال أيضاً: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾. [الشورى: ٥٢]

وقال النَّبيُّ ﷺ في أخباره: «إنَّ النَّور إذا سَكنَ القَلبَ انْفَتحَ له القَلْبُ، وانْشَرحَ له الصَّدرُ»(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الزهد ـ فيما ذكر عن زهد محمد ﷺ ٧/ ٩٨ (٣٤٣٠٤) بسنده عن ابن مسعود بلفظ مقارب فيه، قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] قال: «إذا أدخل الله النور القلب انشرح وانفسح» قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».

وسنده ثقات إلا أبا خالد الأحمر، فهو سليمان بن حيان الأزدي الكوفي صدوق مخطيء من الثامنة روى له الجماعة.

ورواه ابن جرير في تفسيره لآية الأنعام ٨/ ٣٦ (١٠٧٨٧) عن ابن مسعود من وجه آخر بمثله.

وفيه شيخ ابن جرير: سعيد بن عبدالملك بن واقد الحراني، ضعفه الدارقطني وغيره وقال: لا يحتج به، ومع هذا ذكره ابن حبان في الثقات، وانظره فيه ٨/ ٢٦٧، والجرح ٢/ ٤٥، والميزان ١/ ٣٨٧، واللسان ٣/ ٣٧.

. . . .

ورواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١١ من وجه ثالث عن ابن مسعود بمثله، وسكت عليه، وقال الذهبي: عدي ساقط. . اهـ، يعني عدي بن الفضل أحد رواته.

ورواه عن ابن مسعود أيضاً ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق، وفي الزهد، وانظر تخريج الأحياء (٣٦٠٩)، والدر المنثور ٣/ ٨٣.

* وللحديث شاهد من حديث أبي جعفر المدائني بمثله.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٩٨، وابن جرير في تفسيره من ثلاثة طرق عنه، ووكيع في الزهد ١/ ٢٤٠ (١٥)، وسعيد بن منصور في سننه (مخطوط) ق ١٣٤ ب، وعبدالله ابن المبارك في الزهد ١٠٦، وعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والفريابي وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في تخريج الإحياء (٣٦٠٩ و ٣٩٢٦ و ٢٠٣)، والدر المنثور ٣/ ٤٤-٤٥ و ٥/ ٣٢٥ (قديمة).

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٦) ١/ ٤٠٠ كلهم عنه بمثله.

وأبو جعفر المدائني: هو عبدالله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، قال ابن أبي حاتم: سألت عنه أبي فقال: الهاشميون لا يعرفونه، وهو ضعيف الحديث، يحدث بالمراسيل، لا يوجد لها أصل في أحاديث الثقات، وقال نحوه إسحاق بن راهويه.

كما في تاريخ بغداد ١٠/ ١٧، والجرح ٢/ ١٦٩، والميزان ٢/ ٨٧، واللسان ٣/ ١٦٠، ونقل عن النسائي والدارقطني أنه متروك.

لكن نقل الحافظ ابن رجب في شرح العلل ٢/ ٧٧٣ عن الدارقطني: «أنه اختلف على عمرو بن مرة، فمرة يرويه عن ابن مسعود من طرق، ومرة عن أبي جعفر عبدالله بن مسور، وروايته عن ابن مسعود وهم، والصواب عن عبدالله بن المسور مرسلاً» اهـ.

وقال ﷺ في حَديثِ حَارِثة: «مَنْ سَرَّه أنْ يَنظر إلى رَجلٍ قَدْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَه بالإِيْمَانِ، فَلْيَنْظُرْ إلى حَارِثَةَ! حين قال له: كَيْفَ أَصبحتَ؟ قال: أصبحتُ مُؤْمناً حَقّاً! فقال له النَّبيُّ ﷺ: إنَّ لكُلِّ حَقٍّ حقيقةً، فما حَقيقةُ إِيمَانِك؟ فقال: عَزَفَتْ نَفْسِي عن الدُّنْيا، فاستَوى عِندي حَجَرُهَا ومَدرُها وذَهبُها، وكأنِّي أَنظُر إلى عَرشِ رَبِّي بارزاً، وكأنِّي أَنظُر إلى أهلِ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ يَنْعمُونَ، وأَهلِ النَّارِ في النَّارِ يُعذَّبُونِ»[1].

ووافقه عليه الحافظ ابن رجب، والعراقي في تخريجه للاحياء (٢٠٣).

ولما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ٢/ ١٧٥ بعد سوق طرقه عن ابن مسعود وأبي جعفر قال: «فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشدّ بعضها بعضاً والله أعلم» اهـ.

* وذكروا في تخريج الإحياء وفي الدر المنثور له عدة شواهد:

١- عن الحسن ونحوه مرسلاً، بسند ابن أبي الدنيا في الموت.

٢- عن قتادة نحوه مرسلاً عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير (وليس في تفسيره).

٣- عن الفضيل نحوه عند عبد بن حميد.

(١) أخرجه عن حارثة ويقال: حارث بن مالك، ابنُ أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٧٠ (٣٠٤١٦)، وفي كتاب الإيمان له (١١٥) عن مالك بن مغول عن زبيد، قال رسول الله ﷺ: «**كيف أصبحت يا حارثة**».. الحديث بلفظ مقارب.

وفي آخره قال النبي ﷺ: «**عبد نوَّرَ الإيمان قلبه، أو عرفت فالزم**»، وهو مرسل ومنقطع لأن زبيد وهو ابن الحارث اليامي أبو عبدالرحمن الكوفي، ثقه عابد من السادسة مات سنة ١٢٢هـ، روى له الجماعة، والطبقة السادسة لم تلق أحداً من الصحابة.

وأخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٢٦٦ (٣٣٦٧) من طريق عبدالله بن لهيعة بسنده عن الحارث بن مالك الأنصاري بمثله، وفي آخره قال: «**عرفت فالزم (ثلاثاً)**».

. . . .

وفيه: ابن لهيعة وهو ضعيف لاختلاطه، لاسيما والراوي عنه زيد بن الحباب وهو صدوق مخطىء.

وأخرجه ابن مندة في معرفة الصحابة بسنده عن الحارث بن مالك به من طريق آخر، وذكر له طريقين عنه، كما في تخريج الإحياء.

ورواه البزار ـ كما في كشف الأستار ـ (٣٢) من طريق أحمد بن محمد الليثي ثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه به، وفيه سماه حارثة.

وقال البزار: تفرد به يوسف وهو لين الحديث.

ورواه البيهقي في الزهد الكبير (٩٧١) من طريق أخرى فيها ضعف.

وفي شعب الإيمان من طريق يوسف بن عطية عن أنس بمثله، وقال عقبه: هذا منكر، وقد ضبط فيه يوسف، فقال مرة: الحارث ومرة حارثة.

وذكر الحافظ ابن حجر الحديث في ترجمة حارثة من الإصابة ١/ ٣٠٣ وعزاه: «لابن المبارك في الزهد، وعبدالرزاق في مصنفه عن معمر عن صالح بن مسمار به، وأخرجه عبدالرزاق في التفسير عن الثوري عن عمرو بن قيس الملاقي عن زيد السلمي به، وأخرجه خُشيش بن أصرم ـ شيخ النسائي ـ في الاستقامة عنه من طريق مالك بن مغول عن فضيل بن غزوان.

وقال ابن المبارك: لا أعلم صالح بن مسمار أسند إلا حديثاً واحدا، وهذا الحديث لا يثبت موصولاً» اهـ.

وفيه: ذكر الحافظ أنه جاء موصولاً من طرق أخرى.

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٧٠ (٣٠٤١٤)، وفي الإيمان (١١٤) من طريق أبي معشر عن محمد بن صالح به عن عوف بن مالك الأنصاري بمثله.

وهو ضعيف لأن أبامعشر وهو: نجيح بن الحارث السندي ضعيف، حيث أسنَّ

وعن ابنِ عَباسٍ رحمة الله عليهِ عن النَّبيِّ ﷺ أنّه كَانَ يَقولُ في دُعَائِه: «اللَّهُمَّ اجَعلْ لي نُوراً في قَلْبي، ونُوراً في بَصرِي، وَزِدْ نُوراً إلى نُورٍ»(١).

والأخبارُ في ذلك تَكْثُرُ، وهو النُّور الذي يُصَابُ به الحَقُّ، وتَصحُّ

واختلط، مات سنة ١٧٠هـ.

ومحمد بن صالح الأنصاري هو: ابن دينار التمار المدني صدوق يخطىء، من السابعة، مات سنة ١٦٨هـ، وكلاهما أخرج لهما الأربعة.

ولا يبعد، وهم أحدهما في عوف بن مالك بدل حارثة لاسيما وكلاهما أنصاريان، ومحمد بن صالح الأنصاري أيضاً أرسله لأنه لم يلق أحداً من الصحابة.

وعلى كل حال فالحديث بمجموع طرق يشتد ليكون لا بأس به، وأقره سماحة الشيخ ابن باز على كونه لا بأس به بالمجموع، والله أعلم.

(١) الحديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة رضي الله عنهم، فقام النبي ﷺ فصلى فسمع من دعائه: **«اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً»** زاد مسلم **«وعظم لي نوراً»**.

أخرجه البخاري موصولاً في كتاب الدعوات ـ باب الدعاء إذ انتبه من الليل (٥٩٥٧)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٦٣).

وورد فيهما من حديثه رضي الله عنه أنه ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء إذا خرج لصلاة الفجر.

والحديث مروي عند غيرهما بألفاظ أخر، فيها زيادة أو نقص عن ابن عباس

به الأَعمالُ، وتزكو به عند الله لأهَلِها، ويَستُوجبوا(١) به الثَّوابَ عنْد الله.

وهو خُصُوصٌ مِنْ الله لمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبَادهِ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. [إبراهيم: ١١]

---

(١) كذا في الأصل المخطوط ولا موجب لحذف النون إذ الصواب: يستوجبون.

* * *

فصـــل

التفاضل في الإيمان

ثُمَّ إنَّ النَّاسَ في الإِيْمَانِ مُتفَاضِلُون، لقَول النَّبيِّ ﷺ حَيثُ قالُ: لو وُزِنَ إِيْمَانُ أَبي بكَرٍ الصِّديق رضي الله عنه عَلَى إِيْمَانِ أَهلِ الأَرضِ، لرَجَح إِيمانُ أَبي بَكرِ عَلى إيمَانِ أَهلِ الأَرَضِ، سِوَى النَّبيِّن والمُرسَلين.

ولو وُزِنَ إِيمَانُ عُمَر رضي الله عنه عَلى إيمَانِ أَهلِ الأرضِ، لرَجَح إِيمَان عُمَر على إِيمَانِ أَهلِ الأَرضِ، سِوَى النَّبيِّن والمُرسَلين، وسِوَى أَبي بَكرٍ.

ولو وُزِنَ إِيمَانُ عُثمانَ على إيمانِ أهلِ الأَرض، لرَجَح إِيْمَانُ عُثمانَ على إِيْمَانِ أَهلِ الأَرضِ، سِوَى النَّبيِّن والمُرسَلين، وسِوَى أَبي بَكرٍ وعُمَر.

ولو وُزِنَ إِيْمَانُ عَليٍّ على إِيْمَانِ أَهَلِ الأَرضِ، لرَجَح إِيمَانِ عليٍّ على إِيمَانِ هَلِ الأَرضِ، سِوَى النَّبيِّن والمُرسَلين، وسِوَى أَبي بَكرٍ وعُمَر وعُثمانَ»(١).

---

(١) أول الحديث مروي مرفوعاً عن ابن عمر رضي الله عنهما وموقافاً:

(أ) فالمرفوع أخرجه ابن عدي في الكامل ٤/ ٢٠١ في ترجمة عبدالله بن عبدالعزيز ابن أبي رواد (١٠١٢) من طريقه عن أبيه عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح».

وعلته عبدالله بن أبي رواد حيث ضعفوه، وقال ابن عدي: لم يتابعه أحد على حديثه.

وانظر اللسان ٣/ ٣١٠، والميزان ٢/ ٤٥٥، والضعفاء للعقيلي ٢/ ٢٧٩.

وأخرجه في ترجمة عيسى بن عبدالله القرشي ٥/ ٢٦٠ (١٤٠٤) عنه ثنا رواد بن

. . . .

الجراح، ثنا عبدالعزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً: «**لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها**»، وكذا أخرجه الديلمي في فردوسه.

وعيسى القرشي الضعف على حديثه بيِّن، قاله ابن عدي، وقد وثقه الدارقطني وابن حبان وخرج له في صحيحه، وانظر اللسان ٤/ ٤٠٠، والميزان ٣/ ٣١٧.

(ب) والموقوف رُوي عن ابن عمر بسند صحيح عند البيهقي في الشعب، وفي مسند إسحاق ابن راهويه، وابن المبارك في الزهد، ومعاذ بن المثنى في زيادات مسند مسدد قاله السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٤٩ (٩٠٨) وصححه موقوفاً الشوكاني وضعفه مرفوعاً.

وانظر الفوائد المجموعة ٢٩٧ (١٠٥٥)، والدُّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ١٣٣، وتذكرة الموضوعات للفتني ٩٣، وتمييز الطيب (١١٣٧)، وكشف الخفاء ٢/ ١٦٦.

ورُوى موقفاً على عمر بن الخطاب بلفظ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح» أخرجه القطيعي في زيادات فضائل الصحابة (٦٥٣) ومسدد في مسنده ـ كما في المطالب العالية (٣٨٧٩) والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢٥ باب زيادة الإيمان ونقصانه، وابن عساكر في تاريخه من طريق ابن المبارك في ترجمة الصديق ٩/ ق ٢٩٧، كلهم من طريق عبدالله بن شوذب عن محمد بن حجادة عن سلمه بن كهيل عن هزيل بن شرحبيل الأزدي عن عمر به، وسنده حسن، فإن ابن شوذب صدوق كما قاله في التقريب.

وآخر الحديث لم أقف عليه والله أعلم.

وذكره شيخ الإسلام في المجموع ١٨/ ٣٧٨ وفي أحاديث القصاص (١٨) وقال: «هذا جاء معناه في حديث معروف في السنن «أن أبا بكر ﵁ وزن بهذه الأمة فرجح».

وهذا الشاهد الذي أشار إليه الشيخ هو ما أخرجه أحمد في المسند ٤٤ و ٥٠ وأبو داود

فهذا دَليلٌ على أَنَّ النَّاسَ في الإِيمَانِ متُفَاضِلُونِ، وكذلك في التَّوحيدِ. (١)

في السنن ـ كتاب السنة (٤٦٣٤)، والترمذي في الرؤيا (٢٢٨٧) وصححه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن فيه أبو بكر وعمر، فرجح أبو بكر بعمر، ثم وزن فيه عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان فرأيت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ**».

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية أنه تواتر عن علي مرفوعاً وموقوفاً من نحو ثمانين وجهاً أنه قال: «إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر».

كما في الواسطية، ومنهاج السنة ٣/ ١٦٢ و ٤/ ٧٧، وجامع الرسائل ١/ ٢٦١، ومجموعة الرسائل والمسائل (رشيد) ١/ ٣٧.

(١) سيدلل المؤلف بأدلة على التفاصيل في الإيمان والتوحيد بأدلة زيادة الإيمان ونقصانه، ومما لم يذكر، ما ذكره سبحانه عن تفاضل الصحابة كقوله في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال عن المجاهدين في سورة النساء: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

وقال في آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وعن تفاضل السابقين مع اللاحقين قوله في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ

. . . .

مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

وقال عن عدم المساواة بين المجترحين السيئات والعاملين الصالحات في الجاثية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال في سورة الإسراء: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢٠-٢١].

ومن السنة ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ وهو حديث شعب الإيمان ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان**» رواه البخاري في الإيمان ـ باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم فيه ـ باب عدد شعب الإيمان ـ (٣٥).

وعقد البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيحه باباً في تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ذكر فيه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله عز وجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا**» الحديث.

ورواه مسلم في الإيمان ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٨٤).

وحديث أبي سعيد أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بينا أنا نائم، رأيت الناس يُعرضون عليَّ وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**» قالوا: فما أوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدين**».

رواه مسلم في فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٠).

زيادة الإيمان ونقصانه وبماذا وأدلته

ثُمَّ إنَّ الإِيْمَانَ يَزيدُ ويَنْقُص، ويَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنْقُص بالمعَصِيةِ لِقولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾. [محمد: ١٧]

ولا تكُونُ الزِّيَادةُ إلاَّ مِنْ نُقصَانٍ يَقعُ فيه، مِنْ مَعصِية يَفعَلُها، ويَزيدُ بالطَّاعَةِ التي يَفعَلُها، والدَّلالَةُ على ذلك قَوْل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. [الأنفال ٢] [٨٨/أ]

وقال عزَّ مِنْ قَائلٍ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾. [الفتح: ٤]

وقال أيضاً: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. [التوبة: ١٢٤]

فَدَلَّ ذلك كُلّه على الإِيْمَانِ يَزيدُ بالتَّقوى وتُقَوِّيةِ اليَقينُ. (١)

دلائل نقصان الإيمان

والدَّليلُ على أنَّه يَنْقصُ قَوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٢). [النور: ٤]

وفي كتابي الإيمان من الصحيحين أحاديث عديدة في التفاضل بين المؤمنين بالأعمال فضلاً عن غيرهما من السنن والصحاح والمسانيد.

(١) كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أي: ليزداد إيمانه.

(٢) وذاك أن اسم الفسق يطلق تارة ويراد به الكفر الأكبر، وهذا يعرف بسياق النص كقوله تعالى عن فرعون في أول النمل: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

فنَقَلهُم مِنْ اسم الإِيْمَانِ إلى اسم الفِسْقِ، لِنُقْصانِ إِيْمَانهم.

وكذلك قَوْلُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. [المائدة: ٤٤]

وقوله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. [المائدة: ٤٤]

وقوله: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾. [النور: ٢]

فَنَقَلَهُمْ مِنْ اسم الإِيْمَانِ إلى اسمِ الكُفرِ والظُّلمِ والفِسْقِ، لِنُقْصَانِ إِيمانِهم.(١)

هو كثير ويطلق تارة ويراد به فعل الكبيرة من زنا وغيره لما أسند المؤلف، وكقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

(١) اختار المؤلف في المسألة قول من يقول إن المراد بالآية، كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، ما لم يستحله فعندئذ يكون خارجاً عن الملة.

وهذا القول هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول عطاء بن أبي رباح وطاووس.

وقول آخر: أنها في كفار أهل الكتاب، وهو قول طائفة من السلف كابن مسعود والحسن والنخعي والشعبي والسدي وأبو مجلز والثوري واختاره ابن جرير الطبري.

وقول ثالث أنها في اليهود خاصة وهو مروي عن ابن عباس وقال به ابن قتادة.

هذه محصلة أقوال المفسرين في الآية، والخلاف فيها وفي تطبيقها قوي والله أعلم.

وانظر تفسر ابن جرير ٦/ ٣٤٦-٣٥٠، وسنن سعيد بن منصور ـ تفسير المائدة ـ ٤/ ١٤٨٢، والمستدرك للحاكم ٢/ ٣١٣، وزاد المسير ٢/ ٢٨٢، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٥٢١، وابن بطة في الإيمان من الإبانة ٢/ ٧١٤ وما بعدها، والدر المنثور ٢/ ٥٠٧-٥٠٩، والسنن البيهقي ٨/ ٢٠، وتفسير عبدالرزاق ١/ ١٨٦،

وقَدْ قَال النَّبيُّ ﷺ: «ولا يَزْنِي الزَّانِي حينَ يَزْنِي وهو مُؤمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ حين يَنْتَهِبُ وهو مُؤْمِنُ، ولا يَشربُ الخَمْرَ حين يَشربها وهو مُؤْمِنٌ» . (١)

فنَقَلهم عن الإِيْمَانِ بأَفْعَالِهم إلى الإِسَلامِ، ولم يَخرجُوا مِنْ أَحكَامِ المُسلمين . (٢)

وتفسير البغوي ٣/ ٦١ وما بعدها، وابن كثير ٢/ ٦١، وتفسير الثوري ص ١٠٢-١٠٣، وعمدة التفسير لأحمد شاكر ٤/ ١٥٦-١٥٨ .

(١) الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما وفيه: «**ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . . والتوبة معروضة بعد**» .

أخرجه البخاري في مواضع منها ما في كتاب المحاربين ـ باب إثم الزّناة، ومسلم في كتاب الإيمان (٥٧) .

من حديث ابن عباس وفي آخره سأله عكرمة: كيف ينزع الإيمان منه؟ فقال: «هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه» اهـ. والحديث جاء فيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً .

(٢) حيث قال الترمذي عقب إخراجه الحديث (٢٦٢٥): لا نعلم أحداً كفَّر أحداً بالزنى والسرقة والشرب، يعني: ممن يعتد بخلافه .

وروى عن أبي جعفر محمد بن علي، يعني: الباقر، أنه قال في هذا: «خرج من الإيمان إلى الإسلام» اهـ.

وانظر: الفتح ١٢/ ١١٧، والإيمان المنفي عنه هو الكمال الواجب، لا الأصل، ولما كان الإيمان أخص من الإسلام، والإسلام أعم منه، انتفى عنه الإيمان ولم ينتف الإسلام بنفي في دائرته فلم يكفر كما تقوله الوعيدية .

وعلق البخاري في أول كتاب الإيمان في صحيحه عن عمر بن عبدالعزيز أنه

الإيمان منه ما هو مخلوق وهو فعل العبد ومنه ما ليس بمخلوق وهو صفات الله وأفعاله

والإِيْمَانُ ما كَان مِنْ صِفَاتِ الله تعالى فهو غَيرُ مَخْلُوقٍ، وما كَان مِنْ أَفعالِ العِبَادِ فهو مخْلُوق. (١)

كتب إلى عدي بن عدي: «إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم تعملوا بها، وإذا مت فما أنا على صحبتكم بحريص».

وقد رواه بسند جيد ابن أبي شيبة في الإيمان (١٣٥)، وكذا اللالكائي في شرح السنة (١٥٧٢) وذكر في الفتح ١/ ٦٢ أنه وصله الإمام أحمد.

(١) هذه المسألة نشأت من إطلاق القول بأن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، وهذا الإطلاق من البدع المحدثة، الناتجة عن مسألة اللفظ بالقرآن وأفعال العباد.

والمؤلف هنا وافق القاضي أبا يعلي (٤٥٨هـ) في عرض المسألة والتفصيل فيها، وقد قال القاضي أبو يعلى في مختصر المعتمد في أصول الدين ١٩١ في كتابه الإيمان ٤٥٩: «وأعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق، لأن من قال مطلقاً إنه غير مخلوق أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة، ومن قال: إنه غير مخلوق أوهم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة، وهذه طريقة أبي إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا.

والذي يجب أن يقال في جواب ذلك:

إنّ الإيمان الذي هو لله تعالى، وهو تصديقه لنفسه والمؤمنين، وهو كلامه، فذلك غير مخلوق، وكذلك علمه وقدرته وسمعه وبصره وإرادته.

فأما إيمان المؤمنين الموجود بقلوبهم وجوارحهم وألسنتهم فهذا على ضربين:

١- ما طريقه الأقوال كتلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالتوحيد والثناء عليه، فهذا غير مخلوق.

٢- والضرب الثاني ما طريقه الأفعال مثل أفعال الطاعات. .» اهـ، وهذا الضرب

فأمَّا الذي هو مِنْ صِفَاتِ الله تعالى، فهو: الإِقْرَارُ باللِّسَانِ: يعني شَهادةَ أنَّ لا إله إلا الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ﷺ، وعَقْدٌ بالقِلَب: يعني تَصدِيقٌ في القَلبِ، لأنَّه لا تَصحُ الشَّهادَةُ إلا بِالعَيانِ على الشَّيْءِ، فَأَهلُ المِعرفَةِ والتَّوحيدِ شَاهَدُوهُ بالقَلبِ[1]، وأقرُّوا له باللِّسَانِ كما رُوي عن أَميرِ الْمؤمنَين عليٍّ عليه السَّلام[2] ـ حيَثُ قَال: «إنّي لأَعْبُدُ

رجح أنه مخلوق، وكما نص عليه شيخ الإسلام أيضاً في المجموع في قاعدة خاصة بالإيمان هل هو مخلوق أم لا؟ ٧/ ٦٥٥-٦٦٥.

(١) أي شاهدوا دلائل توحيد الله وأيقنوا به علماً ويقيناً.

(٢) مسألة تخصيص علي رضي الله عنه بالسلام أو غيره محل خلاف:

١- حيث كرهها بعض العلماء، حتى منعها أبو محمد الجويني.
٢- وذهب أكثر العلماء إلى جوازها مفرقين بين السلام وبين الصلاة.

لأن يشرع السلام على كل أحد حي وميت، حاضر وغائب لكونهِ تحية ودعاءً.

ولأننا نقول في التشهد «السلام علينا وعلى عباد الصالحين» ولا نقوله في الصلاة.

والممنوع اتخاذه شعاراً في رجل أو جماعة فيهم فقط، كفعل الرافضة مع علي وأبنائه رضي الله عنهم.

كما منع كثير من العلماء تخصيص أحد بالصلاة واتخاذه شعاراً بهذا العبد وعدوه بدعة.

وانظر مجموع الفتاوى ٤/ ٤٢٠ و ٤٩٦ و ٢٢/ ٤٧٢، والجواب الباهر ٦٤، والأذكار للنووي وجلاء الأفهام لابن القيم، وأطال بعرض الخلاف في الاختصاص بالصلاة ٢٦١-٢٧٣.

* ومما يدل على جواز الاختصاص بالسلام من دون أن يتخذ شعاراً:

رَبّاً لا أَراه». (١)

وقال النَّبيُّ ﷺ حين سأَله جَبْرِيلُ ـ عليه السَّلام ـ عن الإِحْسَانِ فقال: «الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ الله كأَنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَم تكنْ تَراه، فاعْلَمْ أَنَّه يَرَاكَ». (٢) [٨٨/ب]

١- عمل العلماء على ذلك جيلاً بعد جيل.

فهذا الإمام البخاري في صحيحه في كتاب تقصير الصلاة ـ باب يقصر إذا خرج من موضعه قال: وخرج علي عليه السلام فقصر وهو يرى البيوت.

وفي كتاب التهجد ـ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب. قال: وطرق النبي ﷺ فاطمة وعلياً عليهما السلام ليلة للصلاة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع يخص علياً بالسلام، كما في المنهاج ١/ ١٣٢ وغيرها، والاستقامة ١/ ٣٦١، والصفدية ١/ ٢٩٢.

وانظر السلسلة الصحيحة ١/ ٦٢٤ و ٨٩، ويقع هذا في كثير من كتب العلماء من غير تخصيص لعلي أو غيره في كل موضع يمر فيه ذكره!

٢- أن السلام تحية أهل الإسلام، ودعاء مشروع للفرد والجماعة أحياءً وأمواتاً، حضوراً وغياباً، جناً وأنساً وملائكة، ولذا يقال ميكائيل عليه السلام، وإسرافيل عليه السلام.. وهم ليسو رسلاً.

(١) لم أجده وسألت عنه شيخنا عبدالعزيز بن باز فقال: «هذا من أبطل الباطل لمعارضته القرآن» يعني قوله تعالى في سورة الأعراف لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ الآية [الأعراف: ١٤٣] وكل الناس لا يرونه، ولما في الصحيح عن النبي ﷺ: «**اعلموا أنه لن يرى منكم أحد ربه حتى يموت**» اهـ.

(٢) هذا قطعة من حديث جبريل المشهور الذي رواه ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه أبو هريرة وأنس رضي الله عنهم.

وقَال أَبو بكْرٍ الصِّديقُ ـ رحمةُ الله عليه: «الإِيْمَانُ لا بالتَّحلِي ولا بالتَّمنِي، هُو شَيءٌ وَقَرَهُ في قَلبِي، ونَطَق به لِسَانِي، وأخَلصَ به جَوَارِحي». (١)

والحديث أخرجه بطوله عن ابن عمر وأبي هريرة ومسلم في كتاب أول الإيمان (٨، ٩) وأصله في البُخاريُّ بذكر أركان الإيمان جملة عن أبي هريرة.

وقد اعتنى بجمع طرق الحديث وتعداد ألفاظه:

١- الإمام محمد النجاري في أول صحيحه.

٢- محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدرة الصلاة ١/ ٣٦٧-٣٩٢.

٣- أبو عبدالله بن مندة في أول كتابه الإيمان ١/ ١١٦-١٥٣.

(١) لم أجده عن أبي بكر رضي الله عنه، وإنما عن غيره:

١- فقد روي عن الحسن البصري من طرق:

(أ) حيث رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٩٦ (٣٥٢٠١) عن جعفر بن سليمان، سمعت عبد ربه أبا كعب، سمعت الحسن يقول: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

(ب) ورواه في موضع آخر ٦/ ١٦٣ (٣٠٣٤٢) ثنا جعفر ثنا زكريا قال سمعت الحسن يقول مثله.

وكذا رواه في الإيمان له برقم (٩٣) به مثله.

(ج) ورواه ابن بطة في الكبرى (الإيمان) ٢/ ٨٠٥ من طريق ثالثة (١٠٩٣) عن عبدالله بن موسى، أخبرنا أبو مبشر الحلبي ـ وهو مجهول ـ عن الحسن أنه قال: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقته الأعمال، من قال حسناً، وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل ذلك بأن الله عز وجل يقول:

. . . .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، وكذا رواه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (٥٦).

(د) ورواه ابن بطة (١٠٩٤) من طريق رابعة عن الدوري ثنا حجاج ثنا أبو عبيدة عن الحسن بمثله.

وبهذه الطرق جود الحافظ العلائي الأثر عن الحسن، كما نقله المناوي في المقاصد (٩٧٠).

٢- ورواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٧٣ بسنده عن عبد بن عمير الملكي ـ وهو من كبار التابعين، كان قاضي أهل مكة، ومجمع على ثقته، وقد ولد في عهد النبي ﷺ، ومات قبل ابن عمر سنة ٧٣هـ ـ أنه قال: «ليس الإيمان بالتمني ولكن الإيمان قول وعمل».

٣-ورواه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٨٩ في ترجمة محمد بن عبدالرحمن بن مجبر (١٧٧٣) من طريقه عن أبيه عن مالك ثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقته الأعمال، والذي نفسي بيده لا يدخل عبد الجنة إلا بعمل يتقنه. قالوا يا رسول الله: ما يتقنه؟ قال: يحكمه.

وكذا رواه اللالكائي في شرح أصول السنة (١٥٦١).

وقال ابن عدي عقبه: «ومحمد بن عبدالرحمن روى عن الثقات بالمناكير، وعن أبيه عن مالك بالبواطيل. وهذه الأحاديث عن مالك بأسانيدها بواطيل، وله من البواطيل غير ما ذكرت» اهـ، وانظر اللسان ٥/ ٢٤٦.

٤- كما روى عن أنس مرفوعاً بلفظ: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه الفعل، والعلم علم باللسان، وعلم بالقلب، فأما علم القلب، فالعلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على بني آدم».

وحُكَى عن الجُنَيدِ أنَّه قال في مُناجاته: «تَحَقَّقْتُكَ في قَلبِي، فَنَاجاكَ لِسَاني».

وأنَّ المُؤمنَ[1] شَاهَدُوهُ بِمَا له لا بما لِهَم، لأنَّهُ صِفتُه، وصِفتُه غيرُ مخلوق.

ومَنْ قال إنَّ الإيْمَانَ مخْلُوقٌ جُمَلةً وَاحِدةً فَقدْ كَفَر.[2]

فقد رواه ابن النجار في ذيله على تاريخ بغداد من طريق عبدالسلام بن صالح أبي الصلت عن يوسف بن عطية ثنا قتادة عن الحسن عن أنس به، كما نقله في السلسلة الضعيفة (١٠٩٨)، وعلته أبو الصلت فإن سبق الكلام فيه، وأنه متروك، ومتهم بقلب الأسانيد وإلزاق المتون الموضوعة بالأسانيد الصحيحة، وانظره في التهذيب ٤/ ٤٥٨.

٥- والخبر هو معنى قول بكر بن عبدالله المزني ـ والتابعي الثقة الثبت (١٠٨هـ) في الصديق: «ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه».

وذكره في المقاصد (٩٧٠) والقارىء في الأسرار المرفوعة (٤١٥) أنه رواه الحكيم الترمذي في نواده.

وعزاه الزبيدي في الاتحاف ١/ ١٨٧ إلى ذكر ابن القيم له عن أبي بكر بن عياش وهو في مفتاح دار السعادة ١/ ٨٢.

وقال العراقي في تخريج الإحياء ١/ ٢٣ لم أجده مرفوعاً، وانظر الاستخراج (١٤٠ و ١٤١)، ومجلة التوحيد عدد رمضان ١٤١٦هـ ص ٣٥ وعدد رجب ١٤١٧هـ ص ٢٩.

(١) كذا في الأصل، والصواب (المؤمنين).

(٢) حملاً على أن مراده بالإجمال أن كلام الله وأسمائه وصفاته مخلوقة، كما يفيده نقل المؤلف عن مجاهد الآتي!

وَعَن مُجَاهِدٍ في قَولِ الله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾. [المائدة: ٥]

يعني: «مَنْ يَكْفُرُ بالله فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» .(١)

والعَملُ بالجَوارحِ كالصَّلاةِ والصَّومِ والحَجِ والجِهَادِ وسَائِرِ الأَعْمالِ، لأنَّ العَبْدَ مع صِفَتِهِ وسُكونهِ وحَرَكاتهِ وجَميعِ ما هُو مِنْه مخَلُوقٌ.

وأما اتِّبَاعُ السُّنَةِ يَعني: القَبولَ والإِقْرارَ والتَّصدِيقَ بِجَميعِ ما فَعَلَ النَّبيُّ ﷺ، وفي جميع ما أَمَرَ به ونَهى عَنه، وأنْ لا يُنكرُ ولا يَشكُّ ولا يَقفُ في شَيءٍ ممَّا فَعلَ النَّبي ﷺ، وفيَما أَمَر ونَهى، لقوله تعالى:

وإلا فإن الإطلاق هكذا بدعة وليس كفراً ـ كما سبق في كلام القاضي أبي يعلى وشيخ الإسلام.

والواجب أيضاً الاستفصال عن مراد من أطلق هذا الإجمال:

١- فإن أراد بالإيمان الذي لله من تصديقه والإيمان بكلامه وذاته وأسمائه وصفاته فهذا غير مخلوق، ومن قال مخلوق استحق الكفر.

٢- وإن أراد الإيمان المخلوق فعل المؤمنين بجوارحهم وتصديقهم بقلوبهم الذي هو عمل القلوب، فذا مخلوق، وهو فعل صادر عن مخلوق.

(١) رواه عن ابن جرير في تفسيره بسنده ٦/ ١٤٨ من ستة طرق عنه.

وكذا أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد كما في الدر المنثور ٢/ ٤٦٢ وكذا زاد المسير ٢/ ٢٤٥.

وهو قول ابن عباس وعطاء وقتادة كما أخرجه ابن جرير وغيره، وهو ما اختاره في تفسيره.

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ . [طه : ٨٢]

وتَفْسِيرُ ذلك ﴿ لِّمَن تَابَ ﴾ مِنْ الشِّرْكِ[١] ، وأَتى بِشَهادَةِ أنْ لا إله إلا الله . ، وأنَّ مُحَمداً رسَولُ الله ﷺ ، ﴿ وَءَامَنَ ﴾ يعني : التَّصديقَ في القَلْبِ[٢] ، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ يعني : الصَّلاةَ والصَّومَ والحَجَ والجِهَادَ ونحو هذا[٣] ، ﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ يعني : يتبَعُ سُنَّةَ الرَّسولِ ﷺ في جَميع ما أَمَر به[٤] .

(١) أسنده ابن جرير في تفسيره ١٦/ ٢٤٢ عن ابن عباس والربيع بن أنس، وكذا أخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ ولم أجده في سنن المخطوط ـ والفريابي، كما في الدر المنثور ٤/ ٤٤ .

(٢) أسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن جرير بنحوه حيث قال : آمن بالله وحده، وأخلص له وصدقه، وانظر الدر المنثور، ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٨٨ .

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس : أدى الفرائض كما في الدر المنثور ونقله البغوي في تفسيره .

(٤) بنحو ما ذكر المؤلف قال ابن جرير في تفسيره ١٦/ ٢٤١ لآية طه وكذا ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٦١ وقال : «روى نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف» اهـ، والبغوي في تفسيره .

ومعنى الهداية كما ذكر المؤلف، نقله ابن جرير في تفسيره عن الربيع بن أنس وابن زيد واختاره ابن جرير، وأخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير كما في الدر المنثور .

وروى ابن جرير عن ابن عباس فيها : «لم يشك»، وكذا روى ابن المنذر وابن أبي حاتم وعن قتادة : «ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه»، وكذا عن الضحاك : «ثم لزم واستقام» وكلها من قبيل التنوع في معنى الآية، والحمد لله .

الرد على المرجئة ومن شابههم في مسألة الإيمان

فهذا كُلُّه رَدٌّ على المُرجِئَةِ والمُعتَزِلَةِ لَعَنَهُمُ اللهُ لأنَّهم يقُولُون: الإيْمَانُ قَوْلٌ بلا عَمل[1].

---

(١) هذا قول الكرامية، وهم المرجئة عند الإطلاق، وأضاف المؤلف أنّه قول المعتزلة.

والواقع أن قول جمهور المعتزلة موافق في لفظه ـ دون حقيقته ـ لقول أهل السنة والخوارج من أنه: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وسبق في الدراسة.

ولكن وافقت المرجئة طوائف من المعتزلة على النحو التالي:

(أ) منهم من وافق قول الكرامية، من أن الإيمان قول باللسان فقط، حيث أخروا الاعتقاد والعمل وهؤلاء هم:

١- النجارية: أتباع الحسين بن محمد النجار (٢٢٠هـ) وهم ثلاثة فرق، ذكرهم في الفرق بين الفرق ١٥٥، والمقالات ١/ ٢١٦، والبرهان ٣٩، والفرق المفترقة ٦٦، والاعتقادات ٩٠، وهم يوافقون المعتزلة في أصول كالتوحيد والرؤية، ويوافق الجهمية الجبرية في أصول كالجبر.

٢- الغيلانية: أتباع غيلان بن مسلم الدمشقي الذي قتله هشام بن عبدالملك سنة (٨٠هـ) وهو يوافق المعتزلة في العدل، قال الرازي في الاعتقادات ٣٨: وهؤلاء يجمعون بين الاعتزال والإرجاء، وانظر طبقات المعتزلة ٣٨، والمقالات ١/ ٢١٧، والمنية والأمل ١٣٧، والبرهان ٤٥، والملل والنحل ١٤٢، والفرق بين الفرق ١٥١.

٣- الشَمَرية: أتباع أبي شمر، كما في المقالات ١/ ٢١٥، والفرق بين الفرق ١٥١ و١٥٣، والملل والنحل ١٣٩.

٤- المريسيّة: أتباع بشر بن غياث المريسي (٢١٨) كما في الفرق ١٥٣، والميزان (١٢١٤)، والمقالات ٢/ ٢٣٢.

وقد قَال الله تعالى في قِصَّةِ فِرْعَوْنَ حين غَرِقَ في النِّيل(١)، قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.
[يونس: ٩٠]

٥- الشيبية: أتباع محمد بن شيب البصري، وانظر المقالات ١/ ٢١٥ و ٢١٨، والفرق بين الفرق ١٥١، والبرهان ٤٣، والتبصير في الدين ٢٤، والملل ١٣٩، وهؤلاء كلهم يجعلون الإيمان المعرفة بالله مع الإقرار به.

(ب) ومنهم من وافق قول المرجئة المحضة في أن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل بالله وهم:

١- الصالحية: أتباع أبي الحسين الصالحي القدري، كما في المقالات ١/ ٢١٤، وشرح الطحاوية ٤٦٠ (التركي).

٢- السمرية: أصحاب يونس السمري أو أبي سمرة كما عند السكسكي، وانظر المقالات ١/ ٢١٤-٤١٥، البرهان ٤٥.

* والمقصود أن المرجئة أصناف كما ذكره أهل المقالات:

١- صنف قدرية معتزلة وهم المذكورون أعلاه.
٢- صنف جبرية جهمية.
٣- صنف مرجئة خوراج.
٤- صنف مرجئة خالصة لم يكن لها قول إلا في الإرجاء فقط.

وانظر الإيمان في الأوسط لشيخ الإسلام ٧/ ٥٤٣-٥٥٠، الملل والنحل ١٣٩، والفرق ١٥١، والمقالات ١/ ٢١٤ حاشية التبصير في الدين مما يبين انتشار الإرجاء كمقالة بين كثير من الفرق، وانظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للحوالي.

(١) فرعون غرق في اليم كما ذكر الله سبحانه وتعالى في غير ما آية منها: آية الأعراف، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

فَلْم يَنْفَعْ إِقْرارُهُ باللِّسانِ دون معرفَتهِ بالقَلْبِ(١).

وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وقال في سورة طه عنه وقومه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

وقال في الذاريات: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠].

واليم هو البحر كما قال في آية الأعراف بعد ذلك: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٨].

وفي يونس: ﴿۞ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يونس: ٩٠].

واليم هو: البحر منقول عن ابن عباس والسدي، وقال ابن قتيبة هو: البحر بالسريانية، وانظر: الدر المنثور ٣/ ٢٠٨، وتفسير ابن جرير ٩/ ١٣٦، وزاد المسير ٣/ ١٧١، وتفسير الرازي ١٤/ ١٨٠ وما بعدها.

(١) لم ينفعه إقراره في ذلك الوقت عند غرغرة روحه وشهوده الموت، كما قال تعالى بعدها: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩١-٩٢].

لاسيما وفرعون كان في قلبه عارفاً بالله مُقِّراً بوجوده.

كما قال له موسى - في آخر الإسراء: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال في أول النمل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وإنما يصح الاستدلال بأبي طالب عم النبي ﷺ الذي عرف الحق وصدق الرسول وخيرية دينه كما قال في آخر لاميته العصماء:

والرَدُّ على مَنْ قَال الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَملٌ دُون تَصْدِيق بالقَلبِ.

وقال ابن عباس رَحْمَةُ الله عليه: «كَان في عَهدِ النَّبيِّ ﷺ المُنَافقون أَقَرُّوا باللِّسَانِ وعَملوا بِالجَوارِحِ فَلْم يَنْفَعْهُمْ إِقرارُهُم بلِسَانِهم

لقـد علمـوا أن ابْنَنَـا لا مكـذب   لدنيا ولا يُعْنَى بقول الأباطل

وقال:

ولقد دعوتني وعرفت أنك ناصحي   ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقـد علمـت بـأن ديـن محمـد   مـن خير أديـان البريـة دينـا
لـولا المـلامـةُ أو حِـذَارُ مسبـة   لـوجـدتنـي سمحـاً بـذاك مبينـاً

فإن أبا طالب أبى أن ينطق بالتوحيد لما دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية، وقد حضرته الوفاة فقال: «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**» فلم يزالا به حتى كان آخر ما قال هو على دين عبدالمطلب، فقال النبي ﷺ: «**لاستغفرن لك ما لم أنه عنك**» فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ**﴾ [القصص: ٦٥]» متفق عليه.

وأيضاً من قال كلمة التوحيد ولم يؤمن بها لم تنفعه كحال المنافقين والزنادقة، قال تعالى: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ**﴾ [المنافقون: ١].

ولما في الصحيحين من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»، رواه البخاري في كتاب الصلاة - باب المساجد بيوت الله، ومسلم في المساجد مواضع الصلاة - باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٣٣).

فإن الحديث مع الآية أفادا وجوب الاعتقاد والتصديق بالقلب كما في بعض الألفاظ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً بها من قلبه دخل الجنة**».

والعَمَلُ بِجَوارِحِهِم، دُون التَّصديقِ بقُلُوبِهم» فأنزَل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ باللِّسانِ، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ يعني: بالقَلب(٢)، ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا﴾ إلى قوله تَعالَى: ﴿فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. [المنافقون: ١-٤] [٨٩/أ]

والرَّدُّ على مَنْ يَقولُ: الإِيمانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ونيَّةٌ، دُون اتِّباع السُّنَةِ(٣)، قَوْلُ الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾.
[الحشر: ٧]

وقَوْلُه تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. [النساء: ٨٠]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.
[آل عمران: ٣١]

---

(١) أخرج ابن المنذر بسنده عن ابن عباس نحوه، كما في الدر المنثور ١/ ٣٣٦.

(٢) رواه ابن جرير بسنده ٢٨/ ١٣٦ عن قتادة، واختاره، ومثله في زاد المسير ٨/ ٢٨.

(٣) لا يتصور هذا إلا في أخذ بعض الدين وترك أكثره، إذ عدم اتباع السنة يقتضي عدم القول والعمل في كثير من العبادات.

ومن صوره في بعض مذاهب الخوارج، قولهم في رد حد الرجم لأنه ليس في كتاب الله، وهو قول أشهر طوائفهم الأزارقة، التي إذا ذكر الخوارج بعد سنة ٦١هـ انصرف إليهم.

الرد على المرجئة المحضة في قولهم الإيمان هو المعرفة

والرَّدُ على مَنْ يقولُ: الإيمانُ مَعْرِفَةٌ بالقَلبِ دُونَ الإقْرارِ باللِّسانِ(١)، قَوْلُه تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾. [النحل: ٨٣]

يعني النَّبيَّ ﷺ، (٢) يَعْلَمُونَ أَنَّه نبيٌّ، ثُمَّ يُنْكِرُونَها باللِّسَانِ.

---

(١) وهو قول المرجئة المحضة: الجهمية وأبو الحسين الصالحي من أئمة المعتزلة وأصحاب يونس السمري القائلين بأن الإيمان هو معرفة القلب، وأن الكفر هو الجهل بالله كما في المقالات ١/ ٢١٣-٢١٥.

(٢) للمفسرين رحمهم الله في المراد بالنعمة في الآية قولان مشهوران:

١- أنه النبي ﷺ وهو مروي عن مجاهد والسدي والزجاج وهو اختيار ابن جرير في تفسيره.

٢- أنها نعم الله عليهم ومنها ما عددها في سياق الآيات قبلها من قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٧٨-٨١].

وهي رواية عن مجاهد، وقول قتادة وعبدالله بن كثير، والفراء وابن قتيبة وقالا: إنها نعم الله بشفاعة آلهتنا، والآية عامة تشمل هذا وذا.

وانظر تفسير ابن جرير ١٤/ ٢٠٦ ما بعدها، والدر المنثور ٤/ ٢٣٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦١، وزاد المسير ٤/ ٣٤٩، وتفسير البغوي ٥/ ٣٦، وتفسير الواحدي الوسيط ٣/ ٧٧، وتفسير أبي الليث السمرقندي ٢/ ٢٤٥، والنكت والعيون

وقَوْلُه تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة: ١٤٦]

كما قَالَ أَبُو طَالبٍ عَمُّ النَّبيِّ ﷺ: «أَعْلَمُ أَنَّ ما تَقُوله أَنت حَقٌّ، ولكنِّي لا أَشْهدُ عَليك بلِسَانِي، لأنَّ العَربَ يُعيِّرُونِي على ذلك»(١).

للماوردي ٣/ ٢٠٧، والخازن ٤/ ٨٩، وتفسير الرازي ٢٠/ ٧٦، وابن كثير ٢/ ٥٨٠، وروح المعاني ١٤/ ٢٠٦، وفتح القدير ٣/ ١٨٥، وتفسير ابن سعدي ٣٩٨، وتفسير الطبرسي ٣/ ٣٧٨، وتفسير سفيان الثوري ١٦٦.

(١) هذا معنى قول أبي طالب الذي قاله شعراً كما في لاميته المشهورة بعد مدحه النبي محمداً ﷺ:

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلاها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسنة ... تجر على أشياخنا في المحافِلِ
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدّاً غير قول هازل
لقد علموا أن ابْنَنَا لا مكذب ... لدنيا ولا يعني بقول الأباطل

ذكرها ابن هشام في سيرته ١/ ٢٨٠ وما قبلها وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة.

وخوف أبي طالب من التعيير رواه أبو سهل الجنديسابوري ـ كما في الدر المنثور ٥/ ٢٥٤ ـ بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]، قال: نزلت في أبي طالب أَلَحَّ عليه النبي ﷺ وهو يقول: يا عم قل: لا إله إلا الله، أشفع لك بها يوم القيامة، قال أبو طالب: لا، يعيرني نساء قريش بعدي أني جزعت عند موتي.

وبنحوه ما رواه ابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة ومجاهد وغيرهما ٢٠/ ١١٣ وما بعدها من طرق.

وفي ذا يقول أبو طالب كما نقله الشيخ عبدالله في مختصر السيرة ٦٣:

العلاقة بين الإسلام والإيمان

فلمْ يَنْفَعْه مَعْرِفَتَهُ بِقَلبِهِ دُونَ إقْرارِهِ بِلِسَانِهِ(١).

والإقْرارُ بأَنَّ الإيمَان غيرُ الإسْلامِ(٢)، لأَنَّ الإسْلامَ هو القَوْلُ، والإيمَانُ هو العَمَلُ، والإسلامُ ظَاهِرٌ، والإيمَانُ بَاطِنٌ وأَنَّ الله تعالى فَرَّق بَيْن الإيمَانِ والإسلامِ في قَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. [الأحزاب: ٥]

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة — وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي — ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه — من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة — لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

ونص شيخ الإسلام على أن محبة أبي طالب للنبي ﷺ كانت حمية وعصبية، ولو كان عن إيمان في القلب مستقر وعن صدق لتكلم بالشهادتين ضرورة، كما في الإيمان الأوسط من المجموع ٧/ ٥٥٣-٥٥٤.

مع أنه عارف بقلبه صدق الرسول وبالإيمان! ففرق بين معرفة القلب وإيمانه وتصديقه وإقراره.

(١) ولأن النبي ﷺ كان يأمر من أراد الإسلام من الناس بالشهادتين نطقاً بألسنتهم، ولم يكتف بما استقرت عليه قلوبهم من الإيمان والتصدق.

وكذا فعل أصحابه من بعده مع من أرادوا الإسلام.

(٢) العلاقة بين الإسلام والإيمان: «أنها إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا»، وذلك كالتالي:

١- فإذا اجتمعا في نص واحد، آية أو حديث، فلكل من الإسلام والإيمان معنى يخصه، فالإسلام: هو الأعمال الظاهرة من النطق بالتوحيد والصلاة والزكاة

. . . .

والصوم والحج والجهاد، والإيمان: الأعمال الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

واجتماعهما كما استدل المؤلف بآية الأحزاب، وبقوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ ۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ الآية [الحجرات: ١٤]، ولحديث جبرائيل المشهور أنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام فأخبره عن الأركان الخمسة وهي الأعمال الظاهرة، ولما سأله عن الإيمان أخبره عن الأصول الستة وهي الأعمال الباطنة، وكذا عن الإحسان، وفي جميعها يُصدِّقُه.

٢- إما إذا افترقا، بأن جاء أحدهما في نص دون الآخر، فإن أحدهما يتضمن الآخر.

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، كلاهما في آل عمران، فإن الإسلام يتضمن هنا الإيمان، لأن الدين عند الله الإيمان أيضاً، ومن يبتغ غير الإيمان دينا فلن يقبل منه.

وكما قال سبحانه في الذاريات عن لوط عليه السلام: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، فإن المؤمنين هنا هم المسلمون، والآيتان كالنصين المفترقين.

ويدل على ذلك أيضاً حديث وفد عبدالقيس أن النبي ﷺ قال لهم: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**تشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسوله الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتصوموا رمضان، وتؤدوا خمس ما غنمتم**» متفق عليه.

فأخبرهم عن الإيمان بأركان الإسلام، فدل على تضمن أحدهما للآخر عند الافتراق.

من الدلائل على أن الإيمان قول وعمل

والدَّلالَةُ أيضاً على أَنَّ الإيْمَانَ قَوْلٌ وَعمَلٌ، قَوْلُ الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. [فاطر: ١٠]

فأخبرَ الله تعالى أنَّ القَوْلَ لا يُرفَعُ إلا بالعَمَلِ؛ إِذْ العَمَلُ يَرفعُه، فَدَلَّ على أنَّ قولاً لا يَقْتَرِنُ بالعَمَلِ لا يُرفَع(١).

كما قال سبحانه عن الصلاة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وانظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي ١/ ٣٩٢-٣٩٩ و ٤١٨-٤٢٣، والإبانة الكبرى لابن بطة (كتاب الإيمان) ٢/ ٧٦١-٨١١، والإيمان الأوسط ضمن المجموع ٥٥١-٥٥٣ و ٥٧٥-٥٨١، وبسط القول في الإيمان الكبير أول ٢٤٦-٢٧١ و ٣٠٠-٣٥٠ و ٣٥٩-٣٦١، فلا مزيد عليه، والسنة للخلال ٣/ ٦٠٢ وما بعدها ٢٣٨-٢٤٢، وشرح السنة للبغوي ١/ ١٠-١٢.

ومثل الإيمان والإسلام اجتماعاً وافتراقاً، كمثل البر والتقوى، والفسوق والعصيان، والتوبة والاستغفار، والكفر والنفاق، والفقير والمسكين. والله أعلم.

(١) الكلم الطيب في الآية هو: توحيد الله وذكره.

والعمل الصالح هو: آداء الفرائض واجتناب المحارم.

وهو مروي عن أبي هريرة وابن عباس وشهر بن حوشب ومطر رضي الله عنهم وعن مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم رحمهم الله.

وأما الضمير في قوله (يرفعه) ففيه أقول ثلاثة للمفسرين:

١- رجوعه إلى الكلم الطيب، فيكون المعنى: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وهو ما اختاره المؤلف هنا واختاره ابن جرير أيضاً، ولذا كان الحسن وقتادة يقولان:

وقَدْ قَال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ . [الكهف: ١٠٧]

فأَخبر أنّ كُلَّ مَنْ لا يَقْتَرِنُ عَمَلُهُ بقَولِهِ بعَمِله(١)، فلا حَظَّ له في الجَنَّةِ.

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]

«لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه» رواه عنهما ابن جرير وعبد بن حميد.

وروى عبد بن حميد والبيهقي عن الحسن في الآية قوله: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، من قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل ذلك».

ونقل ابن الجوزي عن الحسن قوله: «يُعرض القول على الفعل، فإن وافق القول الفعل قُبل وإن خالف رد» وهو معنى سابقه.

٢- عكسه، فالضمير عائد إلى العمل الصالح، فيصير المعنى: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وهو قول شهر بن حوشب وأبي صالح.

وهو معنى صحيح أيضاً على أن الكلم الطيب هو التوحيد، فلا يرفع عمل صالح إلا بالتوحيد.

٣- عود الضمير إلى الله جل جلاله، قاله قتادة، ويكون معنى يرفعه يَتَقَبَّلُهُ.

وانظرها تفسير ابن جرير لآية فاطر ٢٢/ ١٤٤-١٤٥، وزاد المسير ٦/ ٢٤٨، والدر المنثور ٥/ ٤٦٢-٤٦٣، ومعالم التنزيل ٦/ ٤١٤.

(١) كذا في الأصل بتكرار (بعمله) والمتجه حذفها.

فأَخبَر تعالى أَنَّه لا يَغْفِرُ إلا لِمَنْ يُجمعُ له القَوْلُ والعَملُ، فهو لا يَنفعُ أَحدهُما دوُنَ صَاحِبَه.

[٨٩/ب] وقَال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. [البينة: ٧]

فوصف أنَّ الإِيمَان قَوْلٌ وعَملٌ، وأنَّ القَولَ لا ينفَعُ إِلا بالعَملِ، كما أنَّ العَملَ لا يَنفعُ إلا بالقَولِ(١).

---

(١) ويستدل للجمع بين القول والعمل في الإيمان بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولاسيما وقد روي أن أبي حاتم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ الآية، وصححه كما في الدر المنثور ١/ ١٦٩، وكذا رواه ابن راهويه في مسنده، وعبد بن حميد وابن مردويه وابن بطة في الكبرى (الإيمان) ٢/ ٧٧٢ (١٠٦٧).

وبقوله في آخر المدثر ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ فَمَا تَنفَعُهُمْ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧].

وبقوله تعالى في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية [يونس: ٦٢-٦٤].

وبقوله في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

. . . .

هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

إلى آيات كثيرة في هذا المعنى.

ومن السنة أحاديث نبيّ الإسلام كحديث ابن عمر في الصحيحين عن النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**».

ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**».

ورواه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٢)، ورواه أهل السنة، ونقل عبدالله بن شقيق عن الصحابة أنهم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة. فقد اعتبر ابن القيم في كتابه الصلاة (٥٠): اجماع الصحابة على ذلك.

ولحديث يزيد الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**».

رواه الإمام أحمد بسند صحيح ٥/ ٣٤٦، والترمذي في الإيمان ـ باب ما جاء في ترك الصلاة (٢٦١٩) وقال: حديث حسن صحيح، وقال ابن القيم في الصلاة ٤٦: إسناده على شرط مسلم، ورواه النسائي ١/ ٢٣١ في الصلاة، والحاكم ١/ ٦ وصححه ووافقه الذهبي.

وفي رواية أخرى لثوبان مولى النبي ﷺ أنه قال: «**بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك**».

رواه اللالكائي في شرح السنة ٤/ ٨٢٢ (١٥٢١) وقال إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا صححه المنذري في الترغيب ١/ ٣٧٩، وابن القيم في الصلاة ٤٦.

شبه في تأخير العمل عن القول بالإيمان والجواب عليها

فإنْ قال مُخالفٌ: فقدْ قال الله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾. [المائدة: ٨٥]

فأوجَبَ لهم الجنَّةَ بالقَوْلِ دُوَن العَملِ.

فقل: إنَّ هذه الآيةَ نَزلَتْ في شَأن أَصَحابِ الكَهفِ(١)، وفي كُلِّ

هذه النصوص تدل على دخول العمل مع القول وهي نزر يسير من الدلائل التي ساقها أهل السنة والجماعة في ذلك، وقد نقل ابن بطة في الإيمان ٢/ ٨٠٢ وما بعدها والخلال في السنة ٣/ ٥٦٤ وما بعدها عن الصحابة في ذلك مما لم يعلم خلافه.

كما أكثروا النقل عن سادات التابعين ومن بعدهم في ذلك.

(١) لم أجده على ما ذكره المؤلف أنها من أصحاب الكهف دليلاً، وإنما نزلت الآية في الرهبان والقسس الذين بعثهم النجاشي ملك الحبشة إلى النبي ﷺ فلما سمعوا القرآن بكوا وأسلموا ورجعوا إلى النجاشي وكانوا ثلاثين راهباً وقسيساً.

كما ذكره الواحدي في أسباب النزول ـ بحاشية الجلالين ـ ٢٥٦ وفي تفسيره ٢/ ٢١٧، وانظر ابن كثير ٢/ ٨٥ والدرر المنثور ٢/ ٣٠٢، وكذا أخرجه ابن جرير في تفسيرها ٧/ ١٢٠٨ من عدة أوجه عن ابن عباس وابن جبير والسدي، وانظر فتح القدير ٢/ ٦٨.

كما قال سبحانه وتعالى في أول الجزء من المائدة: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥].

مَنْ أَقَرَّ بالشَّهادَةِ، ثم يأْتِيه المَوتُ في الوَقْتِ والحَالِ(١) .

وقال الواحدي في تفسيره الوسيط ٢/ ٢١٩ راداً على شبهة المرجئة هذه: «وإنما علق الثواب بمجرد القول لأنه سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة في قوله ﴿ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص، واستكانة القلب ومعرفته إذا اقترن به القول فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب» اهـ.

فدل هذا على اجتماع عقد القلب الذي هو عمله مع نطق اللسان بالتوحيد وهو القول فلم يصح استدلالهم.

ولو لم يكن من لازم قول الكرامية هذا ـ وهو الاكتفاء بالقول للإيمان ـ اعتبار أن المنافقين مؤمنين في الحقيقة لكفى فساداً له.

كيف والقرآن يصدق بعضه بعضاً إذا لم يقل أحد أن الآية دلت على اكتفاء الإيمان بالقول فقط، كما ساق المؤلف عقبها من الآيات المحققة للمقصود.

كما يلزم عليه إيمانُ مانع الزكاة متعمداً وهو ما أجمع الصحابة على ردته وكفره وقتاله، وتعداد لوازم القوال الفاسدة كثير ومتنوع.

(١) هذا تكلُّفٌ من المؤلف بالجواب، إذ من نطق بالشهادتين ثم مات في الحال ولم يعمل كان هذا هو فرضه فقط، ولم يكلف غيره.

كمال الرجل الذي آمن بالرسول ﷺ فشهد بالتوحيد ثم قاتل اليهود في خيبر ومات وكان عبداً حبشياً يرعى غنماً ليهود، فقال النبي ﷺ: «**لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خير، ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ولم يصل لله سجدة قط**»، لأنه لم يدركه فرضها، ذكره في زاد المعاد ٣/ ٣٢٣-٣٢٤، وتكررت مع غيره في أحد وغيرها والله أعلم.

***

وقَدْ قَال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١). [الزخرف: ٧٢]

وقال أيضاً: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾. [الأحقاف: ١٤]

فهذه الآيات تَدلُ على أنَّه لا يَنفعُ أحَدهما دُوَن الآخر.

فهذه بَراءَةٌ مِنْ قَولِ المُرْجِئَةِ، وما يتشَعَّبُ مِنْ مَذاهبِهِم وأقَاويلِهِم.

---

(١) استدل بالآية على عدم انفكاك القول عن العمل في الإيمان الإمام ابن بطة في الإيمان ٢/ ٧٨٧ فقال: «فتفهموا رَحمِكَم الله هذا الخطاب، وتدبروا كلام ربكم عز وجل، وانظروا هل ميَّز الإيمان من العمل، أو هل أخبر في شيء من هذه الآيات أنه ورث الجنة لأحد بقوله دون فعله؟

ألا ترون إلى قوله عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢]، ولم يقل بما كنتم تقولون.

وقال: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١]، ولم يقل: بما قالوا.

وقال في قصة الكفار: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ولم يقولوا: غير الذي كنا نقول» اهـ.

وأمثال هذا كثير في القرآن عند التأمل.

***

بَابُ الاسْتِثْنَاءِ فِي الإيمَانِ(١)

ما يدخله الاستثناء وما لا يدخله

ثُمَّ في الإِيْمَانِ يَدْخُلها الاسْتِثْنَاءُ يُقَالُ: أنا مُؤْمِنٌ إنْ شَاء الله، ولا يُسَتَثْنَى في الإِسْلاَمِ، فيُقَالُ أنا مُسلِمٌ، ولا يُقَالُ إنْ شَاء الله، لأنَّ الإِسْلامَ

---

(١) هذه المسألة من ثمرات الخلاف بين فرق المرجئة مع أهل السنة، وبعضهم مع بعض في مسمى الإيمان وحقيقته، والأقوال المشهورة فيه ثلاثة طرفان ووسط:

١- القول الأول: وهو وجوب الاستثناء في الإيمان، وهو قول الكلابية وأتباعهم، ويلقبهم أضدادهم بالشكاكة أو المشككة. وربما غلو إلى الاستثناء في كل شيء مضى ويأتي كما عليه المرازقة أتباع عثمان بن مرزوق المصري الحنبلي (كما في الإيمان الكبير ٤٣٢-٤٣٤).

٢- القول الثاني: وهو ضد الأول، بتحريم الاستثناء في الإيمان، وهو قول الجهمية والمرجئة الكرامية، لأن الإيمان عندهم إما معرفة بالقلب، أو قول باللسان عند الكرامية، فهو شيء واحد لا يحتمل الاستثناء، وهو لازم قول الخوارج والمعتزلة بهذا الاعتبار.

٣- التوسط: وهو قول المحققين من أهل السنة، حيث حرموه باعتبار وأجازوه باعتبار، وأكَّدوه باعتبار، فقد أخذوا من كل طرف أحسن ما عندهم، فكانوا وسطاً مهدين للحق.

ذلك بالنظر في اختلاف المقاصد والاعتبارات لِلْمُسْتَثْنَى كالتالي:

(أ) فإن أراد من استثنائِه الشكَّ في إيمانه ـ فهذا حرام، لأن الشك في الإيمان كفر وعدم إيمان.

قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ولذا جعلوا من شروط لا إله إلا الله اليقين وضده الشك!

. . . .

(ب) إن أراد بالاستثناء عدم تزكية نفسه، أو أنه من المؤمنين الذين امتدحهم الله بقوله كما في أول الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢-٤].

فهو متردد بين الجواز والاستحباب.

(ج) إن أراد تعليق الأمر بمشيئة الله الشاملة لكل شيء فقط فهو جائز: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

(د) إن أراد عدم علمه بالعاقبة وما يؤول إليه أمره، وما يموت عليه، فهو متردد بين الجواز والاستحباب لأن الله أدَّب أنبياءه في الأمور المستقبلة بهذا، كما قال تعالى عن إبراهيم في سورة الأنعام: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ الآية [الأنعام: ٨٠].

وقال عن شعيب في الأعراف: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ الآية [الأعراف: ٨٩].

وقال عن محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الكهف: ٢٣-٢٤].

سواء كان المستقبل فيما أحبوه أو أملوه أو أبغضوه أو خافوه.

(هـ) إن أراد المستثني عدم علمه بقبول عمله أو وجله من ذلك فهو أيضاً متردد بين الجواز والاستحباب.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فهم الذين يشربون الخمر ويسرقون، قال: «**لا يا بنت الصديق، ولكنهم يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يُقبل**

. . . .

منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات».

رواه الترمذي في سننه (٣١٧٥) عنها وعن أبي هريرة من وجه آخر نحوه، ورواه ابن ماجه في الزهد (٤٩١٨) عن عائشة وابن بطه في الإيمان (١١٧٥) والبيهقي في الشعب ٥/ ١١ عنها.

كما روى ابن بطه في الإيمان (١١٩١) بسنده عن الإمام أحمد قال: كان سليمان ابن حرب يحمل هذا يعنى الاستثناء على التقبل، يقولون نحن نعمل ولا ندري أيتقبل أم لا.

وقد روى أحمد أيضاً (١١٨٩) قال: ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على الاستثناء.

قال ابن بطة معقباً ٢/ ٨٦٤ على حالهم تلك: «فلما أن لزم قلوبهم هذا الاشفاق لزموا الاستثناء في كلامهم، وفي مستقبل أعمالهم فمن صفة أهل العقل والعلم أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله لا على وجه الشك» اهـ.

حتى نقل عن جماعة منهم (١١٩٤) أنهم كانوا يقولون: «نحن مؤمنون إن شاء الله، ويعيبون على من لا يستثنى» اهـ وربما كرهوه (١١٨٩).

(و) ان أراد العجب في إيمانه فيجب عليه الاستثناء، قال الإمام أحمد: «إن قوماً تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالتعجب منهم» رواه الخلال (٨٠٥٩).

(ض) أو أراد المستثنى بالإيمان، الإيمان المطلق الكامل المتضمن فعل كل ما أمر الله، وترك كل ما نهى الله عنه، فيجب الاستثناء في الحاله هذه، وهذا مأخذ السلف في وجوب الاستثناء لأن لو لم يُسْتَثْنَ لشهد لنفسه بالكمال والولاية واستحقاق الجنة وقد نهى الله عن تزكية النفس فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقد أوجبه بهذا الاعتبار القاضي أبو يعلى، وربما كان هذا مأخذ من عاب من السلف على من لم يستثن. . والله أعلم.

بالقَوْلِ قَدْ حَصَلَ مِنْه(١)، وقَبولُ الإِيْمَانِ مُغيبٌ عنه .
ويجَوزُ أنْ يَقُولَ : آمنتُ بالله ومَلائكِتهِ وكُتبهِ ورُسلهِ .
أو يَقُول : أنا مُؤمِنٌ أرجو .
أو يقولَ أنا مُؤمِنٌ إنْ شَاء الله(٢) .

وانظر الإيمان لشيخ الإسلام ٢٥٣-٢٥٦ و ٤٠٠-٤١٠ و ٤٢٩-٤٣٠، والإيمان الأوسط ٧/ ٦٨١، وشرح الطحاوية ٤٩٤-٤٩٨ (تركي) ـ والفرقان بين الحق والباطل ـ والمجموع ١٣/ ٤٠ وما بعدها، والشريعة للآجري ١٣٦ و ٢٥٣، والإيمان لابن بطة ٨٦٢ وما بعدها ـ السنة للخلال ٣/ ٥٩٣ وما بعدها، وشرح السنة للالكائي ٥/ ٩٦٥ وما بعدها، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٤٣٢ وما بعدها، وشعب الإيمان للحليمي ١/ ١٢٧، ومختصر المعتمد للقاضي أبو يعلى ١٨٧ وما بعدها، ونص في الإيمان له ٤٢٨ على أن الاستثناء مندوب، وأصول الدين للبغدادي ٢٥٣، وشرح الفقه الأكبر ١١٦، والفصل لابن حزم ٤/ ٢٢٨، والسنة لعبدالله بن أحمد ١/ ٣٢٠ وما بعدها .

(١) المشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الإسلام وهو المشهور عن أحمد رضي الله عنه، وقد رُوِيَ عنه نية الاستثناء، قاله ابن تيمية في الفرقان بين الحق والباطل ١٣/ ٤٣ ضمن المجموع .

وقد روى الخلال باسناده (١٠٧٣) وابن بطه (١٢٠١) أنه قيل لأبي عبدالله أحمد ابن حنبل : ما تقول في الاستثناء؟ فقال : نحن نذهب إلى الاستثناء .

قلت له : فأما إذا قال : أنا مسلم فلا يستثنى؟

فقال أحمد : لا يستثنى إذا قال أنا مسلم .

قال الزهري : نرى الإسلام الكلمة، والإيمان العمل» اهـ.

أما الرواية الأخرى عن الإمام أحمد فتحمل على تضمن الإسلام للإيمان فيصح الاستثناء عندئذ .

(٢) روى الخلال في السنة ٣/ ٦٠١ (١٠٦٦) عن عبدالملك بن عبدالحميد أنه

والدَّليلُ على أنَّ الإسْلامَ غيرُ الإيْمَانِ قَوْلُ الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾. [الحجرات: ١٤]

أنواع الاستثناء وكيفيته

والاسْتِثْناءُ على وَجهين:

١- استِثْنَاءٌ على يقينٍ.

٢- واستِثْنَاءٌ على غَيرِ يقينٍ.

والاستِثْنَاءُ على يقَينٍ، مِثلُ قَوْلِ الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. [الفتح: ٢٧]

وَمِثْلُ ما قَال النَّبيُّ ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله»[(١)].

سأل الإمام عن رأيه وقوله في: مؤمن إن شاء الله؟

قال: «أقول مؤمن إن شاء الله، ومؤمن أرجو، لأنه لا يدري كيف أداؤه للأعمال، على ما افترض عليه أم لا» اهـ. وهذا إسناد صحيح.

وروى الآجري في الشريعة ١٤٠ بسنده أن رجلاً قال لعلقمة: «أمؤمن أنت؟ قال: أرجو» اهـ، وسنده جيد لولا عنعنة الأعمش!

(١) أصله في الصحيحين من حديث أنس وعائشة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ صنع شيئاً ترخص فيه، وتنزه عنه قوم، فبلغه ذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني أعلمهم بالله وأشده له خشية»**.

رواه البخاري في كتابي النكاح ـ باب الترغيب في النكاح (٤٧٧٦)، وفي الاعتصام بالسنة (٥٧٥٠)، ومسلم في النكاح ـ باب استحباب النكاح (١٤٠١).

واللفظ الذي ساقه المؤلف رواه مالك في الموطأ ـ كما في التمهيد ٥/ ١٠٨ ـ وأحمد

وقِيَل اجتاز ﷺ يوماً بالبقَيع فقال: «إنَّا إنْ شَاءَ الله بكُم لاَحِقون عن قريب»(١)، فهذا كُلُّه اسْتِثناءٌ على يقين(٢).

فَيَجِبُ على مَنْ اسْتَثْنَى أنْ يَعْلَمَ كَيف يَسْتَثِنِي، ولأَيِّ شَيْءٍ وقَعَ عليه الاسْتِثْنَاءُ لِئَلا يَظُنُّ المُخَالفُ أنَّ اسْتِثْنَاءَهِ مِنْ قِبَلِ الشَّك.

وقَدْ كان سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ وابنُ المُبَارك رضي الله عنهما يَقُوُلان: «النَّاس عندنا مُؤمِنين في المَواريثِ والأَحكام، ولا نَدري كَيفَ هم عِند الله تعالى، وعلى أيِّ دِينٍ يمَوتُون»(٣)، لأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ وَاقِعٌ على ما يُستَقبلُ. [٩٠/أ]

في المسند ٦/ ٦٧، وأبو داود في السنن في الصيام عن عائشة بلفظ: «والله إني لا أرجوا أن أكون أخشاكم لله عز وجل، وأعلمكم بما اتقى».

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ـ باب استحباب إطالة الغرة ـ (٢٤٩) وبرقم (٩٧٤) و (٩٧٥) عن أبي هريرة وعائشة وبريدة رضي الله عنهم، وحديث أبي هريرة في احدى رواياته مرفوعاً: أنه ﷺ خرج إلى البقيع فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».
وانظر شرح السنة ٥/ ٤٧٠.

(٢) نص عليه ابن بطه في الإبانة الكبرى ـ كتاب الإيمان ـ ٢/ ٨٦٦-٨٦٧.

(٣) الخبر مروي عن سفيان الثوري دون ابن المبارك، على ما وقفت.

فقد رواه ابن بطه من طريق الأثرم عن الإمام أحمد عن وكيع قال: قال سفيان: «الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، فنرجوا أن نكون كذلك، ولا ندري ما حالنا عند الله عز وجل».

رواه في الإيمان ٢/ ٨٧٦ (١٢٠٠) ومن طريق آخر (١١٩٠).

وقَوْلُ العَبدِ: أَنَا مُؤْمِنٌ إنْ شَاءَ الله، معناه: إنْ قَبِلَ الله إيْمَانِي وأَماتَني عليه.

وهو بمَنْزِلَةِ رَجُلٍ صلَّى صلاةً، فقِيَل له: صَليتَ؟ فيقوْل: قد صَلَّيْتُ، وعلى الله القَبولُ، وكذلك إذا صَامَ أو عَمِلَ عملاً، وإنَّما وقَعَ الاسْتِثْنَاءُ فيه على الخَاتِمَةِ وقَبولِ الله إياه، لأنَّه شَاكٌ فيما قد قَالَه وفَعلَه، مَقْبُولٌ مِنْه أمْ مَرْدُودٌ عليه؟

وقد نَرى الرَجُلَ يُصلي فيُقَالُ: صَلَّيْتُ، فيقول: نعم إنْ قُبلت!

معنى الإسلام والإيمان

وتعلم أنَّ الإِسْلامَ اسْمٌ، ومعَناه: المِلَّة، والإِيْمَانَ اسمٌ، ومعناه: تصدِيقٌ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]

يقول: بمِصَدِّقٍ لنا[1].

وكذا رواه الآجري في الشريعة ١٣٨ من طريقين به.

ونقل شيخ الإسلام في الإيمان ٢٣٩ عن الشالنجي قال: سألت أحمد عمن قال أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث، ولا أعلم ما أنا عند الله قال: ليس بمرجي» اهـ.

والمعنى لا نعلم بما يختم لهم، وعواقبهم التي إليها يرجعون، وعليها يموتون.

(١) أراد أن معنى الإسلام: ملة الإسلام، وهي الدين والشريعة.

ومعناه في الأصل الاستسلام والانقياد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية [النساء: ١٢٥].

أما الإيمان فإن معناه ليس مرادفاً للتصديق إذ بينهما فروق.

والآياتُ في صِحَّةِ ما ذكَرْناهُ كَثيرةٌ ومنه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾. [الحجرات: ١٤]

وإذا سُئِلَ الرَّجُل أَنت مُؤمِنٌ؟[1] فليقل: أنا مُؤمِنٌ بالله ومَلائِكتهِ وكُتُبِهِ ورُسلِه واليَوْمِ الآخر، وأنا مُؤمِنٌ بكُلِّ ما آمَنَ بِه النَّبِيُّون والمُرسَلون

فإن الإيمان مأخوذ من الأمن وهو الطمأنينة، والإقرار فهو أمر زائد على مجرد التصديق.

وأيضاً التصديق يُستعمل في جنس الأخبار، أما الإيمان فيُستعمل في الأخبار المحتملة للصدق والكذب ويستعمل في ما يدخله الشك والريب بخلاف التصديق.

وهناك فروقاً في التعدي بنفسه أو بغيره، انظر في الإيمان الأوسط ٧/ ٥٢٩-٥٣٢.

(١) هذا السؤال إذا كان امتحاناً فهو بدعة.

فقد نُقل تبديعه عن إبراهيم النخعي والأوزاعي وسُفيان الثوري والإمام أحمد رحم الله الجميع، ومن ذلك ما رواه الأجري في الشريعة ١٤٢ وابن بطه في الكبرى ـ (الإيمان) ـ ٢/ ٨٨١ (١٢١٤) بسندهما أن رجلاً كتب إلى الأوزاعي: أمؤمن أنت حقاً؟ فكتب إليه: كتبت تسألني أمؤمن أنت حقاً؟ والمسألة في هذا بدعة، والكلام فيه جدل ولم يشرحه لنا سلفنا، ولم نكلفه في ديننا.

سألت: أمؤمن حقاً، فلعمري لئن كنت على الإيمان فما تركي شهادتي لها بضائري، وإن لم أكن عليه فما شهادتي لها بنافعتي.

فقف حيث وقفت بك السنة، وإياك والتعمق في الدين فإن التعمق ليس من الرسوخ في العلم، إن الراسخين في العلم قالوا حيث تناهى علمهم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وانظر السنة للخلال ٣/ ٦٠١ باب الرجل يُسأل أمؤمن أنت وكراهية المسألة في ذلك، والإبانة ـ الإيمان ـ ٢/ ٨٧٧ باب سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت، وكيف

والصَّالِحون[١].

وقال سَهْلٌ: «الاسْتِثْنَاءُ في الإِيمَان لَيْسَ بِشَكٍ، وإنَّما هو سُنَّةٌ مُتَّبعَةٌ، مَنْ تَركها فقد ابْتَدعَ، فاعلم!»[٢]

الجواب له، وكراهية العلماء هذا السؤال وتبديع السائل عن ذلك.

(١) كذا روي عن إبراهيم النخعي من غير وجه أنه إذا سئل فليقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وفي بعض الروايات عنه: ولا يزيد على ذلك.

رواه أبو عبيدة في الإيمان (١٢) والآجري في الشريعة ١٤١، وفي الحلية ٤/ ٢٢٤، وابن بطه في الكبرى (الإيمان) (١٢٠٤) وما بعدها، وابن جرير في تهذيب الآثار (١٥١٤).

وروى عنه مرة أنه قال: «قل لا إله إلا الله» رواه ابن جرير في تهذيب الآثار (١٥٠٩)، وابن بطه في الإيمان (١٢٠٨) و (١٢١١) وزاد: «فإنهم سيدعونك» ورواه الآجري في الشريعة ١٤٢.

وروي عن محمد بن سيرين أنه قال: «إذا قيل لك أنت مؤمن، فقل: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق»..

رواه القاسم بن سلام في الإيمان (١٤)، وابن جرير في التهذيب (١٥٠٥)، والآجري ١٤١، وابن بطه (١٢٠٧) و (١٢٠٤).

(١) حملاً على ما سبق من عَيْبِهِم لتارك الاستثناء لئلا يغتَّر أو يُزكي نفسه!

قال عبدالغني المقدسي الحافظ (٦٠٠) في عقيدته ص ٩١ قال: والاستثناء في الإيمان سنة ماضية، فإذا سئل الرجل أمؤمن أنت قال: إن شاء الله.

وروي ذلك عن عبدالله بن مسعود، وعلقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وأبي

وسُئل سَهلُ بنُ عَبدِ الله ـ رحمةُ الله عليه ـ عن المُرْجِئَةِ؟ فقال: «مَنْ زَعَم أَنَّهُ مُؤمِنٌ تَامُّ الإِيْمَانِ، أو قال: أَنا مُؤمِنٌ حَقًّا، أو قال: إِيْمَاني كإِيْمَانِ جِبْريلَ أو مِيكَائيلَ، فَقَدْ شَهِدَ على نَفْسِه بالجَنَّةِ، ومَنْ شَهِدَ على نَفْسِهِ بذلك، وحَكَم على الله فهو في النَّار»(١).

شقيق بن سلمة، ومسروق بن الأجدع، ومنصور بن المعتمر، وإبراهيم النخعي، ومغيرة بن مقسم الضبي، وفضيل بن عياض وغيرهم.

وهذا استثناء على يقين، قال الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]» اهـ.

وروى ابن بطه في الكبرى (الإيمان) (١٢١٥) بسنده عن منصور بن زادان قال: «كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا سئل أمؤمن أنت يقول: أنا مؤمن إن شاء الله» اهـ.

وانظر الإبانة الصغرى ١٧٩ وما بعدها، والشريعة للآجري ١٣٩-١٤٠، ولم أقف عليه من كلام سهل بن عبدالله.

(١) لم أقف عليه من كلامه، وإنما روى الحارث بن أسامة في مسنده كما في الزوائد ٢/ ١٦٢ (١٧)، وابن بطه في الإيمان (١١٨٠) كلاهما من طريق عفَّان بن همام عن قتادة بن دعامة عن عمر رضي الله عنه أنه قال: من زعم أنه مؤمن فهو كافر، ومن زعم أنه في الجنة فهو في النار، ومن زعم أنه عالم فهو جاهل.

قال: فنازعه رجل، فقال: إن تذهبوا بالسلطان فإن لنا الجنة. قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من زعم أنه في الجنة فهو في النار**».

ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ٩٨، والسيوطي في الجامع الكبير ١/ ٨٧١، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ١/ ق ٤٩ وقال: «ورجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع»، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده عن معتمر عن أبيه عن نعيم بن

وَرُوِيَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ـ رحمةُ الله عليه ـ أنَّه قال: «مَرَّ بِنَا قَوْمٌ فَقُلْنا مَنْ أَنتم؟ فقالوا: مُؤْمِنِين. فقال عبدُالله: هَلاَّ قُلْتمُ إنْ شَاء الله. فقَالوا: نعم إنْ شَاء الله»[1].

فهذا بَراءةٌ مِنْ قَوْلِ المُرْجِئَةِ وما يتَشعبُ مِنْ مذَاهِبِهم.

أبي هند قال: قال عمر فذكره.

وانقطاعه؛ لأن قتادة السدوسي لم يسمع من عمر وهو مدلس وقد عنعنه.

وعلق البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكه قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل.

في كتاب الإيمان ـ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

وانظر الفتح ١/ ١٠٩، ووصله الخلال في السنة ٣/ ٦٠٧ (١٠٨١).

(١) روى عن ابن مسعود رضي الله عنه من وجهين:

١- رواه الآجري في الشريعة ١٣٩، وابن بطه في الكبرى (١١٨٢) أن رجلاً قال عند ابن مسعود رضي الله عنه: إني مؤمن، فقيل لابن مسعود: إن هذا يزعم أنه مؤمن. قال: فاسألوه أفي الجنة هو أو في النار؟ فسألوه فقال: الله أعلم. فقاله له ابن مسعود: فهلا وكلت الأولى كما وكلت الآخرة.

٢- ما رواه ابن بطه أيضاً (١١٨١) من طريق آخر قال: جاء رجل إلى عبدالله فقال يا أبا عبدالرحمن لقيت ركباً فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن المؤمنون. قال عبدالله: أفلا قالوا: نحن أهل الجنة».

فالإنكار عليهم هاهنا لا لمحض الإخبار، ولكن لما فيه من التزكية والشهادة بالإيمان في العاقبة أو الإيمان المطلق المتضمن ما فعل ما أقر به وترك ما نهى عنه جميعاً، فذا ما يحمل عليه! وانظر الإيمان الكبير للشيخ ٣٩٩-٤٠٠.

بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ(١)

والإيْمَانُ بأنَّ المؤْمِنين يَرَوْنَ الله عزَّ وجلَّ يَوْم القيامةَ جَهْراً

(١) هذه مسألة جليلة من مسائل العقيدة وقع فيها النزاع مع المخالفين، وهي فرع من مسائل الإيمان بصفات الله تعالى، أفردها العلماء بالذكر والتأليف لأنها من أوائل المسائل التي نازع فيها المعطلة من الجهمية وأذنابهم، كمسألة كلام الله، حيث إن جهماً صرح بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى بالأبصار يوم القيامة، وأنه لا يتصف بالصفات.

ومحل النزاع في الرؤية هو رؤية الله في الدار الآخرة في الموقف يوم القيامة، ثم بعد دخول الجنة للمؤمنين خاصة.

أما في الدنيا فإنه سبحانه لم يُرَ، ولن يُرَ فيها لعدد من الأدلة:

١- منها قوله تعالى لموسى كليمه صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم في سورة الأعراف لما طلب أن يَراهُ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٢- قوله سبحانه وتعالى في آخر الشورى عن وسائل وطرق الوحي: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

فنص سبحانه أنه إن كلم أحداً فمن وراء حجاب، ولو كان يرى في الدنيا، ويمكن ذلك لما ذكر الكلام من وراء حجاب.

٣- قوله سبحانه معابة لقوم موسى لما طلبوا من رؤية ربهم في الدنيا في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ

. . . .

تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

وقال في آخر النساء: ﴿ يَسْئَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ الآية [النساء: ١٥٣].

٤- ونصَّ النبي ﷺ على أنه لن يرى أحدٌ ربه حتى يموت، أي لن يراه في الدنيا في حديث الدجال الذي رواه مسلم عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال يوم حذَّر الناس الدجال: «**إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن**»، وقال: «**تعلّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**».

رواه مسلم في الفتن ـ باب ذكر ابن الصياد (٢٩٣١) وأخرجه الترمذي والإمام أحمد وغيرهما.

٥- ولما سبق من نص النبي ﷺ أنه لم ير ربه، وقال: «**نور أنى أراه**»، وقوله لما سئل هل رأيته؟ قال: «**حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره**» رواهما مسلم وغيره.

ومضى الخلاف في ذلك وأن الذي تجتمع عليه الكلمة بين المختلفين أنه ﷺ لم يَرَ ربه بعيني رأسه في الدنيا، ومن قال إنه رآه وعنى ربه: رؤيته بقلبه في المنام.

وقد اعتنى الأئمة ببيان مسألة الرؤية ضمن مصنفاتهم في أبواب التوحيد والسنة من الصحيحين وكتب السنن والمسانيد وأصول السنة، وبعضهم أفردها بالتأليف استقلالاً منهم:

الحافظ الدارقطني (٣٨٥) في كتابه الرؤية.

الحافظ ابن النحَّاس (٤١٦) في كتابه رؤية الله تبارك وتعالى.

وعَياناً[١]، ويتجلى لهم ضَاحِكاً مُستبْشِراً، ويُكَلمُهم ويُكَلمُونه، ويَروْنَه[٢]، ويكونون في القُرب مِنْه على قَدرِ أَعمالَهِم الصَّالحَةِ،

الحافظ البيهقي (٤٥٨) في كتابه الرؤية.

الحافظ الشيخ أبو شامة الشافعي (٦٦٥) في كتابه ضوء الساري إلى رؤية الباري عز وجل.

(١) يدل له ما رواه البخاري في صحيحه موصولاً من حديث جرير بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «**إنكم سترون ربكم عياناً**».

أخرجه في كتاب التوحيد ـ باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

(٢) كما ثبت في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجلان: أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ لهما: «**أما قطع السبيل: فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير، وأما العيلة: فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن له: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**».

رواه البخاري في مواضع منها كتاب التوحيد (٧٠٠٥) وفي كتاب الزكاة ـ باب الصدقة قبل الرد (١٣٤٧) وغيرها.

ورواه مسلم في الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (١٠١٦).

أما التجلي من الله للمؤمنين خاصاً فقد رواه الإمام أحمد ٤/ ٤٠٧ والآجري في الشريعة في التصديق بالنظر إلى وجه الله عز وجل ص ٢٦٣ و ٢٨٠ من طرق كلها عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عمارة القرشي عن أبي برده عن أبي

ومَعْرفَتِهم به[١]، يَروْنَه تَعالى بأعينِ رُؤوسِهم، لا يَشُكُّونَ في رُؤيتِه،

موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يتجلى الرب عز وجل ضاحكاً فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً**».

وكذا رواه اللالكائي في شرح أصول السنة (٨٣٢)، وذكره الذهبي في ترجمة عمارة القرشي من الميزان وذكره في اللسان ٤/ ٢٧٩٠.

فإنه وإن كان الحديث مطعن في حالي عمارة وتلميذه ابن جدعان، إلا أن معناه صحيح.

فإن آخره: «**فإن ليس منكم أحد**» الحديث رواه مسلم في صحيحه (٢٧٦٧) من طريق أبي بردة عنه به وفيه أن عمر بن عبدالعزيز استحلف أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له.

* وأما الضحك فقد ثبت في غير ما حديث: منها حديث أبي هريرة في الصحيحين الطويل من الرؤية، وفي آخره الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولاً وفيه: «**فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك منه، فقال ادخل الجنة**» رواه البخاري في مواضع منها كتاب الصلاة (٨٠٦) والتوحيد (٦٥٧٣) ومسلم في الإيمان (١٨٢).

ولما في مسلم (١٨٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: «فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: مما تضحك يا رسول الله؟ قال: «**من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزيء مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزأ منك، ولكني على ما أشاء قادر**».

واستطرد العلامة ابن القيم في عرض طرائق الروايات لأحاديث تجلي الله لأهل الجنة منها في كتابه الماتع: حادي الأرواح في الباب الخامس والسنن ٣٢٦-٣٨٠.

(١) ورد في تمايز المؤمنين في رؤيته إلى ربهم في الجنة غير ما حديث، منها:

. . . .

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه خرج إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال أربع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الناس يجلسون من الله يوم الجمعة على قدر رواحهم إلى الجمعة الأول الثاني الثالث ثم قال رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد**».

رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة (١٠٩٤) ورواه ابن أبي عاصم في السنن، والطبراني في الكبير ١٠/ ٩٦، وتعقبه البوصيري في الزوائد وقال: «هذا إسناد فيه مقال. . ».

ويعني به عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد ولكن موثق عند الجمهور كما في التقريب والتهذيب.

وفي رواية للحديث أخرى: «**سارعوا إلى الجمعة، فإن الله عز وجل يبرز لأهل الجنة في كل يوم جمعة في كثيب من كافور أبيض، فيكونون في قرب منه على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا**».

رواه الدارقطني في الرؤية (١٦٩) بإسناد صحيح صححه الشيخ ابن تيمية، وذكر شيخ الإسلام لحديث ابن مسعود ستة طرق مرفوعة وموقوفة، وقال: «وأما حديث ابن مسعود ففي جميع طرقه مرفوعها وموقوفها التصريح بذلك، وإسناد حديث ابن مسعوداً أجود من جميع أسانيد الباب، وهذا الحديث الذي أخبر به ابن مسعود أمر لا يعرفه إلا نبي أو من أخذ عن نبي، فيعلم بذلك أن ابن مسعود أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وذكر شاهداً له عن حديث أنس رضي الله عنه، من أربعة عشر طريقا.

وذكر شاهد آخر له من حديث حذيفة رضي الله عنه من طريقين.

وشاهداً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من غير وجه.

وشاهداً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا الحديث هو المشهور عند العلماء

. . . .

بحديث سوق الجنة، روى أصله مسلم في الصحيح من غير ذكر الرؤية.
انظرها في جزء ضمن مجموع الفتاوى ٦/ ٤٠١-٤١٩.

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة، الرجل ينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله عز وجل كل يوم مرتين**».

أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٣ والترمذي في صفة الجنة - بل أقل رجل في الجنة (٢٥٥٦)، وفي التفسير لسورة القيامة (٣٣٢٧) وذكر أنه روى من غير وجه مرفوعاً وموقوفاً، والدارقطني في الرؤية (١٨٥-١٨٨) من غير طريق، والحاكم ٢/ ٥٠٩، وابن النحّاس في الرؤية ص ١٣١ (٩).

والحديث ذكره شيخ الإسلام محتجاً به، راداً على من ضعفه في المجموع ٦/ ٤٢٥-٤٢٦.

وانظر تنزيه الشريعة لابن عراق ٢/ ٣٨٤، واللآلىء المصنوعة ٢/ ٤٦١.

قال ابن القيم في النونية ٣٨٩:

«أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيد ... وأنه شأن عظيم الشأن
هو يوم جُمعتنا ويوم زيارة الر ... حمن وقت صلاتنا وأذان
والسابقون إلى الصلاة هم الألى ... فازوا بذاك السبق بالإحسان
سبق بسبق والمؤخر ههنا ... متأخر في ذلك الميدان
والأقربون إلى الإمام فهم أولو الز ... لفى هناك فهاهنا قربان
قرب بقرب والمباعد مثله ... بعد ببعد حكمة الديان
ولهم منابر لؤلؤ وزبرجد ... ومنابر الياقوت والعقيان
هذا وأدناهم وما فيهم دنى ... من فوق ذاك المسك كالكثبان» اهـ

ولا يُمَارُون به، مِنْ غيرِ حدٍّ ولا نِهَايةٍ[١].

الأدلة على الرؤية من الوحيين

كَذَلِكَ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «تَرونَ رَبَّكُم كما تَرون القَمَر لَيْلَةَ البَدرِ لا تُضَامُونَ في رُؤْيته ولا تُضَارُّون»[٢].

---

(١) هذه من الألفاظ المجملة الموهمة التي لا يصح النفي فيها أو إثباتها إجمالاً إلا بعد التفصيل عن المراد فيها ـ وقد تكرر مثلها في أول الكتاب.

ويصح نفي المؤلف إذا كان مراده أنه سبحانه يرى من غير أن يحده مكان أو ينتهي به.

(٢) كذا في حديث جرير بن عبدالله البجلي في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

فقد روى البخاري في مواضع منها كتاب مواقيت الصلاة ـ باب فضل صلاة العصر (٥٢٩) و (٥٤٧) في فضل صلاة الفجر، وكتاب التوحيد ٦٩٩٧، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة الصبح والعصر (٦٣٣).

وفيهما عن أبي هريرة مطولاً وفيه: «**هل تضارون**» وفي بعض الألفاظ «**هل تمارون**»، رواها البخاري في مواضع في كتاب الصلاة ـ باب فضل السجود (٧٧٣) وفي التوحيد (٧٠٠٠)، ومسلم في الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

وفيهما أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه مطولاً في حديث الشفاعة وفيه «**هل تضارون**»، رواه البخاري في التوحيد ـ باب قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٧٠٠١)، ومسلم في الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣).

وفيهما أيضاً عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً وفيه: «**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن**» رواه البخاري في

. . . .

التفسير (٤٨٧٨) وفي التوحيد (٧٠٠٤)، ومسلم في الإيمان (٤٤٧).

وقد ثبتت أحاديث الرؤية من طريق التواتر، قال ابن القيم في حادي الأرواح ٣٣٧-٣٣٨: «وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه: أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبدالله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبدالله بن مسعود الهذلي» اهـ.

حتى عدد أسماء سبعة وعشرين صحابياً ثم ذكرها عنهم بقوله: «فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وَتَلَقَّها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العرض، ولا تكذب بها. . ».

بل نقل إجماع الصحابة والتابعين وأئمة الحديث قرناً بعد آخر ٣٣٨-٣٨٠ ومختصر الصواعق ٣٣٩.

ونقل التواتر أيضاً عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع منها المنهاج ٢/ ٧٦، والمجموع ٦/ ٤٦٩، وكذا نقله البيهقي في كتابه الرؤية، وأبو بكر بن السمعاني في الثاني من مجالس أماليه، نقله عنهما أبو شامة في ضوء الساري ٩٨.

ونقل التواتر في الأحاديث على الرؤية الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٠٣، وكذا ذكر بضعة عشر صحابياً من روى أحاديث الرؤية، السيوطي في تخريج أحاديث العقائد النسفية ق ٢.

أما حكاية إجماع الأمة على إثبات رؤية الله في الآخرة فحكاها غير واحد من أهل الحديث والمتكلمين منهم: أبو الحسن الأشعري في الإبانة ٧٦، واللمع له ٦١ وما بعدها، وعثمان الدارمي في الرد على الجهمية ٥٣، والنووي في شرح مسلم ٣/ ١٥، وعبدالقاهر البغدادي في الفرق ٣٠٥ (عبدالحميد) ولوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٤٠، وأبو شامة في ضوء الباري ٢٨، والإنصاف للباقلاني ١٧٦.

وانظر رؤية الله للدكتور عبدالقادر البحراوي ٣٠ وما بعدها.

[٩٠/ب] والدَّليلُ على ذلك قَوْلُ الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. [القيامة: ٢٢-٢٣]

قال أيضاً: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]

أي: النَّظَرِ إلى رَبِّهم بِلا حِجَابٍ.

وقال جلَّ ذِكْره: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. [يونس: ٢٦]

أي: النَّظَرُ إلى الله تعالى[1].

(١) كما رواه مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية**».

رواه في كتاب الإيمان ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨١).

والمزيد في آية ق هو رؤية الله في الجنة كما في آية يونس، كذا فسره أبو بكر الصديق وعلي وجابر وأنس ومالك رضي الله عنهم.

نقله ابن جرير في تفسيره ٢٦٥/ ٢٢٧ وما بعدها، والرد على الجهمية لعثمان بن سعيد ٦٢، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ٤٣ (٩٣)، والشريعة للآجري ٢٦٦، والسنة للالكائي ٣/ ٤٦٩ (٨١١)، والدر المنثور ٦/ ١٣٧ وقال: «إنها رويت من طرق جيدة عن أنس»، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٥، وشيخ الإسلام في الفتاوى ٦/ ٤١٠-٤٢٦، وحادي الأرواح ٣٤٩-٣٥٠، وصفة الجنة لابن كثير ١٥٩.

قال ابن القيم في النونية مختصراً ٣٨٣:

«ويرونه سبحانه من فوقهم   نظر العيان كما يُرى القمران

وقال جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾. [الزخرف: ٧١]

فمُحَالٌ أنْ لاَ يشتهي الحَبِيبُ أنْ يَنْظُرَ إلى الحَبِيبِ في دَار الأَمنِ، ومُحَالٌ أنْ يُمْنَعَ مِنْ النَّظَرِ إذَا اشْتَهى، لأنَّه قد قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾(١). [فصلت: ٣١]

هـذا تـواتـر عـن رسـول الله لم | يُنكـره إلا فـاسـد الإيمـان
وأتـى بـه القـرآن تصريحاً وتعـ | ـريضاً هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس | تفسير من قد جاء بالقرآن
وهو المزيد كذاك فسره أبو | بكر هو الصديق ذو الايقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعو | هم بعدهم تبعية الإحسان» اهـ

وانظر شرح ابن عيسى ٢/ ٥٦٧، وشرح الهراس ٢/ ٤١٢.

(١) هاتان الآيتان عامتان في حصول كل ما يتمناه وما يشتهيه أهل الجنة فيها، كما مر في الأحاديث المتواترة الصحيحة، لاسيما وقد سأل المؤمنون من الصحابة نبيهم ﷺ في الدنيا: هل نرى ربنا يوم القيامة، مما يدل على تمنيهم ذلك!

كيف وفي الجنة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب من بشر من أنواع النعيم، وأكمله وأعلاه التلذذ والتنعم بالنظر إلى ربهم سبحانه وتعالى، أسأل الله العظيم من فضله.

وانظر صفة الجنة لأبي نعيم ص ٣٥ والدر المنثور ٥/ ٦٨٣.

فإن أهل الجنة فيها لهم كل ما يشتهون ويشاؤون يتحقق لهم ذلك بوعد الله تعالى، ولهم أيضاً مزيدٌ على ما يشاءون ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وهو رؤية الله والتلذذ بالنظر إليه، وانظر شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٥٤.

***

ولابُدَّ مِنْ ذلك كما لابُدَّ مِنْ المَوتِ، وقَدْ قَال الله عزَّ وجلَّ:
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾. [النساء: ٧٨]

فالْمَوتُ مُحِيطٌ بالنَّاس إذا قَرضَه لا يَروْنَهُ بالعَين[1].

وقال عزَّ وجلَّ في قِصَّةِ الكُفَّارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

فدَلَ أنَّ المُؤْمنين لا يُحْجَبون[2]، فَصَحَّ بذلك مَا ذَكَرْنَاهُ.

---

(١) كذا في الأصل، أي إذا أصابه الموت فإنه لا يراه بعينه.

وكأن المؤلف يرمي إلى أن الموت كما أنه لا يرى في الدنيا وهو مدرك الإنسان لا محالة، لكن يرى في الآخرة لما يجعله الله كبشاً فيذبحه فيقال لأهل الجنة خلودٌ فلا موت ولأهل النار خلودٌ فلا موت كما جاء في الصحيحين.

فكذلك ربنا سبحانه لما كان لا يرى في الدنيا، فهو في الآخرة يهيىء عباده لرؤيته.

(٢) هذه بدلالة المفهوم، حيث لما حجب الفجار عن رؤية الله دل على أن الأبرار الذين هم المؤمنون يرونه سبحانه وتعالى.

نقل الحافظ ابن كثير في تفسيرها ٤/ ٤٨٥ عن الشافعي أنه قال: «هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ..» اهـ.

وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن وقتادة ومالك بن أنس وأكثر المفسرين.

واختاره ابن جرير في تفسيره وزاد: «ويحتمل أن يكون المراد به الحجاب عن كرامته» اهـ.

وانظر تفسيره ٣٠/ ١٢٦ و ٧/ ٣٩٥، وتفسر زاد المسير ٨/ ٢٠٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٥-٤٨٦.

شُبهةُ نفاة الرؤية والجواب عنها

فإنْ قَال مُخَالفٌ: فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾. [الأنعام: ١٠٣]

قيل له:

١- أراد بذلك فِي الدُّنيا، لا في الآخِرَة(١).

---

(١) استدل نفاة الرؤية عليها بآية الأنعام على أن الله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تنظر إليه وأنه لا يُرى، كما اشغب به عبدالجبار المعتزلي في متشابه القرآن ١/ ٢٥٥، وشرح الأصول الخمسة ٢٣٣ وما بعدها.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أجاب بجوابين هما:

١- على سبيل التنزل معهم في أن معنى الإدراك الرؤية، فإن النفي خاص في الدنيا لأن القرآن يصدق بعضه بعضاً، فكما قال لموسى في سورة الأعراف ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال في القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وبنصوص الرؤية من القرآن والسنة.

فإن الله لا يراه عباده في الدنيا، ويرونه في الآخرة.

وهذا توجيه من قال إن الإدراك في الآية الرؤية، كما استدلت بالآية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سئلت هل رأى محمد ربه؟ قالت سبحان الله لقد قفّ شعري، ممّا قلت ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ متفق عليه وفي رواية الترمذي (٣٠٦٨) الذي رآه النبي هو جبريل. ورواه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم متصلاً، ومسلم في الإيمان (٢٨٩).

وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومقاتل والسدي وإسماعيل ابن علية ونعيم بن حماد: «لا تدركه الأبصار في الدنيا». ذكره ابن جرير في تفسيره ٧/ ٣٩٠-٣٩٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٦٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٣، وفي الدر المنثور ٣/ ٦٩، وشرح أصول السنة للالكائي (٨٩٠).

٢- المنفي في الآية هو الإحاطة ويأتي.

٢- وإدْرَاكُ الشَّيءِ هو الإحَاطةُ، والله عزَّ وجلَّ لا يُحَاطُ به في الدُّنْيا ولا في الآخِرَةِ، كا قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (١).

(١) وتفسير الإدراك بمعنى الإحاطة هو قول ابن عباس رضي الله عنهما في أكثر من رواية عنه، وقول قتادة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير في تفسيره والزجاج في معاني القرآن.

فقد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن النبي ﷺ رأى ربه، فقال رجل عند ذلك: أليس قال الله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ فقال عكرمة: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: فكلها ترى؟!

انظر تفسير ابن جرير ٧/ ٣٩٠-٣٩١، وزاد المسير ٣/ ٦٨، والتبصير ٢١٨ وما بعدها، ومعاني القرآن، والدر المنثور ٣/ ٦٩.

ومن الدلائل على أن معنى الإدراك الإحاطة ما يلي:

١- قوه تعالى عن قول أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام في سورة الشعراء: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، أي المحاط بنا.

٢- وقال تعالى في طه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، إدراكاً من فرعون وآله.

٣- قوله تعالى عن فرعون لما أحاط به الماء في سورة يونس: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

٤- تشبيه النبي ﷺ رؤية الله، برؤيتهم الشمس والقمر صحوين من دون حجاب، وهما في علوهما في السماء والرائين لهما لا يرون إلا بعضهما ولا يحيطون بهما رؤية أو إدراكاً.

فكما لا نُدرِكُ الشَّمْسَ في نُورِها، وقد أحاطتْ بالمَشْرِقِ والمغرب، فلا نَراها كما هي، كذلك قال الله تعالى في مُحكم كِتَابه: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾، أي: لا تُحِيطُ به، فَدلَّ هذا القَوْلُ مِنْهم أنّه ليس بِمَانعِ الرُّؤْية وأنَّه لا يحاط به.

وسُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: هل نَرى رَبَّنا يَوْم القِيَامة؟ فقال: «هل تُضَامون في رُؤيةِ القَمرِ لَيلةِ البَدرِ ليس دُونها سَحاب؟ فقالوا: لا، قال: فكذلك النَّظرُ إلى الله عزَّ وجلَّ»(١)، فهذا بَراءٌ مِنْ قَوْلِ المُعْتَزِلَةِ، والمُبتَدعةِ الضَّالةِ، وما يتَشَعبُ مِنْ مَذَاهِبِهِم(٢).

فإذا كان المخلوق يمكن رؤية مخلوق مثله دون إحاطته به، فكيف برؤيته للخالق عز وجل؟

وكذلك الحال في رؤية السماء كما قال عكرمة، بل ورؤية القادم لا تستلزم الإحاطة به!

وعليه فلا تلازم بين نفي الإدراك ونفي النظر والرؤية، لاسيما وللإدراك معنى زائد عن النظر لغة واصطلاحاً.

والإدراك منتف بهذا المعنى عن الله دنيا وآخرة، كما قال تعالى في أعظم آية في كتابه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٠].

(١) مضى تخريجه ويلحظ أن المؤلف رواه هنا بمعناه!

(٢) المخالفون في هذا الباب هم:

١- الجهمية والمعتزلة، وهؤلاء ومن شابههم أنكروا الرؤية في الآخرة.

٢- متأخروا الإباضية، كما في المشارق ١٨٦ وما بعدها ـ وهو عمدتهم ـ وتلقين الصبيان ما يلزم الإنسان ص ١٠ كلاهما لعبدالله بن حميد السالمي، وطلقات

. . . .

المعهد الرياضي ١٠٧ ، ودراسات إسلامية في أصول الإباضية ٥٩ وما بعدها ، والحق الدامغ المبحث الأول ٢٣ و ٦٧ وما بعدها .

٣- متأخروا الشيعة ويشمل الإمامية والزيدية .

كما في بحار الأنوار ٤/ ٣١ و ٤٤ والفصول المهمة ١٢ وأصول مذهب الشيعة ٢/ ٥٥١ وما بعدها .

قال في شرح الطحاوية ٢٠٧ (تركي) : «المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة . . » .

ونص شيخ الإسلام أن الرافضية في زمانه جهمية قدرية ، كما في الكبرى ٢/ ٢٩ ، والفتاوى ٣٥/ ٤١٥ .

٤- الصوفية الذين يعتقدون أنهم يرون الله في الدنيا ، فضلاً عن زنادقتهم من أهل الوحدة والاتحاد والحلول، وانظر التبصير لابن جرير ٢١٧-٢١٩ .

٥- الأشاعرة والماتريدية باثبات الرؤية لله عز وجل لكنهم انحرفوا بقولهم لا في جهة، نفياً فهم بأن يكون ربنا في جهة العلو !

كما في الاقتصاد للغزالي ٤١-٤٢ والإرشاد ١٦٨-١٦٩ وأصول الدين للرازي ٦٨ والجوهرة وشرحها ١١٤ .

وكما في التمهيد للنسفي ٣٨، وأصول الدين للبزدري ٧٧ واشارات المرام ٢٠١ وشرح المواقف ٨/ ١١٦ .

***

باب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ(١)
رِضْوانُ الله عليهم أَجمعين

والإِيْمَانُ بأَنَّ خَير هذه الأُمةِ وأَفْضَلَها بعد النَّبي ﷺ أَبُو بَكرٍ الصِّديقُ،

---

(١) كما قال شيخ الإسلام في الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل، على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار. . .» إلخ. ما قال وهو طويل.

ومن أجمع ما ورد في فضلهم قوله تعالى في سورة براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله عز وجل في آخر الفتح: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله في سورة الحشر: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [الحشر: ٨] والآيتين بعدها في الأنصار، ثم من اتبعهم بإحسان.

. . . .

ولما في الصحيحين من حديثي ابن مسعود وعمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**خيركم، أو خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. .**» الحديث.

ولما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا تسبوا أصحابي. . .**» وذكره الشيخ.

ولحديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**».

رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٨٧ و ٥/ ٥٤ و ٥٧، وفي فضائل الصحابة ١/ ٤٧-٥٠ من طرق عبيدة بن رائطة عن عبدالله بن عبدالرحمن عن ابن مغفل به.

وأخرجه الترمذي في جامعه في المناقب (٣٨٦٢) وحسنه، والبخاري في التاريخ ٣/ ١٣١ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٢٢٤ (٢٧٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٩٢)، والبيهقي في الاعتقاد ٣٢١، والبغوي في شرح السنة (٣٨٦٠).

وما ورد في فضلهم وعدالتهم ووجوب محبتهم والثناء عليهم أكثر من أن يحصر.

أما الإجماع على عدالتهم فحكاها غير واحد منهم شيخ الإسلام في الواسطية والمسودة ٢٩٢، وممن حكى ذلك:

١- الخطيب البغدادي في الكفاية ٩٣-٩٦ قال فيه الحافظ في الإصابة: إنه فصلاً نفيساً.

٢- الحافظ الصلاح في مقدمته ١٤٦ ومعه ابن كثير في اختصار علوم الحديث ١٧٦ وما بعدها.

ثمَّ عُمَرُ الفَارُوق، ثم عُثْمانُ ذَا[(١)] النُّورين، ثم عَليُّ بنُ أَبي طَالبٍ المُرتضَى، وطَلْحَةُ وزُبَيرٌ وسَعدٌ وسَعِيد وعَبدُالرَّحمنِ بنُ عَوفٍ وأَبو عُبَيْدة بنُ الجَرَّاح رَضِيَ الله عنهم أجمعين، هم العَشرةُ البَرَرَةُ الكِرَامُ الذين شَهِدَ لهم النَّبيُّ ﷺ بالجَنَّةِ[(٢)].

٣- الحافظ ابن عبدالبر في مقدمة الاستيعاب ١/ ١٢٩.

٤- الموفق ابن قدامة في روضة الناظر ١١٨.

٥- القرطبي في تفسيره في غير موضع ومنها في تفسيره لآخر الفتح ١٦/ ٢٩٩.

٦- الحافظ العراقي في الألفية وشرحها فتح المغيث ٣٤٧-٣٤٩.

٧- الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها ١٥٣ ومقدمة الإصابة في بحث لطيف مهم ١/ ٧-٩.

٨- الحافظ العلائي في تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ٦٠ وما بعدها.

٩- ونقله ابن النجار في شرح الكوكب المنير ٢/ ٤٧٣، عن ابن تيمية وابن الصلاح وابن عبدالبر وعن إمام الحرمين الجويني، وانظر ارشاد الفحول للشوكاني ٦٩.

ولم يخالف في هذا إلا من لا يعتد بخلافهم كالرافضة والخوارج الناصبة، وجمهور المعتزلة في من دخل الفتنة خاصة من الصحابة.

(١) كذا في الأصل، والصواب بالرفع خبراً لإن: (ذو)، إلا إن قدر النصب بفعل محذوف تقديره: أعني!

(٢) كما في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «**عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئت لسميت العاشر**» فقالوا: من هو؟ قال: «**سعيد بن زيد**».

. . . .

قال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يَغْبَرُّ منه وجهه، خير من عمل أحدكم ولو عُمِّرَ عمر نوح عليه السلام.

رواه الإمام أحمد ١/ ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ من طريقين عن الحر بن صياح عن عبدالرحمن بن الأخنس عن سعيد به، وثالث من طريق يحيى بن سعيد عن صدقة بن المثني عن رباح بن الحارث عن سعيد به وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه أبو داود في السنن في السنة ـ باب الخلفاء من طرق مثله (٤٦٤٩ و ٤٦٥٠).

وأخرجه الترمذي في جامعه من وجه آخر عن سعيد في المناقب ـ باب مناقب عبدالرحمن بن عوف (٣٧٤٨) وقال: «سمعت محمداً ـ يعني البخاريَّ ـ يقول: هو أصح من الحديث الأول» اهـ. يعني: حديث عبدالرحمن بن عوف حيث رواه كذلك (٣٧٤٧).

وكلاهما رواه النسائي في الكبرى في كتاب المناقب (٨١٩٣) و (٨١٥٦) و (٨٢٠٤) و (٨٢١٠).

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (١٣٣)، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١٢ و ٤٣ و ٨٨ و ٩٠-٩٤ (الهندية)، وأبو داود الطيالسي في المسند (٢٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٣٣) و (١٤٣٠ و ١٤٣١) و (١٤٢٩)، وفي فضائل الصحابة للإمام أحمد من زوائد ابن عبدالله (٩٠ و ٩١).

وعلى كل حال الحديث مخرج في كثير من كتب السنة من روايتي سعيد بن زيد وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما ورواية سعيد أصح كما قال الإمام البخاري.

ونقل شارح الطحاوية اتفاق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم.. اهـ، ٧٣٣ (تركي).

***

والتَّرَحُّم على جَميعِ أَصحابِ رسَولِ الله ﷺ، وأزَواجِه، وأَهَلِ [١/٩١أ]
بَيْتِه وَاجبٌ(١).

وذِكْرُ محَاسِنِهم، والإمْسَاكُ والكَفُّ عمَّا شَجَر بينهم(٢).

---

(١) لأن الله أثنى عليهم ومدحهم وتاب عليهم ورضي عنهم، وقال فيمن جاء بعدهم، بعد ذكره للمهاجرين ثم الأنصار في سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فمن لم يكن داعيًا لهم، أو في قلبه غلاً عليهم، لم يكن مستحقاً للفيء الذي خصّ الله به هؤلاء الأصناف الثلاثة من أول قوله ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨]الآيات الثلاثة.

ولأنه من واجبات الصلاة التشهد الأول، ومن أركانها التشهد الثاني المتضمن للصلاة الإبراهيمية المحتوية على الدعاء لآل النبي ﷺ وهم أهل بيته وأزواجه وأتباعه.

(٢) فإن الإمساك والكف عما جرى بين الصحابة من الفتن هو سبيل النجاة والتوفيق لأنها فتنة، والسلامة في الفتنة القعود والهرب منها وعدم الاستشراف لها، ولما نجا الله منها سيوفنا فإننا نمسك عنها ألسنتنا، خلا الخوض فيما جرى بعلم وبصيرة وتتبع للاخبار بتمييز ثابتها من باطلها، فها هنا طريقان:

١- طريق الأصل والسلامة والاحتياط للدِّين بالكف والإمساك عما شجر بينهم وهو الواجب على العامة.

٢- البحث بعلم وبصيرة ودين وهو خاص بعلماء الشرع الواقفين على صحيح الأخبار وسقيمها، ومقبولها ومردودها، الواردة في حقهم.

قال القحطاني في نونيته:

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى   بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم   وكلاهما في الحشر مرحومان

والشَّهادةُ لِمنْ شَهِدَ لهم النَّبيُّ ﷺ بالجَنَّةِ.

والاقْتِداءُ بهم، والتَّمسكُ بآثارِهم (١).

والله يــوم الحشر ينــزع كــل مــا تحوي صدورهم من الأضغان

ولعموم قول النبي ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**» صَحَّ من حديث ابن مسعود وابن عمر وثوبان رضي الله عنهم.

فقد أخرجه الطبراني في الكبير (٩٣١٢ و ١٩١ و ٢٧٨ و ١٤٢٧)، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ١٠٨، وابن عدي في الكامل ٦/ ١٦٢ و ٧/ ٢٥، وفي شرح أصول السنة للالكائي (٢١٠) و (٢٣٥١)، وفي تاريخ دمشق ١٤/ ١٥٥، وتاريخ جرجان للحافظ السهمي ٢٩٥، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء عن ابن مسعود، وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٨٦ على أول كتاب القدر، والسيوطي في تخريج المواقف (٧).

وانظر مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٢ و ٢٢٣، والاستخراج في تخريج الإحياء (٩٠ و ٣٣٨٥ و ٣٦٧٠ و ٣٤٠٤)، والتمهيد ٦/ ٨٦، والسلسلة الصحيحة (٨٤).

وسداً لذريعة القدح في بعض الصحابة أو سبهم أو النيل منهم.

والإمساك والكف عما حصل بينهم رضي الله عنهم مأثور عن الأئمة عمر بن عبدالعزيز وابن المبارك وأحمد بن حنبل، وانظر شرح اللالكائي ٧/ ١٢٥٢.

(١) كما سبق من قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات.. فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم» كما رواه في جامع بيان العلم وفضله.

ولأمر النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية وذلك في قوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**» الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه.

ولما في حديث الافتراق المشهور، في بعض ألفاظه: «**وإن أمتي ستفترق على ثلاث**

والإِيْمَانُ بأنَّ أبا بَكرٍ وعُمر رضي الله عنهما ضجيعا رسَولِ الله ﷺ في حُجْرَةِ عَائِشَةَ، دُفِنَا معه هناك، كَذا الرِّوايةُ عن ابنِ عَبَّاسٍ ـ رحمةُ الله عليه ـ أنَّه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُوْل: «صَاحبَّي ووَزيريّ وخَليفتي ومُؤْنِسيّ وضَجيعيّ أَبو بكر وعُمر»(١).

وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

كذا في رواية يحيى بن سعيد عن أنس وفي حديث عبدالله بن عمر وعند الترمذي (٢٦٤١) وغيره.

وفي حديث أبي الدرداء وابن عباس وسعيد وعلي وابن عمر وجابر وأبي هريرة رضي الله عنهم، وأكثر الروايات فيها هم الجماعة أو الجماعات.. اهـ، ملخصاً من حديث الافتراق طرقه ورواياته.

ولأنهم كما روى الإمام أحمد ١/ ٣٧٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه فيهم: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء».

وأخرجه في فضائل الصحابة ١/ ٣٦٧، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ٣٣ (٢٤٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ١٦٦، والطبراني في الكبير ٩/ ١١٨ (٨٥٨٢ و ٨٥٨٣)، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ٧٨.

وقال في المجمع ١/ ١٧٧: «رواه أحمد والبزار ورجاله موثوقون» اهـ.

(١) لم أجده هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وإنما:

١- روى الطبراني في الكبير ١١/ ١٤٤ (١١٤٢٢) من طريق عبدالرحمن بن نافع ثنا

. . . .

محمد بن مجيب عن وهيب بن الورد المكي عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء نقباء. قلنا يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: اثنين من أهل السماء واثنين من أهل الأرض: جبريل وميكائيل، وأبو بكر وعمر**».

رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ١٦٠، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ١٤١، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٩٧ كلهم من طريق عبدالرحمن بن نافع به.

وعلته عندهم محمد بن مجيب، وهو الثقفي الصائغ الكوفي البغدادي، ذاهب الحديث، مجمع على تركه، كما ذكره الخطيب في التاريخ، وابن أبي حاتم في الجرح ٨/ ٩٦، والعقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٦٢ (١٧٤١)، والتهذيب ٩/ ٣٧٩.

وقال في المجمع ٩/ ٥١: «فيه محمد بن مجيب الثقفي وهو كذاب، ورواه البزار بمعناه وفيه عبدالرحمن بن فعول وهو كذاب» اهـ.

وهو في زوائد البزار ـ كشف الأستار ـ برقم (٢٤٩١).

٢- وأخرجه أسلم الواسطي بحشل في تاريخ واسط ١٨٥ و ٢٣١، وابن عدي في الكامل ٥/ ٣٢ في ترجمة عمر بن أبي معروف المكي كلاهما عنه عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه بلفظ: «**إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض**» فذكرهم لكن فيه عمر بن أبي معروف وليس يُعرف ومنكر الحديث. قاله ابن عدي، وانظره في اللسان ٤/ ٣٣٢. مع ضعف في ليث بن أبي سليم.

٣- وللخبر شاهد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «**ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض. .**» فذكر مثل حديث ابن عباس.

رواه الترمذي في آخر مناقبهما (٣٦٨٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.

. . . .

وأخرجه ابن عدي في ترجمة تليد بن سليمان أبي إدريس ـ أحد رواته ـ في الكامل ٢/ ٨٦ (٣٠٧)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٥٨٨ من طريقه.

وفيه عطية العوفي ضعيف مدلس، وتليد بن سليمان ضعيف جداً، وانظر التهذيب ١/ ٤٤٧.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٤ من طريق آخر عن عطاء بن عجلان عن أبي نضرة عن أبي سعيد بمثله، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإنما يُعرف هذا الحديث من حديث سوار بن مصعب عن عطية العوفي عن أبي سعيد، وليس من شرط هذا الكتاب» اهـ، يعني مستدركه. ووافقه الذهبي على الأول، وسكت على السند الثاني.

وأخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة ٢١٣ (١٤٥) من طريق سوار به عن أبي سعيد بمثله.

وسوار بن مصعب هو الهمداني الكوفي تركه النسائي وغيره، وقال البخاري: منكر الحديث.

ترجمته في: الميزان (١٦١٦)، والكامل (٨٧١) ٣/ ٤٥٤، واللسان ٢/ ١٢٨-١٢٩، والتاريخ الكبير ٢/ ١٦٩.

٤- وروى ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٤٢ من طريق الدارقطني وابن حبان بسنده عن أنس نحوه وقال موضوع.

وكذا قال ابن حبان في ترجمة زكريا بن دريد ـ أحد رواته ـ من المجروحين ١/ ٣١٤، وانظره في الميزان (٢٨٧٤)، وتنزيه الشريعة ١/ ٣٤٨، واللالىء المصنوعة ١/ ٣٠٦، والفوائد المجموعة ٢٩٩.

٥- وذكر في كنز العمال شاهداً عن أبي كعب رضي الله عنه، وعزاه لتاريخ ابن عساكر لدمشق، كما في الكنز (٣٢٦٦٠).

. . . .

* وعلى كل حال فالحديث ضعيف من طريق أبي سعيد، ولا يتقوى بالشواهد المذكورة لشدة ضعفها أو وضعها.

وفي صحيح مناقب الشيخين غنية عن مثل هذه الروايات، وكونهما صاحباه وخيلفتاه ومؤنساه وضجيعاه، هو الواقع والثابت المستفيض في حالهما معه ﷺ.

روى اللالكائي في شرح السنة ٨٠/ ١٣٧٢ (٢٦٢٨) بسنده عن أبي بكر محمد بن عبدالخالق قوله:

وهما ضجيعاه معاً في حفرته | وخير من قام له من قبلته
وصلبا من بعده لأمته | ووفيا من بعده بذمته
وسلكا في الحكم قصد سيرته.. اهـ

ووقفت بعد على حديث رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعليا، فجعلهم أصحابي، وقال في أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار من أمتي أربعة قرون: الأول والثاني والثالث والرابع**».

أخرجه البزار عن جابر مرفوعاً صحيحاً، قاله القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٩٧، وانظر أيضاً ١٣/ ٣٠٥.

وقال في المجمع ١٠/ ١٦: «رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم اختلاف» اهـ.

ورواه الخطيب في تاريخه، والبرقاني، كما في التاريخ ٣/ ١٦٢.

وانظر الميزان (٤٣٨٣)، والمجروحين ٢/ ٤١، والجامع الكبير (٢٦٢٤)، والكنز (٣٣٠٩٤ و ٣٣٧٠٨)، والشفاء للقاضي عياض ٢/ ١١٩، ونحوه حديث عويم الأنصاري ويأتي في آخر الباب إن شاء الله.

والإِقْرَارُ بأَنَّ الخِلافَة في قُرِيشٍ ما بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثْنَانِ، لا يُنازَعُونَ فيها ولا تُقَرُّ بها لِغَيْرِهم(١).

الرد على الرافضة والناصبة وبيان مدحتهم في سائر الكتب

ومَنْ نَطقَ في أَصحابِ رَسُولِ الله ﷺ، وفي أَزوَاجِهِ وأَهلِ بَيتِهِ، بِكلمةٍ غَيْرِ صَوابٍ فهو صَاحِبُ هوىً، أوسَمَهم المَظْلَمَة التي تُوهب(٢)، لأَنَّ الله تعالى قَدْ مَدَحَهم وشَرَّفهم وأَثْنَى عليهم في القُرآنِ وفي سَائِرِ

(١) لما صح في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي فيهم اثنان**».

ولما فيهما من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين**».

رواهما البخاري موصولين في كتاب الأحكام وغيره ـ باب الأمراء من قريش (٦٧٢١ و ٦٧٢٠)، ومسلم كلاهما في كتاب الإمارة، والأول في باب الناس تبع لقريش (١٨٢٠)، والثاني في باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٨٣٥).

ولكن إذا انعقدت البيعة لغير قرشيٍّ فلا يصح والحالة هذه ـ الإقرار بها للقرشي لعموم ما رواه مسلم من حديثي: أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**».

وحديث عرفجة رضي الله عنه مرفوعاً: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه كائنا من كان**».

رواهما مسلم في الأمارة (١٨٥٣ و ١٨٥٢).

وانظر لتفصيل الحال ومحترزاتها التبصير في معالم الدين لابن جرير ١٥٤-١٦٢.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل المراد: التي توهب له في نفسه لظلمه لهم!

الكُتب والصُّحفِ، وفَضَّلهم على جَميعِ خَلْقِه سِوَى النَّبيينِ والمُرسَلينِ، وأظهرَ دَرجاتِهِم ورُتَبهَم لقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أَبُو بَكرٍ، ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ عُمَرُ، ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ عُثمانُ، ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ عَليٌّ، ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾ طَلْحَةُ، ﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ زُبَيْرٌ، ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ سَعْدٌ، ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ سَعيدٌ، ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ عَبدُالرَّحمنِ، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أَبو عُبَيْدَةَ ابنُ الجَرَّاحِ[1]. [التوبة: ١٢٢]

وقال ابنُ عَبَّاسٍ ـ رحمةُ الله عليه ـ: «نَزلتْ هذه الآيةُ بِتَقْدِيمِ الصَّحابةِ بالفَضلِ والشَّرفِ والمَنْزلَةِ لِبَعْضِهم على بَعْضٍ»، وهو قَوْلُه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ يعني: أَبَا بَكرٍ، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ يعني: عمرَ، ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ عُثْمانَ، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ عليًّا، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾

---

(١) تعيين المؤلف هذه الأوصاف بمعينين ليس عليه دليل ويأتي الجواب عنه إن شاء الله في الكلام على آية الفتح.

وخبر ابن عباس رضي الله عنهما لم أجده، وفي تفسيره المنسوب إليه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه المسمى تنوير المقياس ٤٤٤ على آية الأحزاب:

«﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الموحدين من الرجال، والموحدات من النساء، والمقرين من الرجال والمقرين من النساء والمطيعين من الرجال والمطيعات من النساء، والصادقين في إيمانهم من الرجال وفي إيمانهن من النساء، والصابرين على ما أمر الله من الرجال وعلى ما أمر الله من النساء، والمتواضعين من الرجال والمتواضعات من النساء، والحافظين فروجهم عن الفجور من الرجال. . » اهـ.

طلحة، ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ زُبَيْر، ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ سَعد، ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ سَعيد، ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عَبدُالرَّحمن، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أَبو عُبيدة، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ يعني: هم عَشرةُ مع أهاليهم، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني به مُحْبِيهُم. [الأحزاب: ٣٥]

وقوله تعالى دَالأعلى مَدْحِهم في سَائر الكُتب: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أَبو بَكرٍ، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عُمرُ، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عُثْمانُ، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ عَليٌّ بن أَبي طَالبٍ، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يعني به النَّبيَّ ﷺ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ يعني: أَبا بكر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ يعني به: عُمرَ، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ يعني به: عُثمانَ بنَ عفَّانَ، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يعني به عَليَّ بنَ أَبي طَالبٍ(١)، [٩١/ب]

---

(١) روى نحو هذا في فضائل الصحابة للإمام أحمد من زيادات القطيعي ١/ ٤٣٤ (٦٩٠) ثنا الحسن ثنا لؤلؤ بن عبدالله أبو بكر العوفي أخبرنا محمد بن عبدالرحمن بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي بن أبي طالب، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة والزبير، ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ عبدالرحمن بن عوف وسعد، ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ المؤمنون المحبون لهم، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ المبغضون لهم، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

ولكن هذا الإسناد تالف فيه الحسن وهو ابن علي بن زكريا أبو سعيد العدوي البصري، كذبه ابن عدي والعميري، وتركه الدارقطني، مات سنة (٣١٩هـ).

ترجمه في: تاريخ بغداد ٧/ ٣٨١، وبه علمنا أن الخبر من زيادات القطيعي، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج ٧/ ٩٧ وما بعدها على زيادات القطيعي على فضائل الصحابة: «. . وزاد أبو بكر القطيعي زيادات، وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة كذب موضوعة. . فهذا القطيعي يروي عن شيوخه زيادات، وكثير منها كذب موضوع. .».

وانظر شيخ الإسلام وجهوده في الحديث ١/ ٥٤١-٥٥١.

وذكره عن علي المحب الطبري في الرياض النضرة ١/ ٢٢٨، ونقله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٢٥٩ عن رواية ابن خيثمة عن ابن مسعود نحوه. وروى هذا التعيين في تنوير المقياس المنسوب لابن عباس رضي الله عنهما ـ وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ونص شيخ الإسلام أنها مكذوبة في الفتاوى ١٣/ ٥٨٩ (٥٤٦) وأخرجه عنه ابن مردويه وغيره كما في الدر المنثور ٦/ ٨٣، وروى نحوه عن الحسن البصري كما في زاد المسير ٧/ ١٧٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٢٥.

وقال به جعفر الصادق في المناظرة مع الرافضي ١٣١-١٣٢، ومع هذا فإن الصحيح من تفسير هذه الآيات أنها أوصاف ونعوت من اتصف بها استحقها، ومن أولى هؤلاء كبار أصحاب نبينا محمد ﷺ المذكورين!

أما تعيين الأوصاف في موصوفين بذواتهم فقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من الباطل كما في منهاج السنة ٧/ ٢٢٩-٢٣٠، فقال: «لكن هذه التفاسير الباطلة يقول مثلها كثير من الجهال، كما يقولون: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي، يجعلون هذه الصفات لموصوفات متعددة، ويعيّنون الموصوف في هؤلاء الأربعة، والآية صريحة في إبطال هذا وهذا، فإنها صريحة في أن هذه الصفات كلها لقوم

أنهم كُفارٌ[1]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾

يتصفون بها كلها، وإنهم كثيرون ليسوا واحداً، ولا ريب أن الأربعة أفضل هؤلاء، وكل من الأربعة موصوف بذلك كله، وإن كان بعض الصفات في بعض أقوى منها في آخر» اهـ.

(١) استدل الإمام مالك على كفر الرافضة بهذه الآية، لأنهم مغتاظون من أصحاب النبي ﷺ والله أخبر أنه سيغيظ بالنبي وأصحابه الكفرة حيث قال: «ومن أصبح في قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية» اهـ.

وقال الشافعي: «لا آمن أن يكونوا قد ضارعوا الكفار، يعني الرافضة، لأن الله يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾» اهـ.

نقله عنهما ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٧٥، ورواه عن مالك بسنده الواحدي في تفسيره ٤/ ١٤٧، كما ذكره القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٩٦-٢٩٧، والبغوي في تفسيره ٧/ ٣٢٨، وذكره عنهما في اتحاف ذوي النجابة ٥٨ و ٦٤ وصوبه، ونقله ابن كثير في تفسيره عنه ووافقه عليه طائفة من العلماء ٤/ ٢٠٤.

وكذلك استدل بالآية النسائي في فضائل الصحابة ٦١ على النهي عن سبهم.

يشهد له ما رواه الحاكم بسنده ٢/ ٤٦٢ عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ قالت: «أصحاب محمد ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره في الدر المنثور ٦/ ٨٤.

ولما رواه الطبراني في الكبير ١٧/ ١٤٠ (٣٤٩) والحاكم في المستدرك من حديث عويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً**».

يعني: أصحاب النبيِّ ﷺ، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني به: مُحِبِّيهم[1].
[الفتح: ٢٩]

أيضاً في قوْلِه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. [آل عمران: ١١٠]

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية. [التوبة: ١٠٠]

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه ووافقه الذهبي.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٨٣، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١١، والخطيب في التاريخ ٢/ ٩٩ و ٣/ ١٦٢ و ١٣/ ٤٢٣، وذكره السيوطي في الجامع الكبير (٤٦٢٩-٤٦٣٣) بعدة ألفاظ، وفي كنز العمال (٣٢٤٦٦-٣٢٤٦٨).

وذكره القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٩٧.

(١) للمفسرين فيها قولان:

١- أن (من) لبيان الجنس فيكون الوعد لجنس الصحابة. قاله ابن الأنباري وغيره.
٢- وهذا الوعد الكريم لمن قام على العمل الصالح من الصحابة، وممن بعدهم لقوله (منهم) ولم يقل (منه) فهي عامة.

واختار هذا ابن جرير ٢٦/ ١٤٩، والبغوي ٧/ ٣٢٩، وذكرهما ابن كثير، واختار العموم ٤/ ٢٠٥.

وذكرهما النحّاسُ في معاني القرآن ٦/ ٥١٨، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٩٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٧٥، ونقله عن الزجاج، وأبو الليث في تفسيره ٣/ ٢٥٩، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٤٧.

والعموم هو مقتضى كلام المؤلف والله تعالى أعلم.

وقَوْلُ الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (أي: عَدْلاً) ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني به: أصحاب النَّبيِّ ﷺ.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(١) [النساء: ١١٥]

يعني به: مبغضيهم من الرافضة.

وقَوْلُه تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. [الفتح: ١٨]

---

(١) فإن المشار إليهم في هذه الآيات هم المخاطبين بالوحي أولاً، وهم بالضرورة من نزل فيهم الوحي: النبي ﷺ وصحابته.

فهم خير أمة، وهم السابقون إلى الإسلام، وهم الأمة الوسط العدل، الشهداء على الأمم، وهم المؤمنين الذين أمرنا باتباع سبيلهم، وانتهاج منهجهم.

حتى روى ابن أبي حاتم بسنده عن مالك قال: كان عمر بن عبدالعزيز يقول: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فيما خالفها، من اقتدى بها مهتدٍ، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وصلاه جهنم وساءت مصيراً» اهـ، نقله عنه في الدر المنثور ٢/ ٣٩٣.

ولا ينافي هذا كون المراد بالمؤمنين جميعهم ـ ولذا عُدَّت الآية من أدلة الإجماع ـ، إلا أن الصحابة أول من تتناوله، وراجع تفسير ابن جرير ٥/ ٣٧٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٥، وتفسير السمرقندي ١/ ٣٨٨.

قالوا: كَانوا أَلْفاً وثَلاثَمائةِ نَفرٍ(١).

وجاء في ذِكْرِهِم ما هو أكْثَرُ مِنْ ذلك، واقْتَصَرْنا عى أَيسرِها ففيه كِفَايةٌ وبَلاغٌ لِمنْ وفَقَه الله له، والله وليُّ الكِفَاية.

---

(١) المشهور في الصحيحين أنهم ألف وأربعمائة كما في حديثي:

١- جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لهم يوم الحديبية: «**أنتم خير أهل الأرض**» وكنا ألف وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

رواه البخاري في مواضع منها المناقب والمغازي ـ باب غزوة الحديبية (٣٩٢٣)، ومسلم في الإمارة رقم (٧١٠).

٢- البراء بن عازب رضي الله عنه: «أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا رسول الله ﷺ فأتى النبي فقعد على شفرها فبصق في دلوها ثم قال: **دعوها ساعة**، فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا».

رواه البخاري في كتابي المناقب والمغازي ـ باب عزوة الحديبية (٣٩٢٠) و (٣٣٨٤).

كما ورد في البخاري عن جابر أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة أي خمس عشر مائة.

كما رواه في كتاب المناقب والمغازي باب غزوة الحديبية (٣٩٢١-٣٩٢٣).

كما روى الشيخان عن عبدالله بن أوفى رضي الله عنهما قال: «كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة».

رواه البخاري في المغازي ـ باب غزوة الحديبية (٣٩٢٤)، ومسلم في الإمارة ـ باب استحباب مبايعة الإمام الجيش (١٨٥٧)، وهومستند المؤلف فيما ذكر.

وفي العدد أقوال أخر ذكرها في مرويات غزوة الحديبية ٣٩-٥٣.

. . . .

وأكثر ما قيل أنهم كانوا ألفاً وثمانمائة، وأقل ما قيل أنهم كانوا سبعمائة!

لذا قال ابن القيم إلى ترجيح رواية جابر والبراء كما في زاد المعاد ٢/ ٢٨٨، ومَالَ النووي وابن حجر إلى مسلك الجمع باعتبار وجود كسر العدد أو الصبيان، وانظر شرح مسلم ١٣/ ٢، والفتح ٧/ ٤٤٠.

وعلى كل حال فالموضوع سهل عندي، لأنهم رضي الله عنهم لم يعتادوا ضبط الأعداد بالتدقيق، وتفاوت الروايات مرده إلى ضعف في بعضها أما الصحاح فمتقاربة والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

بَابٌ في فَضَائِلِ أَبي بكرٍ الصِّدِّيقِ(١)
رحمةُ اللهِ عليهِ مُفْرَداً

والدَّليلُ على أَنَّ أَبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ أَفضَل هذه الأُمَّة بعد نبيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُ الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾. [٩٢/أ] [التوبة: ٤٠]

---

(١) واسمه عبدالله بن عثمان أبي قحافة التيمي، وتيم من بطون قريش.

ومن أوصافه التي أضحت أعلاماً عليه:

١- الصِّدِّيق: حيث صدَّق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المواقف العديدة لما كذبه قومه!

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤].

فإن الذي جاء بالصدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي صدق به أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما قاله أغلب المفسرين، ونقله ابن جرير عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في تفسيره ٢٤/ ٣، وانظر المناظرة ١١٩ للإمام الصادق.

ولما في البخاري من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مطولاً وفيه قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**» مرتين فما أوذي بعده.

رواه البخاري متصلاً في موضعين في فضائل أبي بكر - من كتاب الفضائل (٣٤٦١)، وفي تفسير آية الأعراف: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] من كتاب التفسير (٤٣٦٤).

وأيضاً ما رواه البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد أحداً، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق،**

. . . .

وشهيدان» رواه البخاري متصلاً في مواضع ثلاثة أولها فضائل أبي بكر ـ من كتاب الفضائل (٣٤٧٢).

والمواقف التي صدق فيها أبو بكر رسول الله ﷺ لما كذبه الناس في خبر الإسراء والمعراج وقال: إني لأُصَدِّقُهُ فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوه أو رواحه» قالت عائشة رضي الله عنها فلذلك سمي أبو بكر الصديق. أخرجه الحاكم ٣/ ٦٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ١٥٨ (٦٩).

وفي الباب أخبار كثيرة مسندة عن النبي ﷺ وعن أصحابه يطول المقام جداً بها.

وانظر في معرفة الصحابة لأبي نعيم ١/ ١٥٤ وما بعدها، وتفسير ابن جرير على آية الزمر وآية براءة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، والمناظرة للإمام الصادق ١١٩ وما بعدها، والرياض النضرة ١/ ٧٩-٨٢.

٢- العتيق، وفيه معنيان:

(أ) كما في حديث الزبير رضي الله عنه قال: كان اسم أبي بكر عبدالله بن عثمان، فقال النبي ﷺ: **«أنت عتيق الله من النار»** فسمى عتيقاً.

رواه ابن حبان وصححه ١٥/ ٢٨٠ (٦٨٦٤)، والطبراني في الكبير ١/ ٦ (٧)، والبزار كما في كشف الأستار (٢٤٨٣)، وقال في المجمع ٩/ ٤٠: «ورجالهما ثقات» اهـ.

وأخرجه الحاكم وصححه ٢/ ٤١٥، والترمذي (٣٦٧٩)، وانظر شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ١٦٤، والطبراني ١/ ٩، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ١٥٠-١٥٢.

. . . .

(ب) ولأنه كان لا يعيش لأمه ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت: «إن هذا عتيق من الموت فهبه لي».

(ج) وقيل لجمال وجهه سمى كذلك.

ذكرهما أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ١٥٣-١٥٤ عن طلحة رضي الله عنه، وعن ابن سعد رحمه الله، وانظر: المعجم الكبير ١/ ٥، والمجمع ٩/ ٤١، وتاريخ الخلفاء ٢٩.

وعلى كل حال فهذا باب واسع وقد أطال فيه أبو محمد بن زنجوية البخاري (٣٥٩) في كتابه المخصوص بفضائل الصديق المسمى «الروض الأنيق في إثبات إمامة الصديق».

* وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خير الناس بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لأن الله اصطفاهم واختارهم من بين الناس، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال في سورة ص بعد ذكر جملة منهم: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

والدليل على خيرية الصديق بذلك ما رواه البخاري في الصحيح من طريق يحيى ابن سعيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم». أخرجه البخاري موصولاً في الفضائل ـ باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم (٣٤٥٥)، فإنه نص في الحديث على التخيير بين الناس عموماً، وأقرّهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

أما خيرية أبي بكر على أمة النبي صلى الله عليه وسلم فهي فرعٌ عما سبق، وقد دلَّ لها ما رواه أبو داود في سننه من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ: أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين».

فحذف الحرف الخافض فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ فنصبه وليس له ناصب[1] لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾. [الأعراف: ١٥٥]

ورواه أبو داود بسند صحيح في كتاب السنة ـ باب في التفضيل (٤٦٢٨).

ويدل كون التفضيل في أمة النبي ﷺ رواية البخاري الأخرى للحديث في الفضائل (٣٤٩٤)، عن ابن عمر بلفظ: «**كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم**».

وقد وردت خيرية هذه الأمة على من سبقها من الأمم في أخبار صريحة ومتضمنة، يطول المقام بها.

وهذا الخبر له حكم الرفع بإقرار النبي ﷺ على ذا التفضيل، وذلك لأمرين:

١- كونه وقع في زمنه، وهو حي فلم ينكره، ولم ينزل ما يعارضه.

٢- لما رواه الطبراني والإسماعيلي في مستخرجه وخيثمة في فضائل الصحابة زيادة على الخبر: «**فيسمع النبي ﷺ ذلك فلا ينكره**» ذكره عنهم الحافظ في الفتح ٧/ ٢٠.

هذا وقد اتفق أئمة المسلمين على أفضلية الصديق على هذه الأمة، بل حكى الإمام مالك إجماع أهل المدينة على ذلك. نقله ابن تيمية في الفتاوى ٤/ ٤٢١.

كما ذكر في ٤/ ٣٩٨-٣٩٩ الإجماع على أن الصديق أعلم الصحابة، ونقله عن السمعاني وغيره، وقرره كذلك في آخر العقيدة الواسطية، والمؤلف ابن الحنبلي استدل بأدلة أخرى على ذلك.

(١) هذا الذي ذكره المؤلف لم أجد من وافقه عليه، وإنما نُصب (ثاني) في الآية لكونه حالاً.

فلما حَذفَ الخَافِضَ نَصَبهُ[١]، فكان أَبُو بَكْرٍ رحمة الله عليه ثَاني[٢] رَسولِ الله ﷺ في اثْنَىْ عَشرَ مَوْضعاً في الإِسْلاَمِ والدَّعوةِ الكَثيرةِ إلى الله تعالى:

قال الزجاج في معاني القرآن ٢/ ٤٩٧: «وقوله ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] منصوب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفرداً إلا من أبي بكر رضي الله عنه» اهـ.

ووافقه عليه ابن جرير في تفسيره ١٠/ ١٧٥، وابن النحاس في معانيه ٣/ ٢١٠، والعكبري أبو البقاء في التبيان ٢/ ٦٤٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٩٨، والشوكاني في فتح القدير ٢/ ٣٦٢.

وكذا وافقه سيبويه في الكتاب ٢/ ١٧٢، والمبرد في المقتضب ٢/ ١٨١، وابن هشام في مغني اللبيب ١١٧، وإعراب القرآن من مغني اللبيب ١٠٣.

وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٣٦، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ٤/ ١٠٢.

(١) هذه الآية أشهر مثال من التنزيل على مسألة النصب بنزع الخافض، بل لم أجد لأهل العربية غيرها يستدلون به من القرآن عليها.

وهي محل خلاف، حيث يراها كذلك البصريون.

أما الكوفيون فيرون تعدي الفعل بنفسه هو الناصب لقومه، ورجح ذلك ابن جرير في تفسيره ٩/ ١٠١، وابن يعيش في شرح المفصل ٨/ ٥٠، وابن هشام في شرح الشذور ٣٧٢.

(٢) وهذه الآية من أشهر الآيات التي يُستدل بها على خيرية الصديق، ومن ذلك أن جعفر الصادق سئل في المناظرة ٩٥ وما بعدها: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قيل وما الحجة في ذلك؟ قال: قوله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ

بعضاً من خصائص الصديق رضي الله عنه

١- فإنَّه أَسْلَمَ في دَعْوتِه عُثْمَانُ وعَبدُالرّحمٰنِ والزُّبَيْرُ وسَعدُ وسَعيدٌ(١)، حتى قيل: إنَّ الإِسْلامَ قام بِدعَوةِ أَبي بَكْرٍ أَهلَ الأَرْضِ والسَّماءِ.

أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فمن يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما؟ وهل يكون أحد أفضل من أبي بكر إلا النبي ﷺ» اهـ.

حيث أخرج الشيخان من حديث أنس أن أبا بكر رضي الله عنهما حدثهم قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ في الغار، وأقدامُ المشركين فوق رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا! فقال: يا أبا بكر: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

رواه البخاري متصلاً في فضائل الصحابة - باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٣٤٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه (٢٣٨١).

وفي الآية دلائل عديدة على أفضلية الصديق تناولها ابن جرير في تفسيره لها ١٠/ ١٧٦-١٧٧ وأطال في عرضها والمناقشة فيها شيخ الإسلام في المنهاج ٨/ ٣٦٤-٤٩٢.

(١) وهم عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام ابن عمة النبي ﷺ وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهم.

ذكرهم ابن هشام عن ابن إسحاق كما في السيرة ١/ ٢٥٠ وما بعدها، وذكره في تراجمهم ابن عبدالبر في الاستيعاب، وابن الأثير في أسد الغابة، والحافظ في الإصابة.

وممن آمن بدعوة أبي بكر أيضاً: أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة المخزومي،

٢- وكان ثَانِيَ رَسَولِ الله ﷺ في شِرَاءِ المُعَذَّبِينَ في الله، وأَعْتَق مِنْهُم بِلاَلاً المُؤَذن رحمة الله عليه، وعَامِرَ بنَ فُهَيْرَةَ وغَيْرِهُما تَمامَ سِتَّةِ النَّفَرِ[١].

والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخوه عبدالله وقدامة، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وامرأة سعيد بن زيد: فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وعبدالله بن مسعود، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبي وقاص، ومسعود بن ربيعة، وجعفر بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص، وعامر بن ربيعة، وعبدالله بن جحش، وأبو حذيفة، وعمار وأبواه، وصهيب، ونسائهم، وأولاد الصديق وبناته ووالديه ومواليه رضي الله عنهم، وذكرهم ابن هشام في السيرة وابن المحب في الرياض النضرة ١/ ٩١.

وسبب ذلك أن أبا بكر كان رجلاً محبوباً سهلاً مألوفاً لقومه، وتاجراً معروفاً ذا خلق، ونسَّاباً عالماً حلو المجالسة، حيث كان يعرض الإسلام على من يتوسم فيه القبول من مجالسيه، وكان مكانه في السوق منتدياً.

(١) بل هم بالتتبع سبعة نفر، إبتاعهم الصديق من مواليهم وهم يعذبون في الله، وهم:

١- بلال بن رباح أعتقه من أميه بن خلف.

٢- عامر بن فهيرة أعتقه من الطفيل بن الحارث بن سخيرة.

٣- جارية بني مؤمل أعتقها من عمر بن الخطاب لما كان مشركاً!

٤- أم عبيس؛ فتاة لبني تيم بن مرة.

٥- زَنِّيرة، مولاة بني عبدالدار.

٦-٧ النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبدالدار.

وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣١٨-٣١٩، والاستيعاب لابن عبدالبر ٤/ ٥٠٠ و ٤٠٦ (٣٦١٦) و (٣٣٨٨)، وأسد الغابة (٦٩٤٨)، والإصابة ٨/ ٩١ و

٣- وَكانَ ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في إِنْفَاقِ مَالهِ على النَّبي ﷺ : أَرْبَعِين ألف دِينَار(١) .

---

١٧٩ و ٢٥٧ و ٢٦٣، والرياض النضرة ١/ ١٣٣-١٣٤ .

وفي هذا ما رواه الحاكم وصححه في مستدركه ٢/ ٥٢٥ من طريق إسحاق ثنى محمد بن أبي عتيق عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك؟

فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد! قال عبدالله: فيتحدث أنه ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قاله أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى آخر السورة [الليل: ٥-٧].

قال الحاكم عقبه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي ورواه محمد بن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣١٩ .

وأخرجه ابن جرير في تفسيره من طرق ٣٠/ ٢٧٨، وعزاه في الدر المنثور ٦/ ٦٠٧ إلى ابن أبي حاتم والبزار وابن المنذر والطبراني وعبد بن حميد وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر في تفاسيرهم وغيرها من طرق عن ابن الزبير وابن عباس وعن عروة بن الزبير وقتادة رضي الله عنهم .

(١) نقل ابن المحب في الرياض النضرة ١/ ١٣٢ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنفق أبو بكر على النبي ﷺ أربعين ألفاً» أخرجه أبو حاتم .

وعن عروة قال: «أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً أنفقها كلها على رسول الله وفي سبيل الله»، وحديث عائشة أخرجه ابن حبان وصححه ١٥/ ٢٧٤ (٦٨٥٩) وسنده جيد .

وذكر ذلك أيضاً جعفر الصادق في المناظرة ١١١ .

٤- وكَانَ ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في الرَّأْيِ والمَشُورَةِ، حين أَمَرَه الله في مُشَاورتِهم[١].

ولذا قال النبي ﷺ: «**إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته**» متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٥٣ و ٣٦٦ بسند صحيح عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نفعني مال قط، ما نفعني مال أبي بكر**» فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. ورواه في فضائل الصحابة.

ورواه الترمذي في المناقب ـ مناقب أبي بكر (٣٦٦١) وحسنه، وابن ماجه في المقدمة (٩٤)، والنسائي في فضائل الصحابة (٩).

وابن حبان وصححه ١٥/ ٦٨٥٨، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٦ (هندية)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٩) من طرق عنه به.

والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٢٧٩ (١٥٩٩) وفي معانيه ٤/ ١٥٨ وأطال عليه في الأول. والمقصود أن الأحاديث والآثار في إنفاق الصديق ماله كله على رسول الله ﷺ ودعوته كثيرة، وانظر للتوسع سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٨، والرياض النضرة ١/ ١٢٨-١٣٣٠، وحاشية المناظرة ١١٠-١١٤.

(١) كأنه يشير إلى عموم قوله تعالى في آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي هذا ما يثبت في البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ في بضع عشرة مائة من أصحابة، فلما أتى ذا الحليفة، قلّد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينُه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا

٥- وكَانَ ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في العَرِيش يَوْمَ بَدْرٍ(١).

٦- وكان ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في الصُّحبَةِ(٢) إلى المَدِينَةِ.

لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال ﷺ: «**أشيروا أيها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محروبين**».

قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجّه له، فمن صدنا عنه قاتلناه.

قال ﷺ: «**امضوا على اسم الله**».

رواه البخاري موصولاً في سبعة مواضع أتمها في المغازي ـ باب غزوة الحديبية (٣٩٤٤)، وأصرح منه ما رواه تمام في فوائده بسنده من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تعالى أمرك أن تستشير أبا بكر**» رواه أبو سعيد النقاش وذكره في الرياض النضرة ١/ ١٦١ وفي جمع الجوامع للسيوطي ٢٩٣، والدر المنثور ٢/ ١٥٩ وما بعدها.

(١) لما روى البخاري في صحيحه متصلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قبة (في العريش): «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٥-٤٦]

رواه البخاري في أربعة مواضع أولها في الجهاد ـ باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب (٢٧٥٨).

(٢) يعني في الهجرة، ومضت الآية الدالة على ذلك وهما في غار جبل ثور.

٧- وكان ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في الصَّلوٰةِ إِذْ أَقَامه مقَامَ نَفْسِهِ(١).

٨- وكان ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في قِتَالِ أَهلِ الرِّدَةِ.

٩- وكان ثَانِيَ رَسُولِ الله ﷺ في الخِلَافَةِ(٢).

---

(١) بل أصرَّ ﷺ أن لا يصلي بالناس في مرضه الذي مات فيه إلا أبو بكر، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأُذن، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فخرج أبو بكر فصلى، فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة، فخرج يُهادي بين رجلين، كأني أنظر رجليه تخطّان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه».

فقد رواه البخاري في كتاب الجماعة والإقامة ـ باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٦٣٣)، ومسلم في الصلاة ـ باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٤١٨).

واستخلفه لما ذهب يصلح بين بني عمرو بن عوف في صلاة العصر، وأمره بلالاً بذلك وصلاته بالناس أيام مرض النبي ﷺ إلى وفاته، ولم يصل أحد مكان النبي ﷺ في وجوده غيره.

وهذا من أدلِّ الدلائل الاعتبارية المنبهة على أولويته وأحقيته بالخلافة بعد النبي ﷺ، حيث كان يقيمه عن نفسه في الصلاة إذا تأخر عنها لعذر وهو في المدينة.

(٢) في هذا والذي قبله أنه رضي الله عنه كان الثاني بعد رسول الله ﷺ في قتال الكفرة ـ والمرتدين منهم ـ وفي تولي أمر المسلمين بعد النبي ﷺ.

***

قوة إيمان الصديق وفقهه في أهم المواقف

وكان أَوَّلَ ما أبدأ عليه عِلْمُ رسولِ الله ﷺ وعِلْمُ كِتَابِ الله بعد ما مَاتَ النَّبيُّ ﷺ وفي الإِخْفَاءِ الذي خَفِيَ على جَمِيعِ أَصحابِ رسولِ الله ﷺ إلاَّ عليه:

١ - أَوّلُها مَوتُ النَّبيِّ ﷺ، فإنَّهُ حين مَاتَ ﷺ، غَفَلَ الكُلُّ عن مَوْتِهِ إلا أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رحمة الله عليه، وإنَّ عُمَر رضي الله عنه قَامَ على بَابِ المَسجِدِ مَسلُولَ السَّيفِ، وهو يقول: «والله ما مَاتَ مُحَمدٌ ولا قُتِلَ ولا يَموتُ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ قَوْمٍ وَأَرْجُلَهُم، يَزْعُمون أَنَّ مُحمداً مات، وإنَّ الله تعالى غَيَّبَهُ كما غَيَّبَهُ مُوسى[1]، ورَفَعه كما رَفَع عِيسى». [٩٢/ب]

وقَامَ كذلك عُثمانُ على بَابِ المَسجدِ مَسلُولَ السَّيفِ وهو يَقُول: «والله ما قَال أَحدٌ مَات مُحَمدٌ ﷺ إلا ضَربتُ عُنُقَهُ بِسَيْفي هذا»، حتى جَاء أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رِضَوانُ الله عليه وكَان غَائِباً بقرية يُقَالُ لها السُّنْحُ[2]، فلما دَخلَ بَيْتَ عَائِشَةَ رِضْوان الله عليها فإِذَا بِرَسُولِ الله

(١) لعل مراده كما غيب موسى لما جاء لميقات ربه أربعين ليلة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٥١]، والله أعلم.

(٢) هي العالية ـ كما فسرها راوي الحديث ـ وهي جنوب غرب المدينة، وتسمى الآن بالعوالي وهي محلة زراعة كثيرة لا سيما النخيل، وإليها تنسب تمرة العجوة التي امتدحها النبي ﷺ.

وانظر معجم البلدان ٣/ ٢٦٥، وفيه ذكر أن بينه وبين منزل النبي ﷺ ميل.

ﷺ مُسَجًّى، عليه رِداءٌ، فكَشَفَ عن وَجْهِهِ وقبَّله وقال: «بِأَبي أنت وأُمي يا رسَولَ الله، ما أَطيبكَ حَيّاً ومَيتاً، وبكَى وخَرجَ يَجُرُّ رِداءَه حتى دخَلَ المَسجِدَ، وعَمُر يَحْلِفُ وهو يَقُول: «والله ما مَاتَ مُحمَدٌ ولا قُتِلَ»، فقال أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رِضْوان الله عليه: «عَلَى رِسْلِكَ أَيُّها الحَالِفُ، ثم صَعِدَ المِنْبَر وأَقبلَ على النَّاسِ بِوَجهه، فَحمَدِ الله وَأَثْنَى عليه، ثم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ أَلا مَنْ كان يَعْبُدُ الله فإنَّ الله حَيٌّ لا يَموتُ، ومَنْ كَان يَعبدُ مُحَمداً أو يَراه إِلٰهاً، فإنَّ إِلٰهه قَدْ مَاتَ»، ثم قَرأَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية. [آل عمران: ١٤٤]

فرمى عُمَرُ سَيْفَهُ مِنْ يَده وغُشِيَ عليه، وكذلك عُثمانُ. قال عُمَرُ: «والله ما قَدَّرتُ[١] هذه الآيةَ نَزَلَتْ إلا في ذَلك اليَوْمِ، فَأَيْقَنَ الكُلُّ بِموتِ النَّبيِّ ﷺ.[٢]

---

(١) أي: ما ظننت، وهي كلمة دارجة في زمن المؤلف إلى الآن.

(٢) لم أقف على بعض ما ذكره المؤلف، ومن ذلك مشابهة عثمان لعمر في إنكاره موت النبي ﷺ، ولذا أسوق ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفضائل ـ باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ (٣٤٦٧) للقصة:

من طريق عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْحِ ـ قال إسماعيل: يعني بالعالية ـ فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك

. . . .

الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فنشج الناس يبكون، وقال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر، لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله.

وقال عبدالله بن سالم، عن الزبيدي، قال عبدالرحمن بن القاسم: أخبرني القاسم: أن عائشة رضي الله عنها قالت: شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**» ثلاثاً، وقص الحديث. قالت: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقاً، فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾.

* * *

موقفه في موضـع دفنـــه ﷺ

٢- ثم اخْتَلَفُوا في مِيرَاثِ النَّبيِّ ﷺ وفي دَفْنِهِ، فقال قَوْمٌ: يُدفَنُ عند المِنْبرِ، وقال قَوْمٌ: يُدفن في الرَّوضَةِ، وقال قَوْمٌ: يُدفَنُ في البَقيعِ، وكان عَليٌّ مِمَّنْ يَقولُ يُدْفَنُ عند المِنبر. فقال أَبُو بَكرٍ: «إنَّ عندي بِذَا عِلْماً، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «ما دُفِنَ نَبيٌّ إلاّ في المَوْضِعِ الذي مَاتَ فِيهِ» أو قال: «قَبَضَهُ الله فيه»[1] فرجَعوا إلى قَوْلِ أَبي بَكرٍ رحمةُ الله عليه، وخَطُّوا حَولَ فِرَاشِهِ وَدَفَنُوهُ ﷺ في ذلك المَوْضِعِ.

---

(١) الحديث مروي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم يروونه عن أبي بكر عن النبي ﷺ:

١- فقد أخرجه الترمذي في الجنائز ـ باب ٣٣ ثنا أبو كريب، ثنا معاوية عن عبدالرحمن ابن أبي بكر عن ابن مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه» ادفنوه في موضع فراشه.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وعبدالرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه، وقد رُوي هذا الحديث من غير هذا الوجه، فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أيضاً» اهـ.

وأخرجه الترمذي أيضاً في الشمائل المحمدية (٣٧١).

وأخرجه البزار في مسنده ـ البحر الزخار ـ ١/ ١٣٠ (٦١) وكرره في ١٨٦ به، وقال: «وهذا الكلام لا نعلم رواه عن النبي ﷺ إلا أبو بكر، ورواه عن أبي بكر ابن عباس وعائشة» اهـ.

وأخرجه كذلك من طريق أبي كريب به المروزي في مسند أبي بكر الصديق (٤٣).

وعلة هذا الطريق عبدالرحمن المليكي فإنه ضعيف من السابعة، ترجمه في التهذيب

. . . .

١٤٦/٦، والميزان ٣/ ٣٢٩.

ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ١/ ٤٦ (٤٥) من طريق إسحاق بن إبراهيم عن أبي معاوية به بلفظ: «**لا يُقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه**» ولكن أبو كريب احفظ وأوثق وأضبط فيه من إسحاق الهروي.

ورواه المروزي في مسند الصديق (١٣٦) من طريق أخرى عن ابن إسحاق عمن حدثه عن عروة عن عائشة بلفظ: «**إنّه لم يُدفن نبي إلا حيث قبض**» وفيه إبهام شيخ ابن إسحاق.

٢- وأخرجه ابن ماجه في الجنائز ـ ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١٦٢٨) من طريق ابن إسحاق ثنى حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس في حديث طويل فيه اختلاف الصحابة حول مكان دفن النبي ﷺ حتى قال أبو بكر: «**ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض**».

وأخرجه البزار في مسنده ١/ ٧٠ (١٨) من طريق ابن إسحاق به مختصراً، وكذا أخرجه المروزي في مسند الصديق (٢٦ و ٢٧).

وهو: أبو يعلى في المسند ١/ ٣١ (٢٢ و ٢٣).

وابن عدي في الكامل ٢/ ٣٤٩ في ترجمة الحسين بن عبدالله (٤٨٠).

ومن طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل ٧/ ٢٦٠، ورواه أيضاً من سبعة طرق بعضها موصول وبعضها مرسلٌ، وذكره ابن هشام في السيرة ٤/ ٦٦٣ كلهم من طريق محمد بن إسحاق به.

وعلة هذا الطريق الحسين بن عبدالله: فهو ابن عبيدالله بن عباس الهاشمي، تركه الإمام أحمد ابن المديني، والنسائي، وقال البخاري: يقال إنه يتهم بالزندقة وقواه ابن عدي، ولذا قال الحافظ فيه: ضعيف.

وانظر الكامل والتاريخ الصغير ٢/ ٥٤، وباقي رجاله ثقات.

. . . .

وللحديث متابع عند ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٩٢ من طريق الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس به.

ولكن الواقدي وشيخه ضعيفان كما في التقريب.

وأخرج هذه الطريق البيهقي في الدلائل ٧/ ٢٦١.

٣- وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٧ من طريق ابن جريج عن أبيه أن أصحاب النبي ﷺ لم يدروا أين يقبرون النبي ﷺ، حتى قال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لن يُقبر نبي إلا حيث يموت**» فأخروا فراشه فدفنوه.

ورواه عبدالرزاق في مصنفه (٦٥٣٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ١٥٥٣ (١٨٨٦٨) (الهندية)، وابن راهوية في مسنده ٣/ ٧٣٩ (٨٠٥)، والمروزي في مسند الصديق (١٠٥)، وابن النجار في الدرة الثمينة في أخبار المدينة: ١٢٥.

وعلته والد ابن جريج: عبدالعزيز بن جريج لين الحديث، ولم يسمع من أبي بكر فالإسناد به ضعيف.

٤- وأخرجه الترمذي في الشمائل (٣٩٧) بسند صحيح عن سالم بن عبيد - وكانت له صحبة - في حديث طويل في خبر موت النبي ﷺ عن أبي بكر بلفظ: «**يدفن في المكان الذي قبض الله فيه روحه**».

وأخرجه كذلك النسائي في الكبرى - كتاب الوفاة (٤٢)، وعبد بن حميد في المنتخب (٣٦٥)، والطبراني في الكبير ٧/ ٥٦ (٦٣٦٦)، وبحشل في تاريخ واسط ٥٧، وابن خزيمة في الصحيح (١٦٢٤)، والبيهقي في الدلائل ٧/ ٢٥٩، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٧١.

كلهم من طرق عديدة عن سالم بن عبيد به.

موقف الصديق من إرث النبي ﷺ

٣- ثُم اخْتَلفُوا في مِيرَاثِ النَّبيِّ ﷺ وَتَركَتِهِ، فجاء عَليٌّ والعَبَّاسُ وفَاطِمةُ رِضْوان الله عَلَيهِما وعَلَيْها، وَطَالَبُوهُ بِتَركةِ النَّبيِّ ﷺ فقال أَبُو بكرٍ رضي الله عنه، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبياءِ لا نَرثُ ولا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدقَةً»، ويقَولُ: «إِنَّمَا يأكُلُ آلُ مُحمدٍ ﷺ مِنْ هَذَا المَالِ»[1]، وكان ﷺ لا يَأْخُذُ مِنه إلا نَفقَةَ نِسَائِه،

٥- ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٩٣ من طريق أبي بكر عن عمر بن حفص بن عاصم بن أبي بكر يرفعه بلفظ: «ما مات نبي قط في مكان إلا دفن فيه».

والحديث عزاه السخاوي في المقاصد ٣٦٩ إلى ابن منيع في مسنده عن أبي بكر مرفوعاً، وانظر الخصائص الكبرى ٢/ ٢٧٨ للسيوطي، والدلائل للبيهقي ٧/ ٢٥٩-٢٦٢ وفيه جمع ثمان طرق للحديث، والأحاديث الواردة في فضائل المدينة (١٦٠).

فالحديث صحيح بمجموع الشواهد والمتابعات والحمد لله رب العالمين.

(١) لما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن فاطمة ـ عليها السلام ـ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسوله، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، ومابقى من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، وما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ـ يعني مال الله ـ ليس لهم أن يزيدوا على المأكل».

وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ.

فتشهد عليٌّ ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك، وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم، فتكلم أبو بكر، فقال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أَصِلَ من قرابتي.

عَامِلِهِ[١] ، وإنَّما أُسَلِّمُه إلى أَيْدِيكم على هذا الشَّرطِ مِنْ غَيرِ أنْ تَجعلُوه مِيرَاثاً ، وأنِّي لَمْ أَرَ رَسُولَ الله ﷺ يَصْنَعُ شَيئاً إلاَّ صَنعتُ مِثْلَ الذي صَنَع ، فَرضُوا بذلك[٢] .

وراه البخاري موصولاً في فضائل الصحابة ـ باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ، وخمسة مواضع أخر .

ورواه مسلم كذلك في الجهاد والسير ـ باب قول النبي ﷺ : لا نورث . (١٧٥٩) .

(١) كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يقتسم ورثتي ديناراً ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة**» .

أخرجه البخاري موصولاً في موضعين أحدهما في الوصايا ـ باب نفقة القيم للوقف (٢٦٢٤) ، ومسلم في الموضع السابق (١٧٦٠) كذلك .

وأيضاً لحديث عمر الطويل الآتي فيهما .

(٢) يدل له حديث مالك بن أوس بن الحدثان ، وهو في الصحيحين .

قال مالك : بينا أنا جالس في أهلي حين متع النهار ، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر ، فإذا هو جالس على رمال سرير ، ليس بينه وبينه فراش ، متكىء على وسادة من أدم ، فسلمت عليه ثم جلست ، فقال : يا مالك ، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات ، وقد أمرت فيهم برضخ ، فاقبضه فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيره ، قال : اقْبِضْهُ أيها المرء ، فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ ، فقال : هل لك في عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون؟ قال : نعم ، فأذن لهم فدخلوا وجلسوا ، ثم جلس يرفأ يسيراً ، ثم قال : هل لك في علي وعباس؟ قال : نعم ، فأذن لهما فدخلا فسلما فجلسا ، فقال عباس : يا أمير المؤمنين اقْض بيني وبين هذا ، وهما يختصمان فيما أفاء الله رسول الله ﷺ من بني النضير ، فقال الرهط ، عثمان وأصحابه : يا أمير المؤمنين اقْض بينهما ، وأرح أحدهما من الآخر ، قال

. . . .

عمر: تيدكم، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**».

يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عليٍّ وعباس، فقال: أنشدكما الله، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾[الحشر: ٦].

فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعليٍّ وعباس: أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، والله يعلم: إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم: إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني، وكلمتكما واحدة وأمركما واحد، جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا - يريد عليًّا - يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**».

فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه: لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وبما عمل فيها أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم

موقفه من قتال المرتدين

٤ - وافْتَرَقُوا أيضاً في قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وخَالَفَ أَصحابُ رَسُولِهِ الله ﷺ فيه حتى نَازَلُوه وخَاطَبُوه، فقال أَبُو بَكرٍ لِعُمَرَ رضي الله عنهما: «جَبَّارٌ في الجَاهِلِيَّةِ خَوَّارٌ في الإِسْلاَمِ؟ والله لو مَنَعُونِي عَنَاقاً ممّا أَعطوا رَسُولَ الله ﷺ لقَاتَلْتُهم مِنْ أَولِهم إِلى آخرِهِم»، فَصدَّقُوه في ذَلِكَ، وَرَجَعَ الجَماعةُ إِلى قَوْلِه وقالوا: الحَقُّ فِيمَا رَأَيْتَ[1].

بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس، فقال: أنشدكما بالله، هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فإني أكفيكماها.

رواه البخاري موصولاً في مواضع منها أول كتاب الخمس (٢٩٢٧)، ومسلم في الجهاد في الموضع السابق (١٧٥٧).

(١) عبر المؤلف عما وقع بين الصحابة من أمر المرتدين بالافتراق، والحق أنه اختلاف، ثم اتحدت كلمتهم بعد ذلك على قول أبي بكر الصديق، كما نص عليه المؤلف هاهنا.

والفرق بين الافتراق والاختلاف أن الأول مذموم، ومُحذَّرٌ منه شرعاً، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ الآية[آل عمران: ١٠٣]، وقول النبي ﷺ في غير ما حديث، منها حديث الافتراق المتواتر عن بضعة عشر صحابياً ولفظه: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة..**» الحديث.

أما الاختلاف ففيه مندوحة، وهو أمر طبيعي، وقد وقع في عهده ﷺ ولابد في الحقيقة منه، وإنما المذموم منه ما جرَّ إلى الافتراق.

والخبر الذي ساقه المصنف مروي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه قال: لما توفى رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب فقال

ما نزل في فضل الصديق من الآيات

ولقد أَنْزَل الله تعالى في أَبي بَكْرٍ مِنَ الآياتِ، والدَّالَّةِ على فَضْلِهِ خَاصَّةً، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾. [النور: ٥٥]

نَزلَتْ في أَبي بَكرٍ خَاصَّةً لأَنَّ شَرائِطَ الآيةِ فيه ظَهرتْ، وَعليه دَلَّتْ(١).

عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**» فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أنه قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق.

أخرجه البخاري في الصحيح موصولاً في خمسة مواضع أولها في كتاب الزكاة في أول باب منه (١٣٣٥)، ومسلم في الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢٠).

وانظر عليه فتح الباري ١٢/ ٢٨٩-٢٩٣.

(١) وتتمة الآية من سورة النور: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقول المؤلف أن الآية نزلت في أبي بكر خاصة لم أقف على من قال به غيره.

والوارد في تفسيرها ما رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠١ بسنده عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فأنزل الله قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

. . . .

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية [المائدة: ٩].

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ورواه البيهقي في الدلائل موافقاً للحاكم ٣/ ٦، وأخرجه الطبراني في الأوسط، وابن المنذر، وابن مردويه، والضياء في المختارة كما في الدر المنثور ٥/ ١٠٠.

وروى الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٣٤ بسنده إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم: «**بَشِّر هذه الأمة بالسَّنا والرفعة، والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب**».

ورواه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٥/ ١٠٠، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٣١٨.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحو عشر سنين يدعون إلى الله وحده، وعبادته وحده لا شريك له، سراً وهم خائفون لا يؤمرون بقتال، حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقدموا المدينة، فأمرهم الله بالقتال وكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فغبروا بذلك ما شاء الله، ثم إن رجلاً من أصحابه قال: يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فأنزل الله الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩].

فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب، فأمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن الله قبض نبيه فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا وكفروا النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم، واتخذوا الحجر والشرط وغيروا فغُير ما بهم» رواه ابن جرير في تفسيره عنه ١٨/ ٢١٢.

وقد استدل جعفر الصادق بهذه الآية على خلافة الخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في مناظرته ١٣١،

وقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾. [الحديد: ١٠]

نَزلَتْ في أَبي بَكْرٍ وَحْدَهُ لأنَّه أَنْفَقَ على رَسولِ الله ﷺ مَالَه قبلَ الفَتحِ، وَتَفرَّدَ به دُونَ غيرِهِ[(١)].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢] إلى قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[(٢)]. [الليل: ٢١]

ولاشك أن أبا بكر وبقية الخلفاء الراشدين من أولى من يدخل في خبر الآية، لكنها ليست خاصة به دونما سواه كما قاله المؤلف رحمه الله!

(١) استدل بهذه الآية على فضل الصديق أيضاً الإمام جعفر الصادق في مناظرته ١١٦ لكنه لم يخصها في أبي بكر دون غيره.

ونص الكلبي: «على أن الآية نزلت في أبي بكر، يدل عليه أنه كان أول من أنفق ماله على رسول الله ﷺ، وأول من قاتل على الإسلام» نقله عنه الواحدي في تفسيره ٤-٢٤٥، وزاد المسير ٧/ ٣٠١، والبغوي ٨/ ٣٣.

ولا شك في أن أبا بكر من أخص من تتناوله الآية، لأنه أنفق ماله على رسول الله ﷺ وعلى دعوته قبل الهجرة وقبل الحديبية وقبل الفتح وبعده، بل هو أفضل هؤلاء جميعاً، لكنها ليست خاصة به دون غيره من الأصحاب رضي الله عنهم.

وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٠٦، ولباب التأويل ٧/ ٣٢، والدر المنثور ٦/ ٢٤٩، ومنهاج السنة ٧/ ١٥٥، و٨/ ٥٠٢-٥٠٤ و ٥٥٥.

(٢) مضى بعض هذا في خصائصه باعتاق الصديق لسبعة من الصحابة كانوا أرقاء معذبين ص (٨٦٠).

وقال عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ . [الزمر: ٣٣]
يعَني أَبي بَكرٍ.
ورُوِيَ ذلك عَن عَليِّ بنِ أَبي طَالبٍ رِضْوانُ الله عليه(١).

وقد أطال العلماء في شرح السورة وبيان دلالاتها على فضائل الصديق، يطول المقام باختصار أقوالهم فكيف بعرضها مع دلائلها؟

وأجمل الحافظ ابن كثير ذلك في آخر تفسيرها فقال ٤/ ٥٢١: «وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولاشك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم..».

وبنحوه ما نقله الواحدي في تفسيره ٤/ ٥٠٣، والبغوي ٨/ ٤٤٨، والقرطبي، وفي لباب التأويل ٧/ ٢٥٥، وقد نصَّ على نزول بعض آياتها فيه ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.

وانظر تفسير ابن جرير فإنه أطال فيها ٣٠/ ٢٦٨ وما بعدها، والدر المنثور ٦/ ٦٠٤ وما بعدها، وأطال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج ٨/ ٤٩٣-٥٠٤ و ٧/ ٣٧٦-٣٨٢ و ٥/ ٢٨٧ وما بعدها مدلالاً على تناولها في أول من تتناول وأولاه لأبي بكر ﷺ.

وانظر كذلك المناظرة للصادق ١١٠، والرياض النضرة ١/ ١٨٠.

(٢) هذا هو المشهور في تفسيرها عند المفسرين، وقد روى ابن جرير في تفسيرها ٢٤/ ٣ بسنده إلى علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «جاء به محمد ﷺ، وصدق به أبو بكر» اهـ.

وأخرجه ابن السمان في الموافقة بين آل البيت والصحابة وفي فضائل الصديق كما نقله في الرياض النضرة ١/ ١٧٨، وكذا أخرجه عنه الباوردي في معرفة الصحابة

. . . .

وابن عساكر، نقله عنهما في الدر المنثور ٥/ ٦١٥.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج ٧/ ١٨٩ حكاية رويت عن عبدالعزيز بن جعفر غلام الخلال أنه سئل عن هذه الآية فقال: نزلت في أبي بكر، فقال السائل: بل نزلت في علي؟ فقال غلام الخلال: اقرأ ما بعدها ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥]، فبهت السائل!».

وذلك لأن الرافضة تعتقد عصمة علي، فكيف يكفر الله عنه سيئاته وهو معصوم؟!

كذلك نص جعفر الصادق في المناظرة ١١٩ في نزولها في أبي بكر لأن كلهم قالوا للنبي كذبت، وقال أبو بكر: صدقت.

ورجح شيخ الإسلام عند بسطه الكلام على الآية في المنهاج ٦/ ١٨٧-١٩٤ أن الآية عامة، واستدل بآثار عديدة، ولكنها في أول وأولى من تتناوله أبا بكر والخلفاء من بعده.

ومما يدل على أولوية الصديق وأحقيته بمعنى الآية تصديقه للنبي ﷺ في المواقف التي كذبه فيها الناس: في رسالته وإسرائه ومعراجه، وما يأتي به من خبر السماء والأمم السابقة.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في الذي وقع بين أبي بكر وعمر وفي آخره قال ﷺ: «**ان الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين**» فما أوذي بعدها.

رواه البخاري موصولاً في الفضائل ـ باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» رقم (٣٤٦١).

وتسمية النبي ﷺ لأبي بكر صديقاً على أحد وعلى جبل ثبير.

ما ورد في فضله من السنة

حَدَّثَ أَبُو بَكرٍ مُحَمدُ بنُ عَامرٍ السَّمرقَنْدِي(١)، قال: حَدَّثنا عَاصِمُ ابنُ يُوسُفَ(٢)، . . . .

(١) كذا في المخطوطة والصواب في اسمه وضبطه من الأصول: أبو بكر محمد بن عبد بن عامر بن مرداس بن هارون السُّغْدِي التميمي السمرقندي.

روى عن: عاصم بن يوسف وأخيه إبراهيم وقتيبة بن سعيد وابن راهويه وجماعة.

وعنه: أحمد بن عثمان الأدمي، وأبو الحسن القطان وغيرهما، وقد حدث ببغداد وهمدان وقزوين وغيرها.

اتفق على تكذيبه ووضعه للحديث: الدارقطني والخطيب البغدادي والذهبي والحافظ ابن حجر، وقال الخليلي في الإرشاد: أطبق الحفاظ على أن حديثه متروك، مات سنة ٣٠٣هـ.

ترجمه في: تاريخ بغداد وأطال ٢/ ٣٨٦-٣٩٠، والضعفاء للدارقطني (٤٨٥)، وسؤالات السهمي (٣٢)، والإرشاد للخليلي ٣/ ٩٨٣، والمغني ٢/ ٦١٠، والميزان ٣/ ٦٣٣، ولسانه ٥/ ٢٧١، والتدوين في أخبار قزوين ١/ ٣١٠.

وانظر في نسبته الأنساب ٧/ ٨٦، ومراصد الاطلاع ٢/ ٨٤٢ حيث يقال فيها: السغدي بالسين المهملة أو الصغدي بالصاد المهملة!

(٢) كذا، وهو عصام بن يوسف بن ميمون بن قدامة البلخي أخو إبراهيم، وهو من شيوخ أبي بكر السمرقندي.

روى عن: الثوري وشعبة وطبقتهما.

قال ابن عدي في الكامل: روى أحاديث لا يتابع عليها، وضعفه ابن سعد.

وقال الخليلي: صدوق وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان صاحب حديث ثبتاً في الرواية، ربما أخطأ، توفي سنة ٢١٥هـ.

ترجمته في الثقات ٨/ ٥٢١، والميزان ٣/ ٦٧، واللسان ٤/ ١٦٨، والكامل ٥/ ٣٧١.

قال: حَدَّثنا سُفْيانُ الثَّوريُّ[(١)]، عن آدمَ بنِ عَليٍّ[(٢)] ....

وأيضاً هناك عاصم (كما في المخطوطة) بن يوسف اليربوعي، أبو عمروٍ الخياط الكوفي.

روى عن: الفضيل وإبراهيم الفزاري والثوري وطبقتهم.

وعنه: الدارمي صاحب السنن، وإبراهيم الجوزجاني وغيرهما.

وهو ثقة من كبار الطبقة العاشرة، مات سنة ٢٢٠هـ، وقد روى له البخاري والترمذي والنسائي.

ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٤٩١، والكمال للمزي ٦٤٠، وتهذيبه وتقريبه والخلاصة ١٨٣، والثقات لابن حبان ٨/ ٥٠٦، والجرح والتعديل ٦/ ٣٥٢.

وكلاهما رَوَى عن الثوري لكن الأول نُص في ترجمة أبي بكر السمرقندي أخذه عنه، وعن أخيه فيترجح على الثاني بهذا، والله أعلم.

(١) مرت ترجمته وهو ثقة ثبت إمام.

(٢) هو العجلي ويقال البكري والشيباني من الطبقة الثالثة.

روى عن: ابن عمر فقط، وعنه: الثوري وشعبة وابن طهمان وجماعة.

قال فيه ابن معين: ثقة، وقال النسائي: لا بأس به، وقال الحافظ في التقريب: صدوق.

وقد روى له البخاري والنسائي.

وللعلم فإن زيادة المؤلف (عن أبيه) وهم، لأن أباه ليس معروفاً بالرواية، ولا معدوداً في شيوخه، وأيضاً آدم بذاته روى عن ابن عمر، بل لم يذكروا له سماعاً عن غيره، والله أعلم.

ترجمته في: التاريخ الكبير ١/ ٣٦، والكمال للمزي ٧٤، والجرح والتعديل ٢/ ٢٦٦، والأنساب والثقات لابن حبان ٤/ ٥١، والتهذيب وتقريبه، والخلاصة ١٤.

عن أَبيه(١) عن ابنِ عُمَر رضي الله عنهما، أنَّه قال: كَانَ رَسولُ الله ﷺ جَالساً، وعِنَده أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ وعليه عَبَاءَةٌ قَدْ خَللَّها بخِلاَلٍ، فجاء جِبْرِيلُ عليه السَّلام فقال: مَا لي أَرى أَبا بَكرٍ على هَذِه الحَالةِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَنْفقَ عليّ مَالَه، وَزَوَّجَنِي ابْنَتَهُ» فقال جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ: قل له فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ عَليك السَّلام، ويقَولُ لك: أَرَاضٍ أنت عَنّي في فَقْرِكَ هذا أَمْ سَاخِطٌ؟ فَأَخْبَرَه النَّبيُّ ﷺ بذلك فَبكى أَبو بَكرٍ، وقال: عَلى رَبِّي أَسخطُ، أنا عن رَبِّي رَاضٍ، أنا عن رَبِّي رَاضٍ، أنا عن رَبِّي رَاضٍ(٢).

---

(١) وأسفل هذه الكلمة كُتبت: (بلغ العرض).

(٢) هذا الإسناد واهٍ بمرة، لحال أبي بكر السمرقندي، فإنه متروك، مُتهم بالكذب.

وقد تابعه أبو الحسن الواحدي في تفسيره الوسيط ٤/ ٢٤٦، من طريق العلاء بن عمرو أبي إسحاق الفزاري عن الثوري عن آدم بن علي عن ابن عمر به.

وأخرجه من طريق ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٨٥ في ترجمة العلاء، وأخرجه من طريقهِ أيضاً البغوي في تفسيره ٧/ ٣٤.

وعلته العلاء بن عمرو الشيباني قال فيه ابن حبان في المجروحين: يروى عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

وقال الذهبي في الميزان فيه ٣/ ١٠٣: متروك وساق له الخبر.

ولذا ضعفه ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٠٨ بعد إيراده عن البغوي وقال: ضعيف الإسناد من هذا الوجه، والله أعلم.

والخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧/ ١٠٥ من طريقين مدارهما على الثوري عن آدم به:

وُرِوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال له: «أَعْطَاكَ الله يا أَبا بكر الرُّضْوانَ الأَكبر»، فقال له بَعْضُ القَوْمِ: وما الرُّضوانُ الأَكبر يا رسولَ الله؟ فقال: «يَتَجَلَّى الله لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِين في الآخرة عَامةً، ويتَجلى لأَبي بَكرٍ خَاصَّةً»(١).

أحدهما: من طريق العلاء بن عمرو به.

والثاني: من طريق محمد بن نهشل البصري ثنا الحسن بن حسين الأسواري ثنا سفيان به.

وذكر المحب الطبري في الرياض ١/ ١٣٢ الخبر وقال: «أخرجه الحافظ ابن عبيد وصاحب الصحبة والفضائلي» اهـ. وهو أبو عبدالله محمد بن محمد الفضائلي الرازي في نزهة الأبصار ولم يذكر أسانيدهم.

وذكره جعفر الصادق في المناظرة ١١٣ من غير إسناد.

وانظر كلام العراقي حوله في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٦٤، والزبيدي في الاتحاف ٦/ ١٩١.

وإن لم يصح الخبر فمعناه ثابت في أحاديث عديدة من إنفاق الصديق على رسول الله ﷺ ماله كله وإنه لم ينفعه مال كما نفعه مال أبي بكر، وتزويجه عائشة رضي الله عنها كما في قوله تعالى في آخر سورة الليل: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٢١]، ودخوله بالأولوية في قوله من سورة براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) صدَّر المؤلف الخبر بصيغة التمريض، فإن الخبر لم يثبت عن النبي ﷺ، ولقد روى عن علي بن أبي طالب وجابر وعائشة وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم بأسانيد واهية.

. . . .

حيث تكلم على طرق الحديث ورواته ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٢٥-٢٢٩ في باب فضل أبي بكر الصديق فقال: «قد تعصب قوم لا خلاق لهم يدعون التمسك بالسنة فوضعوا لأبي بكر فضائل، وفيهم من قصد معارضة الرافضة بما وضعت لعلي عليه السلام، وكلا الفريقين على الخطأ، وذانك السيدان غنيان بالفضائل الصحيحة الصريحة عن استعارة وتخرص».

وممن أسند هاتيك الروايات من العلماء:

* الحاكم في مستدركه ٣/ ٧٨ وتعقبه الذهبي وقال: «أحسب أن محمداً وضعه» يعني ابن خالد الخُتُّلي.

* وابن حبان في المجروحين ١/ ١٤٣.

* وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٢.

* وابن عدي في الكامل ٦/ ١٢٩٩ و ٥/ ٨٥٨ في ترجمتي محمد بن أحمد الرازي، وعلي بن عبدة المكتب.

* والخطيب البغدادي في تاريخه في مواضع ٢/ ٣٨٨ و ٧/ ٢٢٠ و ١١/ ٢٥٤ و ١٠/ ٢٥٥ و ١٢/ ١٩، وقال: حديث باطل.

* وابن النجار في ذيله على تاريخ بغداد ٤/ ١٧٤.

* وأورده الحافظ في اللسان ٢/ ٦٤ وقال: «والحديث له طرق كلها واهية».

* وأورده كذلك ابن عرَّاق في تنزيه الشريعة ١/ ٣٧١، وفي الأسرار المرفوعة ٤٥٤، وفي الفوائد المجموعة ٢٩٢، وفي تذكرة الموضوعات ٩٣، والنكت والبديعات ٢٧٨، والعقيلي في الضعفاء ١/ ١٤٣، وفي اللؤلؤ المرصوع (١٠٢)، والمحب الطبري في الرياض ١/ ١٦٥، والسيوطي في اللآليء المصنوعة ١/ ٢٧٨ وما بعدها، واستكثر القول بوضعه لكثرة طرقه، ولكن متعقب! بحال رواته، وبتوهية الحفاظ للخبر.

ويُروَى عنه أَنَّه قال ﷺ: «لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خليلاً لأَتَخَذْتُ أَبا بَكر خَلِيلاً، ولكنَّه أَخي وصَّاحِبي، ولكنِّي أُخِبُر أَنَّ صَاحِبي[1] خَليلُ الله»[2].

ولو خضت في فضائله لأنقطع الكتب وأمتلأت الصحف[3].

---

(١) كذا في المخطوطة والصواب: (أن صاحبكم) يعني نفسه ﷺ.

(٢) والحديث مروي عن أبي سعيد وابن عباس رضي الله عنهما، وحديث ابن عباس مضى قريباً، وأما حديث أبي سعيد ففيه أن النبي ﷺ جلس على المنبر في مرضه وهو معصوب الرأس فقال: «**إن عبداً خيرَّه الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**» فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أو يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا.

فكان رسول الله ﷺ المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به. فقال ﷺ: «**إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، إلا خلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر**» متفق عليه.

رواه البخاري موصولاً في مواضع منها الفضائل ـ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٦٩١)، ومسلم في الفضائل أيضاً ـ باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه (٣٢٨٢)، وفي قوله (أن صاحبي) إشكال في عوده إلى الصديق!

(٣) صدق رحمه الله، ولذا كتب ابن زنجوية البخاري مجلداً كبيراً في ٣٠٠ ورقة في إمامة أبي بكر سماه «**الروض الأنيق في إثبات إمامة أبي بكر الصديق**»، ولولا الإطالة لعددت الخصال التي اختص بها أبو بكر بنحو ٤٠ خصيصة، وانظر آخر المناظرة للصادق، والرياض النضرة ١/ ١٢٣-١٨١.

***

بَابٌ مِنْ فَضَائِلِ عُمَر الفَاروقِ[(١)] رحَمةُ الله عليه مُفْرداً

والدَّليلُ على أَنَّ عُمَر بنَ الخَطاب رِضْوانُ الله عليه كان أَفضَل هذه الأُمَّةِ بعد أَبي بكرٍ رحَمةُ الله عليه، أَنَّه لم يَكُنْ بعده أَفضلُ مِنْه، لأَنَّه

---

(١) واسمه عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبدالعزَّى من بني عدي بن قريش، وكنيته: أبو حفص.

وقد انعقد الإجماع على أن عمر بن الخطاب أفضل الأمة بعد أبي بكر كما ذكره ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٤/ ٤٢١ و ٣٩٨، ونقل إجماع الصحابة على ذلك وتواتره عن علي رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر في آخر الواسطية.

ومستنده حديث ابن عمر رضي الله عنهما في البخاري: **كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة النبي ﷺ ـ وفي لفظ: خير الناس ـ بعده: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نسكت.**

ولما روى البخاري بسنده إلى محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر.

ثم قلت: ثم من؟ قال: عمر.

وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

رواه البخاري في الفضائل ـ باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» (٣٤٦٨)، وقد نص شيخ الإسلام في منهاج السنة ١/ ١١ و ٧/ ٥١١ على تواتره عن علي، بأن روى عنه من نحو ثمانين وجهاً وهو يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر».

أَظْهَرَ الإِسْلامَ، وفَرَّق بين الحَقِّ والبَاطلِ، وأُعزَّ به الإِسْلامُ والدِّينُ،

ومما يدل على أن أفضل الأمة بعد أبي بكر الصديق، كونه أحب أصحاب النبي ﷺ إليه بعد أبي بكر، لما روى الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٠٣ بسند صحيح عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها أبو بكر**»، قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً**».

بل الخبر في الصحيحين من حديث ابن عمرو لما بعثه في جيش ذات السلاسل بلفظه.

رواه البخاري في الفضائل - باب قوله: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» (٣٤٦٢) متصلاً، ومسلم في الفضائل - باب فضائل أبي بكر (٢٣٨٤).

ولما فيهما أيضاً من حديث علي رضي الله عنه في آخر حياة عمر وهو في جرح موته قال: إني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفت**» وكلاهما في كتاب الفضائل (٣٤٧٤)، ومسلم (٢٣٨٩).

وفي حديث أبي هريرة فيهما قال ﷺ: «**بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة، قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر. وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي، فقال الذئب: من لها يوم السبع، يوم لا راع لها غيري، قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**».

قال أبو سلمة روايه عن أبي هريرة: وما هما يومئذ في القوم.

رواه البخاري في المزارعة والفضائل (٢١٩٩) و (٣٤٦٣) وغيرهما متصلاً، ومسلم في الفضائل - من فضائل أبي بكر (٢٣٨٨).

* ولقبه بالاتفاق الفاروق، نص على ذلك الحافظ في الفتح ٧/ ٥٣.

وأُذِلَّ به الكُفر ، وأُبْطِلَ البَاطلُ ، وَفُتِحَتِ البِلادُ ، وَأُغْنِيَ به المُسلمون ،

وقد لقبه بذلك النبي ﷺ لما اعتز المسلمون بإسلامه هو وحمزة وخرجوا من صفين للصلاة في البيت الحرام .

وروى النزّال بن سبرة قال : وافقنا من علي يوماً أطيب نَفْساً ومزاجاً ، فقلنا : يا أمير المؤمنين حدثنا عن عمر بن الخطاب؟ قال : ذاك أمرؤٌ سماه الله الفاروق فرق به بين الحق والباطل .

رواه ابن السمان في الموافقة كما في الرياض النضرة ١/ ٢٧٣ ، ورواه ابن سعد في الطبقات عن عائشة وأيوب بن موسى ٣/ ٢٧٠-٢٧١ ، وانظر الفتح ٧/ ٥٣ .

وكان إسلام عمر تمام أربعين مسلماً آمنوا بالنبي ﷺ .

* أما إعزاز الدين بإيمانه ، فإن النبي ﷺ دعا بذلك .

فقد روى الإمام أحمد في المسند ٢/ ٩٥ ثنا أبو عامر ثنا خارجة الأنصاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**» فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب .

ورواه أيضاً في فضائل الصحابة (٣١٢) .

ورواه أيضاً الترمذي في جامعه (٣٦٨١) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

ورواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما من وجه آخر (٣٦٨٣) ، ورواه أحمد في الفضائل (٣١١) .

ورواه عبد بن حميد في المنتخب (٧٥٩) ، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٦٧ ، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٠٥ (٦٨٨١) ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٨٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢١٥ ، وأبو نعيم في الحلية ١٥/ ٣٦١ .

* وللحديث شواهد :

ودَسْكَرَ الدَّسَاكِرَ، ودَوَّرَ الدَّوائِر، وجَيَّشَ الجُيوش، حتى بَلغَ جَبلَ طَرازند[١] منَ حَدِّ الرُّومِ[٢]، . . . .

١- عن ابن عباس رضي الله عنه وسبق.

٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عند الطبراني في الكبير (١٠٣١٤)، والحاكم ٣/ ٨٣، ووثقه رجاله في المجمع ٩/ ٦١.

٣- وعن أنس رضي الله عنه عند ابن سعد في طبقاته ٣/ ٢٦٧، والبيهقي في دلائله ٢/ ٢١٩.

٤- وعن عمر رضي الله عنه في خبر طويل رواه البزار كما ـ كما في الكشف ؛ (٢٤٩٣)، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢١٦.

٥- وعن ابن المسيب مرسلاً عند ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٦٧.

* وللحديث لفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «**اللهم أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب خاصة**».

رواه ابن ماجه في المقدمة (١٠٥)، والطبراني في الكبير ٢/ ٩٣، ورواه ابن حبان وصححه ١٥/ ٣٠٦ (٦٨٨٢)، والحاكم من طرق في المستدرك ٣/ ٨٣، وصححه ووافقه الذهبي على بعضها، منها طريق عن ابن عمر به، وأخرجه البيهقي في الكبرى ٦/ ٣٦٠، ورواه ابن عبدالله في زيادته على فضائل الصحابة عن الحسن ومحمد بن سيرين مرسلين (٣٣٨ و ٣٣٩).

(١) كذا في المخطوطة. وفي معجم البلدان ٤/ ٢٧: (طُرَارَبَنْد) بضم أوله: مدينة وراء نهر سيحون من أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان، وهي آخر بلاد الإسلام مما يلي بلاد النهر. وقريب منه بلد طراز، لأن أهل تلك البلاد يسقطون شطر الاسم. وانظر آثار البلاد ٥٤٤.

(٢) أي من جهة بلاد الروم، والروم أمة نصرانية على مذهب الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، يتركزون في وسط آسيا إلى غربها، وهم الذين أسقط المسلمون دولتهم في تركيا والشام.

وَبِلادَهُ مِنْ حَدِّ الخُراسانِ[١] إلى حَدِّ التُّرْكِ.

كما رُوِيَ عن ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّه قال: «رَحِمَ الله عُمَر، كان إِسلامُهُ يُمناً، وكانت هِجْرتُه فَتحاً، وكانت إِمْرَتُه بَركةً، والله ما استَطعنا أَنْ نُصليَ إلى البَيتِ حتى أَسلَم عُمَرُ، وإِنِّي لأَرَى مَلكا بَيْنَ عَيْنَيه يُسدِّدُهُ، وإِنِّي لأَرَى الشَّيطانَ يَفْرَقه، فإذا ذُكِرَ الصَّالحون فَحَيَّهَلا بِعُمَر»[٢].

---

(١) كذا، والصواب (خراسان) بدون (ال) التعريف، حيث لا يصح دخولها على معرفة!

وتشمل الآن إيران وأفغانستان وطاجيكستان وأطراف أذربيجان وبلاد الديلم.

وانظر الأطلس التاريخي، ومعجم البلدان ٢/ ٣٥٠-٣٥٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه، عن ابن مسعود رضي الله عنه من عدة أوجه بعضها أتم من بعض ٦/ ٣٥٦-٣٥٨، فكأن المؤلف جمع الألفاظ المتفرقة المروية عن ابن مسعود في لفظ واحد.

وأتم ما ساقه ابن أبي شيبة من ألفاظ (٣١٩٨٠) ثنا حسن بن علي عن زائدة عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا ذكر الصالحون فَحَيَّهَلا بعمر، إنه كان إسلامه نصراً، وإن إمارته كانت فتحاً، وأيم الله ما أعلم على الأرض شيئاً إلا وقد وجد فقد عمر حتى العِضاه، وأيم الله إني لأحسب بين عينه ملكاً يسدده ويرشده، وأيم الله لو أعلم أن كلباً يحب عمر لأحببته».

ورواه كذلك الطبراني من هذا الوجه بمثله ٩/ ١٦٤، ومن أوجه أخرى ببعض جمله، وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٦٣ وقال رجاله رجال الصحيح.

هذا وقد عزاه الحافظ في الفتح ٧/ ٥٩ إلى ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبدالرحمن عن ابن مسعود قال: «كان إسلام عمر عزاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر» اهـ.

وقال النَّبيُّ ﷺ : «إِنَّ اللهَ ضَربَ بالحَقِّ على لِسَانِ عُمَر وقَلْبِه»(١) .

لم أجده بهذا اللفظ فيهما مع تتبعي مسند ابن مسعود ق ١٢٢-١٦١ في المسند لابن أبي شيبة المخطوط .

(١) الحديث مروي بهذا اللفظ عن جماعة من الصحابة :

١- فرواه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظه، أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠١ .

٢- وعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً بمثله .
ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٤٥ بسند صحيح، وابن ماجه في المقدمة (١٠٨)، ورواه الحاكم ٣/ ٨٧، وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه الذهبي عند مسلم فقط .

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بمثله .
رواه أحمد في المسند ٢/ ٥٣ و ٩٥ وقال ابن عمر : ما نزل بالناس أمر فقط فقالوا فيه وقال فيه عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن على نحو مما قال عمر .

ورواه الترمذي في جامعه في المناقب (٣٦٨٢) وقال : وفي الباب عن الفضل ابن العباس وأبي ذر وأبي هريرة .

ورواه أيضاً في المسند ٥/ ١٦٥ و ١٧٧ عنه مرفوعاً به دون ذكر قلبه لفظ «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به» .

وكذا أخرجه أبو داود في كتاب الخراج (٢٩٦٢) من حديث أبي ذر بمثله .

٤- وعن بلال بن رباح ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم بمثله مرفوعاً .

أخرجهما الطبراني في الكبير (١/ ٣٥٤ (١٠٧٧) و ١٩/ ٣١٢ (٧٠٧) .

وكذا رواه ابن أبي شيبه وابن سعد وابن عاصم كما في المجمع ٩/ ٦٦-٦٧ .

والحديث ثابت في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : «**إنه كان فيما مضى**

. . . .

قبلكم من الأمم مُحدثون، وإن يكن في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب» ومضى تخريجه.

وحديثه هذا أصله في البخاري متصلاً عن ابن مسعود مختصراً بلفظ: «**ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر**».

رواه في موضعين في الفضائل ـ باب مناقب عمر (٣٤٨١) وفي باب إسلام عمر (٣٦٥٠).

ومن شواهده:

١- ما في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر على رسول الله قمن يبتدرن الحجاب.. وفي آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**».

رواه البخاري موصولاً في مواضع ثلاثة أولها بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده (٣١٢٠)، ومسلم في الفضائل ـ باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٦).

٢- وللبخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي فعُمر**».

وفي لفظ: «**إن كان فيمن مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب**».

رواهما في الصحيح موصولين في الفضائل ـ باب مناقب عمر (٣٤٨٦)، وفي كتاب الأنبياء ـ حديث الغار (٣٢٨٢).

***

ما ورد في فضل الشيخين في الكتاب والسنة مجموعين

قال حَدثَنا أبو عَليٍ الطُّوسِيُّ[(١)]، قال: حَدثَنا الأَزْهُرُ[(٢)] كَاتِبُ مَالكِ بنِ أَنسٍ، . . . .

---

(١) هو الحافظ المسند الحسين بن محمد بن علي بن حاتم الرُّوذباريُّ الطوسي، نسبة إلى الروذبار موضع بطوس.

سمع إسماعيل الصفار، وابن داسة راوية سنن أبي داود وابن شوذب وغيرهم.

روى عنه الحاكم أبو عبدالله وهو من أقرانه، والبيهقي والطوسي أبو الفتح نصر ابن علي وخلق، نص الذهبي على أنهم أكثر من ثمانين. وقد توفى سنة ٤٠٣هـ.

ترجمته في: الأنساب ٦/ ١٨٠، واللباب ٢/ ٤١، والسير ١٧/ ٢١٩، والعبر ٣/ ٨٥، والتذكرة ٣/ ١٠٧٨، والشذرات ٣/ ١٦٨.

وهاهنا سقط في الأصل المخطوط لمايلي:

١- أن أبا علي الطوسي ليس شيخاً للمؤلف لأمرين:

- أن وفاته سنة ٤٠٣هـ أي قبل ولادة المؤلف بنحو ثمانين سنة.
- قول المؤلف: (قال حدثنا) فقوله: قال يفيد أن غيره القائل، وهو تلميذ الطوسي ولابد!

٢- قول المؤلف قبله: (قال)، يفيد أن قبله اسم أو أكثر صدر منه القول والتحديث.

وفي الواقع لم أتبين اسمه، إذ أقرب إسناد إلى هذا ما وقع في ص (٢٨٨) من قول المؤلف فيه: (حدث أبو بكر محمد بن عامر السمرقندي)، وليس هو المراد هاهنا لأن السمرقندي توفي سنة (٣٠٣هـ)، والطوسي هاهنا توفي سنة (٤٠٣هـ)، فلم يصح تتلمذه عليه!

(٢) لم أهتد إلى ترجمته، ويحتمل عدة أسماء:

١- أزهر بن سعد الباهلي البصري السمان من رجال الشيخين.

٢- أو أبو مصعب الأزهري راوي إحدى روايات الموطأ، وانظره في التهذيب ١/ ١٨.

٣- أو عباس بن الأزهر، وانظره في شرح السنة للالكائي ١/ ٢٤٩-٢٥٠، والله أعلم.

قال: حَدثَنا إبراهيمُ بنُ إسَماعيل[١]، عن دَاودَ بنِ حُسين، عن أَبيه[٢] عن البَراءِ بنِ العَازبِ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ «اقْتَدُوا بالَّذين مِنْ بَعدي: أَبي بَكرٍ وعُمرَ»[٣].

(١) يحتمل أنه الإمام الحافظ المجود أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل العنبري الطوسي، محدثٌ طوسيٌّ!

وانظره في السير ١٣/ ٣٧٧، والتذكرة ٢/ ٢٧٩، والعبر ٢/ ٦٧، وطبقات الحفاظ ٢٩٥، والشذرات ٢/ ٢٠٥، وتهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٢/ ٢٠٠.

(٢) لم أقف على تراجمهم.

ويحتمل وقوع التصحيف أو التحريف أو الوهم في هذه الأسماء، لاسيما والحديث لم أجد أن راويه من الصحابة هو البراء رضي الله عنه !

(٣) الحديث أكثر طرقه عن حذيفة بن اليمان وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنهما.

وأخرجه عنهما الترمذي في المناقب (٣٦٦٢) وحسنه، و (٣٨٠٥) وقال حسن غريب.

ورواه ابن ماجه في المقدمة (٩٧)، والإمام أحمد في المسند في مواضع ٥/ ٣٨٢ و ٣٨٥ و ٣٩٩ و ٤٠١ و ٤٠٢ وفي الفضائل (٤٧٨ و ٤٧٩)، والحميدي في مسنده (٤٤٩) ١/ ٢١٤، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١١ (هندية)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٤٨ و ١١٤٩)، وابن حبان وصححه ١٥/ ٣٢٧ (٦٩٠٢)، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٣٤، والفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٤٨٠، والطحاوي في مشكل الآثار ٣/ ٢٥٦-٢٥٩ من عشرة طرق عن حذيفة، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١٨٥ و ٩/ ١٠٩، والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٥ من طرق وصححه وقال: هو من أصل ما روي في فضائل الشيخين، والخطيب البغدادي في تاريخه ٧/ ٤٠٣ و ٤/ ٣٣٧ و ١٢/ ٢٠، ووافقه الذهبي في الفقيه والمتفقه ١/ ١١٧، والطبراني في الكبير ٩/ ٧٢ (٨٤٢٦)، والحاكم ٣/ ٧٥ عن ابن مسعود، ووهَّىٰ سنده الذهبي، والبغوي في شرح السنة

حدَّث الطُوسِيُّ قال: حَدثَنا إبراهيمُ بنُ عَبدِاللهِ السَّعدي[١]، قال: حدثَنا أَبو القَاسمِ بنُ مُحَمدٍ الأَسديُّ، قال: حَدثَنا مِغْوَلْ[٢]، عن

١٤/ ١٠١، وابن عدي في الكامل ٢/ ٣٩٠ عن حذيفة، و ٧/ ١٩٦ عن ابن مسعود رضي الله عنهما.

والحديث بمجموع طرقه صحيح ثابت عنه ﷺ ولا سيما عن حذيفة رضي الله عنه.

وهو مروي عن أنس من طرق كلها عن حماد بن دُلَيل المدائني رواها ابن عدي في ترجمته في الكامل ٢/ ٢٤٩، وهو قليل الرواية، قال فيه الحافظ: صدوق نقموا عليه الرأي.

وانظر التهذيب ١/ ٤٧٩، والميزان ١/ ٥٩٠.
وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وابن حبان.

وذكر في المجمع ٩/ ٥٣ الحديث عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود، ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة التي لا انفصام لها**».

وعزاه للطبراني ولم أجده فيه، ثم قال: «وفيه من لم أعرفهم» اهـ.

وانظر مختصر استدراك الذهبي لابن الملقن (٥٠٣).

هذا وفي الإسناد الذي ذكره المؤلف إلى البراء رضي الله عنه ما فيه.

والحديث صح عن رسول الله ﷺ من أسانيد غيره والحمد لله.

(١) لم أعثر على علم سوى أنه توفى سنة ٢٦٧هـ، إن كان بهذا الاسم.
وانظر: السير ٢٦٧.

(٢) كذا في المخطوطة، وفي تراجمه: مالك بن مغول. وهو أبو عبدالله بن عامر البجلي الكوفي.

عَطِيَّةَ العَوفِي(١)، عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَهْلَ الدَّرجاتِ مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ ليَراهمُ مَنْ هُوَ أَسفلُ مِنْهم

روى عنه: شعبة وعطية العوفي وعطاء بن أبي رباح وخلق سواهم.

وعنه: شعبة والثوري ومسعر بن كدام وغيرهم.

قال الحافظ: مالك بن مِغْوَل بكسر أوله، وسكون المعجمة وفتح الواو، ثقة ثبت من كبار السابعة مات سنة ١٥٩هـ على الصحيح، وروى له الجماعة.

ترجمته في: الكامل للمزي ١٣٠٠، وتهذيبه ١٠/ ٢٢، وتقريبه والخلاصة، والتاريخ الكبير ٧/ ٣١٤، والصغير ٢/ ١٣١، والجرح ٨/ ٢١٥، وطبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٥، والسير ٧/ ١٧٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٦٩.

(١) هو ابن سعد بن جنادة الجَدَلي الكوفي أبو الحسن.

روى عن: ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد رضي الله عنهم.

وعنه: ابنه الحسن، وابن مغول، وابن أرطاة، ومرة بن خالد في خلق سواهم.

ضعفه أحمد والثوري وهشيم وغيرهم، وقال ابن عدي: ولعطية عن أبي سعيد أحاديث عدة عن غير أبي سعيد، وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وكان بَعدُ من شيعة الكوفة.

ولذا قال فيه الحافظ: صدوق يخطىء كثيراً، وكان شيعياً مدلساً من الثالثة، مات سنة ١١١هـ.

وجعله الحافظ في المرتبة الرابعة من المدلسين، وهم ممن اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع. وقال فيه هي ١٣٠: «تابعي معروف ضعيف الحديث، مشهور بالتدليس القبيح» اهـ.

ترجمته في: الطبقات ٦/ ٣٠٤، والجرح ٦/ ٣٨٢، وفي الكامل ٩٤٠، وتهذيبه ٧/ ٢٢٤، والتاريخ الكبير ٧/ ٨، والضعفاء ١/ ٢٣٦، والكامل ٥/ ٣٦٩، والسير ٥/ ٣٢٥.

كما تَرونُ الكَوكِبَ الدُّرِي في أُفقِ السَّماءِ، وإِنَّ أَبا بَكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما مِنْهم وأَنعِما»(١).

---

(١) الحديث أخرجه الحميدي في مسنده ٢/ ٣٣٣ (٧٥٥) من طريق سفيان الثوري ثنا مالك بن مغول عن عطية العوفي عن أبي سعيد رضي الله عنه به.

وأخرجه كذلك الترمذي في جامعه ٥/ ٥٦٧ في كتاب المناقب - باب مناقب الصديق وحسنه.

والإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٦ و ٢٧ و ٧٢ و ٩٣ و ٩٨، وابن ماجه في المقدمة (٩٦)، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٣٥١، وابن أبي عاصم في السنة ٦٠٢.

كلهم من طرق عدة عن عطية العوفي به.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٦ بمتابع عن أبي سعيد من طريق يحيى عن مجالد ثنى أبو الوداك عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ مقارب جداً.

ويحيى هو ابن سعيد القطان ثقة ثبت مشهور.

ومجاهد هو ابن سعيد بن عمير الهمداني وثقه النسائي في رواية وفي أخرى قال: ليس بالقوي، وروى له مسلم مقروناً.

وهو مختلف فيه، والأكثرون على تضعيفه حتى قال أحمد: ليس بشيء.

وابن مهدي رجح رواية الأقدمين عنه دون الأحداث كيحيى - كما هنا - وابن أبي أسامة.

وانظر الكمال ١٣٠٤ وتهذيبه والتقريب.

وأبو الودَّاك هو جبر بن نوف الهمداني الكوفي صدوق يهم.

* فالحديث بهذين الطريقين محتمل للتحسين لاسيما وله شواهد:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ مقارب: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال

وعنه ﷺ أَنَّه كان إِذَا رَأَى أَبَا بَكرٍ وعُمَر يَقولُ: «إِنَّ هذان[١] مِنِّي بِمَنزلَةِ السَّمعِ والبَصرِ[٢]».

الصحيح غير سلم بن تقيبة وهو ثقة» قاله في المجمع ٩/ ٥٤.

٢- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه بلفظ مقارب في الكبير للطبراني ٢/ ٢٥٤ (٢٠٦٥) قال في المجمع ٩/ ٥٤: «فيه الربيع بن سهل الواسطي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات».

٣- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عند الطبراني أيضاً.

وانظر الفتح ٦/ ٣٧٧ وكلام الزبيدي في تخريج الإحياء من الاستخراج (٤١٩٦).

وحديث أبي سعيد أصله مخرج في الصحيحين من وجه آخر بلفظ: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**».

قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «**بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**».

رواه البخاري متصلاً في بدء الخلق ـ باب صفة الجنة (٣٠٨٣)، ومسلم في كتاب الجنة ـ باب ترائي أهل الجنة ـ (٢٨٣١).

(١) كذا في المخطوطة، والصواب (هذين)، وعليه روايات الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ في كتاب المناقب ـ باب في مناقب أبي بكر وعمر (٣٦٧١)، قال: ثنا قتيبة ثنا ابن أبي فديك عن عبدالعزيز بن المطلب عن أبيه عن جده عبدالله بن حنطب أن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: «**هذان السمع والبصر**».

قال الترمذي: وفي الباب عن عبدالله بن عمرو، وهذا حديث مرسل، وعبدالله ابن حنطب لم يدرك النبي ﷺ.

. . . .

ورواه أبو حاتم ـ كما في العلل لابنه ٢/ ٣٨٥ (٢٦٦٧) ثنا موسى بن أيوب عن ابن أبي فديك به وقال هذا أشبه.

ورواه القطيعي في زيادات فضائل الصحابة ١/ ٤٣٢ (٦٨٦) كذلك.

والحاكم في المستدرك ٣/ ٦٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي حسن.

وأخرجه البغوي في معجم الصحابة (مصورة مكة) ق ٣٤٩ عن ابن أبي فديك عن غير واحد عن عبدالعزيز.

وذكر الحافظ في الإصابة ٤/ ٥٨ في ترجمة ابن الحنطب أنه: أخرجه ابن منده من طريقين عن ابن فديك حدثني غير واحد عن عبدالعزيز، وأشار إلى رواية البغوي.

قال: فهذا يدل على أن ابن أبي فديك لم يسمعه من عبدالعزيز.. اهـ.

وهكذا في سند الحاكم عن الحسن بن عبدالله السعدي عن عبدالعزيز، وهو كذا في فضائل الصحابة.

وأشار الحافظ في التهذيب ٥/ ١٩٢ إلى سقوط الواسطة، بين ابن أبي فديك وبين عبدالعزيز.

* ثم اختلف في هذه الواسطة.

فهي في المستدرك وفضائل الصحابة: الحسن بن عبدالله بن عطية السعدي.

وذكر الحافظ في الإصابة أنه رواه جعفر بن مسافر عن ابن أبي فديك عن المغيرة بن عبدالرحمن عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه عن جده. قال: فهذا الاختلاف يقضي أن يكون الحديث من رواية حنطب والده.

فعليه يكون في الحديث ثلاث علل:

. . . .

١- رفعه عن عبدالله بن حنطب، كما في رواية الترمذي والحاكم وأبي حاتم والبغوي ورفعه عن والده كما في رواية جعفر بن مسافر التي ساقها الحافظ في الإصابة!

٢- الاختلاف في إثبات الواسطة بين ابن أبي فديك، وعبدالعزيز بن المطلب. فالحافظ في التهذيب وفي رواية الحاكم والبغوي باثبات الواسطة.

وفي رواية الترمذي وأبي حاتم عدم إثباتها، لاسيما مع قول أبي حاتم: إن هذا أشبه.

٣- الاختلاف في الراوي عن المطلب، هل هو ابنه عبدالعزيز كما عند الأكثر؟ أو هو المغيرة كما في رواية جعفر بن مسافر.

أما العلة الأولى فزالت لأن لعبدالله بن حنطب صحبة ـ كما هي لأبيه ـ نص عليها ابن أبي حاتم في الجرح ٥/ ٢٩، وذكره ابن حبان في تاريخ الصحابة ١٥٣ (٧٣٥) وفي الثقات ٣/ ٢١٩ وابن عبدالبر في الاستيعاب ٦/ ١٥٩ والحافظ في الإصابة.

والمثبت مقدم على المنفي وهو الإمام الترمذي!

وبقية العلل قال فيها ابن عبدالبر في الاستيعاب في ترجمة عبدالله بن حنطب: «له صحبة، روى عن المطلب ابنه حديثاً مرفوعاً في فضائل قريش، وله في فضائل أبي بكر وعمر حديث مضطرب لا يثبت» اهـ.

وعلى كل حال فللحديث شواهد يتقوى بها:

١- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: «**إنما منزلتهما في الدين بمنزلة السمع والبصر من الجسد**».

رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٢) وقال في المجمع ٩/ ٥٢: رواه الطبراني وفيه محمد مولى بني هاشم ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وقَال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]
يعني: أَبَا بَكرٍ وعُمَر[1].

٢- وعن حذيفة رضي الله عنه رواه الحاكم ٣/ ٧٤ وقال: تفرد به حفص بن عمر العدني عن مسعر، وقال الذهبي: وهو واهٍ.

وعزاه في المجمع ٩/ ٥٢ للطبراني في الأوسط، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٣٩٠.

٣- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعاً أخرجه الخطيب في تاريخه ٨/ ٤٥٩، واللالكائي في شرح السنة (٢٥٠٧)، وعزاه المناوي في الفيض ١/ ٩٠ للطبراني، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. . اهـ.

٤- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه ذكره في المجمع ٩/ ٥٢، وقال: رواه الطبراني وفيه راوٍ لم يسم.

٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة ٢١٥ (١٤٦) لكن في إسناده متروك.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٧٣ وفيه الوليد بن الفضل العنزي متهم بالوضع اتهمه به ابن حبان والحاكم. وانظر اللسان ٦/ ٢٢٥.

(١) وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم فيما رواه عنهما ابن جرير في تفسيره ١١/ ٨٥. وكذا رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو الشيخ وابن عساكر كما في الدر المنثور ٣/ ٥١٧، وذكره في تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٩ وتفسير القرطبي ٨/ ٢٨٨، وتفسير الماوردي ٢/ ٤١٤.

ويؤيد هذا التفسير قراءة ابن السميفع وأبي المتوكل ومعاذ القارئ ﴿وكونا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] بفتح الكاف وكسر النون على التثنية.

ذكرها في زاد المسير ٣/ ٣٤٩ وذكر فيها أيضاً أربعة أقوال.

وقال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ .
[النساء: ٥٩]

قال ابنُ عَبَّاس: «نَزَلَتْ في أَبي بَكرٍ وعُمَر»(١) .

والآية عامة كما قال قتادة بأن ﴿ مَعَ ﴾ بمعنى من لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ﴿وكونوا من الصادقين﴾ .

ولاشك في أنها أولى من تتناوله أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، قال تعالى في سورة الحشر: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

(١) لم أجده عن ابن عباس كذا، وإنما روي في قوله ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [النساء: ٥٩] أنهما: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال عكرمة وأسنده عنه ابن جرير في تفسيره ٥/ ٢٠٧.

وكذا أخرجه عنه عبد بن حميد وابن أبي حاتم والكلبي وابن عساكر.

وروى كذلك عن الكلبي، أخرجه عنه عبد بن حميد. وكذا في الدر المنثور ٢/ ٣١٦ وفيها ثلاثة أقوال أخرى:

١- أنهم العلماء. وهو مرويٌّ عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم والحسن وعطاء وأبي العالية وغيرهم.

٢- وقيل هم الأمراء. وهو قول أبي هريرة وابن عباس في رواية، والسدي ومقاتل وزيد بن أسلم.

٣- وقيل هم أصحاب النبي ﷺ روي عن بكر بن عبدالله المزني ومجاهد.

نقل هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره، وابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ١٤٤، وفي تفسير القرطبي، والماوردي ١/ ٤٩٩، وفتح الباري ٨/ ٢٥٤، والدر المنثور ٢/ ٣١٥-٣١٨.

وقال عزَّ ذِكْرُهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ . [آل عمران: ١١٠]
أولهم أبو بكرٍ ثُمَّ عُمَر .
وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [الحشر: ٨]
أوَّلُهم أَبو بَكرٍ وعُمَرُ رِضوان الله عليهما .
وقال جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية . [الحشر: ١٠]

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والعلماء.

قاله ابن جرير لصحة الأخبار عنه ﷺ بطاعة الأئمة، ولأن هذا القول يجمع بقية الأقوال.

أما سبب نزول الآية في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في عبدالله ابن حذافة ابن قيس السهمي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية متفق عليه.

رواه البخاري في التفسير على آية النساء (٤٣٠٨)، ومسلم في الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله ـ (١٨٣٤).

وذلك أنه غضب عليهم عبدالله بن حذافة فأمرهم أن يدخلوا النار التي أوقدوها، فلم يفعلوا طاعة لله.

ذكرها ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٣٦٨ وخبرها مطول في حديث علي رضي الله عنه في الصحيحين.

رواه البخاري موصولاً في المغازي ـ باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي، وفي الأحكام ـ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم برقم (١٨٤٠).

* * *

أَوَّلُهم أَبو بَكرٍ وُعمَر[١] رِضْوانُ الله عَليهما، فَمنْ عَقد لهما غِلاً فَليْسَ له في الفَيءِ نَصِيبٌ[٢][٣].

---

(١) مراد المؤلف أن هذه الآيات الثلاث في أول من تتناول الشيخين: أبي بكر وعمر، وليس هذه الآيات فحسب، بل كل ما ورد في القرآن من الثناء على المؤمنين والصحابة فإن الشيخين في أول من تشملهم الآية.

(٢) لهذه الآيات من سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فإن الله اختص الفيء لثلاثة أصناف: للمهاجرين والأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان، ولمن جاء بعدهم مُستغفِرا لهم وليس في قلوبهم غلاً عليهم.

أما من كان في قلبه غِلاً للصحابة فلا يدخل في الصنف الثالث، فلا يستحق من الفيء شيء، وهذا ليس مخصوصاً بالشيخين، حيث أراد المؤلف التأكيد بذلك في حقهما.

هذا وقد روى ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت؟ قال: لا.

ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية. ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم؟ قال: لا. ثم قرأ عليه ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو.

. . . .

قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء.

وروى ابن مردويه عنه أيضاً من وجه آخر أنه قال ذلك لرجل تناول عثمان. ذكرهما في الدر المنثور ٦/ ٢٩٣-٢٩٤.

ومضى تقرير هذا عن عائشة، والتنصيص على كفر مبغض الصحابة ولا سيما الشيخين ومنعه من الفيء عن الإمامين مالك والشافعي في آخر الكلام على فضائل الصحابة ـ في الرد على الرافضة والناصبة ص (٨٤٩).

وانظر أيضاً شرح الطحاوية ٦٩١، وزاد المسير ٧/ ٣٤٠ والمناظرة ١٢٤.

(٣) ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه من الخصائص التي اختص بها من بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدها ابن المحب الطبري في فضائله من الرياض النضرة ٢/ ٢٨٦-٣١١ في اثنين وعشرين خصيصة.

وله من موافقته للقرآن، ونزوله مؤيداً له الكثير، وانظر الكوكب الأغر في موافقات عمر للقرآن والتوراة والأثر.

وانظر مناقبه لابن الجوزي، فقد جمع أطرافاً مما اختص به أبو حفص رضي الله عنه.

***

بابٌ مِنْ فَضَائِل عُثْمَان(١) رحَمةُ الله عليه مُفْرَداً

والدَّلَيلُ على أَنَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ رَحْمَةُ الله عليه أَفْضَلُ هذه الأُمَّةِ،

---

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن شمس القرشي الأموي، يكنى أبو عمرو وهي أشهر، وأبو عبدالله، ويلقب بذي النورين لنكاحه بنتي رسول الله ﷺ: رقية ثم أم كلثوم.

ولم يعلم بمن تزوج ابنتي نبي غيره رضي الله عنه، وكان أسلم سادس ستة على يد أبي بكر رضي الله عنهما وقيل رابع أربعة!

ومناقب عثمان كثيرة، وخصائصه التي انفرد بها نحو ثلاثين خصيصة ذكرها مستدلاً لها ابن المحب الطبري في الرياض النضرة ٣/ ١٠-٣٤، لولا الإطالة لأجملتها!

وفي مقتل عمر وتولي عثمان الخلافة ـ مما لم يذكره المؤلف ما يحسن إيراده على طوله هنا ـ قال الإمام أبو عبدالله البخاري في كتابه الصحيح:

حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حمّلْناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل. قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال: قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب.

وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلب، حين طعنه، فطار

. . . .

العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العِلجُ أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله.

فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر ما قتلني، فجال ساعة ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، قال: الصُنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ـ وكان العباس أكثرهم رقيقاً ـ فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم.

فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتى بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة.

قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك. يا عبدالله بن عمر، انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال.

. . . .

انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبدالله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله ابن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وقال: أوصي الخليفة من بعدي، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

بعد هذان[1] أَبي بَكرٍ وعُمَر[2]، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ زَوّجَه ابْنَتَيْنِ، وكان لِذَلك يُقَالُ: ذو النُّورَين.

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبدالله بن عمر قال: يستأذنُ عمر ابن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هناك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن بن عوف. فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قال: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.

(١) كذا في المخطوطة، والصواب: (هذين).

(٢) ساق المؤلف ما يعتبر من مناقب عثمان ذي النورين لا ما دَلَّ على كونه أفضلهم بعد الشيخين. ومما يدل على ذلك:

١- حديث ابن عمر رضي الله عنه: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل الناس ـ وفي رواية: أمة النبي ﷺ بعده ـ بو بكر، ثم عمر، ثم عثمان» رواه البخاري.

٢- اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديمه في الخلافة كما روى البخاري في الحديث الطويل في قصة الشورى بعد عمر عن المسور بن مخرمة أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال: «أما بعد: يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً».

رواه البخاري بطوله في كتاب الأحكام ـ باب كيف يبايع الإمام الناس (٦٧٨١)، وهو في مصنف عبدالرزاق ٥/ ٤٧٧ من طريق أعلى!.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «لو كَانَ لنَا ثَالِثاً لزَوَّجْنَاكَها يا عُثْمَانُ»(١).

٣- ولذا قال الإمام أيوب السختياني (١٣١): من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

لأنهم هم الذين قدموه في الخلافة عليه، ولو كان أفضل منه لما فعلوا!

٤- ونقل البيهقي بسنده عن الشافعي إجماع الصحابة وأتباعهم على أفضلية: أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

وانظره في فتح الباري ٧/ ٢١، وشرح الطحاوية ٧٢٧.

(١) كذا في المخطوطة، ورواه الطبراني في الكبير ١٧/ ١٨٤ (٤٩٠) عن عصمة ابن مالك الخطمي مرفوعاً: «**زوجوا عثمان، لو كانت لي ثالثة لزوجته، وما زوجته إلا بالوحي من الله عز وجل**».

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١/ ١٦٥.

قال في المجمع ٩/ ٨٣: «وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف» اهـ.

قلت: بل هو منكر الحديث يحدث بالأباطيل والمناكير ولا يتابع عليها.

ذكره في اللسان ٤/ ٤٤٩ والكامل لابن عدي ٦/ ١٤ (١٥٦١).

وقال في المجمع في مواضع ضعيف جداً كما في ١٠/ ٢٦٨ و٤/ ١٥١ و٢/ ١١٢ و١٩٥.

وقال أيضاً: منكر الحديث محدث بالأباطيل كما في ١/ ٢٥٧ و٢٤٤.

وورد الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ وقف على قبر ابنته الثانية التي كانت عند عثمان فقال: «**ألا أبا أيم، ألا أخا أيم، يزوجها عثمان، فلو كن عشراً لزوجتهن عثمان وما زوجته إلا بوحي من السماء**».

قال في المجمع ٩/ ٨٣: رواه الطبراني في حديث طويل، وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو لين، وبقية رجاله ثقات.. اهـ.

وضَمِنَ له النَّبيُّ ﷺ الجَنَّةَ بِثَلاثِ مَرَّاتٍ:

١ - إِحْدَاها لما اَشْترى بِئْرَ أَرُومة(١)، وَأَوْقَفَها على المُسلِمين، وكان ذلك لِيَهودي يَبيعُ الدَّلْوَ مِنْه بدِرْهَم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ أَرُومَةَ فأَنا أَضمنُ له على الله الجَنَّة، فقالَ عُثْمَانُ: أنا يا رَسُولَ الله، فاشْتَرَاها وَوَقَفَهَا على المُسلِمين».

وورد مثله عن عثمان مرفوعاً قال في المجمع: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن زكريا الغلابي، قال ابن حبان في الثقات: يعتبر بحديثه إذ روى عن الثقات، وقد ضعفه الجمهور، وروى هذا عمن لم أعرفه» اهـ.

لكن قال فيه الدارقطني: يضع الحديث كما في الميزان ولسانه.

وفيه عن علي مرفوعاً: **«لو كان لي أربعين بنتاً لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن شيء»**.

أخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٤ ثنا علي بن أحمد بن بسطام ثنا سهل بن عثمان ثنا النضير بن منصور العنزي عن عقبه بن علقمة عن علي به.

وهذا سند مقبول عدا علي بن بسطام فلم أجده وهو من شيوخ ابن حبان في الصحيح.

ورواه ابن عساكر في تاريخه من وجه آخر ١١/ ١٦٤.

ورواه أيضاً ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة ١١٨ (٩٠) من وجه ثالث.

(١) قال في معجم البلدان ١/ ٢٩٨: بئر أرْما: بفتح الهمزة وسكون الراء وميم وألف مقصورة: بئر على ثلاثة أميال من المدينة.

وهي الآن معروفة في شمال غرب المدينة في أعلى منطقة الجرف من جهة المدينة وهي قريبة من وادي العقيق وقد حفتها العمران، وهي داخل مزرعة تابعة لمركز الأبحاث في وزارة الزراعة والمياه، فرع منطقة المدينة الآن.

***

٢- وضَمِنَ أَيضاً له الجَنَّةَ حين عَسُرَ النَّبيُّ ﷺ في عَطِيَّةِ الجَيشِ، فقال: «مَنْ يُجهِّزُ جَيشَ العُسْرَةِ فأَنا أَضمنُ له على الله الجَنَّةَ، فقام عُثْمَانُ وقال: أَنا يا رَسُولَ الله»، فأَخرج تِسْعَمَائَةَ نَاقةً وثَلاثاً وتِسعين نَاقةً وأَضَاف إليها سَبعةَ أَفراسٍ تَمامَ أَلفٍ، وجَهَّزَ العُسْرةَ.

٣- وضُمن له بالرُّقَيْعَةِ التي كَانت في المَسجدِ لِيَهُودِيَّةٍ، وقال ﷺ: مَنْ يَشتري هذه الرُّقَيْعَةَ فأَنا أَضمنُ له على الله الجَنَّةَ». فقال له عُثْمَانُ: أَنا، فَاشْتَرَاهَا بِعِشْرينَ أَلفاً، وَأَدْخَلَها في المَسجدِ(١).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣٩-٤٠ بنحوه، قال: ثنا ابن إدريس ـ وهو عبدالله ـ عن حصين عن عمرو بن جادان عن الأحنف بن قيس قال: قدمنا المدينة، فجاء عثمان وعليه مُلَيّة صفراء قد قنع بها رأسه فقال:

هاهنا علي؟ هاهنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من ابتاع مربد بني فلان غفر الله له**» فابتعته بعشرين ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت له: قد ابتعته. فقال: «**اجعله في مسجدنا وأجره لك**» قال: فقالوا: اللهم نعم!

فقال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن النبي ﷺ قال: «**من يبتاع رُومة غفر الله له**» فابتعتها بكذا وكذا، ثم أتيته فقلت: قد ابتعتها. فقال: «**اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك**» فقالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال: «**من جهز هؤلاء غفر الله له**» ـ يعني جيش العسرة ـ فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطاماً. فقالوا: اللهم نعم. قال: اللهم أشهد ثلاثاً.

ورواه بهذا الإسناد النسائي في الأحباس ٦/ ٢٣٤، وابن جرير في تاريخه ٤/ ٢٩٧ من طريق ابن إدريس به، وابن حبان في صحيحه كذلك ١٥/ ٣٦٢ (٦٩٢٠)،

وقال ﷺ: «لِكُلِّ نَبيٍّ رَفيقٌ ورَفيقي عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ في الجَنَّةِ»[(١)].

ورواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٧٠، والنسائي في السنن ٦/ ٢٣٣ من طريق حصين ابن عبدالرحمن به.

وأخرجه من وجه آخر عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان بنحوه رواه الترمذي في مناقب عثمان (٣٦٩٩) وصححه، والنسائي ٦/ ٢٣٦، والدارقطني ٤/ ١٩٨-١٩٩، والبيهقي في الكبرى ٦/ ١٧٦، وابن شيبه في تاريخ المدينة ٤/ ١١٩٥، وعلقه البخاري في الوصايا (٢٧٧٨).

وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٥٩، وفي الفضائل (٧٥١) و (٨٤٩) للقطيعي، وابن أبي عاصم في السنن (١٣٠٩)، وابن حبان وصححه ١٥/ ٣٤٨.

وله شاهد من حديث ثمامة بن حزن القشيري رواه الترمذي في مناقب عثمان ـ في كتاب المناقب ٢٠٧٣ وحسنه، والنسائي في سننه ٦/ ٢٣٥.

وأخرجه البخاري عن عثمان بلفظ: «**من حفر رومة فله الجنة، ومن جهز جيش العسرة فله الجنة ففعلته فصدقوه**».

رواه في كتاب الوصايا ـ باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ـ (٢٦٢٦).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ـ باب مناقب عثمان (٣٦٩٧) ثنا أبو هشام الرفاعي ثنا يحيى بن اليمان عن شيخ من بني زهرة عن الحارث بن أبي ذياب عن طلحة ابن عبيدالله مرفوعاً به.

وقال الترمذي: «هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوي وهو منقطع» اهـ.

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (١٠٩) من وجه آخر عن عثمان بن خالد عن عبدالرحمن بين أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وقال البوصيري ـ كما في حاشيته ـ: هذا إسناد ضعيف فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم. . اهـ.

وقيل للنَّبيِّ ﷺ: «أفي الجَنَّةِ تَزُفُّ؟ فقال: لا، ولكِنْ إِذَا زُفَّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ مِنْ غُرْفَةٍ إلى غُرْفَةٍ تَزَيَّنتْ الجَنَّةُ مِنْ نُورِه»(١).

وأخرجه ابن عدي في الكامل ٥/ ١٧٥ في ترجمة عثمان بن خالد (١٣٣٥) وقال: أحاديث غير محفوظة.

وقال الحاكم: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس ثقة، وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم. وانظر المغني ٢/ ٤٢٤ والميزان ٣/ ٣٢ ولسانه.

وأخرجه عبدالله في زوائد المسند ١/ ٧٤ من وجه ثالث عن عثمان يوم حوصر وفيه الحديث.

وأخرجه كذلك من طريقه البزار ـ كما في الزوائد (٣٧٤) ـ وابن أبي عاصم في السنة (١٢٨٨)، والحاكم ٣/ ٩٧ وصححه وتعقبه الذهبي.

وفيه: أبو عبادة الرزقي الأنصاري، وهو عيسى بن عبدالرحمن ضعفه البخاري والنسائي وابن حبان والعقيلي، وبالغ الحافظ وقال: متروك.

وفيه كذلك: القاسم بن الحكم الأنصاري أبو محمد، لينه الحافظ، وقال أبو حاتم: مجهول.

وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٢٠٤ (٣٢٣) وقال: هذا حديث لا يصح.

وحسبك ما صح من أنه من العشرة المبشرين بالجنة، ومنه ما في الصحيحين من حديث أبي موسى: «**أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمره أن يحفظ باب الحائط فجاء أبو بكر فقال: إئذن له وبشره بالجنة، ثم جاء عمر فقال: إئذن له وبشره بالجنة، ثم جاء عثمان، فقال: إئذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه**».

رواه البخاري متصلاً في ستة مواضع أولها في الفضائل في فضائل الصديق (٣٤٧١)، ومسلم في الفضائل ـ باب من فضائل عثمان (٢٤٠٣).

(١) لم أجده كذا.

وقال ﷺ: «يَدخلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القِيَامة بِشَفاعةِ عُثْمَانَ سَبعين أَلفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ»(١).

---

(١) قال الزبيدي في تخريج الإحياء ـ كما في الاستخراج ٤/ ١٨٧٨ (٢٩٨١) ـ روى ابن عساكر بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفاً كلهم استحقُّوا النار بغير حساب**» وفي المتن أعلاه لحن بنصب «**سبعون**».

ونقل عن الذهبي في كتابه «التبيان في سيرة أمير المؤمنين عثمان» ـ وهو عنده بخطه ـ أنه يروى بإسناد لا يصح عن ابن عباس.

وأخرجه عن ابن عباس رضي الله عنه الملأ في سيرته، والحاكمي القزويني، كما في الرياض النضرة ٣/ ٤٠.

وأورد الذهبي في كتابه: شبابة بن سوار وغيره ثنا حريز بن عثمان عن عبدالله بن ميسرة وحبيب بن عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعاً: «**يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر**».

فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه، هذا حديث صالح السند غريب.. اهـ.

قال الزبيدي: وروى ابن عساكر من حديث الحسين مرسلاً: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي عدد ربيعة ومضر، قيل من هو يا رسول الله؟ قال: عثمان بن عفان**».

والحديث بإبهام هذا الرجل دون تعيينه، رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٣٨) من حديث ابن أبي الجدعاء وصححه الترمذي.

وأخرجه ابن ماجه في باب ذكر الشفاعة، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١٥٣، والحاكم ٣/ ٤٠٥ و ٤٠٨، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٠٥، والطبراني في الكبير ٨/ ٣٣٠. علماً بأن بعض الطرق تفسره بأويس القرني.

وقَدْ قِيلَ في قَوْلِهِ تَبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾. [الأنبياء: ١٠١]

نَزَلَتْ في عُثْمَانَ خَاصَّةً.(١)

وروى الترمذي في صفة القيامة أيضاً (٢٤٣٩) مرسلاً عن الحسن البصري مرفوعاً: «**يشفع عثمان بن عفان يوم القيامة في مثل مضر وربيعة**».

ورواه من وجه آخر عن الحسن منه مرسلاً الآجري في الشريعة ٣٥١.

(١) هذا قول غريب، فلم أر من قال: إنها في عثمان فقط.

ولقد روى ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٣٦٦ بسنده إلى محمد بن حاطب قال: سمعت علياً يخطب يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. قال: عثمان منهم.

وكذا أخرجه ابن جرير في التفسير ١٧/ ١٢٦.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم به عن علي فقال فيها: عثمان وأصحابه.

نقله ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٩٢، وفي الدر المنثور ٤/ ٦٠٩.

ونقل في الدر المنثور عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن علياً قرأ الآية، ثم قال: أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم وعبدالرحمن منهم. وعزاه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه.

وذكر ابن جرير فيها أقوالاً أخر، وأولى الأقوال في تأويل الآية، قول من قال عني بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ما كان من معبود كان المشركون يعبدونه، والمعبود لله مطيع، وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفار.

وانظر زاد المسير ٥/ ٢٧١-٢٧٢.

***

وقد قِيل كَانَ عَهدُ النَّبي ﷺ يقول: أَفْضَلُ هذه الأُمَّة بَعد نَبِيِّهَا: أَبو بَكرٍ وَعُمَرُ ثُمَّ عُثمانُ ثُمَّ عَليٌّ رَحْمَةُ الله عليهم أَجمعين، فكان النَّبِيُّ ﷺ يسَمعُ وَلاَ يُنكِرُ(١).

وقد جاء في الأَخبارِ الصَّحيحَةِ أَنَّه قال ﷺ: «دُلِّيَ مِنْ السَّماءِ مِيزَان فَوُزِنْتُ بأَبي بَكرٍ فَرجحتُ، وَوُزِنَ أَبو بَكرٍ بِعُمَر فَرَجَح، وَوُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ فَرجح، ثم رُفِعَ المِيَزانُ»(٢).

---

(١) وهو حديث ابن عمر في صحيح البخاري ومضى في فضائل أبي بكر ثم فضائل عمر.

(٢) لم أجده هكذا من قول النبي ﷺ.

وإنما روى أبو داود في سننه في السنة ـ باب في الخلفاء من طريقين عن أبي بكرة (٤٦٣٤ و ٤٦٣٥) أنه ﷺ قال ذات يوم: «**من رأى منكم رؤيا؟**» فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان».

فاستاء لها رسول الله ﷺ، وفي رواية «فرأينا الكراهية في وجهه»، فقال: «**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**».

وأخرجه الترمذي (٢٢٨٧) وصححه، وأخرجها أحمد في المسند ٥/ ٥٠ و ٤٤، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ١١/ ٦١ (هندية)، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٥٣٥-٥٣٨، والطحاوي في مشكل الآثار ٨/ ٤١٣ (٣٣٤٨)، وخيثمة بن سليمان كما في الرياض النضرة ١/ ٦١-٦٢.

وبنحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما في المسند ٢/ ٧٦، وعبد بن حميد في المنتخب (٨٥٠)، وعبدالله في زوائده على الفضائل (٢٢٨) بسند فيه ضعف.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ جَعَلَ لِعُثْمَانَ يَوْمَ بَدرٍ سَهمان في الغَنِيمَةِ لأنَّه خَلَفَهُ في المَدينةِ، ورَرمى له في وَجهِ العَدوِّ سَهماً وقال: هذا لأجْلِ عُثْمَانَ[٢].

وكذا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، ورواه أبو داود في السنة (٤٦٣٦)، وأحمد ٣/ ٣٥٥، والحاكم ٣/ ٧١ و ١٤٥، وابن أبي عاصم في السنة (١١٣٤)، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٤٣ (٦٩١٣).

وأصله ما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «**رأيت الناس مجتمعين في صعيد، فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أوذ نوبين وفي بعض نزعة ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر، فاستحالت غرباً، فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن**».

رواه البخاري في مواضع متصلة أولها المناقب وآخر باب علامات النبوة (٣٤٣٤)، ومسلم في الفضائل ـ باب من فضائل عمر (٢٣٩٣).

(١) الخبر ورد بألفاظ كثيرة والحدث واحد، وأصح ما روي ما أخرجه البخاري بسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أما تغيب عثمان عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه**».

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها على يده، وقال: «**هذه لعثمان**».

رواها البخاري في مواضع منها المناقب ـ باب مناقب عثمان رضي الله عنه (٣٤٩٥).

ومن فضائله ما سبق في البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً هو وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «**اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**».

بَابٌ فِي فَضَائِلِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ[١] كَرَّمَ اللهُ وجَهه مُفْرَداً

ثُمَّ إِنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ليس في هَذه الأُمَّةِ بَعْدَ الثَّلاثَةِ أَفضلُ مِنْ عَلِيٍّ، لما رُوِيَ في الأَخبارِ أَنَّه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا في الجَنَّةِ

---

(١) أبو الحسن ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأول من أسلم من الأطفال حيث كان في رعاية النبي صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظفاره، وهو زوج ابنته فاطمة وأبو ابنيها.

قال القحطاني في نونيته:

ولي الخلافة صهر أحمد بعده ... أعني علي العالم الرباني
زوج البتول أخا الرسول وركنه ... ليثَ الحروب منازل الأقران
سبحان من جعل الخلافة رتبة ... وَبَنَى الإِمَامَةَ أيما بنيان
واستخلف الأصحاب كي لا يدعي ... من بعد أحمد في النبوة ثان
أكرم بفاطمة البتول وبعلها ... وبمن هما لمحمد سبطان
غصنان أصلهما بروضة أحمد ... لله در الأصل والغصنان

وانعقد الإجماع على رتبته وفضله بعد النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رابع أربعة، ومضى نقله عن الإمام الشافعي، وغيره ص (٩١٠)، كما نقله أبو المعين النسفي في آخر التبصرة ٤/ ٩١٢.

وله رضي الله عنه من المناقب ما يفوق هذا المختصر كثيراً جداً، وخصائصه التي امتاز بها ما يفوق الخمسين، نقلها مدلاً لها عليه ابن المحب في الرياض ٣/ ١١٣-١٧٨، وقارنها بتهذيب خصائص الإمام علي للنسائي.

ومن ذلك ما عقده الإمام البخاري في صحيحه ـ في كتاب الفضائل قال:

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: **«أنت مني وأنا منك»**.

وقال عمر: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ.

وأَبو بَكرٍ في الجَنَّةِ، وعُمَر في الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ في الجَنَّةِ، وعَليٌّ في الجَنَّةِ»(١).

حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا عبدالعزيز، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه**».

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب**». فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «**فأرسلوا إليه فأتوني به**». فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حمر النعم**».

وكذا أخرجه مسلم في الفضائل ـ باب فضائل علي رضي الله عنه (٢٤٠٦) و(٢٤٠٧).

(١) هذه جملة من حديث العشرة المبشرين بالجنة.

وقد رواه الترمذي في جامعه بإسنادين، في كتاب المناقب ـ مناقب عبدالرحمن (٣٧٤٧ و٣٧٤٨).

الأول: عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

والثاني: عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، من طريق صالح بن مسمار ثنا ابن أبي فديك عن موسى بن يعقوب عن عمر بن سعيد عن عبدالرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد ابن زيد حدثه في نفرٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عشرة في الجنة، أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي والزبير وطلحة وعبدالرحمن في وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص**».

قال: فعدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: نشدتك بالله يا أبا

وقال ﷺ : «أَرْأَف أُمَتي بأُمتي أبو بكر، وأسدُّهم في دَينِ الله عُمر، وأَصَدقُهم حُبّاً عُثْمَانُ، وأَقضاهم بالعَدلِ عَليٌّ بنُ أَبي طَالبٍ»(٢).

الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله وأبو الأعور في الجنة.

قال الترمذي: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وسمعت محمداً ـ يعني البخاري ـ يقول: «هو أصح من الحديث الأول» اهـ، يعني حديث ابن عوف.

وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة ـ باب الخلفاء من طريقين آخرين عنهما (٤٦٤٩) و(٤٦٥٠).

وأخرجه ابن ماجه بسنده في مقدمة سننه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه في باب فضائل العشرة (١٣٣).

والنسائي في الكبرى في كتاب المناقب ـ مناقب ابن عوف رضي الله عنه، عن سعيد بن زيد ٥/ ٥٨ (٨٢٠٤).

والإمام أحمد في المسند ١/ ٩٣ بسنده عن ابن عوف كما عند الترمذي، وفي ١/ ١٨٧ بسنده عن سعيد بن زيد بنحو أطول مما عند الترمذي في قصتها، وفي فضائل الصحابة ١/ ٢٢٩ (٢٧٨).

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة، والبغوي في شرح السنة ١٤/ ١٢٨ من طريقين، وكذا في تفسيره ٦/ ٢١٦.

وعزاه في شرح الطحاوية ص ٤٨٧ إلى أبي بكر بن أبي خيثمة النسائي (٢٧٩هـ) ـ ولعلها في كتابه التاريخ وأظنه مخطوطاً في الظاهرية ـ وفيها قَدَّم علياً على عثمان.

وأكثر الروايات على تقديم عثمان على عليٍّ رضي الله عنهما.

(١) أخرجه بلفظ مقارب ابن ماجه في سننه في المقدمة (١٥٤) قال: ثنا محمد بن المثنى ثنا عبدالوهاب بن عبدالمجيد ثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم عثمان،**

. . . .

وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح».

ورواه من طريق آخر (١٥٥) قال ثنا علي بن محمد ثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة مثله، عن ابن قدامة غير أنه يقول في زيد: «**وأعلمهم بالفرائض**».

وهذا سند صحيح، بل هو على شرط الشيخين، كما قاله الحاكم ووافقه عليه الذهبي.

١- فإن شيخ ابن ماجه محمد بن المثنىَّ هو: أبو موسى البصري العنزي ثقة مات سنة ٢٥٢هـ، روى له الجماعة.

٢- وعبدالوهاب بن عبدالمجيد هو: ابن الصلت الثقفي، أبو محمد البصري، ثقة تغير قبل موته بثلاث، من الثامنة، روى له الجماعة.

٣- وخالد الحذاء: هو ابن مهران أبو المنازل البصري ثقة، يرسل من الخامسة، روى له الجماعة، وقد احتمل الأئمة إرساله، قال في مراتب المدلسين ٣٥: «خالد الحذاء أحد الأثبات المشهورين» وجعله في المرتبة الأولى الذين لم يوصفوا بالتدليس إلا نادراً فلا يؤثر فيهم.

٤- وأبو قلابة: هو عبدالله بن زيد الجرمي المصري ثقة فاضل كثير الإرسال، وجعله الحافظ من أصحاب المرتبة الأولى.

والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق عبدالوهاب به ١٦/ ٢٣٨ (٧٢٥٢) و (٧١٣٧) بمثله.

* وأخرجه من طريقه بوجه أخصر منه:

الترمذي في جامعه في كتاب المناقب ـ باب مناقب معاذ وجبل (٣٧٩٠) و (٣٧٩١)

. . . .

من وجهين عن أنس، ولم يذكر علياً.

وقال في الموافق لسند ابن ماجه، هذا حديث حسن صحيح، وفي الآخر قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة عن أنس إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابه عن أنس نحوه والمشهور حديث أبي قلابة.

وأخرجه النسائي في الكبرى ـ في المناقب ٥/ ٦٧ و ٧٨ من وجهين عن خالد الحذاء به ولم يذكر علياً.

والإمام أحمد في المسند ٣/ ١٨٤ و ٢٨٠ به بنحو لفظ الترمذي، وأيضاً رواه في الفضائل ١/ ٤٤٦ (٧١٦) مختصراً على أبي بكر وعمر.

وأخرجه سعيد بن منصور في سننه ص ٢٤ (٤) عن قتادة مرسلاً.

والطيالسي في مسنده ٢٨١ (٢٠٩٦) عن خالد الحذاء به.

وابن أبي عاصم في السنة (١٢٥٢) عن أنس به. والبغوي في شرح السنة ١٤/ ١٣١.

وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٢٢ عن أنس وفي ١/ ٥٦ عن ابن عمر رضي الله عنهم.

ولفظه عند الحاكم ٣/ ٥٣٥ عن ابن عمر: «**إن أرأف أمتي بها أبو بكر، وإن أصلبها في أمر الله عمر، وإن أشدها حياءً عثمان**» الحديث دون ذكر علي، وسكت عليه الحاكم، وأعله الذهبي فقال: كوثر ساقط.

وأخرجه بنحوه ابن عدي في الكامل ٦/ ١٦١٠. وكوثر هو ابن حكيم أبو مخلد الكوفي الحلبي ضعفه أبو زرعة وأحمد وابن أبي حاتم والساجي، وقال ابن معين: ليس بشيء.

ترجمته في: الميزان ولسانه ٤/ ٤٩٠.

وانظر مختصر ابن الملقن (٧٦٤)، والسلسلة الصحيحة (١٢٢٤).

فَدَلَّ على أنّ عَلِيَّ بنَ أَبي طَالبٍ أَفضل هذه الأُمَّةِ بعد الثَّلاثَةِ[١].

وقال ﷺ لعَليٍّ حين خَرجَ في بَعْضِ غَزَواتِه وخَلفه على أَهْلِهِ، فقال: يا رَسُولَ الله يأْتُون أَصحابُك بالأَجرِ والغَنِيْمَةِ، وتَخلُفني على النِّسْوَان؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أَمَا تَرضى أَنْ تكَونَ مِنِّي بِمَنزلةِ هَارونَ مِنْ مُوسَى»[٢].

قال ولما نَزلتْ سُورَةُ بَراءة وَوَلي أَبُو بَكرٍ الحَجَّ لِيَحُجَّ النَّاسُ بمِكَةَ، فقال ﷺ: «لا يُؤَدِّيْهَا إلاّ أنا، أو رَجلٌ مِنِّي» فبَعثَ عَليّاً لِيُؤَدِّيها[٣] فأَقَامه مَقامَ نَفْسِهِ.

---

(١) كأن المؤلف استدل على ذلك بالترتيب الوارد في الحديثين، حيث جاء عليٌّ فيهما رابعاً بعد الثلاثة: أي أبي بكر ثم عمر ثم عثمان.

وقد انعقد الإجماع على ذلك، ومستنده ما ورد في مناقبه خاصة رضي الله عنه وهي كثيرة.

(٢) وتمامه: «إلا أنه ليس بنبي بعدي»، وذلك لما خرج إلى غزوة تبوك، خلفه ﷺ على أهله، وأمره أن يقيم فيهم كما فعل موسى مع هارون على بني إسرائيل، لما ذهب لميقات ربه.

والحديث مخرج في الصحيحين.

فقد رواه البخاري في الصحيح موصولاً في المغازي ـ باب غزوة تبوك (٤١٥٤)، وفي فضائل علي (٣٥٠٣) من طريقين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ومسلم في فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي رضي الله عنه (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢١٢ ثنا عبدالصمد بن عبدالوارث وعفان ابن مسلم قالا: ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ ببراءة مع أبي بكر رضي الله عنه فلما بلغ ذا الحليفة دعاه ثم قال: «لا ينبغي

. . . .

أحد أن يُبلِّغ هنا إلا أنا أو رجل من أهلي، فبعث بها مع علي».

ورواه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير ـ باب من سورة التوبة (٣٠٩٠) بمثله، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكذا رواه ابن أبي شيبة في فضائل علي من مصنفه ٦/ ٣٧٧، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٥٩٨ وما بعدها من طرق، والطبراني في الكبير ١١/ ٤٠٠.

ورواه أبو الشيخ وابن مردوية من حديث أنس كما في الدر المنثور ٧/ ٣٧٨.

وانظر تفسير ابن كثير على أول براءة ٢/ ٣٣٢-٣٣٤ وأعل رجوع أبي بكر من وجوه وأيده الشيخ ابن باز.. اهـ.

وقال: إنه غلط من بعض الرواة، والمرد إلى ما ثبت في الأحاديث التي أصح من هذا، كذا علقته في الدرس عنه.

وفي الباب عن علي وجابر وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي رافع وحبش بن جنادة السلولي رضي الله عنهم، كلهم بألفاظ نحوها.

وانظر في المسند ٤/ ١٦٤ و ١٦٥، والفتح ٧/ ١٦٩ وما بعدها، والدر المنثور ٣/ ٣٧٧-٣٧٩، وابن جرير في تفسيره ١٠/ ٧٦ وما بعدها.

والحديث أصله في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذن معنا علي يوم النحر ببراءة في أهل منى، وأنه لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

رواه في مواضع منها في التفسير ـ باب قوله ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].

حَدَّث أَبو بَكرٍ مُحَمَّد بنُ عَامرٍ السَّمرقَندي(١) قال: حدَّثَنا عَاصِمُ ابنُ يوسفَ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بنُ أَيوبَ الكِلاَبي(٢)، قال: حدَّثَنا عُمَر(٣) بنُ سُلَيمانَ الأعرج عن . . . .

علماً بأن الأمير على الحج في تلك السنة ـ وهي التاسعة ـ أبو بكر الصديق، وبلغ علي براءة في مواقف الحج وهو تحت إمرته.

(١) مضى الكلام فيه وفي شيخه ص (٨٨٠).

(٢) هو أبو هريرة الواسطي من كبار أتباع الأتباع.

روى عن: عمر بن سليمان، والدراوردي والقطان وآخرون.

وعنه: أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، والباغندي الكبير، وإسحاق البستي وجماعة.

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال تلميذه أبو حاتم: صالح، ولذا قال الحافظ في التقريب: صدوق.

ترجمته في: الكمال للمزي ١١٧٦، والجرح ٧/ ١٩٧، والثقات ٩/ ١١٤، والتهذيب ٣/ ٥١٨ (الرسالة) والتقريب والخلاصة.

(٣) كذا في المخطوطة، وفي الأصول: عمر بن سليمان بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وقيل عمرو المدني.

روى عن: عبدالرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت، كذا في الثقات.

وعنه: شعبة، وابن عُلية، وجهضم بن عبدالله.

وثقه النسائي وابن معين وابن حبان والحافظ وقال من السادسة، وقال أبو حاتم: صالح، روى له الأربعة.

ترجمته في: الكمال ١٠١٢، وتهذيبه ٣/ ٢٣٠ (رسالة)، والثقات ٧/ ١٧٣، والتاريخ الكبير ٣/ ١٦٠، والتقريب.

عبدِالله بنِ عَمْرو[١] بنِ عَليٍّ بنِ زَيدٍ، عَن سَعيدِ بنِ المُسَيَّب[٢]، عن زَيدِ بنِ ثَابتٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَبغَضَ عَليّاً في حَياتِه وبَعد وفَاته، ماتَ مَوْتَ الجَاهليةِ، وحَسبُه عليه بما عَمِلَ»[٣].

---

(١) كذا في المخطوطة: ولم أجده هكذا!

وفي الثقات لابن حبان ٧/ ٣٦: عبدالله بن عمر بن علي العبلي من أهل المدينة.
يروي عن: عبيد بن جبير مولى الحكم بن أبي العاص عن عبدالله بن عمرو.
روى عنه: ابن إسحاق.
ونحوه في التاريخ الكبير ٥/ ١٤٤ ونسبه: العبشمي.

(٢) العلم الشهير سيد التابعين، فقيه المدينة وعالمها، المولود بعد خلافة عمر بسنتين.

روى عن: جمع من الصحابة منهم: عائشة وسعيد بن عبادة وزيد بن ثابت.
وعنه: خلق كثير منهم: الزهري وقتادة ويحيى بن سعيد.
قال في التقريب: سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين، روى له الجماعة.

ترجمته في: الكمال ٥٠٤، وتهذيبه ٤/ ٨٤ وتقريبه، والتاريخ الكبير ٣/ ٥١٠، والطبقات ٥/ ١١٩، وطبقات خليفة (٢٠٩٦)، والسير ٤/ ٢١٨، والحلية ٢/ ١٦١، والتذكرة ١/ ٥١.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ولا فيما أسنده زيد بن ثابت!

وفي هذا الباب ما رواه الطبراني في الكبير ٦/ ٢٣٩ (٦٠٩٧) بسنده عن زاذان عن سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي: «**محبك محبي ومبغضك مبغضي**».

. . . .

قال في المجمع ٩/ ١٣٢: وفيه عبدالملك الطويل وثقه ابن حبان وضعفه الأزدي، وبقية رجاله وُثّقوا، ورواه البزار بنحوه. اهـ.

وروى أيضاً في الكبير ٢٣/ ٣٨٠ (٩٠١) بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً: **«من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»**.

رواه من طريق محمد بن عبدالملك ثنا الحكم بن محمد شيخ مكي عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل عنها، قال في المجمع ٩/ ١٣٢: رواه الطبراني وإسناده حسن. اهـ.

وأخرجه المخلص في فوائده بسند صحيح عنها وذكره في الصحيحة (١٢٩٩).

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٠ من طريق آخر عن سعيد بن أوس ثنا عوف عن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني»**.

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.. اهـ، ووافقه الذهبي.

وقد ذهل رحمه الله في ذلك، فإن سعيد بن أوس هو أبو زيد الأنصاري قال فيه الحافظ: صدوق له أوهام ورمي بالقدر، لم يروِ له سوى أبو داود والترمذي، وانظره في التهذيب ٤/ ٥.

وفيه عوف شيخ سعيد وهو: ابن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، ثقه رمي بالقدر والتشيع، روى له الجماعة، فهذا الحديث مما يؤيد بدعته.

فكيف يكون الحديث على شرطهما؟ بل ولا على شرط أحدهما!

ما رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٥٦ من حديث بريدة رضي الله عنه يرفعه: «أمرني الله

. . . .

عز وجل بحب أربعة من أصحابي ـ أرى شريكاً قال: وأخبرني أن يحبهم علي منهم، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد الكندي».

أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٠٢) في مناقب علي وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، وابن ماجه في المقدمة (١٤٩)، وعبدالله بن الإمام في زوائد الفضائل (١١٠٣)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٧٢، والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٠ من طريقين وقال على شرط مسلم، وتعقبه الذهبي فقال: فيه أبو ربيعة الإيادي، وما خرج له مسلم.

فالحديث ضعيف لعلتين:

١- حال أبي ربيعة حيث قال أبو حاتم: منكر الحديث، وعدَّه الذهبي في الضعفاء، ووثقه ابن معين في رواية، ولذا توسط الحافظ وقال: مقبول. يعني حيث يُتابع وإلا فضعيف.

وانظره في: الجرح ٦/ ١٠٩، وتهذيب الكمال ٣/ ١٦٠٤، وتهديبه ١٢/ ٩٤، والمغني ٢/ ٤٦٦، والميزان ٣/ ١٩٦.

٢- شريك بن عبدالله النخعي القاضي: صدوق يخطىء كثيراً. كما في التهذيب ٤/ ٣٣٣ وتقريبه، والجرح ٤/ ٣٦٥.

ورواه الخطيب في التاريخ ١٣/ ٣٢ بسنده عن ابن مسعود بلفظ مقارب، وقال: هذا الحديث موضوع الإسناد به.

وفي الباب من الواهيات تنبيهاً:

١- ما روي ان عدي في الكامل ٤/ ٢٦٤ في ترجمة عبدالله بن حفص الوكيل (١١٠٠) من طريقه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: **«من أحبني فليحب عليًّا ومن أحب علياً فليحب فاطمة.. فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، ومن أبغض أحداً من أهل**

. . . .

بيتي فقد حرم شفاعتي».

قال ابن عدي: «وهذا حديث باطل بهذا الإسناد وضعه شيخنا هذا، هذا وهذه الألفاظ التي في هذا الحديث لا تشبه ألفاظ الأنبياء» اهـ.

وانظر الكلام عن عبدالله بن حفص في الميزان ٢/ ٤١٠ ولسانه ٣/ ٢٧٥.

٢- عن أبي سعيد مرفوعاً في علي رضي الله عنهما: «**حبك إيمان وبغضك نفاق، وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النار مبغضك**».

٣- ويروى: «**لو اجتمع الناس على حب علي لم تخلق النار**» كذبهما شيخ ابن تيمية كما في المنهاج ٣/ ١٨ و ٤/ ١٠٦.

٤- وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه يرفعه: «**من مات وفي قلبه بغض لعلي بن أبي طالب فليمت يهودياً أو نصرانياً**».

رواه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٢٥٠، وفيه علي بن قرن كان يضع الحديث، والجارود بن يزيد كان يضع أيضاً، وانظر اللسان والميزان (٥٩١٣).

ورواه الديلمي في الفردوس من غير طريقهما: عن أحمد بن عبدالله المؤدب البغدادي ثنا محمد بن الحارث به.

وأحمد المؤدب هالك كان يضع الحديث كما في اللسان ١/ ١٩٧، وتاريخ بغداد ٤/ ٢١٨.

ونصَّ على وَضْعِه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٨٨، واللآليء المصنوعة ١/ ٣٦٧، وتنزيه الشريعة ١/ ٣٦٠، والفوائد المجموعة (١١١).

بل نص على وضعه شيخ الإسلام في المنهاج ٤/ ١٠٧ سنداً ومتناً!

هذا وقد أطال ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٥٢-٣٠١، وفي العلل المتناهية

وقال رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ عَليّاً في حَياتهِ وَبَعْدَ وفَاتِه، كَتَبَ الله له مِنَ الأَمنِ والإِيْمَانِ بِعَدَدِ ما طَلعَتْ عليه الشَّمسُ وغَربت»(١).

وقال عليه السَّلامُ: «إِذا كَان يَوْمُ القِيَامَةِ، يَقومُ عَلى حَوْضِي أَبُو بَكرٍ يَسقِي أُمَّتِي، وعُمَرُ عَلى المِيْزَانِ يَشْفَعُ وَيُثَقِّلُ مِيزَانَهم، وعُثْمَانُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ يَشْفَعُ لأُمَّتِي في دُخُولِ الجَنَّةِ، وعَليٌّ يَقُومُ على الصِّراطِ يَشْفَعُ لأُمَّتِي في الجَوازِ عَليه»(٢).

١/ ٢١٠ وما بعدها، في ذكر ما وضع على عليٍّ رضي الله عنه من الأحاديث فعدد ٥٩ حديثاً موضوعاً بطرقها ثم قال: «قد وضعوا له أحاديث خارجة عن الحد..» وشيخ الإسلام في المنهاج في مواضع كثيرة منها ٣/ ٩-١٩ و ٤/ ٩٩-١٠٧ و ١٣١ و ٧٥.

وانظر المجمع ٩/ ١٢٧-١٣٣، واللآلىء المصنوعة ١/ ٢٦٧ وما بعدها، وتنزيه الشريعة ١/ ٤٠٢، والفوائد المجموعة (٣٤٢ و ٣٤٣ .. ١١٧٠)، والنكت والبديعات (٢٩٠) وما بعدها، والأسرار المرفوعة ٢١٥، والتذكرة للزركشي ٣١ وما بعدها، والدرر المنثورة (٤٨٨).

والمقصود أن أكثر من كذب عليه من الصحابة في مناقبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه جهلاً وتجاهلاً، وفي الصحيح من مناقبه وفضائله رضي الله عنه ما يكفي ويشفي والحمد لله.

(١) لم أجده هكذا، ولا في موضوعات ابن الجوزي لا سيما ما عقده في الأحاديث الموضوعة في محبته ١/ ٢٩٠-٢٩١ و ١/ ٢٧٧! ومتنه غريب؟!

(٢) ذكره ابن حبان في كتابه المجروحين ١/ ١١٦ في ترجمة إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي، وهو الذي يروي عن وكيع عن سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً: **«إذا كان يوم القيامة يقوم أبو بكر على أحد أركان الحوض، وعمر على الثاني، وعثمان على الثالث، وعلي على الرابع، فمن أبغض واحداً منهم لم يسقه الآخرون»**.

. . . .

قال ابن حبان: ومن يروي بهذا الإسناد مثل هذا المتن، استحق أن يُعدل به إلى جملة المتروكين.

وروى من طريق أيضاً إلى ابن عباس مرفوعاً بنحوه وفيه: «**فيقال لأبي بكر قف على باب الجنة فأدخل فيها من شئت، ولعمر قف عند الميزان فثقل برحمة الله من شئت وخفف من شئت**».

وإبراهيم هذا قال الحافظ في اللسان ١/ ٧١: أحد المتروكين، وفي آخر ترجمته فيه: هذا رجل كذاب، وقال الحاكم: أحاديثه موضوعة، واتهمه ابن حبان بسرقة أحاديث الثقات وتسويتها بما ليس من حديثهم.

وانظر الميزان ١/ ٤٠، وذكره ابن الجوزي في الضعفاء ١/ ٤٠ (٨٠)، والخبر رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٠٢ من طريقين، أحدهما بمثل ما سبق، وكلاهما واهيان.

وأخرجه عن أنس مرفوعاً بلفظ: «**لحوضي أربعة أركان: الركن الأول في يدي أبي بكر الصديق**. . » أبو سعد في شرف النبوة، والغيلاني في الغيلانيات، والملا في سيرته، كما نقله عنهم المحب في الرياض النضرة ١/ ٥٠-٥٣.

وكذا ذكره في اللآلىء ١/ ٣٨٤، وتنزيه الشريعة ١/ ٣٦٩، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١١٤٣).

لما ذكر في الفوائد (١١٢٨) جملة الخبر الأخيره من حديث أبي بكر يرفعه: «**على الصراط عقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب**. . ».

وقال: رواه الخطيب، وقال: موضوع، من عمل القصاص. . اهـ.

وليت المؤلف أغفل مثل هذه الأخبار واكتفى بما أورد من صحيحها!

***

وَرُوِيَ عن الزُّهرِي، عن سَعيدِ بنِ المُسيَّبِ أَنَّه قال في تَفْسِيرِ، والعَصرِ، قَوْلُه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ هو الدَّهرُ، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني أَبا جَهْلٍ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكرٍ، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عُمَرُ، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ عُثمانُ، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عَليُّ بنُ أَبِي طَالبٍ[1]. [العصر: ١-٣]

---

(١) نقل في الدر المنثور ٦/ ٦٦٨ عن ابن مردويه عن ابن عباس قال: في قوله ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني: أبو جهل بن هشام، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ذكر عليا وسلمان.

وبمثل ما ساقه المؤلف نقل القرطبي في تفسيره ٢٠/ ١٨٠ عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قرأت في سورة العصر، ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قسم من الله، أقسم ربكم بآخر النهار، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: أبو جهل، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكر. . » بمثله.

قال القرطبي: هكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه.

والواقع أن السورة عامة ليست في أشخاص محدودين بذواتهم، بل من ذكرهم المؤلف هم أول من تتناولهم الآية من دون تخصيص!

قال ابن كثير في تفسيرها ٤/ ٤٥٧: «أقسم الله بالزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، على أن الإنسان لفي خسر، أي خسارة وهلاك، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات وترك المحرمات: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر» اهـ.

وانظر تفسير ابن جرير نحوه ٣٠/ ٣٧١-٣٧٣، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢٢، والدر المثنور ٦/ ٦٦٧، والقرطبي ٢٠/ ١٧٩.

وَرُوِيَ عنه أنَّه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَبا بَكرٍ فقد أَقَامَ الدِّينَ، ومَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَد أَوضَح السَّبيلَ، ومَنْ أَحبَّ عُثْمَانَ فَقَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الله، ومَنْ أَحَبَّ عَليّاً فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بالعُروَةِ الوُثْقَى»(١).

وقد رُوِيَ في تَفْسِير قَوْلِهِ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أَبُو بَكرٍ، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ عُمَرُ، ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ عُثمانُ، ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ عليُّ بنُ أَبي طَالبٍ، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾. [الفتح: ٢٩]

---

(١) رواه اللالكائي بسنده في شرح أصول أهل السنة ٧/ ١٢٤٣ (٢٣٣٣) لكن عن أيوب السختياني بمثله وزاد: «.. ومن قال الحسنى في أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق».

والذي رواه اللالكائي عن سعيد بن المسيب قوله: «الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي..» ٧/ ١٣٨٩ (٢٦٦١)، وانظر ما بعده عن جماعة من أعيان السلف بنحو قوله.

كما روى أبو القاسم اللالكائي ٧/ ١٢٤٢ (٢٣٣٢) بسنده عن أبي هريرة يرفعه: «لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في مؤمن: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي».

وفي سنده: ابن حيان، قال في التقريب: يُقال اسمه حيان بن غالب، شيخ الهلال بن يساف، لا يُعرف، ولم يُسم من السادسة، روى له أبو داود والنسائي.

***

بَابٌ في الرُّوح[١] والإيْمَانُ بأَنَّ الإنْسَانَ مخْلُوقٌ

والأَرْوَاحُ كُلُّها مخْلُوقَةٌ[٢] لَيْسَ بَيْنَ الله وبَيْنَ الخَلقِ نَسبٌ ولا سَبَبٌ، وكَذَلِكَ رُوحُ عِيسَى بنِ مَريمَ عليه السَّلام مخْلُوقٌ، فمَنْ قال:

---

(١) ألف العلماء في هذه المسألة لما نبغت نوابغ في المسلمين قصر فهمهم عن الكتاب والسنة فزعموا أن الأرواح غير مخلوقة، كما ألّفوا فيها لما بحثوا أمر الموت والقبور والمعاد والنشور، ومن هذه المؤلفات:

١- كتابا القبور والمنام لابن أبي الدنيا.
٢- كتاب النفس والروح للحافظ أبي عبدالله بن منده، كتبه لمن سأله عن الروح أهي مخلوقة؟ كما في الروح لابن القيم ٥٠٢.
٣- الروح لمحمد بن نصر المروزي.
٤- الروح لأبي سعيد الخراز.
٥- الروح للقاضي أبي يعلى الحنبلي.
٦- الروح لأبي يعقوب النهرجوري.
٧- النفس والروح للفخر الرازي.
٨- الروح لابن القيم وهو أجمع ما كتب في الباب، وقد أشار فيه إلى المؤلفات السالفة.
٩- سرح الروح لأبي الحسن إبراهيم البقاعي.
١٠- رسالة في الروح للجلال السيوطي.

(٢) «أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن الروح محدثة، مخلوقة، مصنوعة، مربوبة، مدبرة. وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق، وقد انطوى عصر الصحابة

إِنَّ الرُّوحَ مِنْ ذَاتِ الله وجُزْءٌ مِنْه فَقَدْ كَفَر، وهو قَولُ النَّصارى في

والتابعين، وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها غير مخلوقة».

قاله ابن القيم في الروح ٥٠١، ٥٠٧ وما بعدها، ومما ساقه من الأدلة على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] لا يخصص من هذا اللفظ العام إلا الخالق سبحانه وصفاته، وما سواه مخلوق.

٢- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

٣- قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١١].

٤- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٦] وربوبيته شاملة للروح، وكل مربوب مخلوق.

٥- قوله في أول الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ولو كانت الروح قديمة غير مخلوقة، لكان الإنسان لم يزل شيئاً.

٦- قوله تعالى لزكريا في سورة مريم: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] وهو خطاب للروح والبدن، فإن بدنه وحده لا يعقل هذا الخطاب.

٧- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والروح في جملتهم.

٨- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والروح عابدة مستعينة وتلك خصائص المعبودات المخلوقات.

٩- حديث «**الأرواح جنود مجندة**» وسيأتي، فالجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

١٠- ما في النصوص الكثيرة من الوحيين من وصف الإنسان بالعبودية، والعبد اسم لمجموع الروح والجسد، والعبد مخلوق لا محالة.

عِيسَى عليه السَّلام (١) .

١١- النصوص الدالة على أن الله كان ولم يكن شيء قبله في حديث عمران وغيره .

١٢- اتصاف الروح بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال والطيران، وتلك صفات المخلوقات المصنوعة .

هذا وقد نقل الإجماع على ذلك من العلماء :

١- محمد بن نصر المروزي، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، ذكره ابن القيم في الروح ٥٠٤ .

٢- أبو محمد بن قتيبة، في آخر كتابه الاختلاف في اللفظ ٢٥١ .

٣- أبو إسحاق بن شاقلاً، كما في الروح ٥٠٤ .

٤- ابن حزم، كما في الفصل ٥/ ٦٥ .

٥- أبو العباس بن تيمية، كما في الفتاوى ٤/ ٢١٦ .

٦- ابن القيم في كتابه الروح، في فصل عقده بذلك هل الروح قديمة أم محدثة مخلوقة، وهي المسألة السابعة عشرة منه .

(١) بأن قالوا إنه روح من الله أي جزء منه، فهو ابن له .

قال ابن قتيبة في الاختلاف في اللفظ ٢٥٠ : «وقد بلغني أن قوماً يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوقة، وأنهم يستدلون على ذلك بقول الله في آدم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وهذا هو النصرانية، والقول باللاهوت والناسوت» اهـ.

وقد كفر الله النصارى بقولهم ذلك في غير ما آية كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٣] .

. . . .

فإن النصارى هم الذين زعموا أن روح عيسى ليست مخلوقة، وإنما هي جزء من روح الله، زعموه في عيسى فقط، ولم يعمموه في كل الأرواح.

فإن آدم كذلك نفخ الله فيه من روحه ولم يقولوا فيه قولهم، بل اعتقدوا أنه مخلوق، فحجهم الله بذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠].

وأيضاً المضاف إلى الله نوعان:

١- معاني: كسمع الله وبصره وعلمه وقدرته وإرادته، فتلك صفاته سبحانه التي لا تقوم إلا به كقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

٢- أعيان: كالناقة والبيت: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، وهي مخلوقة قائمة بذاتها، ومنه الروح كقوله عن جبريل في سورة مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآيات [مريم: ١٧]، فهو الذي في قوله من آخر الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ الآيات [الشعراء: ١٩٣].

وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى في آخر سورة النساء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. فهي كقوله تعالى عن بعض مخلوقاته في سورة الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

ومن خلط بين النوعين أتى إليه الخلل من ذلك كالنصارى وأضرابهم هاهنا، والجهمية والمعتزلة في مسألة القرآن.

وانظر الفتاوى ٤/٢١٦ وما بعدها، والروح ٥٢٥، وشرح الطحاوية ٥٦٣.

وأَنَّ الله خَلقَ الأَرواحَ سِرَّاً وأَدخلهَا في الخَلْقِ سِرَّاً، ويُخرجُها مِنْهم سِرَّاً، ولا يُخرجه مِنْ إِنْسَانٍ ويُدْخِلُه في غَيره[(١)]، ولا يَعلُم أَحدٌ كَيْفِيَّتَهُ ولا حَدَّه[(٢)] ولا وَصْفَهُ إِلاَّ الله الوَاحُد القَهَّارُ.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «الأَرواحُ جُنُودٌ مُجَندةٌ تتَّسَم بَعْضُها بعَضاً كَتسامِّ الخَيلِ، فما تَعارفَ مِنْها ائتلفَ وما تَناكَرَ مِنْها اختَلف»[(٣)].

---

(١) كما هي عقيدة التناسخ، وهي عقيدة وثنية قديمة عرفت عند الهنود، والفرس، واليونان، ومن تأثر بهم من بعدهم من أهل الديانات السماوية في صور شتى.

(٢) أي كيفية الروح وحدها أي حقيقتها الجامعة لها، لا يعلمها أحد إلا بارؤها كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأراد المؤلف بقوله (ولا وصفه) ـ والله أعلم ـ الوصف الجامع لكُنه الروح وحقيقتها، فإن هذا محجوب علمه عنا، ولا يعلمه إلا خالق الروح.

وهو ما أراده المؤلف لأنه أتى بأوصاف للروح معلومة من نصوصهما، من كونها مخلوقة، ومجندة.

(٣) الحديث في الصحيحين بلفظ: **«الأرواح جنود مُجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**.

حيث رواه البخاري معلقاً مجزوماً به، عن عائشة رضي الله عنها في الأنبياء ـ باب الأرواح جنود مجندة، ومسلم عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة ـ باب الأرواح جنود.. (٢٦٣٨).

وأما اللفظ الذي ساقه المؤلف فقد أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٢٢٠) عن علي رضي الله عنه بلفظ: **«إن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشامّ في الهواء»**.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رحْمَةُ الله عليه: «خَلقَ الله تعالى الأَرواحَ مِنْ سَبعةِ أَشياءٍ: جُزْءٌ مِنْ الحَرِّ، وجُزْءٌ مِنْ البَردِ، وجُزْءٌ مِنْ الرِّيح، وجُزْءٌ مِنَ الطِّيبِ، وجُزْءٌ مِن الفَهمِ، وجُزْءٌ مِنُ البَقاءِ، وجُزْءٌ مِن النُّور»(١).

ولكن ضعفه العراقي في تخريج الإحياء ٢/ ١٧٦.

وقال الزبيدي عليه: ورأيت بالهامش بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: «حديث علي اختلفوا في رفعه ووقفه وقد روى من حديث ابن مسعود» اهـ.

قال في الاتحاف: «وأما حديث ابن مسعود الذي أشار إليه الحافظ فقد أخرجه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، وأخرجه العسكري في الأمثال من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عنه رفعه» اهـ، كما في الاستخراج (١٦١٩)، وهو يرمي إلى ما قال السخاوي في المقاصد ٥١: «وفي الباب عن سلمان وابن عباس وابن عمرو وابن مسعود وعلي وعمرو وأبي الطفيل رضي الله عنهم، ولا أطيل بإيرادها، لكن لفظ حديث ابن مسعود منها عند العسكري في الأمثال من حديث إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن رفعه: «**الأرواح جنود مجنودة تلتقي فتتشام كما تتشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف**..» ولم أجده بهذا اللفظ في الكبير، وإنما عنه من طريق غير أبي الأحوص بمثل ما في الصحيحين عن ابن مسعود، في الكبير ١٠/ ٢٣٠ (١٠٥٥٧) وانظر المجمع ٨/ ٨٧ و ١٠/ ٢٧٣.

قال ابن القيم في الروح عقب الحديث ٢/ ٥١١: رواه عن النبي ﷺ ثمانية من الصحابة هم: أبو هريرة وعائشة وسلمان وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وعلي وعمر بن عنبسة رضي الله عنهم.

(١) لم أجده هكذا.

وروى عبدالله بن أحمد في السنة ٢/ ٤٨٤ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً قوله: «**خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده، وسائر ذلك قال له كن فكان، خلق القلمَ بيده، وآدم بيده، والتوارة كتبها بيده، وجنات عدن بيده**».

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾. [الأعراف: ١٧٢]

فكان النِّداءُ مِنَ الخَالقِ، والجَوابُ مِنَ المخْلُوقِين (١)

وفي سنده حسن بن أبي جعفر الجُفري البصري ضعيف الحديث كما في التهذيب ٢/ ٢٦٠، وشيخه يوسف بن وردان لين الحديث كما في التهذيب ١١/ ٤٢٤.

وهذا الخبر ورد مرفوعاً وموقوفاً عن ابن عمر رضي الله عنهما في الرد على المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي ١٧٢، وعن الحاكم ٢/ ٣١٩ وصححه ووافقه الذهبي في الموقوف، واللالكائي من عدة أوجه (٧٢٩-٧٣٠) ٣/ ٤٢٩ عنه.

كما روى ابن جرير ١٤/ ٢٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين لازب، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار**» الأثر.

ورواه أيضاً ١٦/ ٢٢١ والطبراني في الصغير ٢/ ٥٥، وأبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٥٤٥ (١٠٠٤) من طريق سفيان عن الأعمش عن مسلم عن ابن جبير عنه.

ولكن ذكر من الدر المنثور ٤/ ٣٦٢ أن أبا الشيخ أخرج عن سلمان رضي الله عنه قوله: «.. **والملائكة والروح عشرة أجزاء، فالملائكة جزء، والروح تسعة أجزاء**» ولم أجده في العظمة، فالظاهر أنه في تفسيره.

وفي الصفات التي ذكرها عن الروح انظر المسألة التاسعة عشرة والعشرين من الروح لابن القيم ٥٧٢ و٦٥٨ وما بعدهما.

(١) هذه الآية تُسمى آية العهد والميثاق، وهي من دلائل القرآن على خلق الروح.

وردت أحاديث كثيرة في الآية، من أجودها ما رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٧٢ ثنا حسن بن محمد ثنا جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ـ يعني عرفه ـ، فأخرج من صلبه كل ذريته ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر،**

ورُوِيَ عن الزُّهريِّ أَنَّه قال: سُئِلَ ابنُ مَسْعُودٍ عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾. [الإسراء: ٨٥]

قال: لم يَقُلْ أَمْرُ ربي، لأَنَّ أَمْرَهُ كُنْ، والكُنْ كَلامُهُ، وكَلامُهُ غَيرُ مَخْلُوقٍ، وما يَكُونُ وما يَظهُر فهو مَخْلُوقٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. [النحل: ٤٠]

فالْكُنْ أَمْرُهُ، وَالأَمْرُ كَلامُهُ، وليس كَلامُهُ بِمَخْلُوقٍ، وما يَكُونُ بِأَمْرِهِ يَعني بِكَلامهِ مَخْلُوقٌ[(١)].

ثم كلمهم قُبلاً» قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

وإسناده كلهم ثقات.

وأخرجه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٧، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢)، وابن جرير في تفسيره ٩/ ١١٠، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٤٤ وصححه ووافقه الذهبي، وفي ١/ ٢٧ وصححه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٤٩ (٧١٤) و(٧٤١)، وأخرجه ابن مندة في الرد على الجهمية (٢٩) كلهم من طريق حسن بن محمد المروذي، والحديث له متابعات، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٢، وقال في المجمع ٥/ ٢٥: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

وأطال ابن جرير بذكر طرقه، وكذا البيهقي، بل وأكثرهم في ذلك ابن القيم في الروح ٥٢٩-٥٧٢ في مسألة أيهما تقدم في الخلق الروح أم الجسد؟

(١) لم أقف عليه، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري لم يدرك ابن مسعود رضي الله عنه حيث توفي في خلافة عمر سنة ١٨هـ، والزهري ولد سنة بضع وخمسين، وجلُّ

وسُئلَ أَنسُ بنُ مَالكٍ عن تَفْسِيرِ هذه الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى﴾. [الإسراء: ٨٥]

قال: «إنَّ اليَهُودَ لَعَنَهُم اللهِ سَألوا النَّبي ﷺ عن الرُّوحِ تَعَنُّتاً لا تَفَقُّهاً فأَنزل الله تبَارك وتعالى»(١).

رواياته عن صغار الصحابة وكبار التابعين!

انظر التهذيب ٣/ ٦٩٦-٦٩٩ (الرسالة).

وحديث ابن مسعود في الصحيحين قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء بشيء تكرهونه. فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت، فقلت إنه يُوحى إليه، فقمت فلما انجلى عنه قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

رواه البخاري في مواضع منها التفسير ـ تفسير آية الإسراء (٤٤٤٤) وفي العلم (١٢٥) موصولة، ومسلم في صفات النافقين ـ باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٧٩٤).

(١) لم أجده عن أنس.

وهو في الصحيحين من حديث ابن مسعود ومضى قبله، وفي تفسير ابن جرير ١٥/ ١٩٣-١٩٥، وابن كثير، وفي الدر المنثور ٤/ ٣٦١، الحديث عن ابن مسعود وابن عباس، ويروى عن قتادة والحسن رضي الله عنهم.

وانظر زاد المسير ٥/ ٥٨.

وابن القيم في الروح ٢/ ٥١٨-٥٢٥ أورد عليه البحث هل كان الحديث في المدينة أم بمكة ثم رجح خبر ابن مسعود، وكذا فعل قبله الطحاوي في مشكل الآثار.

ولم يُرِدْ أنْ يُطْلِعَهُم عليه، كما سَألوه عن القِيَامةِ فأخفى عنهم، حيثُ قالوا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[1] الآية. [الأعراف: ٨٧]

ومعنى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[2] فإنَّ الرُّوحَ هاهنا أرادَ به جِبْريلَ عليه السَّلام[2]. [الأنبياء: ٩١]

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾. [النبأ: ٣٨]

أرادَ به مَلَكاً في القِيَامةِ[3].

---

(١) روى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه، والبزار وابن المنذر وابن جرير ٣٠/ ٦٢ والحاكم وصححه ٢/ ٥١٣ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية. وانظر الدر المنثور ٦/ ٥١٥.

(٢) أي أن النافخ فيها هو جبريل كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٩].

فإن الروح في الآية هو جبريل، وانظر الدر المنثور ٤/ ٤٧٧، والقرطبي ١١/ ٣٣٨، وهو مروي عن قتادة كما في تفسير عبدالرزاق، وكذا في ابن جرير ١٧/ ١١١.

وفي تفسير الواحدي ٣/ ٢٥٠ بأن الروح في الآية هو جبريل النافخ في مريم صلى الله عليهما وسلم.

والروح تطلق على جبريل كما في قوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وعلى الوحي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وعلى تأييد الله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٥٢] ولعله يأتي له مزيد بيان إن شاء الله.

(٣) وهذا القول مروي عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، والضحاك

وروى أَبو مُوسى الأَشْعَري قال سُئل أَمير المُؤْمِنِينَ عليُّ بنُ أَبي طَالبٍ ـ كرَّم الله وَجْهَهُ ـ عن الرُّوحِ أهو مَخْلُوقٌ، أم غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ فقال: «أَرواحُ الخَلائقِ كُلُّها الصَّالِحُ والطَّالِحُ مَخْلُوقةٌ، ولو لم تكُنْ مَخْلُوقةً لما عَذَّبَ الأَرواحَ مع الأَجْسَادِ في نَارِ جَهَنَّمَ»(١).

والشعبي وسعيد وخصوها بجبريل.

أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره ٣٠/ ٢٨ وما بعدها.. وهو قول وهبه بن منبه ومقاتل كما في الدر وفي الآية أقوال غير هذا:

١- فقيل إنهم جند من جند الله ليسوا بملائكة، وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد وأبي صالح والأعمش، حيث جعلوا العطف في الآية للمغايرة.

٢- أنهم أرواح الناس تقوم مع الملائكة وهو قول رواه العوفي عن ابن عباس.

٣- أنهم بنو آدم وهو قول قتادة والحسن البصري.

٤- أنه القرآن، قال زيد بن أسلم لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ الآية.. [الشورى: ٥٢].

وانظرها في تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٥، وزاد المسير ٨/ ١٦٧-١٦٨، والوسيط ٤/ ٤١٧، والدر المنثور ٦/ ٥٠٥-٥٠٦.

وقال ابن جرير عقبها: «والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت والله أعلم أي ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أن المعني به دون غيره، يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به» اهـ.

(١) لم أقف عليه، وسألت عنه سماحة شيخنا ابن باز فقال: «معناه صحيح ولا أعرف له أصلاً».

***

ورُوِيَ عن أَميرِ المُؤمنين عُمر بنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه قال: «إِذا أَدْرَكْتُم قَوْماً يَزعمون أَنَّ الأَرواحَ لَيْسَتْ مَخْلُوقة فاقْتُلوهم! فإِنَّهم إِخْوانُ النَّصارى»[1].

وقد أَنزلَ الله تعالى في مُحكَم كِتَابِه حيثُ قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. [المدثر: ٣١]

أرادَ بالجُنُودِ: أَرواحُ الخَلائقِ كُلِّها[2].

---

(١) لم أعثر عليه، ولما سألت الشيخ ابن باز عنه قال: «لا أصل له، من خرافات الوُعَّاظ».

ولاحظ أن المؤلف من المشهورين بالوعظ!

وكونهم إخوانا للنصارى في اشتراكهم معهم بأن الأرواح غير مخلوقة عند الجميع فالنصارى تعتقد أن روح عيسى ليست مخلوقة بل جزء من الله.

وأولئك عمموها في كل الأرواح، فيكونون بهذا الاعتبار أقبح كفراً من النصارى!

(٢) فيها أقوال للمفسرين، الثاني منها أقرب لقول المؤلف:

١- أنهم الملائكة سواء الذين خلقهم الله للتعذيب في النار أو غيرهم وهو قول عطاء وإليه مال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٤٥ واستدل له بحديث الأطيط وحديث الإسراء والمعراج من كثرة الداخلين للبيت المَعمورِ في السماء منهم.

٢- وأطلق قتادة وابن جرير معنى الجنود وأنهم كثر، ومال إليه ابن جرير فاقتصر عليه!

وانظر تفسير ابن جرير ٢٩/ ٢٠٢، والوسيط ٤/ ٣٨٥، ومعالم التنزيل ٤/ ٤١٧، وزاد المسير ٨/ ١٢٧، والجامع للقرطبي ٩/ ٦٨٧٤، والدر المنثور ٦/ ٤٥٧، وفتح القدير ٥/ ٣٣٠.

ولا خِلافَ بين أهلِ السُّنَةِ والجَماعةِ أَنَّ أَرواحَ الخَلائقِ كُلَّها مَخْلُوقَةٌ، فمَنْ قال إِنَّها غَيرُ مَخْلُوقَةٍ، فهو حُلُولِيٌّ حرّمي[١]، كَافِرٌ بالله وبآياتِه، وهو توابعُ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ[٢] ـ لعَنهم اللهُ ـ، وهو صِنْفٌ مِنَ الرَّوافضِ زَادون[٣] على الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

---

(١) كذا في المخطوطة بالإهمال، والظَّاهر أنه: (خُرَّمي) للسياق بعده!

ومضى تعريف الحلولية. والخُرَّمي والخُرَّمِيّة أتباع بابك الخرمي من زعماء الباطنية، ومن شيعة أبي مسلم الخراساني، من غلاة الرافضة.

وقد خرج بابك الخُرَّمي مع باطنية خراسان في أذربيجان وبلاد الديلم وانتشر شرهم واشتدت شوكة البابكية الباطنية وكانت لهم جولات مع الدولة العباسية حتى استحلوا الحرام والقتل، ثم أُسر بابك هذا وقتل مصلوباً بسرَّ من رأى سنة ٢٢٣هـ.

والبابكية بالأصل مزدكية مجوسية تلاقحت مع غلاة الرافضة والقرامطة والاباحية فأسسوا دين الباطنية.

وانظر الفرق بين الفرق ٢١٤-٢١٥، وفضائح الباطنية ١٤، وبيان مذهب الباطنية ٢٤-٢٥، وتاريخ الأمم والملوك ٩/ ١١ وما بعدها، ومنهاج السنة ١/ ٣١٦، وتايخ الإسلام حوادث سنة ٢٢٣(١٠-١٣)، والكامل ٦/ ٤٧٨، ومروج الذهب ٤/ ٥٧، ونهاية الأرب ٢٢/ ٢٤٥، والمعارف ٣٨٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٦٢، وأخبار مكة ١/ ٢٨٨، وتاريخ بغداد ٧/ ١١٨، والمختصر ٢/ ٣٤، والوافي ١٠/ ٦٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٥٤، وتاريخ مختصر الدول ١٣٩، والبداية ١٠/ ٢٨٣.

(٢) وهم كذلك من الإسماعيلية الذين حملوا راية الباطنية بعد القرن الرابع، ولذا يعدونهم من فرق الإسماعيلية، وبعضهم يعتبر الخرمية والقرامطة.. ألقاباً لها.

وانظر الملل والنحل ١٩١-١٩٨ وبيان مذهب الباطنية ٢٠-٢٥.

(٣) كذا في المخطوطة بزاي في أولها ولعلها: (رَادُّون)!

وَقَدْ رُوي في الأَخبارِ الصَّحِيْحَةِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ في الأَروَاحِ قال: «أَرواحُ الشُهَداءِ في قَنادِيلَ تَحتَ العَرشِ، في حَوَاصِلِ طُيورٍ خُضْرٍ سُرْحٍ في الجَنَّةِ»[1]، و «أَرواحُ المُؤْمِنينَ في قَنادِيلَ تَحتَ عَرشِ الرَّحمٰن»[2]،

وهذه العقيدة في القوم نقلها ابن القيم في الروح ٥١٣ فقال: «وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض أن روح آدم مثل ذلك أنه غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩] فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق، كما تأول من قال: إن النور من الرب غير مخلوق.

وقالوا: «ثم صار بعد آدم في الوصي بعده، ثم هو في كل نبي ووصي إلى أن صار في علي ثم في الحسن والحسين، ثم في كل وصي وإمام، فيه يعلم الإمام كل شيء ولا يحتاج أن يتعلم من أحد».

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: **«أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطّلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أنه ليس لهم حاجة تركوا».**

رواه مسلم في كتاب الإمارة ـ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٨٨٧).

(٢) فقد روى الترمذي في فضل الجهاد بسنده من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن أرواح المؤمنين في طير خضر، تعلق بشجر الجنة»**.

رواه في باب ما جاء في ثواب الشهداء (١٦٤١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

و «أَرواحُ الكُفَّارِ الفُجَّارِ في بَرهُوتٍ[١] السُّفلى»[٢].

من صفات الأرواح

قال جُنَيدٌ رحمةُ الله عليه: «اخَتلفَ النَّاسُ في الأَرواحِ واختصرتُ مِنْ أقاويلِهم على الصَّوابِ مِنْ ذلك وبالله التَّوفيق:

١- الأَرواح كُلُّها مَخْلُوقَةٌ وهي أَمرٌ مِنْ أَمرِ الله تعالى، أي مَخْلُوقَةٌ

وأخرجه النسائي في الجنائز ـ باب أرواح المؤمنين وغيرهم ٤/١٠٨، وابن ماجه في سننه في الجنائز (١٤٤٩)، والإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٦/ ٣٨٦، والحميدي في مسنده (٨٧٣)، ومالك في الموطأ ١/ ١٨٦، والطبراني في الكبير ١٩/ ٦٤-٦٥، ومسند الشاميِّين (٣٢١٢)، وعبدالرزاق في المصنف (٩٥٥٦)، وابن حبان في صحيحه ١٠/ (٤٦٥٧).

(١) (بَرْهُوت) في القاموس: محركة وبالضم، بئر أو وادٍ أو بلد.

وفي المجموع المغيث ١/ ١٥٣: بئر عميقة لا يستطاع النزول إلى قعرها بوادي حضرموت.. اهـ.

ومثله في النهاية وقال فيه حديث عن علي: «شر بئر في الأرض برهوت» أخرجه الهروي عن علي والطبراني في المعجم عن ابن عباس يرفعه.

(٢) لم أجده مرفوعاً وإنما موقوفاً على بعض الصحابة.

فقد روى ابن منده بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: «إن أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية، وإن أرواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها: برهوت» اهـ.

رواها ابن مندة عنه من طريقين وخبر علي السالف كذلك رواه من طريقين.

كما نقله عنه ابن القيم في الروح ٤١١-٤١٣، وقال في آخره: «ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب» اهـ.

بأَمر الله، بَان الله مِنها، وَبَانَتْ مِنه، وليس بَين الله وبَينَه نَسبٌ مِنْ ذَاتِه، غَير أَنَّها مِنْ مُلكِهِ وطَوْعِهِ، وفي قَبْضَته.

٢- وهي غَيرُ مُتَنَاسِلَةٌ، ولا مُتَنَاسِخَةٌ، ولا تَخْرُجُ مِنْ جِسمٍ ويَدخُل في جِسْمٍ، خَلق الله تعالى رُوْحَ آدَمَ مِنَ المَلَكُوتِ الرُّوحَانيةِ، وَجِسْمَهُ مِنَ التُّرابِ.

٣- والرُّوحُ لَيِّنَةٌ، والجِسْمُ بَارِدٌ يَابِسٌ.

٤- والرُّوحُ رُوْحانِيَّةٌ ملَكُوتِيةٌ نُورَانِيةٌ، والنَّفْسُ طِينِيَّةٌ نَارِيَّةٌ، فمِنْها ابتلى الله الخَلقَ، ولا عَدُوَّ أَعْدَى لابنِ آدمَ مِنْ نَفْسهِ مِنْ لَدُنِّ العَرشِ إلى قَرارِ الأَرضين(١).

---

(١) ومثل هذا ما نقله ابن القيم في الروح ٦٦٢ قال: «قال أبو عبدالله بن مندة، ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس.

فقال بعضهم: النفس طِينِيَّةٌ، والروح نَارِيَّةٌ رُوحانية.

وقال بعضهم: الروح لاهوتية، والنفس ناسوتية، وأن الخلق بها ابتلى.

وقالت طائفة، هم أهل الأثر: إن الروح غير النفس، والنفس غير الروح، وقوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد، والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه، فالنفس لا تريد إلا الدنيا، ولا تحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وجعل الهوى تبعاً للنفس، والشيطان تبع النفس والهوى، والملك مع العقل والروح والروح. والله يمدها بإلهامه وتوفيقه» اهـ.

وفيه حديث «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**» رواه البيهقي في الزهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قاله العراقي في تخريج الإحياء.

وقال الزبيدي: وله شاهد عن أنس، نقله من خط الحافظ ابن حجر.

والنَّفْسُ نَفْسُ الهَوى والشَّهوة، وهي الأمَّارةُ بالسُّوءِ ومَسكَنُها الطَّبعُ، وَيظهَرُ سُلطَانُها بالأَخْلاَقِ المَذمُومَةِ وطَبْعُها الجَهلُ(١).

٥- والرُّوحُ مَوضِعُ العَقْلِ وَالعِلْمِ، ومَسكَنُها القَلبُ، تُضيءُ أَنوارُها في الجَوارِحِ، ويَظهرُ سُلطَانُها بالأَخْلاَقِ المَحمُودة واللُّحُوقَةُ غيرُ مُدرَكَةٍ ومَرْتبَتُهُ غَيْرُ مَشْهُورَةٍ، وقِوَامُ النَّفسِ بالرُّوحِ، والرُّوحُ صُورَةُ العَبدِ وبالله التوفيق» اهـ(٢).

وانظر الاستخراج (٢٣٥٦) وكشف الخفاء ١/ ١٦٠ وكنز العمال (٤٤٤٨٣)، والألباني في ضعيف الجامع ١/ ٢٩٧، والسلسلة (١٨٢٠) على حديث أبي مالك: «**أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك، وما ملكت يمينك**».

(١) والنفس في القرآن أنواع في صفاتها:

١- فمنها الأمَّارة بالسوء ـ كما ذكره المؤلف ـ كما في آية يوسف: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

٢- النفس اللوّامة، كما في قوله تعالى في القيامة: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

٣- النفس المطمئنة كما في قوله تعالى في الفجر: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

وأما قوله تعالى في الشمس: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨] فعائدة إلى الأنفس السابقة بحسب ما يعرض لها من الخير والشر، والإيمان والكفر.

(٢) هاهنا مسألتان:

الأولى: ما العلاقة بين النفس والروح؟ فمحل اختلاف:

١- فقيل أن مسمى الروح والنفس واحد وهذا قول الجمهور.

. . . .

٢- وقيل إنهما متغايران وهو قول جماعة من أهل الحديث والفقه والتصوف كمقاتل ابن سليمان ونسبه ابن منده إلى أهل الأثر.

ولكل من القولين حق أصابوا فيه:

١- حيث ورد إطلاق النفس على الروح في مثل قوله تعالى عن الظالمين في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وكذا في اللوامة والمطمئنة، وغير ذلك.

٢- وتطلق النفس على الذات، كقوله تعالى في سورة النحل: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ﴾ [النحل: ١١١]، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

أما الروح فلا تطلق على الجسم لوحده، ولا مع النفس. وقد ورد اطلاقها على النسمة في غير ما حديث ويأتي في الحواشي بعض منها إن شاء الله.

٣- ولذلك قال في شرح الطحاوية: فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح فيتَّحدُ مدلولهما تارة ويختلف تارة.

فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالباً ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها» اهـ.

. . . .

ومما يوضحه أن الروح تطلق على الوحي الذي أوحاه ربنا، وعلى ما يؤيد به أولياءه كقوله في آخر المجادلة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وعلى الرائحة والهواء كما في حديث البراء في القبر «**فيأتيه من روحها**..» الحديث.

والنفس لها اطلاقات أخرى؛ فتطلق على الدم ومنه الحديث: «**ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه**». وعلى الذات وعلى عين الشيء.. وهكذا.

وانظر المسألة العشرين من الروح ٦٥٨ وشرح الطحاوية ٥٦٧ وما بعدها.

* **المسألة الثانية**: أنه ورد للروح صفات اتصفت بها تدل على أنها مخلوقة وأن لها خصائص، فمن صفاتها:

١-الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة، والروح الخبيثة كما في روح الكافر في حديث البراء في القبر.

٢- التوفي والإمساك والإرسال والحفظ، كما قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

وفي حديث النوم الذي رواه مسلم (٢٧١٢) وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها**»، وفي لفظ: «**اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها كما تحفظ به عبادك الصالحين**».

٣- أنها تلتقي وتتشام وتتعارف وتتآلف وتتناكر وتتخالف، كما في الحديث السالف عن عائشة وغيرها، وأنها تسرح وتذهب وتجيء في الجنة كما في حديث روح الشهيد وتتزاور وتتنعم وتتعذب.

مسألة مستقر الأرواح بعد الموت

وقال بَعْضُ العُلمَاءِ: إنَّ الرُّوْحَ إذا فَارقَ الجَسَد[(١)] يكونُ على ثَمانِيةِ أَقسامٍ:

١- رُوحُ الكُفَّارِ يُحمَلُ إلى سِجِّين وهي صَخْرَةٌ في جَهَنَّمَ[(٢)] لِقَوله

٤- العروج والصعود كقوله في المعارج ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ [المعارج: ٤]، وتتنزل كما قال تعالى ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: ٤].

٥-أنها تقوم وتقف كقوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ الآية [النبأ: ٣٨].

ومن تأمل نصوص الشريعة في الوحيين الشريفين وجد من ذلك غير ما ذكرت.

٦- الخفة فلا ينقص وزن البدن بعد الموت، والحرارة فتبرد الجثة بعد مفارقة الروح لها، والسرعة بذهابها عن البدن في النوم وعودتها إليه.

(١) هذه المسألة اشتهرت عن العلماء بمسألة مستقر الأرواح بعد الموت وقبل قيام الساعة.

وعقد لها ابن القيم المسألة الخامسة عشر في كتابه الروح ٣٧٤ وما بعدها وفيها قال: «هذه المسألة عظيمة تكلم الناس فيها، واختلفوا وهي إنما تُتلَّقى من السمع فقط..» اهـ، ثم ذكر ابن القيم اثني عشر قولاً في المسألة، وعدَّد في شرح الطحاوية ٥٨٢-٥٨٤ أربعة عشر قولاً.

(٢) كذا الرواية عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾ [المطففين: ٧] سجين صخرة تحت الأرض السابعة في جهنم تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها.

أخرجه عنه نعيم بن حماد المروزي في زوائد الزهد لعبدالله بن المبارك ٤٣٣ (١٢٢٢)، وابن جرير في تفسيرها ٣٠/ ٩٦، والبيهقي في البعث والنشور (٤٥٤)،

تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾(١) . [المطففين: ٧]

وأبو الشيخ في العظمة (٨٩٥) وعزاه في الدر المنثور ٦/ ٥٣٨ إليه، وإلى المحاملي في أماليه.

(١) لما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في ذكر الموت والقبر للمؤمن والفاجر، وفيه لروح الفاجر: «**فيصعدون بها فلا يمرون على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتَحُ فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله** ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، **فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ**: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]».

الحديث رواه أبو داود في السنة (٤٧٥٣)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٧ و ٢٩٥، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ٣٨٠، وعبدالرزاق في المصنف (٦٧٣٧)، وعبدالله في السنة (١٣٦٥)، والآجري في الشريعة ٣٦٧، والبيهقي في عذاب القبر (٢٠)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، والحاكم في المستدرك وصححه ١/ ٣٧، وابن خزيمة في التوحيد، وابن حبان كما في الإحسان ٥/ ٤٨، وأبو عوانة في الجنائز وصححه كما في إتحاف المهرة (٢٠٦٣)، كلهم من طرق عن الأعمش ويونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زادان أبي عمر ـ هو الكندي البزاز ـ عن البراء به.

* وسجين في الأرض السابعة السلفى.

كذا رواه ابن مردويه عن عائشة وجابر رضي الله عنهما مرفوعين.

وعن سلمان وعبدالله بن سلام وابن جريج وعكرمة وقتادة ومجاهد، عزاه إليهم في الدر المنثور ٦/ ٥٣٨ عند ابن المنذر وعبد بن حميد وابن المبارك في الزهد عن

٢- وَرُوْحُ المُؤمِنِ الذي يكونُ عليه تَبْعةٍ، يُمسِكُ في الهَوى لا يَصْعَدُ ولا يَنْحَدِرُ، إلى أَنْ يَقْضِيَ الله مِنْ أمره مَا يَشَاءُ[١].

سلمان وابن سلام من رواية ابن المسيب عنهما ١٤٣ (٤٢٨) ورواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٠٥ وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧٩.

وأخرجه عبد بن حميد والبيهقي في البعث والنشور من حديث كعب بن مالك يرفعه: «**إن نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت، وإن نسمة الكافر في سجين**» وانظر الدر المنثور ٦/ ٥٣٩، والحديث في السنن لأوله فقط، وانظر من قال به في الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله ٤١٦.

(١) كأن المؤلف يشير إلى ما ورد فيمن مات وعليه دين أن نفسه معلقة بدينه حتى يُؤَدَّى عنه، وفيه حديث أبي هريرة عند أحمد في المسند ٢/ ٤٤٠ و ٤٧٥ قال ثنا أبو داود الجفري عن سفيان عن سعد بن إبراهيم عن ابن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «**نفس المؤمن معلقة ما كان عليه دين**».

وفي الموضع الآخر قال ثنا وكيع وأبو نعيم ـ وهو الفضل بن دكين ـ به.

وأخرجه الترمذي من طريقين عن سعد بن إبراهيم به وحسنه كما في الجنائز (١٠٧٨ و ١٠٧٩)، وابن ماجه في الأحكام (٢٤١٣)، والدارمي في سننه ٢/ ٢٦٢، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» اهـ. ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى في مواضع ٤/ ٦١ و ٦/ ٤٩ و ٧٦ و ٩/ ٢٥.

وانظر الكلام عليه في شروح البلوغ ومنها السبل ٢/ ١٨٨.

وأيضاً لما روى الترمذي في السير (١٥٧٣) من حديث قتادة عن سالم بن أبي الجعد معدان بن أبي طلحة عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ يرفعه إليه: «**من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: من الكبر والغلول والدين**».

ورواه ابن ماجه كذلك في الأحكام ـ باب التشديد في الدين (٢٤١٢)، والإمام

٣- وَرُوْحُ المُؤْمِنِ الذي لا يَكُونُ عليه تَبِعَةٌ يُرفعُ به إلى عِلِّيِّين لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾(١). [المطففين: ١٨]

أحمد في المسند ٥/ ٢٨١ و ٣٧٦، وابن حبان والحاكم ٢/ ٢٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٣٥٥.

وفيه عنعنة قتادة، ولكن قال الترمذي في الحديث قبله (١٥٧٢) وفي الباب عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني. . اهـ.

وحديث أبي هريرة يرفعه: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**» رواه الحاكم ٢/ ٢٧، وقال: حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وفي الباب عن ابن عباس عند البزار مرفوعاً: «**إن صاحبكم محبوس على باب الجنة**» وهو أيضاً في حديث سمرة بن جندب بنحو أطول منه رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم بألفاظ ٢/ ٢٥ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

وحديث أنس عند الطبراني وجابر عند الدارقطني ٣/ ٧٩، وانظر المجمع ٣/ ٤٠، وأهوال القبور ١١٣-١١٥.

(١) وقد دل عليه عدة أدلة منها:

١- حديث كعب بن مالك وأم مبشر الأنصارية رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة**» ومضى تخريجه (٣١٦).

٢- كذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند مسلم في أرواح الشهداء.

٣- وحديث المعراج في لقيا الأنبياء في السماء الأولى إلى السابعة.

٤- وحديث الصحيحين في قوله ﷺ وهو في فراش الموت: «**اللهم الرفيق الأعلى**».

٥- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد في المسند ٤/ ٢٨٧ و ٢٩٦ عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن الميت إذا خرجت نفسه يعرج بها إلى السماء حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، إذا كان الرجل سوءٍ يعرج بها إلى السماء فإنه**

٤- وَرُوْحُ أَطفالِ المُؤمنين في رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، يَرْتَعُونَ بين يَدَيْ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيلِ (١) وسَارة صلواتُ الله عليهما.

لا يفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير إلى القبر».

ورواه ابن ماجه في الزهد من سننه (٤٢٦٨).

وقال ابن القيم في الروح ٤٠٦ عليه: وهذا إسناد لا تسأل عن صحته.

٦- حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في قبض روح المؤمن والكافر ومضى.

وقوله تعالى في الواقعة ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].

قال في الروح ٣٨٠: «وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت.. وهذا بعد مفارقتها قطعا» اهـ.

ولهذا قال في ٤١٦ عقب ذكر جملة من الأدلة على ذلك: «ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك، بل يُصعد بها إلى هناك للعرض على ربها فيقضي فيها بأمره ويكتب كتابه من أهل عليين، أو من أهل سجين، ثم تعود إلى القبر للمسألة ثم ترجع إلى مقرها التي أودعت فيه، فأرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم، وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم» اهـ.

فروح الرسول عليه الصلاة والسلام في الرفيق الأعلى وإبراهيم في السماء السابعة وهكذا الصالحين المؤمنين بحسب مراتبهم، وبضدهم الكفار والفجار كذلك.

وانظر الدر المنثور على آية المطففين ٦/ ٥٤٢.

(١) فرّق الشيخ بين أطفال المسلمين والمشركين، وهذا ـ والله أعلم ـ مبني على الخلاف فيهم حيث ذكر ابن القيم في آخر طريق الهجرتين ٣٨٨ وما بعدها ثمانية

. . . .

أقوال في المسألة هي على سبيل الإجمال:

١- التوقف فيهم، وتعقبه ابن القيم.

٢- أن أطفال المشركين في النار، ونسبه إلى جماعة من المتكلمين وأهل التفسير، وحكاه القاضي أبو يعلى نصاً عن أحمد، وتعقبه ابن القيم!

٣- ان الجميع في الجنة، وهو قول طائفة من المفسرين والمتكلمين وغيرهم.

٤- أن أطفال المشركين في منزلة بين الجنة والنار، وهم أهل الأعراف، وهو قول طائفة من المفسرين، وتعقبه ابن القيم مستفصلاً فيه.

٥- أنهم تحت المشيئة، ونسبه ابن القيم للجبرية نفاة الحكمة وإلى كثير من مثبتة القدر وغيرهم.

٦- أن أطفال المشركين خدم لأهل الجنة ومماليك لهم، وهذا الذي اختاره شيخنا ابن الحنبلي ولكن ابن القيم تعقبه ويأتي.

٧- أن حكمهم حكم آبائهم، وفيه فرق بينه وبين القول الثاني، وتعقبه ابن القيم.

٨- أنهم يمتحنون في عرصات القيامة. ورجحه ابن القيم وقال ٣٩٦: «وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها، وتتوافق الأحاديث».

واختاره من المحققين المعاصرين الشيخ عبدالرحمن بن سعدي فيما نقله لي بعض شيوخي من تلامذته ويختاره الشيخ عبدالعزيز بن باز.

وفي المسألة قولان أيضاً:

٩- أنهم يصيرون تراباً، وهو قول عامر بن أشرس من المعتزلة.

١٠- كراهية الكلام في المسألة جملة، وهو منقول عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر وغيرهم رضي الله عنهم.

. . . .

أما أطفال المؤمنين فقد نقل ابن رجب في الأهوال ١٠١ الإجماع عن الإمام أحمد أنهم في الجنة، وفي رواية الميموني عنه: لا أحد يشك أنهم في الجنة.

هذا وهنا دليل يدل لقول المؤلف وهو حديث سمرة بن جندب الطويل في رؤياه ﷺ وفيه قال: «. . **فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط. . وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة**» فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال ﷺ: «**وأولاد المشركين. .**» الحديث متفق عليه.

ورواه البخاري موصولاً في التعبير ـ باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٦٤٤٠) ومسلم في الرؤيا ـ باب رؤيا النبي ﷺ (٢٢٧٥).

وانظر بقية الأدلة في طبقات المكلفين من طريق الهجرتين لهذا القول ٣٩١ وما بعدها، وأهوال القبور لابن رجب ١٠٢-١٠٦.

والمؤلف زاد سارة مع إبراهيم عليهما السلام، لما رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/٢٦٣، والحاكم وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١٩/١٩ من طريق سفيان الثوري عن عبدالرحمن الأصبهاني عن أبي حازم عن أبي هريرة يرفعه: «**أطفال المشركين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعونهم إلى آبائهم يوم القيامة**».

وعزاه الألباني في الصحيحة (٨٤٦٧) إلى الديلمي وعبدالغني المقدسي في تخريج حديثه.

وقال الحافظ ابن رجب في الأهوال ١٠٣: «ورواه ابن مهدي وأبو نعيم عن سفيان موقوفاً، قال الدارقطني: والموقوف أشبه» اهـ.

٥- وَرُوْحُ أَطفالِ المُشركين يكونُ خَارجَ الجَنَّة لا بِمنَزلة أَولادِ المُسْلِمينَ إلى يَوْمِ القِيَامة فيستَخدمُهم أَهلُ الجَنَّة(١) .

وحديث أبي هريرة صححه البيهقي في البعث والنشور، ورواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ١/ ٣٨٤ من طريق وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. .» اهـ، ووافقه الذهبي.

وانظر الحاوي للسيوطي ٢/ ٣٠٧ وعزاه لأحمد في المسند، ولم أجده فيه، وكشف الخفاء ١/ ٣١٠، وإتحاف السادة المتقين ٨/ ٥٦٧، ومجمع الزوائد ٣/ ٣٩-٤٠، وأهوال القبور للحافظ ابن رجب.

(١) وهو القول السادس فيما ذكره ابن القيم في أطفال المشركين، ويفيد هذا القول أنهم في الجنة.

ويدل لما ذكره المؤلف عدة أدلة:

١- ما رواه الطبراني في الكبير ٧/ ٢٤٤ من طريق عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين؟ فقال: «**هم خدم أهل الجنة**».

ورواه البزار ـ كما في كشف الأستار ـ ٢/ ١٩٩، والطبراني في الأوسط، قال في المجمع ٧/ ٢١٩: «وفيه عباد بن منصور وثقه يحيى القطان وفيه ضعف» اهـ، وانظر مجمع البحرين له ٢٨٧.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ٦/ ٤٠٧ في ترجمة عيسى بن شعيب عنه به.

٢- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون بها فيدخلون النار، ولم تكن لهم حسنة يجاوزون بها فيكونون من ملوك الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**هم خدم أهل الجنة**».

رواه الطبراني في الأوسط ومن طريق أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٠٨، والبزار كما في

٦- وأَرواحُ الصَّالحين تُرفَع في الجَنَّة مِنْ شَجرةٍ إلى شَجرة.

٧- وأَرواحُ الشُّهَداءِ تَأوِي إلى قَنادِيلَ تَحتَ العَرشِ.

٨- وأرواحُ الأَنبِيَاءِ في حَصيرة[1] القُدسِ، يَخِرُّونَ لِرَبِّهِم سُجَّداً.

الزوائد ٢٣٢، وأبو يعلى في مسنده (١٠١١-١٠١٢) من طريق يزيد الرقاشي عنه به، قال في المجمع ٧/٢١٩: وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: «رجل صدق، ووثقه ابن عدي، وبقية رجالهم رجال الصحيح» اهـ.

٣- وعن أنس أيضا يرفعه إليه ﷺ قال: «**سألت ربي عن اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم، فهم خدم أهل الجنة**».

قال في المجمع ٧/ ٢١٩: «رواه أبو يعلى من طرق ورجالها أحدها رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن المتوكل وهو ثقه» اهـ.

ونقل ابن القيم في طريق الهجرتين ٣٩٤ الحديث عنه من ثلاثة طرق كلها ضعيفة.

واللاهون هم الصبيان.

٤- وفيه حديث أبي مالك الأنصاري بمثله، وعن خديجة وأبي هريرة رضي الله عنهم بنحوه.

وانظر تخريج العراقي والزبيدي للإحياء كما في الاستخراج (٣٣١٢) والسلسلة الصحيحة (١٤٦٨) و (١٨٨١).

(١) كذا في المخطوطة بالإهمال، وتحتمل (حضيرة).

لأن النبي ﷺ صلى بهم إماماً في ليلة الإسراء والمعراج!

***

٩- ومن الأرواحِ من يَرجِعُ إلى قُبُورِهم حيثُ دُفِنُوا، وينَصِرفُون إلى ما أَراد الله[١]، واللهُ أَعْلَمُ وأَحكُم.

---

(١) ومن الأقوال التي لم يذكرها المؤلف في المسألة:

١- أن أرواح المؤمنين بفناء الجنة، يأتيهم من روحها ونعيمها، وهو مروي عن مجاهد بن جبر.

٢- أنها على أفنية القبور، قاله ابن عبدالبر في أرواح المؤمنين، أما الشهداء فإنها في الجنة.

٣- أنها مرسلة تذهب حيث شاءت، وهو قول مالك، وخصها سلمان رضي الله عنه بأرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت.

٤- أن أرواح المؤمنين في الجنة تنعم، والكفار في النار تعذب، ولم يزيدوا على ذلك، وهذا القول رواه عبدالله بن أحمد عن أبيه الإمام، ورواه الخلال في السنة من طرق عن حنبل عن الإمام، نقله ابن رجب في الأهوال ١٠٦.

٥- أن أرواح المؤمنين عند الله. ونقله ابن منده عن جماعة من الصحابة والتابعين، ولم يزيدوا عليه.

٦- أن أرواح المؤمنين بالجابية بدمشق، والكفار ببئر برهوت بحضرموت، ونقله ابن منده أيضاً عن جماعة من الصحابة منهم عبدالله بن عمر وعلي رضي الله عنهما، وعن جماعة من التابعين.

٧- أن أرواح المؤمنين في عليين، والكافرين في سجين تحت خدِّ إبليس، وهو مروي عن كعب الأحبار، وهو قول جماعة من السلف والخلف غيره.

٨- أن أرواح المؤمنين ببئر زمزم، والكفار ببئر برهوت.

٩- أن أرواح المؤمنين عن يمين آدم، والكفار عن شماله.

. . . .

١٠- أن مستقر الأرواح حيث كانت قبل خلق أجسادها، وهو قول من يقول بتقَدِّم خلق الروح قبل الجسد كابن حزم وغيره.

١١- أن مستقرها العدم المحض، وهو قول ابن الباقلاني وأتباعه.

تلك أقوال أهل الإسلام التي ساقها ابن القيم في الروح، وشارح الطحاوية، وكل قول فيه من الحق بقدر موافقته لما ورد من النصوص الشريفة خلا القول الأخير.

وربما يقع في الأقوال من التداخل ما يظن معه تكرار الأقوال، وانتبه إلى ترتيبها عند ابن رجب كما يأتي.

والكلام في هذه المسألة فرع من الكلام في مسائل الغيب، لا يُجترأُ عليها إلا بدليل، وتأمل - أيها المحب - القول الرابع المروي عن الإمام أحمد، ترى فقهه فيه!

١٢- قول التناسخية، ومنكرة البعث أن مستقر الروح بعد الموت بدن آخر تناسب أخلاقها وصفاتها السابقة.

وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أطال في هذه الأقوال مدللاً ورادّاً ومناقشاً في كتابه الروح ٣٧٤-٤٣٤ في المسألة الخامسة عشر وقال بعد عرضها جملة ٣٧٨:

«.. فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا البتة، ونحن نذكر مأخذ هذه الأقوال وما لكل قول وما عليه وما هو الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي منَّ الله بها وهو مرجو الإعانة والتوفيق» اهـ.

وكذلك أبو الفرج ابن رجب الحنبلي في الأهوال أطال في عرضها ومناقشتها وعزوها إلى أصحابها في الباب التاسع ٩٥-١٢٧ وخلاصة عرضه:

. . . .

١- أرواح الأنبياء فليس شك أنها عند الله في أعلى عليين.

٢- أرواح الشهداء في الجنة.

٣- أرواح بقية المؤمنين فقسمان:

أ- غير المكلفين، فالأطفال في الجنة وحكاه الإمام أحمد إجماعاً، وإنما الخلاف فيه بينهم هل يشهد لآحادهم بها أو يكتفي بالعموم!

ب- أما المكلفون، ففيهم خلاف:

١- أنها في الجنة، وأما الكفار ففي النار، وهو المروي من غير وجه عن الإمام أحمد.

٢- أرواح العصاة ممن عليهم حقوق للآدميين أو كبائر تستوجب العقوبة فهم محبوسون عن الجنة لذلك.

٤- الأرواح كلها في الأرض، مؤمنها وكافرها، واختلفوا فيها:

أ- فقيل على أفنية القبور، ونسبه ابن حزم لعامة أهل الحديث، وهو المشهور عن ابن عبدالبر.

ب- أنها مرسلة تذهب حيث شاءت وهو قول ابن سلام ومالك وابن المسيب ومجاهد.

ج- أنها تجتمع في موضع من الأرض:

فقيل أرواح المؤمنين بالجابية بالشام، والكفار ببرهوت بحضرموت، وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين.

الأرواح المؤمنة ببئر زمزم، والكافرة في برهوت.

. . . .

د - أرواح المؤمنين عن يمين آدم، والكافرين عن شماله.

هـ - الأرواح تعود إلى برزخها التي هي فيه قبل خلق أجسادها، وهو المشهور عن ابن حزم، وتعقبه ابن رجب فيه وفي حكايته الإجماع عليه!

و - أن الأرواح لا تبقى بل تزول وتضمحل إلى العدم المحض لأنها عرض، وهو قول المتكلمين كابن الباقلاني، وقال الحافظ: ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.. والله أعلم.. اهـ.

وبحث كلام ابن حزم في الفصل ٤/ ٥٧-٦٠ و ٥/ ٤٢ وما بعدها.

هذا والتطويل في هذه المسألة لجلالتها!

***

بابٌ في عَذَابِ القَبْرِ (١)

والإِيْمَانُ وَاجِبٌ بِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِها ، وإِقامتِها على النُّفُوسِ في

الأدلة من الوحيين على ثبوت العذاب والنعيم في البرزخ

(١) هكذا أكثر تراجم العلماء لهذا الباب بذكر العذاب دون النعيم ، لأن إثبات العذاب إثبات للنعيم ، وإنكاره إنكار للنعيم .

والمؤلف ذكر أنواعاً من الأدلة على تحقق وقوع العذاب والنعيم في البرزخ ، وجعل العلماء هذا الباب من أبواب العقيدة لعدة أمور ، منها :

١- أن البرزخ وما يكون بعد الموت من أمور الآخرة ، فهي من مسائل الغيب التي هي من مباحث العقيدة .

٢- أنها مما يعلم إثباتها بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة فقط ، فردها أو تحريفها اعتراض على الله ورسوله .

٣- تواتر الأحاديث النبوية تواتراً لفظياً ومعنوياً عنه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه .

فقد نقله السيوطي في قطف الأزهار (١٠٩) عن سبعة وعشرين صحابياً ، ونقله الكناني في نظم المتواتر عن ثمانية وعشرين صحابياً .

بل جمع محقق إثبات عذاب القبر للبيهقي ، شرف القضاة في مقدمة تحقيقه أسماء ثمانية وثلاثين صحابياً رووا أحاديث عذاب القبر ونعيمه !

ونص على تواتره ابن القيم في الروح ٢٨٤ فقال : «فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ . . » اهـ .

لاسيما وقد جمع البيهقي في «إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين» مائتين ونيف وستين حديثاً في ذلك .

٤- إجماع المسلمين عموماً وأهل السنة والجماعة خصوصاً على وقوع عذاب القبر

الرَّوحِ والجَسدِ(١)، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَـنَا

ونعيمه وممن نقله ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في الروح ٢٨١ و ٢٨٣، وشارح الطحاوية ٥٧٩، وابن رجب في أهوال القبور ٤٣ وما بعدها.

٥- إنكار بعض أصول المبتدعة للعذاب والنعيم في القبر إما جملة أو تفصيلاً، كما تقوله الفلاسفة وطوائف من المعتزلة.

كل ذلك استوجب تقرير هذا البحث في مباحث العقيدة الرئيسة!

ولابد من العلم أن المراد بالقبر هنا مفهومه العام وهو البرزخ، لا معناه الخاص الذي هو الحفرة التي يقبر فيها الميت، إذ ليس كل من مات فإنه يُقبر، فهناك من تأكله السباع أو تحرقه النار أو يطير في الهواء..، وإنما قبر كل شيء بحسبه وهو البرزخ بين الدنيا والآخرة.

واستطرد فيها ابن القيم في الروح ٢٩٩-٣٠٦ وعنه في شرح الطحاوية ٥٧٩-٥٨٠.

(١) فيه الرد من قال إن العذاب والنعيم يقعان على الروح فقط، كما قاله ابن حزم وابن مرة وعلى من يقول إن العذاب والنعيم على البدن فقط!

بل هو عليهما جميعاً بالإجماع الذي نقله شيخ الإسلام كما نقله عنه تلميذه ابن القيم في الروح ٢٩١ و ٢٩٦، بل وحكاه كما هو في ٢٨٣، ونقله شارح الطحاوية ٥٧٩.

فإن هذا هو مقتضى الأدلة الشرعية الواردة في عذاب البرزخ ونعيمه، حيث جعل الله الدور ثلاثة، ولكل أحكام تختص بها، لأن الإنسان بدن وروح:

١- دار الدنيا، وأحكامها مختصة بالبدن، والروح تبع له.

٢- دار البرزخ، وأحكامها مختصة بالروح، والبدن تبع لها.

فكلٌّ تتبع الأخرى في كلا الدارين فتتألم وتتعذب بعذابه، وتتنعم بنعيمه.

ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[1] . [غافر: ١١١]

٣- الدار الآخرة الباقية الدائمة وهي أكمل الدور صار الحكم على الروح والبدن جميعاً في النعيم والعذاب، نسأل الله العفو والعافية.

فلذا قال في الروح ٣١١: «فأحط بهذا الموضوع علماً، واعرفه كما ينبغي، يزيل عنك كل اشكال يورد عليك من داخل وخارج.

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه، وضيقه وسعته وضمه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه، أُتي كما قيل:

«وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم»اهـ

وشرح الطحاوية ٥٨٠-٥٨١.

(١) روى ابن جرير في تفسيره لها ٢٤/ ٦١ بسنده عن السدي قال فيها: «أُميتوا في الدنيا، . ثم أحيوا في قبورها فسُئلوا أو خُوطبوا، ثم أميتوا في قبورهم، ثم أحيوا في الآخرة». وربما لهذا ساقها المؤلف دليلاً على عذاب القبر ونعيمه.

ونقله عنه القرطبي ١٥٦/ ٢٩.

والقول الصواب في هذه الآية ما فسرها به ابن مسعود رضي الله عنه: بأنها مثل قوله تعالى في البقرة ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة وأبي مالك وعبدالرزاق وأبي العالية والحسن.

وقال ابن كثير: وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية.

والمعنى أنهم أموات في نطف آبائهم وأرحام أمهاتهم، ثم أحياء في الدنيا، ثم أموات، ثم يحييهم يوم النشور. قاله ابن القيم في الروح ٢٤٤ و ٢٦٠ و ٢٦٣،

قال النَّبيُّ ﷺ: «لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا سعد بن معاذ»[(١)].

والواحدي وغيرهم كثير.

وانظر ابن جرير ٢٤/ ٦٠، وتفسير آية البقرة ١/ ٢٧١ وما بعدها، وابن كثير ٤/ ٧٣، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٦، والوسيط ٤/٦، وزاد المسير ١/ ٤٥ و ٧/ ٣٥، والفراء في معاني القرآن ١/ ٢٤-٢٥، والقرطبي ١٥/ ٢٩٦ وما بعدها، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٠١-١٠٢، والحاكم في التفسير من المستدرك عن ابن مسعود ٢/ ٤٣٧، وصححه ووافقه الذهبي، والدر المنثور ٥/ ٣٤٧، والمجمع ٧/ ١٠٢، وفتح القدير ١/ ٦٠.

وعلى قول الجمهور يستدل بالآية على نعيم البرزخ وعذابه لكونه من إقرار الكفار بما يكون بالآخرة والبرزخ أول منازلها! والله أعلم.

(١) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في إثبات عذاب القبر (١٢١) من طريق الثوري عن سعد بن إبراهيم عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً بمثله، ثم قال: بأصابعه الثلاث كأنه يقلبها، ثم قال: لقد ضغط ضغطة ثم عوفي.

ورواه أيضاً (١١٩ و ١٢٠) من طريق سعد بن إبراهيم عن نافع عن صفية امرأة ابن عمر عن عائشة بمثله.

وأخرجه كذلك الطحاوي في مشكل الآثار من وجهين عنه به (٢٧٣ و ٢٧٤)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٧٣ و ١٧٤، وابن حبان في صحيحه (٣١١٢).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٥٥ و ٩٨ من طريقين عن عائشة:

١- من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن عائشة به مرفوعاً بلفظ: **«إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ»**.

٢- من طريق غندر عن إنسان عن عائشة.

والدَّلِيلُ على إثْبَاتِهِ قَوْلُه تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾. [إبراهيم: ٢٧]

قال في المجمع ٣/ ٤٦ عليهما: والطريقين رجالهما رجال الصحيح» اهـ.

ولم يشر إلى الإنسان المبهم في الطريق الثانية!

وجود العراقيُّ إسناده أحمد، كما في الاستخراج (٤٠٦٨).

وقال ابن كثير في رواية أحمد الموصولة: «وهذا الحديث مسند على شرط الشيخين» اهـ، وفي البداية ٤/ ١٢٨ (مصر).

وهو في الواقع على شرط مسلم، لأن زوجة ابن عمر وهي صفية بنت أبي عبيد مسعود الثقفي لم يرو لها البخاري إلا تعليقاً، وروى لها مسلم! وهي ثقة من الثانية.

* ورواية نافع عن ابن عمر (الأولى) تابعها البيهقي في إثبات عذاب القبر (١٢٢) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع به بلفظ: «**هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم يهبطوا إلى الأرض من قبل، ولقد ضم ضمة ثم أفرج عنه**».

ورواه من هذه المتابعة النسائي ٤/ ١٠٠-١٠١، والبزار في الزوائد (٢٦٩٩).

ومتابعة ثانية عند البزار في زوائد (٢٦٩٨) عن مسكين بن عبدالله بن عبدالرحمن عن نافع به.

ومتابعة ثالثة عند البزار في زوائد (٢٦٩٧) عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما به.

وأخرجها ابن سعد في الطبقات ٣/ ١٢، والحاكم ٣/ ٢٠٦، وصححها ووافقه الذهبي، والبيهقي في عذاب القبر (١٢٤).

قال: الآخِرَةُ أَراد به في القَبْر(١).

* وللحديث شواهد يصح بها:

١- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عند الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٦٠ و ٣٧٧، والطبراني في الكبير كما في المجمع ٣/ ٤٦، وابن إسحاق في السيرة، والبيهقي في عذاب القبر (١٢٦).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني في الكبير ١٢/ ١٧٩، و ١٠/ ٣٣٤، وفي الأوسط قال في المجمع ٣/ ٤٦: ورجاله موثوقون.. اهـ، وعند البيهقي في عذاب القبر (١٢٥).

* والحديث أصله مجموع في الصحيحين من حديث جابر مرفوعاً: «**اهتز العرش لموت سعد**».

رواه البخاري متصلاً في الفضائل ـ باب مناقب سعد (٣٥٩٢)، ومسلم في الفضائل ـ باب من فضائل سعد (٢٤٦٦).

(١) هذه الآية من أدلِّ الدلائل على إثبات عذاب البرزخ ونعيمه لما ورد من كثرة الأحاديث النبوية المبينة لذلك فيها.

أما استدلال المؤلف بأن الآخرة القبر والمسألة فيه وهو مروي عن البراء بن عازب وأبي قتادة الأنصاري، أخرجه عنه ابن أبي حاتم وابن مندة والطبراني في الأوسط كما في الدر المنثور ٤/ ١٤٩، وعن طاووس بن كيسان أيضاً كما أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير ١٦/ ٦٠٢، وعبدالرزاق في التفسير ١/ ٢٩٦، وصوبه ابن جرير فقال: «والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ وذلك أن معناه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ بمثل الذي يثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ» اهـ.

وقَوْله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾. [السجدة: ٢١]

يعني في القبر[1].

وقال البغوي ٤/ ٣٤٩: هو أصح، وابن كثير ٢/ ٥٣١-٥٣٨ حيث أطال بإيراد الروايات والكلام عليها، وثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب وغيره رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ فلذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ نزلت في القبر.

رواه البخاري متصلاً في الجنائز والتفسير ـ باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٠٣) و (٤٤٢٢)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧١).

وثمة قول آخر مشهور: أن الحياة الدنيا زمن السؤال في القبر، والآخرة: يوم القيامة، والآية محتملة لهذا وهذا! ومن كلا القولين يُستدل على إثبات عذاب القبر ونعيمه الذي يُحتاج إلى التثبت فيه.

(١) فإن الأكبر هو عذاب يوم القيامة، والأدنى ما كان قبله!

ومثله قوله تعالى من سورة الطور: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

فإن أرجى ما قيل في ذلك العذاب الذي دون عذاب الآخرة، أنه عذاب القبر لأن من هؤلاء من مات ولم يعذب في الدنيا لا بالقتل في بدر ولا بالجوع والمصائب.

وانظر زاد المسير ٧/ ٢٢٤، والقرطبي ١٧/ ٧٨، والبغوي ٧/ ٣٩٤، وابن جرير ٢٧/ ٤٨-٥٠، واختاره، وكذا ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٤٥ وهو مروي عن ابن عباس وقتادة وغيرهما كما أخرجه ابن جرير عنهما، وكذا ابن المنذر وهناد عن زادان كما في الدر ٦/ ١٥١.

وقال: «إِنَّ المَيِّتَ ليَعرِفُ الزَائِرَ إذا أَتاه»[١]، «المَؤمِنُ يَتَنَعَّمُ في

---

(١) كأن المؤلف بذلك يرفعه إلى النبي ﷺ.

ومما ورد في الباب ما أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور والبيهقي في الشعب والصابوني في المائتين ـ كما نقله ابن القيم وابن رجب والزبيدي ـ وابن عساكر في التاريخ ٣/ ٢٨٩ و ١/ ٢٤٩ وفي ترجمة بكر بن سهل بن إسماعيل كلهم من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً: «**ما من عبد يمر على قبر رجل مسلم يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام**».

قال ابن رجبٍ في الأهوال ٨٣: عبدالرحمن بن زيد ضعيف، وقد خولف في إسناده.

وأخرجه ابن عبدالبر بسنده عن ابن عباس في الاستذكار ـ باب جامع الوضوء ـ مرفوعاً: «**ما من أحد يمر على قبر أخيه المؤمن، كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**».

قال عبدالحق الإشبيلي فيه: إسناده صحيح.

وعقب الحافظ ابن رجب عليه: يشير إلى أن رواته كلهم ثقات وهو كذلك، إلا أنه غريب، بل منكر.

وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الاستقامة ١١٦ و ٢٣٤ والمجموع ٤/ ٢٩٥، و ٢٤/ ١٧٣ و ٣٠٣ و ٣٣١، والاقتضاء ٢/ ٦٦٢، ومجموع الرسائل ١/ ٢٣.

والحديث أورده ابن كثير في التفسير ٦/ ٣٣٠ (الشعب)، وعبدالحق في العاقبة ٢١١، وانظر الأهوال ص ٨١، والروح ١٦٧ وما بعدها، وتخريج الإحياء من الاستخراج (٤٠٣١ و ٤٠٣٣ و ٤٠٥٢)، والحاوي للسيوطي ٢/ ٣٠٢، والفتاوى الحديثية للهيثمي ٦، والعلل المتناهية ٢/ ٤٢٩.

وعلى كل فقد وردت أخبار في معرفة الميت لمن يحمله ويغسله ويدليه في قبره،

القَبرِ كيفَ شاء الله والفَاجِرُ يُعَذَّبُ في القبر كَيف شاء الله»[١].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «قبرُ المُؤْمِنِ رَوْضَةٌ مِنْ رياضِ الجَنَّةِ، وقَبرُ الفَاجرِ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَر النِّيرَان»[٢].

وأُنسه بالحي ومعرفته له.

أصحها ما رواه مسلم في كتاب الجنائز عن عمرو بن العاص أنه لما حضرته الوفاة قال في وصيته: إذا دفنتموني، فسنُّوا علي التراب ستاً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم.

وفي المسند ٣/ ٣ والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد رضي الله عنه يرفعه: أن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه قبره.

فقال ابن عمر للراوي عن أبي سعيد، ممن سمعت هذا؟ قال من أبي سعيد، فانطلق ابن عمر إليه، فقال: يا أبا سعيد ممن سمعت هذا، فقال من النبي ﷺ.

قال في المجمع ٣/ ٢١: «منبه رجل لم أجد من ترجمه» اهـ، قلت وهو الراوي عن أبي سعيد فإنه في السند مبهم، وقال أحد رواته: اسمه معاوية أو ابن معاوية.

قال ابن القيم في الروح: «وقد تواترت الآثار عنهم ـ السلف ـ بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به» اهـ، وذكر نحوه الشيخ ابن تيمية في الفتاوى ٢٤/ ٣٠٣، وكذا ابن رجب في الموضع السابق.

(١) لم أجده هكذا من قول النبي ﷺ. وتنعم المؤمن وعذاب الفاجر في القبر قد تواتر من أحاديث كثيرة عن النبي: «**حتى يقول الكافر: رب لا تقم الساعة، ويقول المؤمن: رب أقم الساعة لما ينتظر كل منهما**».

وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة (٢٤٦٠) من طريق القاسم ابن الحكم العُرني ثنا عبيدالله بن الوليد الوصافي عن عطية العوفي عن أبي سعيد

وقَوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ يعني به: المُؤْمِنِينَ، ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ يعني: أَهْلَ الشِّرْكِ والفُجُورِ(١). [الإنفطار: ١٣-١٤]

الخدري رضي الله عنه في حديث طويل في ذكر الموت مرفوعاً وفي آخره قال: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**».

قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» اهـ.

وهو ضعيف لضعف العوفي، والقاسم بن الحكم صدوق، فيه لين قاضي همدان، من التاسعة.

وعزاه الزين العراقي للطبراني عن أبي سعيد بسند ضعيف، ولم أجده فيه!

ورواه الطبراني في الأوسط ـ كما في المجمع ٣/ ٤٦ ـ عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس إلى قبر فيها فقال: «**ما يأتي على هذا القبر وهو ينادي بصوت ذلق طلق: يا ابن آدم كيف نسيتني، ألم تعلم أني بيتُ الوحدة، والغربة والوحشة والدود والضيق إلا من وسعني الله عليه**» ثم قال ﷺ: «**القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**».

قال في المجمع: «وفيه محمد بن أيوب بن سويد وهو ضعيف» اهـ.

وأخرجه البيهقي في عذاب القبر (٦١) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**».

وللحديث شواهد كثيرة بمعناه ذكر طرفاً منها البيهقي في إثبات عذاب القبر ٥٧ وما بعدها. وكل ما ورد في المحاسبة والسؤال والتنعم أو العذاب في القبر يشهد له.

وانظر إتحاف السادة المتقين ٦/ ٣٠١ و ٣٨٠ و ١٠/ ٣٨٠ وما بعدها، والترغيب والترهيب ٤/ ٢٣٨، ومجمع الزوائد ٣/ ٤٦ وما بعدها.

(١) فسرت الآية بأرواحهم في البرزخ عن جماعة من الصحابة والتابعين كما في الدر المنثور ٦/ ٥٣٨.

وأَنَّ نعَيمَ القَبرِ وَعَذَابَهُ حَقٌ بذلك ثبَتَتِ الأَخبارُ الصَّحِيحةُ عن النَّبيِّ ﷺ وقد قال: «إنَّ هذه الأُمَّةَ لتُبْتَلى في قُبورِها»[١]، وقال أيضاً: «يُفْسَحُ لِلمُؤْمِن فِي قَبْرِهِ من أَيلةَ إلى صَنعاء»[٢]، وفي خَبرٍ

والمشهور من الآية أنها يوم الدين كما هو السياق.

وانظر البغوي ٨/ ٣٥٧، وابن كثير ٤/ ٤٨٢، وتفسير ابن جرير ٣/ ١١١.

والمعنى محتمل لهما، على أن القبر أول منازل الآخرة، فيكون من قبيل التنوع في التفسير.

(١) هذا قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة ـ باب عرض مقعد الميت (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه وتمامه: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا، قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار.

فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر.

فقال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**» فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

(٢) لم أجده هكذا، وسألت عنه الشيخ ابن باز فقال: لا أصل له، والثابت كما في الحديث الصحيح «**يفسح له مد بصره**» اهـ.

ويشير سماحته إلى الوارد في حديث البراء بن عازب الطويل وفيه في العبد المؤمن: «**. . فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره . .**» الحديث.

آخر أَنَّه قال: «سَبعونُ ذِرَاعاً»(١).

ونَعِيمُ القَبْرِ وعَذابُه يُصِيبُ الجَسدَ والرُّوحَ وَكُلِّيَّةَ الإِنْسانِ(٢).

رواه الإمام أحمد وأبو داود والطيالسي وعبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن حبان والحاكم وصححه ومضى تخريجه، وسيأتي بعد قليل بطوله إن شاء الله.

والحديث الوارد فيما بين أيلة إلى صنعاء إنما هو حديث أنس في الصحيحين في قدر حوضه ﷺ وسيأتي إن شاء الله.

(١) لما أخرجه الترمذي في الجنائز من جامعه ـ باب ما جاء في القبر (١٠٧١) ثنا أبو سلمة يحيى بن خلف ثنا بشر بن المفضل عن عبدالرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة في حديث القبر الطويل وفيه: «. . **ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ثم يُنور له فيه** . . .» الحديث.

وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، والآجري في الشريعة ٣٦٥، وابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٨٦ (٣١١٧)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦٨) كلهم من طرق عن ابن إسحاق به.

وإسناده حسن، وانظر الفتح ٣/ ٢٨١.

والحديث في مسلم مقطوعاً عن قتادة ويأتي في الحاشية بعده.

وهو في المسند ٣/ ٣٣١ من حديث جابر يرفعه: «**إذا ما فسح له في قبره يقول: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اسكن**».

(٢) كما مضى، فإن العذاب والنعيم في القبر متوجه إلى الروح والبدن في هذه الدار تابع للروح، ويلحقها معها من ذلك، ولكننا لا نعلم كيفية ذلك، ولا ندرك حقيقته في البرزخ، كما كان العكس في الدار الدنيا.

ويُقَالُ لِلمُؤْمِنِ: انْظُرْ يا وليَّ الله إلى ما أعدَّ الله لك، وذلك أنَّ بَاباً يُفْتَحُ له عند رَأْسِهِ إلى الجَنَّةِ، وَيُفْتَحُ له عند رِجْلَيه بَابٌ إلى النَّارِ، ويُقَالُ له: انْظُرْ إلى ما زَوَى الله عنك(١).

---

(١) يدل لذلك أحاديث عديدة منها:

ما في الصحيحين من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم**» قال: «**ثم يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟**» قال: «**فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً**».

قال قتادة: وذكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون. وهذا لفظ مسلم.

وزاد البخاري: «**وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**» رواه البخاري في الجنائز ـ باب ما جاء في عذار القبر (١٣٠٨)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٠).

ولما فيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «**إن أحدكم إذا مات، عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**».

رواه البخاري موصولاً في الجنائز ـ باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي (١٣١٣)، ومسلم في الجنة ـ باب عرض مقعد الميت (٢٨٦٦).

***

وأمَّا الرُّوحُ فإنَّه يُباشِرُ النَّعيمَ والعَذابَ، وَيُصْلَىٰ إلى الجَحيمِ، وَيُسْجَنُ في سِّجينٍ، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(١). [الواقعة: ٨٨-٩٤]

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾. [المطففين: ٧]
يعني: أَرواحَ الكُفَّارِ.

وأمَّا الجَسدُ وسَائِرُ ما فيه فَتُبْعَثُ إليه النَّارُ، ويُفتَحُ له بَابٌ في النَّارِ، ويُضَيَّقُ عليه في لَحْدِه كيفَ شَاء الله، وكذلك يُصيبُ النَّعيمَ إلى مَنْ شَاء، كيفَ شاء، ولله تعالى في ذلك عِلْمٌ وسِرٌّ وَقُدْرَةٌ لا يُدرَكُ بالقِيَاسِ، ولا بالْعَقْلِ(٢)، و لا يُذْكَرُ فيه إلاَّ بما دَلَّ عليه في القُرآنِ والسُّنَّةِ(٣).

---

(١) حيث قبلها في السياق ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧]، فإن في السياق أنها في القبر وأول منازل الآخرة، التي تدل على ما بعدها.

وانظر الدر المنثور ٦/ ٢٣٦-٢٤٣، وتفسير الطبري ٢٧/ ٢٧٥ وما بعدها، وأهوال القبور ٤١-٥٨.

(٢) فلا تُدَرك حقيقة ذلك وكيفيته بالعقل والقياس، وإنما بهما يُدرك أصل العلم فقط!

(٣) ولمن المناسب الإتيان بأجمع الألفاظ النبوية في وصف قبر المؤمن والكافر وما يكون فيهما من الفتن وذلك في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

١- والدَّلاَلَةُ أَيضاً على إثبَاتِ عَذابِ القَبْرِ قَوْلُه تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾. [غافر: ٤٦]

وليس في القِيَامَةِ غُدوٌ ولا عَشِيٌ، ويكونُ ذلك في القَبْرِ.

قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض» قال: «فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى» قال: «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة» قال: «فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره» قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب

٢- والدَّلالَةُ الثَّانِية في الآية التي يُذكَرُ فيها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾. [غافر: ٤٦]

فأَفرد تعالى ذِكْرَ القِيامةِ عن ذِكرِ القبر.

الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي» قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب» قال: «فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له» ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً» ثم قرأ: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة».

وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾. [طه: ١٢٤]

والكَافِرُ مَعِيشَتُهُ في الدُّنْيَا غيرُ ضَنْكٍ لِقَوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ الآية. [الزخرف: ٣٣]

وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾. [طه: ١٢٤]

فدَلَّ أنَّ معَيشَتَهَ الضَنْكَ يكونُ في القَبْرِ، لأنَّ ذِكرَ القِيَامةِ قد أُفْرِدَتْ، والكَافِرُ مُوَسَّعٌ عليه في الدُّنْيا؛ فَدَلَّ أنَّ ذلك في القَبْرِ[1].

رواه الإمام أحمد من طريقين عنه ٤/ ٢٨٧ و ٢٩٥، وهذه لفظة في الأول فيهما وكذا في السنة (١٣٦٥ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩).

وأخرجه أبو داود في السنة (٤٧٥٣)، وأخرجه الطيالسي في مسنده (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٤ و ٣/ ٣٨٠-٣٨٢ (هندية)، وعبدالرزاق في المصنف (٣٧٣٧) و (١٧٣٧)، والآجري في الشريعة ٣٦٧، وابن المبارك في الزهد (١٢١٩)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، والبيهقي في عذاب القبر (٢٧-٣٥) من طرق وقال: هذا حديث كبير صحيح الإسناد رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش، وأخرجه الحاكم في المستدرك من طرق ١/ ٣٧-٤٠ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، من طرق كثيرة عن زاذان عن البراء به.

(١) وهكذا فسَّره النبي ﷺ كما في حديثي:

١-أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال في قوله: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] قال: «**عذاب القبر**».

رواه ابن حبان وصححه ٧/ ٣٨٩ (٣١١٩)، والبيهقي في عذاب القبر (٦٩ و ٧٠) من طريقين، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٨٠-٣٨١ من طريقين أحدهما بمثله

. . . .

والآخر مطولاً وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٥٩ مطولاً، وأورده في الدر المنثور ٤/ ٥٥٧ وزاد نسبته إلى البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردوية.

وعن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعاً: «**إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويُرحب له قبره سبعون ذراعاً، ويُنَوَّرُ له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أتدرون ما المعيشة الضنكة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «**عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه يُسلط عليه تسع وتسعون تنيناً، أتدرون ما التنين سبعون حية، لكل حية سبعة رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة**».

أَخَرجهُ ابن حبان وصححه ٧/ ٣٩٣ (٣١٢٢)، والطبري في التفسير ١٦/ ٢٨٣، والآجري في الشريعة ٣٥٨، والبيهقي في عذاب القبر (٨٠)، وابن أبي حاتم، كما في ابن كثير ٥/ ٣١٦ من طرق عن عبدالله بن وهب عن عمر بن الحارث ثنى أبو السمح عن ابن حجيز عن أبي هريرة به.

وأخرجه البزار في الزوائد (٢٢٣٣) من طريق هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجيرة به مثله.

وعزاه في المجمع له ٧/ ٦٧، وإلى أبي يعلى كما في ٣/ ٥٥، وأعله بدرَّاج وهو أبو السمح السهمي مولاهم المصري القاص، صدوق. روى له الأربعة والبخاري تعليقا، وشيخه عبدالرحمن بن حجيرة الخولاني قاضي مصر، وثقه النسائي وغيره، وروى له مسلم والأربعة.

وعزاه في الدر المنثور ٤/ ٥٥٧ إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وأبي حاتم وابن مردويه.

وانظر أهوال القبور ٥٢ وما بعدها.

وَرُوِيَ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «لَوْلاَ أنْ لا تدافَنُوا لسَألتُ الله أنْ يُسْمِعَكُمْ بِعذابِ القَبْر»[١].

٢- وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في الآية: قال «عذاب القبر» بمثل حديث أبي هريرة.

رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٧٢)، والحاكم ٢/ ٣٨١ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

بل رواه سعيد بن منصور في سننه ق ١٥٤ ثنا يعقوب بن عبدالرحمن وعبدالعزيز بن أبي حازم عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عيَّاش الزرقي عن أبي سعيد به.

وعزاه في الدر ٢/ ٥٥٦ إلى مسدد في مسنده وعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي حاتم وابن مردويه.

كما روى موقوفاً على أبي سعيد عند ابن أبي شيبة ٧/ ١٥٧، وابن جرير ١٦/ ٢٨٣، والبيهقي في عذاب القبر (٧٣ و ٧٤).

كما روى حديث أبي هريرة الثاني موقوفاً عن أبي سعيد.

وروى حديثهما المرفوع موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.

رواها البيهقي في عذاب القبر ٧٢-٧٧ وابن جرير في التفسير ١٦/ ٢٨١ وما بعدها وأحمد في السنة (١٣٥٧)، وانظر المجمع ٧/ ٦٧، والدر المنثور ٤/ ٥٥٦-٥٥٨، وصحيح ابن حبان ٧/ ٣٧٨-٤٠٢ في أخبار نبوية متنوعة في الباب.

(١) الحديث مضى وأخرجه مسلم في الصحيح عن أنس مرفوعاً بلفظ: **«لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»**.

في كتاب الجنة ـ باب مقعد الميت (٢٨٦٨).

* * *

٣- والدَّلالَةُ الثَّالِثةُ قَوْلُ الله تعالى حَيثُ قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾. [إبراهيم: ٢٧]

فأمّا في الحياةِ الدُّنْيا فيُبَشِّرُهُم بجَزِيلِ ثواب الله عِنْدَ المَوتِ إذا نزلَ بهم، ألا تَسمعْ قَوْلَه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند قَبْضِ أرواحهم[1] ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما وَرَاءَكُم ولا تحزنُوا على ما خَلَّفتُم مِنْ صَنيعَتِكم ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾. [فصلت: ٣٠-٣٢]

فَدَلَّ أَنَّ بِشَاراتِهم تُرَدُّ عند المَوتِ عليهم في دَارِ الدُّنيا.

وقال في قِصَّةِ الكُفَّار: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فَأَخْبَرَ أَنَّ بِشَاراتِهم تُرَدُّ عليهم في الدُّنْيا والآخرةِ، فإذا قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُم تُرْفَعُ أَرْوَاحُ المُؤْمِنِينَ، وَتُوضَعُ أَرواحُ الكَافِرين.

---

(١) وهذا القول مروي عن ثابت رضي الله عنه أخرجه عنه ابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر المنثور ٥/ ٦٨٣.

وهو قول مجاهد كما رواه ابن جرير ٢٤/ ١٤٥، وأخرجه عنه الفريابي وعبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/ ٦٨٢.

وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٨٦)، وانظره ص ٤٧.

وهذا القول اختاره ابن جرير ورواه أيضاً عن السدي.

. . . .

وفي الآية قول آخر عن ابن عباس أنها في الآخرة، رواه ابن جرير عنه، وكذا ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور.

والخلاف فيها تنوع كما سبق نظائره والله أعلم!

***

بَابٌ في مُنكَرٍ ونَكِيرٍ(١)

والإِيمانُ بِمُنكَرٍ ونكِيرٍ وبِمُسَاءَلَتِهِمَا واجِبٌ، وأنَّ الله تعالى يَبعثُ بهما إلى القُبورِ، وهُما فَتَّانَا القُبورِ.

وقد قال النَّبيﷺ يَوْماً لِعمَر رضي الله عنه: كَيفَ بك يا عُمَرُ إِذَا أَتَياك فَتَّانا القُبورِ، يَبحثانِ القَبرَ بأَنيابِهما ويَحثَّانِ التُّرابَ بِأَشْفَارِهِمَا، أَعينُهما كالبَرقِ الخَاطِفِ، وأَصْواتُهُمَا كالرَّعدِ القَاصفِ، وبِيَدَيْهِمَا مِرْزَبَّةٌ لو اجْتَمَعَ أَهلُ المَوْسِمِ على حَمْلِها لما أَطَاقُوا، هي أَخَفُّ في يَدِهِما كالقَضِيبِ الذي كَان بِيَدِي، يَسْأَلانِ العَبدَ: عن رَبِّه، وعن دِيْنِهِ وَنَبِيِّهِ وإِمَامِهِ، فَمَنْ أَفلَحَ الحُجَّةَ نَجا، ومَنْ تَحيَّر في سُؤَالِهما هَلكَ

---

(١) وهذا الباب تابع لباب الإيمان بعذاب القبر، وفرع عنه.

فإن فيه فتنة القبر، والامتحان فيه بالسؤال من منكر ونكير، وهما ملكان من الملائكة، قد استفاضتهم بمسألتهم أهل القبور الأحاديثُ الصحيحة وغيرها.

وإنما أفرده المؤلف ـ وكذا كثير من العلماء ـ لأهميته في الباب، ولوقوع إنكاره خصوصاً من منكرة عذاب القبر ومقلدتهم في بعض!

(٢) أخرج عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٥٨٢ (٦٧٣٨) عن معمر عن عمرو بن دينار مرسلاً: أن النبي ﷺ قال لعمر: «**كيف بك يا عمر بفتاني القبر إذا أتياك يحفران بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد العاصف، معهما مرزبة، لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها**»، قال عمر: وأنا على ما أنا عليه اليوم؟ قال: «**وأنت على ما عليه اليوم**» قال: إذاً اكفيهما إن شاء الله.

ورواه البيهقي في الاعتقاد ١٢٧ بسنده من طريق أبي خالد بن أبي سهل عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أن الرسول قال له: «**كيف أنت إذا كنت في أربع من الأرض في ذراعين**

. . . .

فرأيت منكراً ونكيراً» قال: يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال: «**فتانا القبر، أبصارهم كالبرق الخاطف**».

وأخرجه من طريق قوام السنة في الحجة ١/ ٤٧٦ (٣٢٤ و ٣٢٥) من طريقين.

وأخرجه ابن أبي داود في البعث ٣٧، والخلال في السنة كما في الأهوال ٨٢، والاتحاف ١٠/ ٤١٤.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٢ من طريق ابن لهيعة عن حُيي بن عبدالله المعافري عن الحنبلي عن عبدالله بن عمرو عن عمر رضي الله عنهم به مختصراً.

وكذا رواه الطبراني، وقال في المجمع ٣/ ٤٧: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

ورواه ابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٨٤ من طريق ابن وهب عن حيي بن عبدالله به، وكذا رواه ابن عدي في الكامل ٢/ ٨٥٥، وعزاه في الأهوال ١٣ إلى الاسماعيلي في مستخرجه.

ولهذا الحديث شواهد:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البيهقي في عذاب القبر ١٢٧، وأخرجه ابن بطه في الإبانة ـ وليس في المطبوع ـ قاله الزبيدي في تخريج الإحياء، كما في الاستخراج (٢٦٤٥).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ مقارب، رواه الطبراني في الأوسط، وقال في المجمع ٣/ ٥٤: «فيه ابن لهيعة» اهـ.

ورواية أخرى بنحوه أخرجها الترمذي في الجنائز (١٠٧١) وحسنها، وابن حبان وصححها ٧/ ٣٨٦، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، والآجري في الشريعة ٣٦٥، والبيهقي في العبر (٥٦).

وَرُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه مَرَّ بِقبْرَيْنِ فَقال: «إِنَّهما يُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ بِكَبيرةٍ، أَمَّا أَحَدُهُما: فإِنَّه لا يُوَقِّي عن بَوْلِهِ، أو قالَ عن البَوْلِ، والآخُر: كان يَمْشِي بِالنَّمِيمةِ»(١)

٣- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما بمثله، أخرجه القاسم بن الفضل الأصبهاني في (الاربعون) (٥)، وقال: «والحديث مشهور، ما كتبناه عالياً إلا بهذا الإسناد» اهـ.

٤- عن تميم الداري رضي الله عنه بلفظ مقارب، وعزاه ابن كثير في التفسير ٤/ ٤٢٢ إلى أبي يعلى الموصلي في مسنده، وقال الحافظ بن كثير عقبه: «هذا حديث غريب جداً وسياقه عجيب».

٥- عن عطاء بن يسار رحمه الله مرسلاً عن النبي ﷺ في قصة عمر بمثله.

رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ـ كما في بغية الباحث ـ ١/ ٣٧٩ (٢٨١)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريقه، والآجري في الشريعة ٣٦٦، والبيهقي في الاعتقاد ١٢٧ وقال: «رويناه من وجه آخر صحيح».

وقد توسع في تخريج الحديث الزبيدي كما في تخريج الإحياء (٤٠٦٤) وما بعده، والهيثمي في المجمع ٣/ ٤٧-٥٤، وذكر فيه أحاديث في الباب عن اثنى عشر صحابياً.

وأهوال القبور ٦ وما بعدها، وانظر: إثبات عذاب القبر للبيهقي ١٠٤-١١٤، وصحيح ابن حبان ٧/ ٣٧٨-٤٠٩ والشريعة للآجري ٣٦٥-٣٧١، والدر المنثور ٣/ ٥٧.

هذا وللحديث شواهد كثيرة جداً بمعناه منها حديث أنس في الصحيحين يرفعه: «**إن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم..**» ومضى.

(١) والحديث متفق على صحته عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ مقارب جداً، فيه: «**بلى: كان أحدهما لا يستتر**»، بدل «**لا يُوَقِّي**» وفي آخره: «**ثم دعا بجريدة**

فَدَلَّ ذَلِكَ كُلُّه أَنَّ الكَافِرَ والظَّالِمَ يُعَذَّبُانِ في قُبورِهِم على قَدْرِ ذُنُوبِهم[(١)]، . . . .

فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا، أو إلى أن ييبسا».

هذا لفظ البخاري، وأخرجه في ستة مواضع متصلة، أولها: في كتاب الوضوء ـ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٢١٣).

وأخرجه مسلم في الطهارة ـ باب الدليل على نجاسة البول (٢٩٢).

قال في الفتح ١/ ٣٨٠: «وقد وقع عند أبي نعيم في المستخرج من طريق وكيع عن الأعمش «**كان لا يتوقى**» وهي مُفسرة للمراد» اهـ.

(١) هذه مسألة هل عذاب القبر دائم على صاحبه، أم له مدة ينتهي بها؟

فالحق الذي دلت عليه الدلائل الشرعية أنه نوعان:

١- نوع دائم على صاحبه وهو عذاب الكافر والمنافق، ومن أجلى أدلته قوله تعالى عن فرعون وآله في غافر: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، ولعموم الأحاديث في الكافر من اشتعال القبر عليه ناراً وفتح له باباً من النار.

٢- نوع ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة من أهل الإيمان، حيث ينقطع عنهم العذاب بأسباب عديدة منها: استيفاء عذاب المعصية أو الشفاعات له، أو الدعاء له، أو الصدقات عنه، وغيرها من الأسباب الخاصة في وقاية فتنة القبر، والعامة في تكفير الذنوب، وتكثير الحسنات، مما ذكر طرفاً منها ابن القيم في الروح عند عرض المسألة ٣٧٠-٣٧٣، وقبلها في المسألة العاشرة ٣٤٥-٣٥٦، وشرح الطحاوية ٥٨٢.

. . . .

ويتفرع على ما سبق مسألة هل يدوم عذاب القبر على العصاة الموحدين؟

الأمر فيها محتمل بحسب حديث ابن عباس رضي الله عنهما في اللذين يعذبان في قبريهما وما يعذبان في كبير!

فإن ظاهره أنهما من أهل الكبائر والعذاب عليهما دائم، لكن يُخفف ما لم تيبس الجريدتان!

ويحتمل أن النبي ﷺ ذكر أخص ذنبيهما، وترك الظاهر وهو الكفر بكونها من قبور الجاهليين، وجزم به أبو موسى المديني الإمام.

كما ذكر الله قوم لوط في مواضع من القرآن وعابهم بأخص ذنوبهم وهو إتيان الرجال من دون النساء والاحتمال الأول أقوى لمجموع الروايات في الحديث، والله أعلم.

وتناول البحث في المسألة الحافظ في شرح للحديث في الفتح ١/ ٣٧٩-٣٨٤.

وهاهنا مسائل أخر في الباب يطول المقام بعرضها هي إجمالاً:

* مسألةالسؤال في القبر هل هو عام لكل مسلم وكافر جاحد ومرتد ومنافق؟ أم خاص بالمسلم والمنافق فقط؟

ذكرها ابن القيم في المسألة الحادية عشرة في الروح ٣٥٧-٣٦٢ ورجح العموم لمقتضى الأدلة.

* ومسألة منكر ونكير هل هي خاصة بأمة النبي ﷺ؟ أم لكل الأمم؟ على أقوال ثلاثة بالعموم والخصوص والتوقف! وانظر الروح ٣٦٣-٣٦٥.

* مسألة امتحان الأطفال في قبورهم؟ على قولين ذكرها في الروح ٣٦٦-٣٦٩، ورجح حصوله لهم.

فالمُؤْمِنُ لا يَكُونُ لهما عليه سَبيلٌ، وهو قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾(١). [التحريم: ٦]

وعلى كل حال فموضوع البرزخ موضوع مهم ومسائله متشعبة والعبرة فيه بأمرين:

- ثبوت الخبر عن المعصوم ﷺ فيه.
- سلامة الفهم والاستدلال والنظر في مجموع الأدلة الواردة.

ومن أجمع الكتب المؤلفة في هذا الباب كتاب الإمام أبي بكر البيهقي «إثبات عذاب القبر» فقد روى فيه ٢٦٣ حديثاً وأثراً.

(١) الآية صريحة في نار جهنم، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ولكن بدا لي أن المؤلف ينزل مثل هذه النصوص في عذاب الآخرة على عذاب القبر لأنه أول منازل الآخرة، وأيضاً لأن العذاب الذي يلقاه الكافر في النار كثير فيه من النار، كما في حديث البراء وغيره.. والله أعلم.

ولاشك أن من مات فقد قامت قيامته!

***

بَابٌ فِي القِيَامَةِ[١]

والإِيْمَانُ بالبَعثِ بَعد المَوتِ، وبالحَوْضِ[٢]، والمِيزانِ أَنْ تُوزَن

(١) الأدلة على الإيمان باليوم الآخر والبعث من أوضح الأدلة:

* في القرآن حيث لم يعتن القرآن ببيان عقيدة كبيانه لعقيدة البعث التي هي فرع من الإيمان بالله وتوحيده.
* وفي السنة من الأحاديث الصحيحة الصريحة ما هو مستغني بشهرته وتواتره.
* وفي إجماع كل أهل الملل والديانات السماوية فضلاً عن أهل الإسلام.
* في العقل الصريح والنظر السليم.
* وفي الفطر المستقرة السالمة من الصوارف.

حيث لم ينكره إلا بعض المعاندين من المشركين من العرب وغيرهم، وجماعات من الفلاسفة، والتناسخية عموماً.

(٢) دل على حوضه ﷺ القرآن والسنة وقد اجتمعا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم في صحيحه قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال: «**إنه نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ❊ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ❊ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣] ثم قال: **أتدرون ما الكوثر؟** فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك**».

رواه مسلم في كتاب الصلاة ـ باب حجة من قال البسملة آية من أول كل صورة (٤٠٠)، وفي الفضائل ـ باب في إثبات الحوض ٤/ ١٨٠١.

وقد بلغت الأحاديث الواردة في ذكر الحوض وصفته حد التواتر عن خمسة وستين صحابياً أو أكثر حتى قال الحافظ في الفتح ١١/ ٣٩٥ بعد تنصيصه على تواترها:

فيه الحَسناتُ والسَّيِّئاتُ(١)، . . . .

«وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين من الصحابة» اهـ.

وممن نصَّ على تواترها ابن عبدالبر في التمهيد ٢/ ٣٠٩، والقاضي عياض، والنووي كما في شرح مسلم ١٥/ ٥٣، والبيضاوي والقرطبي والكتاني كما في نظم المتناثر ١٥١-١٥٣، والسيوطي في قطف الأزهار ٢٩٧، وشرح الطحاوية ٢٧٧-٢٨٢، والبيهقي كما في الدر المنثور والحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم استقصى من ذلك عن تسعة وعشرين صحابياً ١/ ٣٧٤-٤١٤.

ورواها بقيُّ ابن مخلد في ما روى في الحوض والكوثر عن تسعة عشر صحابياً ٧٩-١٠٨، وذَّيل عليه ابن بشكوال فذكرها عن اثنى عشر صحابياً ١١١-١٢٦، وجمع عبدالقادر صوفي في مستدركه مرويات واحد وثلاثين صحابياً ١٣١-١٧٠.

(١) الإيمان بالميزان من الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه، وقد دلت النصوص من الوحيين عليه فمن ذلك:

قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالى في أول الأعراف: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقوله في المؤمنين: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وفي سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦-٨].

* وورد أن الميزان يَزن الأعمال من الحسنات والسيئات، ومما يدل على هذا:

. . . .

١- حديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

فقد رواه البخاري موصولاً وختم به كتاب التوحيد وصحيحه، ومسلم في (٢٦٩٤).

٢- ولما رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري يرفعه: «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان**».

الحديث رواه في أول كتاب الوضوء (٢٢٣).

٣- حديث البطاقة المشهور وهو ما رواه عامر بن يحيى، عن أبي عبدالرحمن المعافري الحبلي، قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر شيئاً من هذا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، أفلك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، ويقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، قال: فلا يثقل اسم الله شيء**».

أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١٣ و ٢٢٢، والترمذي (٢٦٣٩) وحسنه في الإيمان: باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٦١، والبغوي (٤٣٢١).

وأخرجه ابن ماجه (٤٣٠٠) في الزهد: باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة،

وبالثَّواب والعِقَاب، والجَنَّةِ والنَّار[1]، والقِصَاص بين الخَلْق كُلِّهم وأَهلِ النَّارِ بَعضُهم مِنْ بَعْضٍ، وبأَنَّ الله تعالى يَتولَّى حِساب الخَلْقِ

والحاكم في المستدرك (١/ ٦ و ٥٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

كلهم من طرق عنه به وهو حديث مشهور وأسانيده عديدة تصححه.

* كما ورد أن الميزان يوم القيامة يزن العاملين مع عمله، ومما يدل عليه:

١- ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال: «**اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥]».

رواه البخاري متصلاً في التفسير - في آخر تفسير سورة الكهف (٤٤٥٢)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم - باب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥).

٢- ولما رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٤٢١ من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**».

وكذا رواه الطيالسي (٣٥٥)، وابن أبي شيبة ١٢/ ١١٣، وابن سعد في الطبقات في ترجمة ابن مسعود ٣/ ١٥٥، والبزار كما في الكشف (٢٦٧٧ و ٢٦٧٨) من طريقين عنه به، وأبو يعلى في مسنده كذلك (٥٣١٠ و ٥٣٦٥)، والطبراني في الكبير، والحاكم وصححه ٢/ ٣١٧، ووافقه الذهبي وقال في المجمع ٩/ ٢٨٩: «رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح».

(٢) وكذا الإيمان بأنهما مخلوقتان الآن وقبل الآن، فمن الجنة أُخرج آدم وزوجه، وأطلع عليهما النبي ﷺ، ويعرض مقعد الرجل منهما في قبره إذا مات.

قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ

كُلِّهم ويُكَلمُ مَنْ يَشاء مِنْهم بِغَير تُرجَمان(١).

والإيمانُ بالصِّرَاطِ، وأَنَّه يُوضَع في سَواء الجَحيمِ، وهو أَدقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وأَحدُّ مِنَ السَّيفِ، صُعُوداً وهُبُوطاً واسْتِواءً، عليه عَقباتٌ كَؤُدٌ، يُؤَمُر الخَلْقُ بالجَوازِ عَليها نَجا مَنْ نَجا، وتَردَّىٰ(٢) في النَّارِ مَنْ

لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وهذان فعلان ماضيان، يدلان على الحدث وهو الفعل والاعداد في الزمن الماضي.

وعلى هذا اتفاق المسلمين، ولم ينازع فيه إلا طوائف من المعتزلة.

نقله في شرح الطحاوية ٦١٤.

(١) لما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم مرفوعاً وفيه: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**» الحديث وتقدم.

(٢) والصراط يكون بعد الحساب وقبل دخول الجنة، وهو: جسر على جهنم دحض مزلة مظلم، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك كشوك السعدان، طويل، دقيق، كحد السيف.

جاء وصفه في الأحاديث النبوية ومنها:

١- في حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الصحيحين مرفوعاً طويلاً وفيه: «**ثم يضرب الجسر عَلَى جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم**» قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار..**» الحديث.

وهذا لفظ مسلم، ولهما مثله حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومضى تخريجهما مراراً في إثبات الرؤية وإثبات القدم.

تَردَّى، وهو قَوْله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ . [مريم: ٧١-٧٢]

٢- ما روه مسلم في كتاب الإيمان (١٩١) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال لما سئل عن الورود؟: «**نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا أنظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون، فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيتجلى لهم يضحك، فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفا لا يحاسبون. . .**» الحديث.

وهو مرفوع حكماً، بل رواه النسائي في كتاب الإيمان (٢٠٢٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٠)، والزهد (٤٢٨٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

٣-حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: «**لجهنم جِسْرٌ أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح. . .**» الحديث.

رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١١٠ وفيه ابن لهيعة.

وبلفظ مقارب عن ابن مسعود عند الطبراني في الكبير ٩/ ٢٣٠، والحاكم ٢/ ٣٧٦ و٤/ ٥٩٠ و٥٩٢، وقال في المجمع ١٠/ ٣٥٩: «رجاله رجال الصحيح غير عاصم وقد وثقه»، وحسنه السفاريني في اللوامع ٢/ ١٩٠، واللوائح ٢/ ٢١٣، والتخويف من النار ٢٤٤-٢٥٤، وشرح الطحاوية ٦٠٥.

٤- وحديث حذيفة وأبي هريرة كلاهما عند مسلم في كتاب الإيمان (١٩٥) بنحو حديث جابر، وفي الباب أحاديث عن أبي بكرة وابن عباس وعبدالله بن عمر وأبي هريرة وأنس وأبي ذر رضي الله عنهم وهو عند الإمام أحمد بسند صحيح،

والجَنَّةُ مِنْ وَراءِ ذلك(١).

صححه السفاريني.

وقد اتفق المسلمون على إثبات الصراط في الجملة، حيث أثبته أهل الحق على ظاهره كما ورد في النصوص.

أما أكثر المعتزلة فإنهم أنكروه كما في المواقف ٣٨٤، وشرح المقاصد ٥/ ١١٧، واللوامع ٢/ ١٩٢-١٩٤.

(١) فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار، حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقوا وهُذبوا، أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أَدلُّ بمنزله كان في الدنيا**».

رواه البخاري موصولاً في أول كتاب المظالم ـ باب قصاص المظالم (٢٣٠٨)، وفي الرقاه (٣٥٣٥).

وقوله ﷺ: «**خلصوا من النار**» يدل على أن الصراط منصوب على متن جهنم وأن مجاوزته، مجاوزة لها.

* * *

بَابٌ فِي خُرُوجِ أَهلِ التَّوحيدِ مِنْ النَّارِ[١]

والإِيمانُ بأَنَّ المُوحِّدين يَخرجُون مِنَ النَّارِ، إذا أُذيقُوا مِنَ العَذابِ

---

(١) وهذه المسألة من فروع مسألة الاختلاف في مسمى الإيمان، ومن ثمراتها والمذاهب المشهورة فيها ثلاثة:

١- أهل السنة والجماعة وهم الذين قررَّ المؤلف مذهبهم هنا، وسبق أن الإيمان عندهم قول وفعل واعتقاد يزيد وينقص، والمعصية والكبيرة لا تخرج من الإيمان، بل تنقص كماله، ولا يخرج منه إلا الكفر.

٢- المرجئة وهم مذاهب في مسمى الإيمان، ولكن جملتهم أن أصحاب الذنوب والكبائر لا يدخلون النار بسببها، مادام عندهم أصل الإيمان، وهم على طرق.

٣- وضدهم: الوعيدية من الخوارج والمعتزلة الذين يوافقون أهل السنة في مسمى الإيمان بأنه قول وفعل واعتقاد، ويفارقونهم بأن ذهاب بعض الإيمان ذهاب لكله لأنه شيء واحد لا يتجزأ.

فمن فعل الكبيرة أو المعصية، فهو في الآخرة خالد مخلد في النار، تحرم عليه الجنة.

وإن تفرقوا في حكمه في الدنيا على أقوال ثلاثة:

١- فجمهور الخوارج على أن صاحب المعصية أو الكبيرة في الدنيا كافر كفراً أكبر مخرج عن الملة حلال الدم والمال.

٢- وبعض الخوارج، وهم الإباضية يرون كفره كفر نعمة فقط، وليس هو خارج عن الملة ولا بحلال الدم والمال.

٣- المعتزلة، ويرون أنه في الدنيا بمنزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، عبروا عنها بالفسق وهو أنه ليس بمؤمن ولا كافر.

وإن كان في الواقع ثمرة القولين الأخيرين واحدة من ناحية العمل!

على قَدْرِ أَعمالِهِم، ثُمَّ يُدخَلُون الجَنَّةَ، بِشَفاعَةِ مُحمَّدٍ ﷺ[1] وهو

* والحق أن صاحب الكبيرة والمعصية حكمه في الدنيا مؤمن بإيمانه لكن ناقص الإيمان مما أتى من الذنوب، ولا يكفر كما لا يكمل له إيمانه ما لم يتب منها.

وفي الآخرة حكمه إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه بفضله ورحمته، وإن شاء عذبه في النار على قدر معصيته ثم يخرجه منها إذا نُقِّيَ، ولا يخلده فيها وهو مسلم.

مع ملاحظة تحقق الوعيد المجمل، وهو: وعيد الله سبحانه وتعالى لأهل الذنوب فيما دون الكفر، كالعقوق والقتل والزنا والربا والغلول.. بالنار على من مات فاعلاً لها، ولم يتب منها، وكان من أهل التوحيد.

فلابد أن يدخل أحد منهم النار، لا على التعين، تحققاً لوعيده سبحانه، وإذا دخلها منهم من دخلها فإنه لا يخلد فيها.

وقد أحسن المؤلف بعقده لهذا الباب، أحسن الله إليه.

(١) كما في الحديث المشهور: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» الحديث مروي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم منهم:

١- عن أنس رضي الله عنه بمثله رواه الإمام أحمد ٣/ ٢١٣، وأبو داود في السنة بسند جيد ـ باب الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي في صفة القيامة ـ باب ما جاء في الشفاعة (٢٤٣٥) وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والطيالسي في مسنده (٢٠٢٦)، والطبراني في الصغير ١/ ١٦٠ (٤٣٨ و ١١٠١)، والحاكم في المستدرك ١/ ٦٩ وصححه على شرطهما وأقره الذهبي و ٣/ ٢١٣، والآجري في الشريعة ٣٣٨، وابن حبان وصححه ١٤/ ٣٨٧، وابن خزيمة في التوحيد ٢/ ٦٥١ (٢٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤)، والبزار في زوائده (٣٤٦٩)، والبيهقي في الكبرى ٨/ ١٧ و ١٠/ ١٩ وقال: إسناده صحيح، وانظر في المجمع ١/ ٣٧٨.

كلهم من طرق عديدة عن أنس رضي الله عنه به.

قَوْلُه تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية(١)

[البقرة: ٨٠]

٢-وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما بمثله.

رواه الترمذي في صفة القيامة ـ باب ما جاء في الشفاعة (٢٤٣٦) وحسنه واستغربه، وابن ماجه في الزهد ـ باب ذكر الشفاعة (٤٣١٠)، والطيالسي في مسنده (١٦٦٩)، وابن حبان وصححه ١٤/ ٣٨٦، والآجري في الشريعة ٣٣٨، وابن خزيمة في التوحيد (٣٩٥ و ٣٩٦)، والحاكم ١/ ٦٩ من طرق عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عنه به.

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما مثله، رواه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ١١.

٤-وعن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، رواه الطبراني في الكبير ١١/ ١٥١.

وكذا رواه في الأوسط وانظر مجمع البحرين ٤٦٩ والمجمع ١٠/ ٣٧٨ وأعله بحرب بن شريح وبقية رجاله ثقات.

وللحديث شواهد بمعناه عن أبي هريرة وأنس وعمران وأبي سعيد وابن عمر وجابر وكعب بن عجرة رضي الله عنهم وغيرهم في شفاعته ﷺ فيمن مات موحداً.

أسندها ابن خزيمة في التوحيد ٦٥٥-٦٧٤ وانظر المجمع ١٠/ ٣٧٨ وتخريج الزبيدي على الإحياء (٣٤٨٣).

وهذه الشفاعة لإخراج أهل الكبائر من النار إذا دخلوها ليست خاصة به ﷺ، وإنما يشفع كذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون والعمل الصالح، ثم بعد ذلك يخرج ربنا سبحانه من بقي منهم بفضله ورحمته من النار.

واستفاضت بهذا الأحاديث المسنده عنه ﷺ.

(١) قائل ذلك أهل الكتاب، كما في سياقها في آية آل عمران: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم

والمُعْتَزِلَةُ لَعَنَهُم اللهُ يَرُدُّون على ذلك ويَقُولون بِخَلافِهِ: يَزعُمون أَنَّه مَنْ أَتى بِذَنبٍ وَاحدٍ في عُمرِه، أو ظَلَم بِحَبَّةٍ واحِدَةٍ(١) فقد كَفَر، ويكونُ خَالِداً مُخَلداً في النَّارِ لا يَخرجُ مِنْها أَبداً، لأَنَّه قد دَخَل النَّارَ بِكُفرِهِ(٢).

مُّعْرِضُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

ولم أر من وافق المؤلف في استدلاله فيما بحثتُ عنه في كتب التفسير.

(١) كأن المؤلف يرى تكفير المعتزلة لصاحب الذنب الواحد الصغير؟ وربما هذا قول لبعضهم كما ذكر اختلافهم في الصغائر الأشعري في المقالات ١/ ٣٣٢-٣٣٦، أو اعتبار للازم قولهم في الكبيرة وسحبه على الصغيرة.

وإلا فقد نص عبدالجبار في شرح الأصول الخمسة ٦٩٧ و ٧١٣-٧١٤، وانظر قولهم في المنية والأمل ٦، والمحيط بالتكليف لعبد الجبار في السفر التاسع والعشرين، والانتصار والرد على ابن الراوندي لأبي الحسين الخياط المعتزلي ١١٨ و ١١٩، ومتشابه القرآن لعبد الجبار ٢/ ٦٠٩، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ٢٥٦ وما بعدها.

وقد حكى اتفاق المعتزلة على أن مرادهم بصاحب الذنب صاحب الكبيرة الشهرستاني في الملل والنحل ٤٥، والإسفراييني في التبصير ٤٢، وهما من المشتغلين بمقالاتهم والرد عليهم!

(٢) وسبق المعتزلة إلى قولهم هذا الخوارج، فإنهم إجمعوا إلا النجدات والإباضية على أن كل كبيرة كفر مخرج عن الملة، نقله أبو الحسن في المقالات ١/ ١٦٨.

ونصَّ أبو الحسن على أن قول المعتزلة والخوارج في مرتكب الكبيرة واحد ١٠/ ٢٠٤.

ولم أقف للخوارج على تفريق بين الكبائر والصغائر!

مع أن المعتزلة متفقون على الفرق بين الكبيرة والصغيرة، لكنهم مختلفون في

وقد أجمعتِ العُلماءُ مِنْ أَهلِ السُّنَّةِ مِنْ غَيْر خِلافٍ بَينهم أَنَّه لا يكَفُرُ أَحدٌ مِنْ أَهلِ القِبلَة بِذَنبٍ صَغِيرٍ و كَبِيرٍ، ولا يُخرجُه عن الإِسلامِ بمِعَصيةٍ صَغُرتْ أَمْ كَبرتْ، ونَرْجُو للمُحسنِ ونَخافُ على المُسيء.

الرد على الوعيدية في الكبائر

فمنْ قَال بِقَولِ المُعَتزلةِ، وآمنَ به؛ فَقدْ أَعظَم الفِرْيةَ على الله عزَّ وَجلَّ(١)، وأَبرأَ الله تعالى ممَّا وصَفَ به نَفْسَه مِنْ الرَّأفَةِ، والرَّحمَةِ، والتَّجاوزِ، والإِحسانِ، والغُفرانِ، وقَبولِ التَّوبةِ.

ونَسَبَ الكُفْرَ إلى الأَنْبياءِ والمُرسلين وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. [طه: ١٢١-١٢٢]

ووَصَف كذلك مِنْ ذُنوبِ الأَنبِيَاءِ والمُرسلين صَلواتُ الله عليهم أجمعين وإنَّ إِخْوَةَ يُوسفَ عليه السَّلامُ ظَلموا أَخَاهُمْ وعقُّوا أَباهُم، وعَصوا مَولاهُم، وهم مع ذلك أَخيارٌ أَبرارٌ مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ.

وقال عزَّ اسمُه لِنَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾. [الفتح: ٢]

تحديدهما، وكذا في غفران الصغائر، نقله أبو الحسن في الموضع السالف الذكر من المقالات ١/ ٣٣٢-٣٣٣، وهو من أعرف الناس بمذاهبهم واختلافاتهم.

(١) لأنه سبحانه وعد أن يغفر لمن لم يشرك به شيئاً في آيتي سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فمن جعل الله غير غافر لمن أذنب ولم يشرك، كان كاذباً مفترياً على الله.

***

وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾(١). [التوبة: ٤٣]

الكف عما جرى بين الصحابة

فقد أَمرَنَا رسَولُ الله ﷺ بالكَفِّ عَمَّا شَجَر بَيْنَ أَصحابِه(٢)، فقد

(١) ومثله قوله تعالى في ممتناً عليه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢].

واستدلال المؤلف عليهم بهذا يتم لو لم يتوبوا مما عصوا به ربهم، أما وقد تابوا فهذا خارجٌ عن محل النزاع.

(٢) من القتال والشحناء لعدة أمور:

١- أن ذلك هو طريق السلامة والبراءة للدين والعرض، كما قيل «**تلك أمور سلّم الله منها سيوفنا، فنُسلِّم منها ألسنتنا**».

٢- ولأن الكلام فيما جرى بينهم غالبه من الكلام بالظن، الذي لم يُبن على علم ثابت صحيح، والله يقول في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وإن توفرت الأخبار عما جرى بينهم تامة صحيحة، مكتملة الحيثيات، فإن الكلام يكون والحالة هذه عن حض من العلم.

٣- لما ذكره الشيخ المؤلف من الاعتبارات المبينة عن فضلهم وقدرهم ديناً وعلماً وعملاً.

٤- لما روى في حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبدالرحمن بن زياد عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**».

رواه الترمذي في المناقب ـ باب فضل من بايع تحت الشجرة (٣٨٦٢)، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٥٤٥ و ٥٧، وفي فضائل الصحابة (١) هكذا، وفي المسند

شَهدوا المَشَاهِدَ، وسَبقوا النَّاسَ بالفَضْلِ، وقد غَفَر الله تعالى لهم[1]،

٤/ ٨٧، والفضائل (٣) عن عبدالله بن عبدالرحمن عن ابن مغفل به .

وكذا أخرجه ابنه عبدالله في زوائد الفضايل (٢ و ٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٩٢)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٨٧، وابن حبان وصححه ١٦/ ٢٤٤ .

وأخرجه الخطيب في تاريخه ٩/ ١٢٣، والبيهقي في الاعتقاد ٩/ ٣٢١، والبغوي في شرح السنة (٣٨٦٠)، وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ١٣١، وبمثله عبدالرحمن ابن زياد وقيل اسمه: عبدالله بن عبدالرحمن، وقيل عبدالرحمن بن عبدالله. لم يوثقه غير ابن حبان وقال ابن معين الذهبي: لا يعرف.

وذكره ابن أبي حاتم في الجرح ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فكأنه مجهول الحال، وقال الحافظ في التقريب: مقبول، يعني حيث يتابع وإلا فضعيف الحديث.

وانظر الجرح ٥/ ٩٤، والتاريخ الكبير ٥/ ١٣١، والثقات ٥/ ٤٦، والكمال ٧٨٨، وتهذيبه ٢/ ٥٠٧ (رسالة)، وتقريبه والخلاصة.

هذا ويشهد لمعناه النصوص الكثيرة من القرآن والسنة في مناقبهم رضي الله عنهم.

(١) كما قال تعالى عنهم في سبقهم من سورة براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والرضا عنهم متضمن لمغفرة ذنوبهم.

وقال تعالى في سورة الفتح: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال في آخرها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، فنصت الآية على وعدهم المغفرة.

وأَمَرَكَ بالاستغفار لهم[١]، والتَقرب إِليهم[٢] بِمَحَبَّتِهِمْ، وفَرضَ ذلك على لِسَان نَبِيِّهِ مُحمدٍ ﷺ وهو يَعْلَمُ ما يكونُ مِنْهم وأَنَّهم مُسْتَسلِمُون.

وقد فُضِّلُوا على سَائِر الخَلْقِ، لأَنَّ الخَطأَ والعَمدَ قد وَضعه الله عنهم، وكُلُّ ما شَجَر بَينهم مَغْفورٌ لهم.

الأدلة على إخـــراج الموحدين من النار

والدَّليلُ على أَنَّ المُوحدين يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ، ولا يكونُونَ فيها خَالِدين مُخلَّدين قَوْلُ النَّبي ﷺ أَنَّه قال: «لا يَبقى في النَّارِ مَنْ كان في قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرةٍ مِنَ الإِيمانِ»[٣].

وتاب الله عليهم كما في آخر براءة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

ولما في الصحيحين في حديث علي في قصة حاطب، وقول عمر رضي الله عن الجميع: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: **«إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**.

فقد رواه البخاري موصلاً في سبعة مواضع أولها في الجهاد ـ باب الجاسوس (٢٨٤٥)، ومسلم في فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم (٢٤٩٤).

(١) كما قال سبحانه وتعالى في آية الحشر بعد ذكر المهاجرين ثم الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(٢) كذا في المخطوطة، ولعل الصواب (إليه).

(٣) الحديث مخرج في الصحيحين عن عدد من الصحابة، ومنهما:

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾. [النساء: ٢٩-٣٠]

ولم يَقلْ خَالداً فيها مُخلَّداً.

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون قد اسودُّوا، فيلقون في نهر الحيا أو الحياة ـ شك مالك أحد رواته ـ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**».

رواه البخاري موصولاً في موضعين أولهما في الإيمان ـ باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٢) وفي (٦١٩٢) وهذا لفظه، ومسلم في الإيمان ـ باب إثبات الشفاعة (١٨٤).

٢- وعن أنس رضي الله عنه في حديث الجهنميين، يرفعه ولفظه: : «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**».

وفي طريق أخرى: «**من إيمان**» هذان لفظا البخاري رواهما في الإيمان ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه (١٤)، وفي التوحيد في حديث الشفاعة الطويل (٧٠٧١).

وأخرجه مسلم في الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٣).

وفي الباب ألفاظ أخرى عن ابن مسعود وجابر وأبي ذر وأبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهم وأرضاهم رواها كلها مسلم في الإيمان (١٨٤-١٩٥) وبعضها اتفق معه عليها البخاري.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾(١) [النساء: ١٦٨-١٦٩]

الشفاعة وشروطها

فلو استوى المُؤمِنُ والكَافِرُ لبطَلتْ شَفاعَةِ النَّبيِّ ﷺ، وشفاعة المؤمنين ألا ترى إذا قَبِلَ شَفاعَة المُؤمنين، يَقول الكافِرونَ: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢]

فَدلَّ أَنَّ المُؤمنين يَنْجُون بالشَّفاعَةِ ويَخْرجون مِنْ النَّارِ، والكافِرون لا شَفيعَ لهم، ولا يَكونُ لأَحدٍ عَليهم شَفاعَةٌ لِقَوْلهِ عزَّ وجَلَّ عن المُجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾. [المدثر: ٤٢-٤٨]

فَدلَّ أَنَّ الشَّفاعَة تَنْفَعُ المُؤمنين، والكَافِرون بِكُفْرِهم خَرجوا عن الشَّفاعة. والمُؤمنون يَرجُون شَفاعَة الشَّافِعينَ، ونَرْجو إنْ شَاء الله، لِقَوْلِ النَّبي ﷺ: «مَا مِن نَبيٍّ إلاَّ وكانت لَه دَعْوَةٌ مُستجابةٌ وإنِّي

---

(١) هذا موضع من المواضع الثلاثة التي نص الله فيها على خلود الكفار في النار أبداً والموضعين الآخرين:

١-في آخر الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

٢-وفي آخر الجن: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

فتلك المواضع الثلاثة التي خلد فيها الكفار في النار أبد الآباد تقطع الاشتباه في الموضع، مما يقطع التشابه في خلود الكفار في النار أبد الآباد، مع خلود قاتل النفس من المؤمنين!

اختبأت دَعوتي شَفاعةً لأُمتي»(١).

وقال عزَّ ذِكْره: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾. [الأنبياء: ٢٨]

فَدلَّ أَنَّ الشَّفاعَة تُنجي لِمنْ ارتَضى مِنْ المُؤمنين المُوحدين، وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ المُؤمنين إذا انْتُقِمَ مِنْهم في النَّارِ نَاموا فيها سَبعين عَاماً، حتى لَحقتهم شَفاعتِي فخَرجوا مثلَ الحُمَمة فيُلقون في نَهرٍ على الجَنَّةِ، يقُال له الحَيوانُ فَيَنْبُتُّونَ كما تُنْبتُ الحَبَّةُ في حَميلِ السَّيل بَعد ما امتحتشوا، ثم يُكْتَبُ على جِباهِم إذا دخلوا الجَنَّة هؤلاء

(١) الحديث في الصحيحين من حديثي:

١- أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة».

٢- وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: «كل نبي سأل سؤالاً، أو قال: لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب له، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

أخرجهما البخاري موصولين في أول كتاب الدعوات (٥٩٤٥ و٥٩٤٦)، ومسلم في الإيمان ـ باب اختيار النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١٩٨-٢٠٠) اللهم ارزقناها.. آمين.

* وبالمناسبة فإن للشفاعة شرطين لا تكون إلا بهما:

١-أذن الله للشافع أن يشفع في المشفوع فيه.

٢-رضى الله عن الشافع وعن المشفوع فيه.

كما قال تعالى في سورة طه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]، وقال في سورة النجم: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

الجَهنَّميّونَ عُتَقاءُ الرَّحمٰن، فيبقَى أَثُر الكِتَابةِ عليهم فَيُعَيِّرُهم عليها أهلُ الجَنَّةِ، فإذا طالت عليهم المُدةُ، يَسألُون رَبَّهم ويقولون: ربنا أَخرجتنا مِنَ النَّارِ، وَأَعْتَقْتَنَا مِنْها ومِنْ عَذابِها وأدخَلتَنا الجَنَّةَ بِرحَمتك امْحُ عنَّا هَذه الكِتَابةَ حتى لا يُعيرونَا، أو رُدَّنا إلى النَّارِ، فتُمحى عنهم»[1].

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ شَفاعَتِي لأَهلِ الكَبائِرِ مِنْ أُمتي، ما لم يَكُنْ في دِينهم بِدْعَةٌ»[2].

---

(١) هذا حديث الجهنميين الذي رواه أنس بن مالك وهو متفق عليه، وفي آخره: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله، فيدعون الله فيذهب عنهم هذا الاسم». هذه زيادة لفظ مسلم عن أبي سعيد.

رواه البخاري في موضعين أولها في كتاب الإيمان ـ باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٢)، ومسلم في الإيمان من حديث أبي سعيد (١٨٣).

وعندهما عن أنس رواها البخاري في الرفاق ـ باب صفة الجنة والنار (٦١٩١ و ٦١٩٨)، وفي التوحيد (٧٠٧١)، ومسلم في الإيمان ـ باب إثبات الشفاعة وخراج الموحدين (١٨٤).

والمؤلف رواه بالمعنى وزيادته في أوله أنهم ينامون سبعين سنة، وفي آخره: «امح عنا هذه الكتابة حتى لا يعيرونا أو ردنا إلى النار» لم أجدها وهي غريبة، وانظر الفتح ١١/ ٤٣٧.

(٢) مضى تخريجه ص (٧٣٩) في جملته الأولى.

أما جملته الثانية فقد أخرجها ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٣٦، أخبرنا أسد نا عبدالله بن خالد عن أبي عبدالسلام، سمعت بكر بن عبدالله المزني، أن النبي ﷺ قال: «أحلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة».

فلو كان المُؤمنُ خَالِداً في النَّارِ بجِنَايتِهِ ما لَحِقَ الشَّفاعةَ أحَداً[(١)]، فَدلَّ أَنَّ المُؤمَن لا يَبقى في النَّارِ ولو كان مِنْ أَهلِ الكَبائِر.

جواب شبه على تخليد أهل الكبائر

فإن قَال مُخَالِفٌ: فَقَدْ قال الله تعالى ذِكْرُهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾. [النساء: ٩٣]

فقلْ إنَّ هذه الآية مَنْسُوخةٌ لِقَولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(٢)]. [النساء: ٤٨]

ولكن الحديث ضعيف لعلتين جهالة وإرسال:

١- أبو عبدالسلام وهو صالح بن رستم الهاشمي مولاهم الدمشقي مجهول.

ترجمته في: الكمال ٥٩٦ وتهذيبه ٢/ ١٩٤ (رسالة) وتقريبه والخلاصة.

٢- وبكر المزني تابعي ثقه جليل لكنه لم يصح سماعه من رسول الله ﷺ، ولم يدرك سوى صغار الصحابة.

ترجمته في: الكمال ١٥٧ وتهذيبه ١/ ٢٤٤ (رسالة) وتقريبه والخلاصة والتحصيل في أحكام المراسيل للعلاني ١٥٠.

٣- وعلة ثالثة مخالفته لجملته الأولى الثابتة، لأن صاحب البدعة لاشك أنه من أهل الكبائر؟ فهذه علة متوجة لنكارة متنه.. والله أعلم.

(١) كذا في الخطوطة، والصواب: (أحدٌ) رفعاً على الفاعلية.

(٢) من معاني النسخ عند السلف تخصيص العموم، وتقييد المطلق، وبيان المُبهم والمجمل، كما ويطلقونه على النسخ الاصطلاحي عند الأصوليين المتأخرين عنهم، فمفهوم النسخ لديهم أعم منه عند أهل الاصطلاح من الأصوليين «رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخٍ» نص على ذلك شيخ الإسلام في الفتاوى ١٤/ ١٠١، وابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ٣١٦، والشاطبي في الموافقات ٣/ ٨١-٨٨،

وإنما تَفردَ به مِنْ أَصحابِ رَسُولِ الله ﷺ عبدُالله بنُ عَبَّاسٍ[١]،

واستطرد في التمثيل له.

وكأن المؤلف أراد أن حكم آية القتل منسوخ بعموم مغفرة الله لمن يشاء ما لم يكن مشركاً وهو جواب متكلف، فإنه لا يصار إلى النسخ إلا مع عدم الجمع، ومعرفة شروطه من معرفة المتأخر من المتقدم.. هذا مع أنه قال قوم بقول المؤلف كما في زاد المسير ٢/ ١٧٤.

(١) فإنه رضي الله عنه لما سأله سعيد بن جبير عن آية اختلف فيها أهل الكوفة وهي قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] قال: «هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء»، أخرجاه عنه في الصحيحين.

رواه البخاري في موضعين متصلاً الثاني في التفسير على آية النساء (٤٣١٤)، ومسلك كذلك في التفسير من آخر صحيحه (٣٠٢٣).

وقد وافق ابن عباس في هذه الآية على أن القاتل متعمداً لا توبة له أبو هريرة رضي الله عنه وقال: لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

أخرجه عنه سعيد بن منصور في سننه ٤/ ١٣٣٠، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن سعيد بن منيا عنه كما في الدر المنثور ٢/ ٣٥١.

وهذا قول الضحاك رواه عنه ابن جرير ٥/ ٢٩٩.

وهناك رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه ليس لقاتل توبة إلا أن يستغفر الله» رواها ابن جرير عنه ٥/ ٢٩٨.

ورواية ثالثة رواها الضحاك عنه في الآية، قال: «جزاؤه جهنم إن جازاه. يعني للمؤمن وليس للكافر، فإن شاء عفا عن المؤمن، وإن شاء عاقب» رواه ابن أبي حاتم.

وأخرج ابن المنذر عن عاصم بن أبي النجود عنه فيها قال: «هي جزاؤه إن شاء

وخَالَفَهُ سَائِرُ الصَّحابة مِنْهم: عليٌّ بنُ أَبي طَالبٍ، وَزَيْدُ بنُ ثَابتٍ(١) رحمةُ الله عليهم(٢).

عذبه وإن شاء غفر له» اهـ، من الدر المنثور ٢/ ٣٥٢.

وأخرج عبد بن حميد النجاشي عن سعد بن عبيدة: «أنه أفتى بأن له توبة مقبولة، لكن لما جاءه سائل يريد القتل أفتاه بالنار» كما في الدر ٢/ ٣٥٣ ففيه الاختلاف عنه بمراعاة الحال!

(١) وروى الطبراني في الكبير ٥/ ١٤٩ بسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن آية الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] نسخت ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقال: فتجد في إحداهما توبة وفي الأخرى مسجلة، وهذه الغليظة بعد هذه اللينة بستة أشهر، فنسخت الغليظة اللينة.

فالنسخ هاهنا يراد به التخصيص.. والله أعلم.

(٢) والجواب عن هذه الآية المستدل بها على خلود صاحب الكبيرة في النار بأجوبة منها:

١- أن الآية فيمن قتل المؤمن مستحلاً لقتله فهو خالد في النار، ورُوي عن سعيد بن جبير ولعله مراعاة لسبب نزول الآية.

٢- أن المراد بالخلود المكث الطويل، ولذا لم يقل (أبدا) إلاَّ في حق أهل الجنة، والكافرين في النار.

فإنْ قِيلَ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ

٣- أن الله سمى القاتل للمؤمن أخا للمقتول، فقال في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال في سورة الحجرات: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فلو كان القاتل مخلداً في النار لكفره لما صح تسميته أخاً.

٤-ما ورد من النصوص الكثيرة في القرآن والسنة من استحقاق من لم يشرك بالله شيئاً ومغفرة الله ورحمته، وإخراجه سبحانه أهل التوحيد ممن دخل النار بذنبه منها حتى لا يبقى فيها مؤمن إلا كافر.

كل هذه النصوص تجمع مع آية القتل العمد فتفيد: أنه إن جازاه بجنهم لم يخلد فيها أبداً، لاسيما والله سبحانه علق كل ذنب دون الشرك بالمشيئة.

وهذا المسلك هو المعروف عند العلماء بالأخذ بنصوص الوعد ونصوص الوعيد جميعاً، وعدم ضرب بعضها مع بعض.

٥- أن قاتل النفس المؤمنة عمداً تجري عليه أحكام المؤمنين في الدنيا من ناحية الصلاة عليه ودفنه مع المسلمين والدعاء له وقسمة تركته.. ولو كان غير مؤمن لما صح ذلك كله في حقه!

٦- كما أن التوبة مانعة للعذاب بالإجماع، فكذلك التوحيد مانع للعذاب بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها. قاله السفاريني كما في اللوامع ١/ ٣٧١، واللوائح

﴿ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. [الفرقان: ٦٨-٧٠]

٢/ ٢٨٦. هذا وقد جرت مناظرات لعلماء من أهل السنة ضد الوعيدية في الاستدلال بهذه الآية، هذا طرف منها.

نقل الزجاجي في مجالس العلماء ٦٢: أن عمرو بن عبيد المعتزلي ناظر أبا عمرو ابن العلاء ـ وهو أحد القراء السبعة ـ فقال: يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده وقد قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] فقال أبو عمرو بن العلاء: «ويحك يا عمرو من العجمة أتيت، إن العرب لا تعد إخلاف الوعد ذماً، بل جوداً وكرماً، أما سمعت قول الشاعر:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا أختتني من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي»

وهما لعامر بن الطفيل كما في اللسان ١/ ٥٦، وتاج العروس ١/ ٢٠٧ (ختا).

وذكرها الذهبي في السير ٦/ ٤٠٨، ولوائح الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٨٥.

وروى القتبي والبيهقي في «البعث» عن قريش بن أنس أنه قال: سمعت عمرو ابن عبيد يقول: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله فيقول الله لي: لم قلت إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾.

قلت له ـ وما في البيت أصغر مني ـ: أرأيت إن قال لك فإني قد قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟

قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً!

نقله عنهما في الدر المنثور ٢/ ٣٥٣.

وإنَّما خُلِّدوا في النَّارِ، لأنَّهم دَعوا مع الله إِلٰهاً آخر مع أَفعالِهم، فبِكفْرهم أُخلِدوا في النَّار، لا بالقَتْلِ والزِّنَا إذا كَانوا مُؤمِنين لِقَوْلِهِ عزَّ ذِكْره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

[النساء: ٤٨]

---

(١) ووافق المؤلف على ما قال تماماً ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٥.

وأيضاً تمام آية الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ﴾ [الفرقان: ٧٠] دلت على أن الإيمان والعمل الصالح مانع من الخلود كما أن التوبة مانعة منه.

والقاعدة التي يكون بها الإيمان بالوحي كله لا بعض، رد نصوص الوعيد إلى نصوص الوعد وعدم ضرب بعضها ببعض، لأن هذه طريقة أهل البدع ومسالكهم فيما يرد عليهم من النصوص الشرعية وكلام الله!

***

بَابٌ فِي الجَنَّةِ والنَّارِ والإِيْمَانُ بالجَنَّةِ والنَّارِ

وأَنَّهما مَخلُوقَتان بَاقيَتان لا تَفنَيان ولا يَفنى ما فيهما[1]، وكُلَّما أَوجَب الله تعالى عليه الفَنَاء يفنى إلاَّ الذي خَلَق الله لِلبقَاء، لا لِلفَناء، وهو سَبْعَةُ أَشياء: العَرشُ، والكُرسيُّ، واللَّوحُ، والقَلَمُ، والصُّورُ،

---

(١) وهذا متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، بل كل المسلمين، وعليه أجمع الصحابة والتابعون وتابعوهم وهم أهل القرون الثلاثة المفضلة، ونقله عنهم ابن القيم في أول كتابه حادي الأرواح ٣٧ و ٤٤.

ومستنده النصوص الكثيرة من الوحيين على خلقهما الآن، ودوامهما أبد الآباد.

فمن الأدلة على أنهما مخلوقتان:

١- قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] عن الجنة، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وهذا خبر فعْلٍ ماض لم يُسم فاعله، دل على وقوع الإعداد في الزمن الماضي، فهما معتدان مخلوقتان.

٢- ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**».

أخرجه البخاري في مواضع موصولاً أولها في الجنائز ـ باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي (١٣١٣)، ومسلم في كتاب الجنة ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة (٢٨٦٦).

وما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في ذكر إسراء النبي ﷺ ومعراجه وما رأى فيه مما في الجنة والنار.

. . . .

ومن الأدلة على أنهما باقيتان:

١- قوله تعالى عن أهل الجنة وأهل النار في غير ما آية: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٢٢] وقوله عن الجنَّة: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّـةُ ٱلْخُـلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]، وعن النار: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [يونس: ٥٢] في سورة يونس والسجدة.

٢- أحاديث كثيرة دلت على خلود أهل الجنة والنار فيهما ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ **وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا** ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم: ٣٩]».

رواه البخاري في تفسير آية مريم (٤٤٥٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٩).

هذا وقد نازع من الفرق في ذلك:

١- المعتزلة القدرية فزعموا أن الجنة والنار لم تخلقا بعدُ، وكذا قالت الجهمية.

٢- ثم زعمت الجهمية أن الجنة والنار مآلهما إلى الفناء، وهو تطبيق لأصلهم بنفي تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل.

ثم تلطف العلاف أبو الهذيل المعتزلي، وقال إنما الذي فنى حركات أهل الجنة والنار لا ذواتهما، فيكونوا فيها كالجمادات.

نظم هذه الأقوال ابن القيم في نونيته ٣٦٧ فقال:

والجَنَّةُ، والنَّارُ[١]، لا يموتُ كذلك الحورُ العين في الجَنَّةِ، ولا تَموتُ الزَّبانِيةُ في النَّارِ؛ لأنَّ الله تعالى خَلَق ذلك كُلَّه للبقَاءِ، والجنَّةُ والنَّارُ خَلَقَهُمَا الله مِنْ قَبل أَنْ خَلقَ الخَلقَ، ثُم خَلقَ الخَلقَ لهما، فقَبضَ

وقضى بأن النار لم تخلق ولا جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقت ليوم معادنا فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه فأتى بضحكة جاهل مجان
قال: الفناء يكون في الحركات لا في الذات واعجباً لذا الهذيان

وانظر شرحهما لابن عيسى ١/ ٨٣-٨٤، وللهراس ١/ ٣١-٣٢، وشرح الطحاوية ٦٢١ و ١٠٥، ولوامع الأنوار ٢/ ٢٣٤-٢٣٥.

وفي قول الجهمية والمعتزلة بعدم خلق الجنة والنار انظر حادي الأرواح ٣٧-٨١ وأطال في الردعليهم، والغنية لعبدالقادر ٩٠، والبعث للبيهقي ١١٢، وشرح مسلم ١٣/ ٣١، والفتح ١١/ ٤١٩، ومعارج القبول للحكمي ٢/ ٢٨٣-٢٨٥.

وفي القول بفناء الجنة والنار وحركات أهلها حادي الأرواح في الباب السابع والستين ٣٨٣-٤٢٤، ومختصر الصواعق ١/ ١٨٧، والصواعق ٣/ ١٩٢، والمقالات ٢/ ٤٧ و ١٦٧، والغنية ٩٠، والملل والنحل ٧٤ و ٥١ و ٨٧، والفرق بين الفرق ٨٥ و ١٢٨، والتبصير للاسفرايني ٦٦ و ٩٦ وما بينهما.

(١) وهي التي استثنيت من الهلاك في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فالمؤلف عدّدها هاهنا سبعة، والحور والزبانية داخلان في الجنة والنار.

وعدّدها السيوطي في نظمه ـ على ما نقله ابن عيسى في شرح النونية ١/ ٩٦، ثمانية فقال:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم

قَبْضَةً بِيمَينِهِ فقال: هؤلاء إلى الجَنَّةِ برحْمتي ولا أُبالي، وقَبضَ قَبْضَةً بالأُخرى، وقال: هؤلاء إلى النَّارِ بِعَدْلي ولا أُبالي[1].

هي العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وذكر ابن القيم في النونية بعضاً فقال: ٣٨:

والعـرش والكـرسي لا يفنيهمـا أيضـاً وإنهمـا لمخلـوقـان
والحور لا تفنى كذلك جنة الـ مأوى وما فيها من الولدان

وذكر قبلها السموات والأرض، وذكر أيضاً:

وكذلك عَجْبُ الظهر لا يبلى بلى منـه تُـركـب خِلْقـة الإنسـان
وكـذلـك الأرواح لا تبلى كمـا تبلى الجسـوم ولا بلى اللحمـان

والمقصود أنها ليست للحصر بل كل ما ورد والنص الصحيح في بقائه وعدم بلائه فإنه يبقى كأجسام الأنبياء والشهداء والسموات والأرض المقبوضتان المبدلتان.. ولولا الإطالة لذكرت الدليل على كل نوع.

قال ابن القيم معقباً ٤٠:

هذا الذي جاء في الكتاب وسنة الـ ـهادي به فاحرص على الإيمان
مـا قـال إن الله يُعِـدِمُ خلقـه طُـرّاً كقـول الجـاهـل الحيران

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٦٨ عن عثمان ثنا حماد بن سلمة أخبرنا سعيد عن جرير عن أبي نظرة قال: مرض رجل من الصحابة فعاده أصحابه فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا عبدالله؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: «**خذ من شاربك، ثم أقرره حتى تلقاني؟**» قال: بلى. ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

ثم قال: **فلا أدري في أي القبضتين أنا.**

قال في المجمع ٧/ ١٨٦: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ، وهو كما قال.

فمَنْ قال إنَّ الله تعالى كتَبَ الفَنَاء على الجَنَّةِ والنَّارِ، فقد خَالفَ السُّنَةَ، وكفَر بالآياتِ والقُرآن وخَلَق الله آدمَ بِيَده، ونفَخَ فيه مِنْ رُوحه، وأَسجَد له مَلائكِتَه، وأَنَّه تعالى ذِكْرُه اتَّخذ إبراهيَم خَلِيلاً، وكَلَّم

وأخرجه أيضاً في المسند ٤/ ٤٤١ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه بمثله بسند جيد.

قال الهيثمي ٧/ ٨٨٥: «رواه أحمد والبزار والطبراني (ولم أجده فيه) ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

وللحديث شواهد تزيده صحة وثبوتاً:

١- عن ابن عمر رضي الله عنه بلفظ مقارب.

رواه أحمد في المسند ١/ ٤٤ ومالك في الموطأ في كتاب القدر - باب النهي عن القول بالقدر ٢/ ٨٩٨، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي في تفسير آية الأعراف وحسنه، وابن أبي عاصم في السنة (١٩٦)، والنسائي في الكبرى (١١١٩٠)، وابن جرير في تفسيره ٩/ ١١٣، والآجري في الشريعة ١٧٠، وابن حبان وصححه ١٤/ ٣٦، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٢٤ و ٥٤٤ وصححه ووافقه الذهبي.

٢- عن عبدالرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه بمثله.

رواه أحمد في المسند ٤/ ١٨٦، وقال في المجمع: رجاله ثقات.

ورواه ابن حبان وصححه ٢/ ٥٠، والحاكم ١/ ٣١ وصححه ووافقه الذهبي.

٣-وعن علي رضي الله عنه بنحوه ولفظه: «**ما منكم من أحد إلا كتب مقعده في النار أو في الجنة..**» الحديث.

رواه البخاري متصلاً في مواضع منها التوحيد - باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧] (٧١١٣)، ومسلم كذلك في القدر - باب كيفية الخلق (٢٦٤٧).

مُوسى تكليما، وخلَق عِيْسى ابنَ مريمَ مِنْ رُوحِ القُدس[١] وبَعث مُحمداً ﷺ حبيباً وقَريباً صلَّى الله عليهم أجمعين.

٤- ولمسلم عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنحوه أيضاً.

رواه في القدر ـ باب معني كل مولود (٢٦٦٢).

هذا وللحديث شواهد كثيرة انظرها إن شئت في الشريعة ١٧٠-١٧٦، وصحيح ابن حبان، في كتاب القدر ١٤/ ٤٣-٥٠، وفي التمهيد ٦/ ٣-١٣، ومجمع الزوائد ٧/ ١٨٥-١٨٨.

(١) فخلقه آدم بيده لقوله تعالى في آخر سورة ص: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

ونفخه من روحه سبحانه وإسجاد ملائكته له، فلقوله تعالى في آيتي الحجر وص: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

واتخاذه إبراهيم خليلاً وموسى كليماً فلقوله في آيتي النساء: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

وخلق المسيح من روح القدس فلقوله في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا * فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا * قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا * قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: ١٦-٢١].

وهو روح منه سبحانه كما في آخر النساء: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي

مكان الجنة والنار

والجنَّةُ في السَّماءِ السَّابِعَةِ[١]، وَسَقْفُها العَرْشُ[٢].

دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

(١) كما قال سبحانه وتعالى في سورة النجم ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

يفسرها حديث الإسراء عن أنس بن مالك رضي الله عنه وذكر فيه صلى الله عليه وسلم تدرجه من سماء إلى سماء حتى السماء السابعة قال: «**فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبي، فرفعت إلي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار..**».

وفي رواية أخرى لهما: «**حتى انتهي بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**».

هذان لفظا البخاري.

وقد رواهما موصولين في مواضع هما على الترتيب: في بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة (٣٠٣٥)، والثاني في أول كتاب الصلاة (٣٤٢) كلها موصولة.

ومسلم في الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٣ و ١٦٤).

(٢) يدل عليه ما رواه البخاري في الجهاد ـ باب درجات المجاهدين.. موصولاً (٢٦٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من آمن بي وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو**

والنَّارُ تحتَ الأَرضِين السَّابِعَةِ السُّفلى [١] لا يَفْنَيَان ولا يَفنى ما فيهما .

من أدلة القرآن على خلق الجنة والنار

والدَّليلُ على أَنَّ الجَنَّةَ والنَّارُ مَخلُوقتان قَوْلُه تعالى لآدم عليه السَّلام : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . [البقرة : ٣٥]

فَدلَّ ذلك على أَنَّها مَخلُوقةٌ لأَنَّ الله تعالى قال : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

فإنْ قال مُخَالِفٌ : الجَنَّةُ كانت في الدُّنيا وأَرادَ به بُستَاناً [٢] فيها ،

جلس في أرضه التي ولد فيها» .

قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس؟ قال : «إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن» .

رواه موصولاً في كتاب التوحيد (٦٩٨٧) ، وفي الجهاد (٢٦٣٧) ، وانظر حادي الأرواح ـ الباب الثالث عشر في مكان الجنة وأين هي؟

(١) كما صح ذلك في حديث البراء بن عازب الطويل في القبر وفيه : «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١]» ، ومضى تخريجه وذكره تاماً (٣٢٣) .

وروى ذلك عبدالله بن عمر وعائشة وجابر وكعب بن مالك وأم بشر الأنصارية رضي الله عنهم موقوفاً ومرفوعاً ، وعن غيرهم من التابعين .

ذكره في الدر المنثور ٦/ ٥٣٨-٥٣٩ ، وفي تفسير جامع البيان ٣٠/ ١١٨-١٢١ .

(٢) تلك من شبه القائلين بأنها لم تخلق بعد ، وأجاب عنها وعن ما هو أبلغ منها

فقل له: فَقْد قال الله تعالى: ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾. [طه: ١٢٣]

والهُبوطُ لا يكونُ إلاَّ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرضِ، أَلا تَرى ما قال النَّبيُّ ﷺ: «هَبَطَ عليّ جبريل»(١)، أي: نَزَلَ مِنْ السَّماءِ إلى الأرضِ.

فقال: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ فَعَرّفها بالألف واللاَّم، ولو قال جَنَّةً، لقالَ نكِرةً، والأَلفُ واللاَّمُ لِلتَّعريفِ(٢)، قيل له: أَرادَ به الجَنَّةَ المأوى.

وقال الله جلَّ اسمُه: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾. [الحديد: ٢١]

في حادي الأرواح ٦٢-٧٢.

ولو لم يكن في هذه الشبه إلا تحريف كلام الله وتأويله لكفى بياناً لبطلانه، كيف وقد تظاهرت أدلة أخرى متنوعة على خلق الجنة ورؤية الرسول ﷺ لها.

إذ إبطال الاستدلال بهذه الدليل ـ لو صح تنزلاً ـ لصح الاستدلال به على أن الجنة التي سكنها آدم وزوجه ليست هي الجنة التي وعدها الله المتقين، ولما صح الاستدلال به على نفي خلق الجنة الآن البتة!

(١) هو جملة وردت في غير ما حديث عنه ﷺ، وفي بعض الألفاظ: «**فنزل علي جبريل**»، ومن ذلك حديث: «**فهبط جبريل فقال الله يقرئك السلام ويقول: اقرِئ أبا بكر مني السلام**» الحديث، وانظر المناظرة ١١٣، ومثله في إقراء السلام على خديجة، وهبوطه على الرسول ببراءة عائشة رضي الله عن الجميع.

(٢) المفيد للعهد، أي الجنة المعهودة في علمكم، وعلى كل حال لو لم تكن الجنة التي أُهبط منها آدم هي الجنة التي وعدها المتقون، لما صح بذلك نفي أن تكون الجنة الموعودة مخلوقة، لتضافر الأدلة الأخرى على خلقها.

ولم يَقلْ أَعدتها[١] للذين آمَنوا، فَدلَّت هذه الآيات على أَنَّها قد كان خَلْقُها من قَبلْ.

وقد قال أيضاً جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر: ٥٤] فَدلَّ على خَلقها لأنَّهُ لا يَجوزُ أَنْ يَكُونَ في جَنَّةٍ غَيرِ مَخْلُوقَةٍ؟[٢].

(١) كذا في رسم المخطوطة، غير مضبوطة، ولعلها: (وعدتها) ليصبح بها النقض!

(٢) وأيضاً ما سبق من الأدلة الدالة على أن أرواح النبيين والشهداء في الجنان على مراتبهم، وكذا أرواح المؤمنين غير أهل التبعات.

فلو لم تكن الجنة مخلوقة، فأين تكون أرواحهم؟!

***

بَابٌ في المِعْرَاجِ(١)

والإِيْمَانُ بأَنَّ الله تعالى عَرجَ بِرَسُولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ إلى السَّماءِ، وهو قَوْلُه عزَّ وجلَّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾. [الإسراء: ١]

فُعرِجَ بُروحِه وبَدنهِ في لَيلةٍ وَاحِدَةٍ، في اليَقظةِ لا في المَنام، فرجَع إلى مَكةَ في تلك اللَّيلةِ التي أَسرى به جَبْرِيلُ عليه السَّلام فيها، وسَار به إِلى العَرْشِ، ورأَى رَبَّه عزَّ وجَلَّ بِعَيْنَيْ رَأسِهِ وقلبه جميعاً والإِيمانُ

---

(١) هذا المبحث من أبواب العقيدة لعدة اعتبارات:

١- كونه من الأمور الغيبية التي أخبرنا الله ورسوله عنها، وكل غيب فرضُه الواجب الاعتقاد بوقوعه كما أُخبرنا.

٢- أنه من خصائص النبي ﷺ، فيدخل في الإيمان به وبرسالته.

٣- تواتر الدلائل عليه، ففي القرآن ورد في أول الإسراء وفي سورة النجم، وتواتره في السنة عن نحو ثلاثين صحابياً، اعتنى بهم جميعاً السيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ١٥٢-١٨٠، وفي قطف الأزهار ٢٦٣-٢٦٥، والكتاني في نظم المتناثر (٢٥٨).

٤- إنكار المشركين له جملة، ومنازعة بعض طوائف المبتدعة في تفاصيله.

٥- ماتضمنه من مسائل اعتقادية كالإيمان بالملائكة ورؤيا الجنة والنار وثبوت التكايم للنبي ﷺ، وفرض الصلاة وغيرها.

والمؤلف رحمه الله خلط في حديث المعراج فساق ألفاظاً مستنكرة، كما وقع لمن جمع أحاديث الإسراء والمعراج، ودفعاً للتطويل فأسوق في آخر بحثه حديث أنس رضي الله عنه فيه من الصحيحين بلفظهما، ليصح الاعتقاد بما فيه!

بروية عين والقلب[1]، وصَلَّى في السَّماءِ الرَّابِعَةِ عند البَيْتِ المَعمُور بالأنبياءِ والمَلائِكةِ صلَّى الله عليهم أجمعين ركعتين، ودخَلَ الجَنَّةَ فرأى ما فيها، واطلَّع إلى النَّارِ فرأَى ما فيها، وفُرض عليه وعلى أُمته الصَّلواتُ الخَمسُ ورَجع إلى مكةَ في تلك الليلة وذلك قَبل الهجرةِ.

---

(١) كذا في الأصل، وهذه مسألة رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا بعيني رأسه وبقلبه، ومضى الكلام فيها. والخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة مشهور من عهد الصحابة رضي الله عنهم وحاصله ثلاثة أقوال:

١- قول بإثبات الرؤية له ﷺ لربه في الدنيا، وهو القول المشهور عن ابن عباس وأبي هريرة وأنس وأبي ذر رضي الله عنهم وجماعة وهي رواية عن الإمام أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار، وهو القول الذي انتصر له المؤلف هنا ورجحه النووي في شرح مسلم ٣/ ٤-٦.

٢- قول من نفى رؤية البصر، وهو المشهور عن عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم وغيره، وهو قول ابن مسعود ويروى عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهم، وهو رواية أخرى عن الإمام أحمد.
ولذا جمع شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٦/ ٥٠٥ وغيره وابن القيم في حادي الأرواح ٣٢ والهدي ٣/ ٣٧ بين القولين بأنها رؤية بالقلب، ورجح هذا الحافظ ابن حجر ٨/ ٤٩٣، وبه تتآلف الأقوال وتجتمع وتتوافق.

٣- قول بالتوقف بين القولين، وهو مروي عن سعيد بن جبير رواه عبد بن حميد ذكره في الدر المنثور ٦/ ١٦٠، كما في الشفاء ١/ ٤٢٢، والقرطبي في المفهم كما نقله الحافظ في الفتح ٨/ ٤٧٤.

هذا وقد أطال في بحث المسألة الإمام ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٧٧-٥٦٢، وشرح السنة للالكائي ٥١٢ وما بعدها، وفتاوى ابن تيمية ٣/ ٣٨٦ وما بعدها و ٥/ ٤٨٩ وما بعدها، و ٦/ ٥٠٥ وما بعدها، والحجة لقوام السنة ١/ ٥٠٦،

هل رأي النبي ﷺ ربه في المعراج أو غيره

وسُئِلَ ابنُ عَبَّاسٍ عن قول الله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢]

قال لما رَجع رسَولُ الله ﷺ من المِعْرَاجِ قال: «رأيتُ رَبِّي في أَحسنِ صُورةٍ بِعَيْنَيْ رَأسي والقلب»(١).

فشككَّ المُنافقون فيه، وقال: إنَّ مُوسى عليه السَّلام سَأَل ربَّه تعالى فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾. [الأعراف: ١٤٣]

فلَمْ يُجبْهُ إلى ذلك فكَيْفَ رَآهُ هذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ يعني: أيُّها الجَاحِدُون أتُمَارُونَهُ على ما يرى حبيبي(٢) بِعَيْنَيْ رأسِهِ وقَلْبِه جَميعاً؟

وقال ابنُ عبَّاسٍ: الخُلَّةُ كانت لإبراهيم، والتَّكْلِيمُ لِمُوسَى، والنَّظَرُ لِمُحمدٍ صلَّى الله عليهم أجمعين(٣).

ولوامع الأنوار ٢/ ٢٥٠، وتفسير ابن جرير والبغوي وابن كثير لآية النجم.

(١) الحديث مروي عن معاذ بن جبل وعبدالله بن عباس وعبدالرحمن بن عائش الحضرمي رضي الله عنهم بلفظ: «رأيت ربي في أحسن صورة» في حديث طويل، ولم أجد اللفظ الذي ساقه المؤلف.

وحديث معاذ هو المحفوظ، وحديث ابن عباس وابن عائش معلولان، وسبق التخريج له. وما حكاه المؤلف من شك المنافقين فيه لم أجده.

(٢) اللفظ الوارد في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ خليل الرحمن.

فإن أريد بالحبيب هنا الخليل صح، وإلا فقد انتقصه ﷺ من منزلته التي أنزله الله إياها، وحديث ابن عباس سيأتي بذكر ألفاظه، وليس ما ساقه المؤلف مما وجدت!

(٣) رواه الطبراني في الكبير من طريقين عنه:

. . . .

١- في ١١/ ٢٨٦ ثنا الهيثم بن خلف الدوري ثنا يزيد بن عمرو أبو سفيان الغنوي ثنا حفص ابن عمر العدني ثنا موسى بن سعد عن ميمون القنَّاد وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**وجعل الله الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمد**».

٢- في ١١/ ٢٦٣ ثنا علي بن عبدالعزيز ثنا عاصم بن علي ثنا قيس بن الربيع، عن عاصم بن سليمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمد بالرؤية**».

وفيه عاصم بن علي قال في التقريب: ابن صهيب الواسطي، أبو الحسن التيمي صدوق ربما وهم.

وأيضاً قيس بن الربيع هو الأسدي الكوفي، صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.

هذا ونقل المحشي عليه، قال: «وفي هامش نسخة أحمد الثالث: هذا حديث حسن ورواته ثقات» اهـ.

٣- ووقفت بعد على طريق رواها النسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٢ في كتاب التفسير على آية النجم قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا معاذ بن هشام، ثنى أبي، عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ**».

وفيه عنعنة قتادة، ولعله بمجموع هذه المتابعات يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٨٥.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٣٦) و (٤٤٢) من طريقين عن عكرمة عن ابن عباس به.

وأقسم بالله ابن عباس رحمة الله عليه وقال: «لقَد رَآه والله بِعَيْنَيْ رَأَسه، على بِسَاطِ البَقاءِ بِنُورِ البَقاء إلى المُلكِ البَاقي»(١).

وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ٢٢٩ (٥٧٩)، وابن مندة في الإيمان (٧٦٢) من طرق، وكذا الدارقطني في الرؤية ١/ ١٣٦ من طرق كثيرة.

والحديث رواه الحاكم وصححه ١/ ٦٥ ووافقه الذهبي، ورواه اللالكائي في شرح السنة ٣/ ٥١٥.

وهو عند الترمذي في التفسير من جامعه (٣٢٧٨) عن كعب الأحبار، ورواه عنه ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٩٦ بسند جيد.

وكذا رواه الدارقطني في الرؤية ١/ ١٢٦، واللالكائي ٣/ ٥٠٠.

والخبر صحيح موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه بمجموع طرقه وشواهده، والرؤية فيه مطلقة، بل اجتمعت الخلة والتكليم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) لم أجده هكذا، وقوله على بساط البقاء، غريب ليس عليه نور كلام الصحابة والمروي عن ابن عباس في الباب أنواع:

١- أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه، وهذا بالاطلاق من دون تحديد بقلب أو بعيني رأسه.

كما سبق في الحديث قبله، رواها عنه قتادة وأبو العالية وعكرمة، وعبدالله بن أبي سلمة في سؤال ابن عمر لابن عباس.

وقد رواها كلها الآجري في الشريعة ٤٩١ وما بعدها، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٧٩-٤٩٠، واللالكائي في شرح السنة.

ورواه الترمذي في التفسير (٣٢٧٩) من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «رأى محمد ربه، فقلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقال: أريه مرتين. وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

. . . .

ورواه كذلك النسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٢، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٧)، والطبراني في الكبير ١١/ ١٩٤، واللالكائي في شرح أصول السنة ٣/ ٥٢١، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٨١، وغيرهم من طرق عن الحكم بن أبان به.

وقال بهذه الرواية أنس بن مالك والحسن البصري.

٢- أنه ﷺ رأى ربه بقلبه.

كما أخرجه مسلم في صحيحه في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

رواه في كتاب الإيمان ـ باب معنى قوله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

ورواه عنه عكرمة وأبو العالية كما عند الترمذي في جامعه (٣٢٨١) وحسنه، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٢، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٨٨-٤٩٠.

فهاتان روايتان عن ابن عباس إحداهما مطلقة والأخرى مقيدة، فتحمل المطلقة على المقيدة، لاسيما ولم يرد عنه من وجه صحيح أنه قال: رآه بعيني رأسه، أو رآه بعينيه.

وهذا هو الموافق لما روى مسلم (١٧٧) وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية»، وقولها لمسروق: «لقد قف شعري مما قلت» ـ (وسيأتي في الحاشية التالية)، فإن المراد هنا نفي رؤية العين.

وقد وافق ابن عباس في روايته المقيدة أبو ذر رضي الله عنهم حيث أخرج النسائي في الكبرى ٦/ ٤٧٢ بسنده عنه قال: رأى النبي ﷺ بقلبه ولم يره ببصره.

وكذا أخرجها ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٥١٦ وما بعدها، واللالكائي في السنة ٣/ ٥١٩، والآجري في الشريعة.

وهذه الرواية مقيدة لما أطلق في رواية مسلم (١٧٨) أنه سأل النبي ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»، وفي رواية له قال: «رأيت نوراً».

وروت عَائِشةُ رِضْوانُ الله عليها وقالت: «رآهُ رآهُ رآهُ فقالوا: يا أُمَّ المؤمنين كيف رَآه؟ قالت: رآه بِعَيْنَيْ رَأَسِه كِفَاحاً»[1].

حتى حكى الدارمي في الرد على الجهمية ٣٢ إجماع الصحابة على أن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج.

قال شيخ الإسلام ٦/ ٥٠٧ لما نقل حكاية الدارمي للإجماع: «وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك، وليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: رآه، ولم يقل بعيني رأسه، ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس» اهـ.

ورواية أحمد هذه هي التي رواها عنه عبدوس بن مالك العطار كما عند ابن أبي يعلى في ترجمته من طبقات الحنابلة وغيره.

وروى ابن خزيمة عن مالك قوله: لا يُرى الباقي بالفاني.

(١) لم أجد هذه الرواية عن عائشة، وهذا لفظ غريب، بل منكر عنها رضي الله عنها لمخالفته لما رواه مسلم في صحيحه عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت:

١- من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ فقال: «**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض**».

فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فإنْ أنكر المُخالفِ ويقولُ: رآه بعِيني قَلْبِهِ، ويحَتُّج بِقَوْلِ الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾. [النجم: ١١].

فقال: «لما بَلغَ إلى الحُجب رَآهُ بِعَيْنَيْ قَلْبه خَارجَ الحِجَاب، فلما أنْ رَفَع الحِجَاب ودَنا مِنْ رَبِّه عزَّ وجلَّ غَايَة القُرب رَآه بِعيني رَأسِه وقَلْبه جميعاً، لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨-٩]

فقل هذا ما سُئِلَ عنه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رِضْوانُ اللهِ عليه.

يعني: بَلْ أَدْنَاهُ، والدَّلِيلُ على ذلك قَوْلُ الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الآية. [الإسراء: ١]

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾. [النجم: ١٧]

قال ابنُ عبَّاسٍ في تَفْسيرِهما: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ يعني:

أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

٢- قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

٣- قالت: ومن زعم أنه يُخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

رواه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٧٧)، ورواه البخاري مختصراً دون سؤالها رسول الله ﷺ في كتاب التفسير ـ تفسير سورة النجم (٤٨٥٥)، وانظر التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٥٤٨.

ما كَذبَ قَلْبُه بما رَأَىَ صَدرُه، وما كَذب صَدرُه بما رأى فُؤادُه، وما كَذبَ فُؤادُه بما رأى بَصَرُهُ، هُنَّ مُوافِقَاتٌ بعضُهن بِبَعض.

والإِيمانُ بِجَميع ذلك وَاجِبٌ.

اطلاع الله رسوله ﷺ على بعض الغيب

وكذلك الإِيمانُ بأنَّ الله تعالى أَطْلَعَ نَبيَّهُ مُحمداً ﷺ على جَميع الأُمُورِ التي تكونُ في أُمتّه إلى أَنْ تَقومَ السَّاعةُ(١) لِقَوْلِه تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾. [التوبة: ١٠٥]

وهو أَبو بَكر الصِّديقُ رضي الله عنه خاصَّة.

والدَّليلُ على ذلك قَوْلُه تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ الآية.
[الإسراء: ١]

يعني به بَيتَ المَقدسِ ثم عَرجَ به سَماءً سَماءً حتى انْتَهَى به إلى سِدْرَةِ المُنتهى التي عِندها جَنَّةُ المأوى، فقال: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾. [النجم: ١٦]

---

(١) هذا يحتاج إلى دليل، وما استدل به المؤلف لا يدل على ما أراد، فإن معنى الآية: وعيد الله من الله للمخالفين، بأن أعمالهم ستعرض على الله تبارك وتعالى، وعلى رسوله وسيراها المؤمنون في الدنيا.

ذكره ابن جرير في تفسيره ١١/ ٢٨، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٨٦.

ومما يدل على اطلاع من يشاء من رسله على غيبه قوله تعالى في آخر سورة الجن ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

ولا أرى وجهاً للمؤلف بتخصيص (المؤمنون) بأبي بكر رضي الله عنه!

يعني: من النُّور الذي قد حَفَّه الله بها، وقال عليه السَّلامُ: فعَرج بي جِبْريلُ عليه السَّلام في النُّورِ فما زِلْت أمرُّ إلى أنْ قَربتُ مِن رَبِّي كَقاب قَوْسَيْنِ أو أدنى ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾. [النجم: ١٠-١١]

رآه بِعَيْنَيْ قَلْبه ورأْسِهِ، ورأى الآياتِ بِعَيْنِهِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: فَوضعَ يَدهَ بين كَتِفَيَّ فَوجدتُ بَرْدَها بين ثُنْدُوَتَيَّ، فبيَّن لي كلَّ شَيءٍ فقال لي يا مُحمد: فِيمَ يَختَصِمُ المَلأُ الأَعلىٰ؟ فقلت: بالدَّرجاتِ والكَفَّاراتِ. فقال: ما الدَّرجاتُ؟ فقلت: الدَّرجاتُ إطْعامُ الطَعامِ وإِفْشاءُ السَّلامِ وصِلةُ الأَرحام والصَّلاةُ بالليلِ والنَّاسُ نيامٌ. فقال: وما الكفَّاراتُ؟ فَقُلْتُ: إسباغُ الوُضوءِ في السَبُراتِ، وَكَثْرةُ الخُطا إلى الجَماعاتِ وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعد الصَّلاةِ، قال: فألهَمَني رَبِّي أنْ قلت: التحياتُ لله والمُباركاتُ والصَّلواتُ والطَّيِّباتُ، فقال الله: سلاَمٌ عليك أيُّها النَّبيُّ ورحمةُ الله وبَركاتُه، فألْهمني رَبِّي أنْ قُلت: السَّلام علينا وعلى عِبَادِ الله الصَّالحين، أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله، وأشهدُ أنْ محُمداً عَبدُه ورَسُوله ﷺ»(١).

---

(١) هذا حديث معاذ رضي الله عنه وغيره وفيه: «فرأيت ربي عز وجل في أحسن صورة، فرأيته وضع كفه بين كتفي. .» الحديث رواه أحمد والترمذي وصححه هو والبخاري وغيره، ومضى تخريجه، وقد استوفى الكلام عليه الحافظ ابن رجب في «اختيار الأولى»، ومما ساقه المؤلف من ألفاظ لم أجدها.

والمؤلف ركب هذا الحديث بحديث الإسراء في لفظ واحد، عفا الله عنه!

***

وقال: فَفَرض عليَّ وعلى أُمَّتي خَمسين صَلاةً فرجَعتُ إلى السَّماءِالرَّابِعَةِ فقال مُوسى عليه السَّلام: بماذَا أَمرك ربُّك؟ فقَلتُ: له فَرضَ عليَّ وعلى أُمَّتي خَمسين صَلاةً في كُلِّ يَوْمٍ وليلة، فقال لي: ارجعْ إليه، فإنَّ أُمتك لا يُطيقون على ذلك، فرجَعتُ إلى رَبِّي فقلتُ: يا ربِّ إن أُمتي لا يُطيقون ذلك فَحطَّ عني خَمساً، فرجعتُ إلى مُوسَى فأخْبرته بذلك، فقال لي موسى: إرجعْ إليه، فإنَّ أُمَّتكُ لا يُطيقونَ ذلك، فما زِلْتُ أترَدُد بين رَبِّي وبَيْنَ مُوسَى، ويَحطُّ عَني في كُلِّ مَرةً خَمساً خَمساً، حتى رَدَّها إلى خَمسِ صَلوتٍ، فقال مُوسى: ارجعْ إليه، فقلتُ: إنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِن كَثرةِ تَرددي إليه، فقال جلَّ جَلالُه، يا مُحمَّد، لك بالخَمسِ خَمْسُون[1].

---

(١) هذا حديث الإسراء المشهور، والمؤلف ولاشك رواه بمعناه فزاد فيه ونقص ولذا أسوق لفظ الحديث كما في الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ الإمام البخاري:

قال الإمام البخاري حدثنا هدبة بن خالد: حدثنا همام، عن قتادة. وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا سعيد وهشام قالا: حدثنا أنس بن مالك، عن مالك ابن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ـ وذكر: يعني رجلاً بين الرجلين ـ فأتيت بطست من ذهب، ملىء حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملىء حكمة وإيماناً، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك، قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم فسلمت عليه، فقال مرحباً بك من ابن ونبي، فأتينا السماء الثانية،**

قال الله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ . [النجم : ١٨]

قيل : من هذا ، قال جبريل ، قيل : من معك ، قال : محمد ﷺ ، قيل : أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على عيسى ويحيى فقالا : مرحبك بك من أخ ونبي ، فأتينا السماء الثالثة ، قيل : من هذا ، قيل : جبريل ، قيل : من معك ، قيل : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على يوسف فسلمت عليه ، قال : مرحباً بك من أخ ونبي ، فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا ، قيل : جبريل ، قيل : من معك ، قيل : محمد ﷺ ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قيل : نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال : مرحباً من أخ ونبي ، فأتينا السماء الخامسة ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل : ومن معك ، قيل : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فأتينا على هارون فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بك من أخ ونبي ، فأتينا على السماء السادسة ، قيل : من هذا؟ قيل : جبريل ، قيل : من معك : قيل محمد ﷺ ، قيل : وقد أرسل إليه؟ مرحباً بك ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على موسى فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بك أخ ونبي ، فلما جاوزت بكى ، فقيل : ما أبكاك؟ قال : يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي ، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي ، فأتينا السماء السابعة ، قيل : من هذا؟ قيل : جبريل ، قيل : من معك ، قيل : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ مرحباً به ونعم المجيء جاء ، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بك من ابن ونبي ، فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ، ورفعت لي سدرة الْمُنْتَهَىٰ ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فسألت جبريل ، فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات ، ثم فرضت علي خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى فقال : ما صنعت ، قلت : فرضت علي خمسون صلاة ، قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت

موقف المشركين والصديق من حديث الإسراء

فأخبرَ تعالى ذِكْره أَنَّه رأَى ربَّه بِعَيْنَيْ رَأسهِ وقَلْبه، ورأَى الآيَاتِ بِعَيْنِهِ، فقيل: لا تُخبر به قَومَك فإنَّهم مُشركون فَيُكَذِّبُونَك، فانتَشر الخَبر[١]، فجاء أَبُو جَهْلٍ إلى أَبي بَكرٍ الصِّديْقِ رضوان الله عليه فقال: يا أَبَا بَكر قد بَانَ الكَذِبُ على صَاحِبكِ، ولَمْ يكنْ قَدْ سَمعَ

بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعل عشرين، ثم مثله، فجعل عشراً، فأتيت موسى فقال: مثله، فجعلها خمساً، فأتيت موسى فقال: ما صنعت، قلت: جعلها خمسة، فقال مثله، قلت: سلمت بخير، فنودي: إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً».

وقال همام، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «في البيت المعمور»، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٤) وانظر قبله (١٦٢ و ١٦٣).

(١) هذا القول متعقب، إذ الإسراء والمعراج من آيات نبوته، وفيه شرع الله فلا يسوغ إخفاؤه عن الناس وإن كذبوه، لاسيما وقد أنزل الله فيه قرآناً يُتلى في سورتي الإسراء والنجم.

فإنه صلى الله عليه وسلم أخبرهم بخبر الإسراء لما أصبح من تلك الليلة، وإنما خشي من تكذيبهم له، وسيأتي موقفهم حيث روى الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٠٩، حدثنا محمد بن جعفر وروح، المعنى، قالا: حدثنا عوف، عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فَظِعْتُ بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي» فقعد معتزلاً حزينا، قال: فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزيء: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم»، قال: ما هو؟ قال: «إنه أسري بي الليلة» قال: إلي أين؟ قال: «إلى بيت المقدس؟» قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: «نعم». قال: فلم يره أنه يكذبه، مخافة أن

أَبُو بَكرٍ ، فقال له : ما هو؟ فقال : يَقولُ صَاحِبُكَ : إِنِّي قد عَرجتُ في لَيلةٍ وَاحِدةٍ سَبع سَمواتٍ ، وعَرجتُ إلى عنْدِ رَبِّي إلى أَعلىٰ فَوق السَّماءِ السَّابِع ، ثم قَرُبَ مِنْ رَبِّه كَقاب قَوسين أَو أدنى ، فقال أَبُو بكرٍ الصِّدِّيقُ : أَتعجَبُ مِنْ ذَلكِ ! إِنَّمَا يُخبرنا أنَّ الوَحي يَأْتِيهِ مِنْ عِنْدِ الله

يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي. حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني.

فقال رسول الله ﷺ: «**إني أسري بي الليلة**» قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**» قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: «**نعم**». قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه، متعجباً للكذب زعم!! قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «**فذهبت أنعت، فمازلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت**»، قال: «**فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقالٍ ـ أو عقيل ـ فنعته، وأنا أنظر إليه**»، قال: «**وكان مع هذا نعت لم أحفظه**»، قال: «**فقال القوم: أما النعت، فوالله لقد أصاب**».

وهذا سند صحيح، وأخرجه البزار في زوائده (٥٦) من طريق محمد بن جعفر وحده، بهذا الإسناد، وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٤٦١-٤٦٢ (هندية)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٧٧-٣٧٨)، والطبراني (١٢٧٨٢)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٦٣-٣٦٤ و ٣٦٤ من طرق عن عوف ابن أبي جميلة، به. وانظر طريق أخرى عن ابن عباس في المسند ١/ ٣٧٤.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٢٢٢ وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل»، والضياء في «المختارة»، وابن عساكر، وصحح إسناده.

وأصله في الصحيحين البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠) (٢٧٦) من حديث

كَلمحِ البَصْرِ فنُصَدِّقُهُ في ذلك، أفَلا نُصَدِّقُهُ في لَيلةٍ أنْ يَرى ذلك كُلَّه؟[١]

فجاءوا إلى النَّبيِّ ﷺ فسألُوه عن المَنازلِ بَين مكةَ وبين بَيتِ المَقْدسِ فكُشفَ له عنها حتى وُصِفَ له كُلُّ مَنْزِلٍ وقال: بِالعَلامة إن عِيراً مُقْبِلةٌ وبين يَديه جَمَلٌ أَورَقُ يَغيضُ القَافِلةَ، وقال: «إنِّي مَرَرتُ بهم وهم نُزولٌ، وكان بي عَطشٌ شَدِيدٌ فأَخذتُ كُورَهم وشَربت مِنْه، قال: فاسْتَقْبَلُوا القَافِلةَ فإذا أَمامَهم جَمَلٌ أَورقُ، فقالوا: كان ذلك كُوْرٌ فيه ما يُشرب مِنْه، فقالوا: نعم، لَمَّا حَملناه فإذا قد شُرِبَ مِنْه،

جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»، والبخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠) (٢٧٦)، ونحوه عن أبي هريرة عند مسلم (١٧٢).

وقوله: «فظعت» قال ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٤٥٩: أي: اشتد عليّ وهبته.

(١) أخرجه كذا البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٦٠ من طريق يعقوب بن إبراهيم عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمن به.

وأخرجه بلفظ مقارب من وجه آخر الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٢-٦٣ وفي آخر كلا اللفظين: «قال أبو بكر: نعم، أصدقه بأبعد من ذلك: أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق».

وكذا رواه البيهقي في الدلائل وبمثل الحاكم، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه» ووافقه الذهبي ٢/ ٣٦١.

وانظر الفتح ٧/ ٢٣٩ على حديث جابر في الإسراء، وزاد المعاد ٣/ ٣٨ وما بعدها، وأصله في الصحيحين من حديث أبي الدرداء وفي آخره قال ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين، فما أوذي بعدها» ومضى تخريجه.

تَصدِيقاً لِقولِ النَّبيِّ ﷺ(١)، وصَحَّتِ العَلاماتُ التي ذكَرها فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾. [النجم: ١-١٨]

---

(١) وبنحوه ساقه البيهقي في الدلائل ٢/ ٣٥٥-٣٥٧ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وقال عقبه: «هذا إسناد صحيح، وروى ذلك مفرقاً في أحاديث غيره، ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى ما حضرنا» اهـ، ثم ذكر جملاً منها.

ووافقه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤ خلا ألفاظ فيه مستنكرة ليس منها ما ساقه المؤلف. وقوله «أورق» أي أسود.

وانظر الفتح ٧/ ٢٣٩ حيث عزا حديث شداد رضي الله عنه إلى البزار والطبراني والبيهقي وغيرهم.

ونقل في مختصر السيرة مجمل مواقفهم ص ١٢٩: فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم، ومر به أبو جهل عدو الله فجاء حتى جلس إليه، وقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ قال: «نعم». قال: وما هو؟ قال: «**أسري بي الليلة**». قال: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**». قال: فلم يره أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه. قال: إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به؟ قال: «نعم». قال: يا معشر بني كعب بن لؤي. فانفضت إليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ: «**إني أسري بي الليلة**». قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**». فمن بين مصعق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً. فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان تماماً غير قولك (هذا). أنا أشهد أنك كاذب. نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً، تزعم أنك أتيته في ليلة! واللات والعزى لا أصدقك. فقال أبو بكر:

فَمَنْ أَنكَر ذلك فقد جَحدَ بكِتَاب الله ورَدَّ نُبوةَ نَبيِّهِ مُحمدٍ ﷺ، وليس ذلك بِعَجَبٍ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مع ما أَعطاه الله مِن الفَضْلِ والمُعْجِزَاتِ على الأَنبياءِ والرُّسل(١).

الإيمان بآيات الأنبياء جميعاً

فَمَنْ أَنكَر ذلك فقد أَنكَر آياتِ مُوسى وعِيْسى وإبراهيمَ صلَّى الله عليهم أجمعين، وأَنَّ عيسى عليه السَّلامُ كان يُبرِىءُ الأَكْمَه والأَبرصَ.

فالأَكْمَهُ: الذي وُلِدَ مِنْ أُمِّهِ وهو أَعمى، والأَبرصُ: الذي وُلِدَ مِنْ أُمِّهِ وهو أبرصُ، وكان يأخذُ طيناً فيخْلُق مِنه طَيراً، فَينفُخ فيه فَيَطِيرُ

يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبته. أنا أشهد أنه صادق. فقالوا: يا محمد، صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم: «بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا. فمازال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت، فكرب كرباً ما كرب مثله، فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال». فقالوا: فكم للمسجد (من باب)؟ ولم يكن عدها. «فجعل ينظر إليه ويعدها باباً باباً ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت، أشهد أنك رسول الله». فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب. فقالوا لأبي بكر: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فبذلك سمي أبو بكر الصديق.

ثم قالوا: يا محمد، أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم عنها في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها وكان الأمر كما قال. فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد، ولم يزدهم ذلك إلا ثبوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً.

(١) يعني من أنكر ذلك جملة أو ما صح من ذلك مع عدم المانع وقيام العذر، أما من أنكر تفاصيل وردت في روايات محل النظر والبحث في صحتها سنداً ومتناً فلا!

بإذنِ الله، ويُحيي المَوتى بإذْنِ الله وكُلُّ ذلك كَان بإذْنه الله(١).

وأُعْطِيَ كذلك مُوسى عليه السَّلامُ تسعَ آياتٍ بيِّنَاتٍ وهي: اليَدُ، والعَصا، والطُّوفَانُ، والجَرادُ، والقُمَّلُ، والضَفَّادِعُ، والدَّمُ، وفَلْقُ البَحرِ، وانْفِجَارُ المَاءِ مِنْ الحَجرِ في التِّيهِ(٢).

---

(١) كما دل عليه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وفي آخر المائدة: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

(٢) لقوله تعالى في آخر الإسراء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

ولقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

وروى عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٣٧٠ عن ابن عباس على آية الإسراء فقال: هي متتابعات، وهي في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ

وأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السَّلامُ خَافتْ أُمُّه مِنْ نُمرودَ، وأَبُوه كَان نَدِيمَه وبِحَاشِيَتِهِ(١).

﴿وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٣].

قال: هي السنين لأهل البوادي، ونقص الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فهذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء من غير سوء، والسوء البرص، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين.

وأخرجه كذا عنه سعيد بن منصور في سننه (ق ١٥٠)، وابن جرير في تفسيره ١٥/ ١١٥، وعزاه في الدر لابن المنذر ولابن أبي حاتم من طرق عنه ٤/ ٣٧٠.

ولابن جرير وابن أبي حاتم عنه رضي الله عنهما أنها: يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وروى نحوه عن الحسن وغيره كما عند عبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير الطبري.

(١) هذه الكلمة في آخر سطر في الصفحة، وبعدها كلام ـ كما ترى ـ لا صلة له بما قبله، مما رجح عندي وجود سقط في المخطوطة، ولم أهتد إلى إكماله بعد!

ولعل تمام ما ذكره المؤلف من حال والدي إبراهيم مع النمرود ما ذكره غير واحد من العلماء ومنهم البغوي في تفسيره لآية الأنعام ٣/ ١٥٩: «قال أهل التفسير ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان، وكان نمرود له كهان ومنجمون فقالوا: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يُغَيِّرُ دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، يقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء..» اهـ.

وقد رواه ابن أبي حاتم عن السدي كما في الدر المنثور ٣/ ٤٦ مطولاً، وكذا نقله البغوي عنه وعن ابن إسحاق وابن عباس فقال: «لما حملت أم إبراهيم قال الكهان للنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان،

ما يحل به دم المسلم

. . . . عبدُه ورَسُولُه إلاَّ بإِحْدى ثَلاثٍ : زِناً بعد إِحْصَانٍ، أو مُرتدٌ بعَد إِيْمان أو قَتلُ النَّفسِ المُؤمنِ فيُقتَلُ بِدَمه(١).

أو مَنْ رَدَّ على شَيءٍ مِنَ القُرآنِ، أو رَدَّ على شَيءٍ مِنْ سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ.

فلما دنت ولادة أم إبراهيم عليه السلام وأخذها المخاض، خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها. . » مثله ٣/ ١٥٩-١٦١.

وانظر الكامل لابن الأثير حيث نقل مثله ١/ ٩٤-٩٥، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢٤ وتاريخ الخميس ١/ ٧٩-٨٠.

وذكر ابن حمدان في معجزات الأنبياء ق ١٤-١٧ لإبراهيم خمس معجزات هي إجمالاً:

١- إبراد النار.
٢- رفع الحجة في زوجته سارة لما دخل مصر.
٣- وإحياء الموتى لأجله.
٤- ونبات الشجرة تحت قدميه لما دخل الشام.
٥- تكليم الولد له من مسافة بعيدة!

(١) لما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**.

رواه البخاري في الديات موصولاً: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] (٦٤٨٤)، ومسلم في القسامة ـ باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦).

أو خَارِجِيٌّ يخْرجُ على الإسلامْ فإنَّه يَحِلُّ قِتالُ الخَوارِجِ إذا عَاصُّوا المُسلمين لأَنْفُسِهم وَأَهَالِيهِم وأموالهم وما سِوَى ذلك فَدمُ المُسلمِ على المُسلمِ حَرامٌ إلى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ(١).

الشهادة للمعين بجنة أو نار

ولا يُشَهدُ على أَحدٍ بحَقيقةِ الإيْمَانِ إلاَّ أنْ يُستكملَ فيه خِصَالُ السُّنةِ وشَرائِعُ الإسْلاَمِ كُلِّها(٢).

---

(١) كما دل عليه حديث أبي بكرة رضي الله عنه في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر في الموسم فقال: « . . فإن الله حرم عليكم دماءكم وأعراضكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . . ألا هل بلغت اللهم فاشهد مرتين».

رواه البخاري في مواضع كثيرة متصلةً منها كتاب الحج ـ باب الخطبة أيام منى (١٦٥٥)، ومسلم في الإيمان ـ باب بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارا» (٦٦).

(٢) كما قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٤-١٥].

ودل عليه حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى رهطاً وسعد جالس، قال: «فترك رجلاً هو أعجبهم إلي فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا فقال «أو مسلماً»، فرددها ثلاثاً . . » متفق عليه.

رواه البخاري في الإيمان موصولاً ـ باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، ومسلم في الإيمان ـ باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١٥٠).

فلم يشهد لهم بالإيمان وإنما بالإسلام فقط، بل نفي عنهم الإيمان.

ولا يُشْهدُ على أَحدٍ بِجَنَّةٍ ولا نَارٍ إلا على مَنْ شَهِد لهم النَّبيُّ ﷺ، ونَزلَ فيهم القُرآن(١)، وهم العَشَرَةُ المَذكُورَةُ، والذِّين بايعوا مُحَمداً ﷺ تَحتَ الشَّجرةِ(٢).

ولا يُكَفُر أَحدٌ مِنْ أَهلِ القِبْلَةِ بِذَنبٍ صَغُرت أَمْ كَبُرَتْ.

مسألة التكفير

ولا يُخْرجُ عن الإِسلام إلاَّ مَنْ رَدَّ على شَيءٍ مِنَ الأَوامِرِ والنَّواهي، وصَلَّى لِغَيرِ الله، أو ذَبَح لِغَيرِ الله(٣).

---

(١) هذا هو المختار عند كثير من العلماء وأهل الحديث أنه لا يشهد لمعين بجنة أو نار إلا من شهد له بذلك النص من القرآن أو السنة.

لأنه حكم بالغيب ولا سبيل لنا إليه، وفي المسألة قولان آخران في الشهادة بالجنة:

١- أنه يشهد للأنبياء فقط.

٢- أنه يشهد بذلك لمن شهد له المؤمنون.

وانظر شرح الطحاوية ٥٣٧-٥٣٨.

(٢) كما صحت في العشرة وأهل الشجرة، أهل بيعة الرضوان بالحديبية، وصحت أيضاً في غيرهم كعكاشة بن محصن وأهل بدر وغيرهم.

(٣) أو أتى ناقضاً من نواقض الإسلام، وأهمها العشرة، وهي إجمالاً:

١- الشرك.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط في العبادة.

٣- السحر.

٤- اعتقاد هدي غير الرسول أو حكمه أكمل من هديه وحكمه.

٥- بغض شيء مما جاء به الرسول.

ولا نُصَّدقُ المُنجِّمين والكَهَنَةَ لِقَوْله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾. [النمل: ٦٥]

ولا تَنظُر في كِتَابِ الجُمَّلِ، ولا في كِتَابِ صِفِّين، ولا في العَزائِم، ولا تَنظُر في النُّجومِ، إلاَّ فيما يُستعَانُ به على أوقاتِ الصَّلاةِ(١).

٦- عدم تكفير المشركين أو الشك في ذلك.

٧- الاستهزاء بشيء من دين الله.

٨- مظاهرة المشركين وموالاتهم على المسلمين.

٩- الاعراض عن دين الله.

١٠- اعتقاد أن أحد يسعه الخروج عن شريعة الإسلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: ولا فرق في هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره.

(١) كما رخص بتعلم المنازل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وكره قتادة، ولم يرخص فيه ابن عيينة.

نقله شيخ الإسلام في باب ما جاء في التنجيم من كتاب التوحيد، وهو ما يسمى بعلم التيسير، وهو علم ما يحتاج إليه من النجوم من القبلة والاهتداء براً وبحراً.. وهو جائز عند الجمهور، نقله الحافظ ابن رجب في فضل علم السلف ١٣٤.

وعلم التأثير: وهو اعتقاد تأثير الأفلاك والنجوم في الحوادث الأرضية بنفسها فمحرم وهو دائر بين الشرك بالربوبية أو الشرك في الإلهية، وهو مدعاة نكير السلف على متعلمي النجوم والمنازل..

فقد روى أبو داود بسنده في كتاب الطب من سننه (٣٩٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ما زاد زاد**».

ولا تَصحبْ أَحداً مِنْ النَّاسِ إلاَّ مَنْ تَراه يَنْصَحُك في أَمرِ دِيْنكِ، ويُشفِقُ عليك في أَمرِ آخرتِك.

الأمن والقنوط وحسن الظن بالله

ولا يُأْمنُ مِنْ مَكرِ الله فإِنَّه لا يُدرَي على أَيِّ شَيءٍ يَموتُ، وعلى ماذَا يُختَمُ أَمرُه: يَموتُ على حُكمِ السَّعادةِ، أَمْ عَلى حُكمِ الشَقاوة؟

وأخرجه الإمام أحمد ١/ ٢٢٧ و ٣١١، وابن أبي شيبة ٨/ ٦٠٢، وأخرجه ابن ماجه (٣٧٢٦)، والطبراني في الكبير ١١/ ١٣٥، والبيهقي في السنن ٨/ ١٣٨، وفي الشعب (٥١٩٧)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٢/ ٣٩، وعبد بن حميد كما في المنتخب (٧١٤)، وصححه النووي كما في الفتاوى ٢٣٢، والعراقي في تخريج الإحياء ٤/ ١١٧، والذهبي كما في فيض القدير ٦/ ٨٠.

ولا أعرف ما هو كتاب الجمل ولا صفين، ولكن السياق يفيد أنها من كتب ادعاء علم الغيب كحروف أبي جاد والجفر، وما يسمى الآن بعلم قراءة الكف والفنجان.

وروى عبدالرزاق في المصنف ١١/ ٢٦ عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً: «**رب ناظر في النجوم، ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق**».

رواه ابن عبدالبر في الجامع ٢/ ٣٩، والبيهقي في الكبرى ٨/ ١٣٩، وخرجه حميد ابن زنجويه، وخرجه حرب عن طاووس من قوله.

ومن ذلك أيضاً علم الرمل والخط والزجر والطرق والعيافة، لما روى أبو داود في كتاب الطب (٣٩٠٧) عن قبيصة بن مخارق ﷺ مرفوعاً: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**» الطرق: الزجر، والعيافة: الخط.

وفسره راويه عوفٌ: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط في الأرض.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٧٧، والطبراني في الكبير ١٨/ ٣٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٤٣ (هندية)، وابن حبان وصححه ١٣/ (٦١٣١)، والبيهقي في الكبرى ٨/ ١٣٩، وحسنه النووي في فتاويه ٢٣٠.

ولا يُقنطُ مِنْ رحَمةِ الله المُسرفُ على عِصْيانِ الله، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. [يوسف: ٨٧]

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [الزمر: ٥٣]

ويُحسِنُ الظَّنَّ بالله عزَّ وجلَّ(١)، فإنَّه إنْ رَحمه فَبفضْلِه، وإنْ عَذَّبه فبِعَدلِه.

والاجْتِنَابُ وَاجبٌ(٢) على المراءِ والجِدَال والخُصُومات، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «أَوّلُ ما نَهانَا الله عَزَّ وجلَّ بعدَ عِبادةِ الأوثانِ وشُربِ الخُمور المِرَاءُ»(٣). ذم المراء والجدال

---

(١) حيث روى مسلم في صحيحه في آخر كتاب الجنة (٢٨٧٧) من حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بثلاث، يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِنُ بالله الظن**».

ويدل عليه أيضاً عموم قوله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي**» الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رواه البخاري موصولاً في مواضع أولها في كتاب التوحيد باب قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (٦٩٧٠)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة ـ باب الحث على ذكر الله (٦٢٧٥).

(٢) كذا في الأصل، ولعله إتيان بعض حروف الجر عن بعض، فإنها هنا بمعنى اللام، كما أن اللام تأتي بمعنى على، ذكرهما في مغني اللبيب ١٩١ و ٢٨٠.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في الكبير ٨/ ١٥٢ بسياق طويل وفي آخره حديث

. . . .

الافتراق من حديث أبي أمامة وواثلة وأنس قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين.. ولكن فيه كثير بن مروان الفلسطيني أسقطه أحمد، وابن معين وأبو خيثمة، وذكره الساجي والعقيلي في الضعفاء، وقال ابن عدي: مقدار ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات.

وانظره في الكامل ٦/ ٦٩، والميزان ٣/ ٤٠٩، ولسانه ٤/ ٤٨٣، والمعرفة ٢/ ٤٥٠، والمجروحين لابن حبان ٢/ ٢٢٥.

وفيه الراوي عنهم عبدالله بن يزيد الدمشقي ضعيف، من السادسة. ترجمته في: الجرح ٥/ ١٩٧، وانظر المجمع ١/ ١٠٦و ١٥٦ و ٧/ ٢٥٩، وقال فيه أحمد: أحاديثه موضوعة، وانظر الضعفاء لابن الجوزي ٢/ ١٤٦، والمغني للذهبي ١/ ٣٦٣، واللسان ٣/ ٣٧٨.

* ورواه ابن أبي شيبة في المصنف في ٥/ ٩٦ و ٧/ ٢٦٠ ثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن النبي ﷺ بلفظ: «**أول ما نهاني ربي عن عبادة الأوثان، وشرب الخمر، وعن ملاحاة الرجال**» وهي المماراة.

وذا سند عالٍ: فإن ابن المبارك والأوزاعي إمامان ثقتان جليلان، وعروة بن رويم هو: أبو القاسم اللخمي صدوق يرسل كثيراً، من الخامسة، وهم الذين رأوا الصحابي والاثنين، مات سنة ١٣٥هـ.

وهذا الحديث من مراسيله.

* ورواه الطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٥٠ و ٢٦٣ من طريقين **عن** أم سلمة رضي الله عنها مرفوعا: «**إنه كان لفي أول ما نهاني عنه ربي..**» الحديث بمثل ابن أبي شيبة.

قال في المجمع ٥/ ٥٣ و ٨/ ٢٧: «فيه يحيى بن المتوكل ضعيف عند الجمهور، ووثقه ابن معين في روايته، وقال في الأخرى ليس بشيء» اهـ.

وقال: «ذَرُوا المِرَاءَ فإنَّ المُماري لا أَشفَع لهم يَوْمَ القِيَامةِ»[1].

ورواه البيهقي في الكبرى في كتاب الشهادات من حديث أم سلمة بمثل ما رواه ابن أبي شيبة.

* ورواه البزار ـ في الكشف ٢/ ٢٧٦ ـ والطبراني في الكبير ٢٠/ ٨٣، وفي مسند الشاميين (٢٢٠٣) من طريق عمرو بن واقد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بمثل حديث أم سلمة مرفوعاً.

قال في المجمع ٥/ ٥٣: «وفيه عمرو بن واقد الليثي وهو متروك، وقال محمد بن المبارك الصوري: كان صدوقاً، ورُد قوله، والجمهور ضعفوه».

* وأخرجه ابن حبان في روضة العقلاء ٩٤ بسنده من طريق عمرو بن واقد عن أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ مقارب.

(١) وردت هذه الجملة أيضاً في الحديث الطويل الذي رواه الطبراني في الكبير ٨/ ١٥٢ عن أبي الدرداء وواثلة وأبي أمامة وأنس رضي الله عنهم مرفوعاً بلفظه، ولكنه ضعيف جداً لحال كثير بن مروان وعبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي ومضى جرحهما.

قال في المجمع ١/ ١٥٦: «رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان ضعيف جداً» اهـ، وانظر أيضاً ١/ ١٠٦ و ٧/ ٢٥٨.

* وعلى كل حال فالأحاديث الواردة في المراء نهياً وكراهة متواترة معناها، ومنها:

١- ما رواه أبو داود في الأدب من سننه (٤٨٠٠) عن أبي أمامة يرفعه ولفظه: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً**».

٢- وكذا رواه الترمذي وحسنه، في كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في المراء (١٩٩٣) عن أنس رضي الله عنه بمثل حديث أبي أمامة.

وكذا رواه ابن ماجه في المقدمة (٥١)، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «افْتَرقتْ بَني إِسْرائيلَ على إِحدَى وسَبعين فِرْقةً، واحِدة مِنْها نَاجيةٌ والبَاقُون في النَّارِ، وافْتَرَقَ النَّصارى على اثْنَيْنِ وسَبعين فِرْقةً وَاحِدة مِنْها نَاجيةٌ وإِحْدَى وسَبْعون في النَّارِ، وسَتفْتَرقُ أُمَّتي على ثَلاثٍ وسَبعِين فِرْقةً، وَاحِدة مِنْها نَاجيةٌ والاثنتَانِ والسَّبعُون في النَّار».

قيل: يا رسَولَ الله: مَنِ الوَاحِدةُ النَّاجِيةُ؟ قال: «ما أَنا عليه اليَوْمَ وأَصحَابي».

٣- وبمثله عن معاذ رضي الله عنه عند الطبراني في الكبير، وعن ابن عمر رضي الله عنهما في الأوسط.

٤- ورواه الآجري في الشريعة ٦٧، والطبراني في الكبير عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «المراء في القرآن كفر».

٥- وبمثله عن عبدالله بن عمرو وزيد بن ثابت وغيرهما رضي الله عنهم.

٦- وأصح ما رود ما في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله حرم عليكم: **عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنع وهات. وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

رواه البخاري موصولاً في كتاب الاستقراض وغيره ـ باب ما ينهى عن إضاعة المال (٢٢٧٧) و (١٠٤٧) و (٥٦٣٠)، ومسلم في الأقضية ـ باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (٥٩٣).

وفُسِّر القيل والقال بالمراء كما نص عليه جمع من السلف رحمهم الله.

وانظر ذلك وكثير مما ورد في الباب ـ باب ذكر النهي عن المراء في سنن أبي داود والترمذي، وابن ماجه، ومقدمة الدارمي في سننه، والشريعة للآجري، وجامع بيان العلم ٢/ ١٦٢ وما بعدها، وباب ذم الجدال والتغليظ فيه ـ من ذم الكلام للهروي ١/ ق (٥١-٨٨)، والمجمع ١/ ١٥٦-١٥٨.

قيل: وَمَنِ الذِّين في النَّارِ؟ قال: «هم أَصحابُ الرَّأي والقِيَاس»[١].

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور وقد رواه جماعة من الصحابة، منهم: عوف ابن مالك، وأبو هريرة، وأنس وعبدالله بن عمرو وجابر وعلي وابن مسعود وابن عمر وأبو أمامة، وأبو الدرداء وواثلة وعمرو بن عوف وابن عباس ومعاوية وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم.

عدتهم خمسة عشر من أربعين رواية وطريقاً عنهم، جمعتها في جزء مفرد.

* واللفظ الذي ساقه المؤلف بمثل رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، دون آخره «**وقيل من الذين في النار**. . » الحديث.

ورواه الترمذي في كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، وقال: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه» اهـ.

ومحمد بن نصر المروزي في السنة (٥٩)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ١٦٧، والآجري في الشريعة ١٥، وابن بطة العكبري في الإبانة ١/ ٣٦٨ (كتاب الإيمان)، والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٩ وسكتا عليه، واللالكائي في شرح السنة ١/ ٩٩، وعبدالقاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ٥، وقوام السنة في الحجة ١/ ٩٩، وأسنده شيخ الإسلام في الاقتضاء ١/ ١١٥، والهروي في ذم الكلام من طرق عن ابن عمرو في ١/ ق ٢٥٢.

* وفي رواية يحيى بن سعيد الأنصاري من حديث أنس ﷺ أخرجها الطبراني في الصغير (٧١١).

* وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ١٥٢ من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة ابن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهم بلفظ طويل في آخره: « . . . **فإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلهم على الضلال إلاَّ السواد الأعظم**» قالوا يا رسول الله: ومن السواد الأعظم؟ قال: «**من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله، ومن لم يكفر أحداً من**

والاجتناب وَاجِبٌ عَمَّن يَقُولُ: لِمَ؟ وكَيفَ؟ في صِفَاتِ الله تعالى.

وَنَقِفُ عِندَ مُتَشابهاتِ القُرآنِ وتَفْسيرِ الأحَاديثِ المُقفَلَةِ لأنَّ مَفاتِيحهَا مَعْ رَسولِ الله ﷺ.

وحُبُّ العَرَبِ إِيْمَانٌ، وبُغضُهم نِفَاقٌ(١).

أهل التوحيد بذنب غفر له..» الحديث.

وهو معلول جداً. ورواه ابن حبان في المجروحين ٢/ ٢٢٥.

* وآخر الحديث عن التي في النار: «أصحاب الرأي والقياس»، فإنها بمعنى رواية عوف بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي: قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيحلّون الحرام، ويحرمون الحلال**».

أخرجها البزار ـ كما في الكشف ١/ ٩٨ ـ والطبراني في الكبير ١٨/ ٥١، وابن بطة في الإيمان ١/ ٣٧٤، والحاكم ٣/ ٥٤٧ و ٤/ ٤٣٠، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٠٧، وفي الفقيه والمتفقه ١/ ١٧٩، والبيهقي في المدخل (٢٠٧)، وابن عبدالبر في الجامع ٢/ ١٣٣، وابن عدي في الكامل ٧/ ١٧ و ٣/ ٤٢٩ وما بعده وصححه عنه الذهبي، وقال في المجمع ١/ ١٧٩: «رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

وعلى كل حال فالحديث دون هذه الزيادة صححه شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٣٤٥ وقال: «وهو حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد».

والحديث دون وصفه للفرق الناجية متواتر اتفقت عليه رواية أولئك الصحب الأبرار، واختلفوا في الزيادات عليه.. والله أعلم.

(١) هذا تضمين من حديث رواه أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**حب العرب إيمان، وبغضهم كفر**».

. . . .

رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧ من طريق معقل بن مالك ثنا الهيثم بن جمّاز عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه به. وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «الهيثم متروك، ومعقل ضعيف».

وتابعه البزار ـ كما في الكشف ١/ ٥١ ـ من طريق سعيد بن عبدالله عن الهيثم بن جمّاز به، ولفظه: «**حب قريش إيمان، وبغضهم كفر، من أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني**» ثم قال: لا نعلم أحداً رواه عن ثابت إلا الهيثم، والحسن بن أبي جعفر روى شبيهاً به، وهو والهيثم لا يحتج بما انفردوا به» اهـ.

وأخرجه الطبراني في الأوسط، كما في المجمع، ومن طريق أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٣٣، وأخرجه العقيلي في الضعفاء ٤/ ٣٥٥ كلهم من طريق معقل به.

وعلته الهيثم بن جماز وهو الحنفي البكاء، قال أحمد: ترك حديثه، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، والنسائي: متروك، وضعفه ابن معين والبزار، وقال ابن عدي: أحاديثه أفراد غرائب فيها تدليس مما ليس بمحفوظ».

وانظر الكامل ٧/ ٢٥٦٠، والميزان ٤/ ٣١٩، ولسانه ٦/ ٢٠٤.

ولذا قال في المجمع ١/ ٨٩: «فيه الهيثم بن جماز ضعفه أحمد وابن معين والبزار» اهـ، وقال في ١٠/ ٢٧: «وفيه الهيثم بن جماز وهو متروك».

وروى الطبراني في الكبير ١١/ ١٤٥ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**بغض بني هاشم والأنصار كفر، وبغض العرب نفاق**»، وقال في المجمع ٩/ ١٧٢: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم».

وروى أيضاً من حديث ابن عمر يرفعه: «**لا يبغض العرب مؤمن، ولا يحب ثقيفاً إلا مؤمن**».

قال في المجمع ١٠/ ٥٣: «رواه الطبراني وفيه سهل بن عامر وهو ضعيف».

فصل في الرؤى المنامية

والرُّؤْيا حقٌّ مِنْ اللهِ عَزَّ وجَلَّ إذا رأَى العَبْد في مَنامِه شَيئاً ما لَيْس بِضَغثٍ فَقَصَّها على مَنْ يَراه، أو يَقُصَّها على عَالمٍ[1]، ويَصدقُ فيه[2]، ....

وفيه عن علي وجابر وغيرهما رضي الله عنهم، وانظر المجمع ـ باب ما جاء في قبائل العرب ١٠/ ٤٢-٤٨ و ٥٢-٥٣، وللحافظ العراقي كتاب لطيف في الباب هو «القرب في محبة العرب».

(١) لما روى أبو داود في كتاب الأدب (٥٠٢٠) من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه مرفوعاً: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وهي على رجل طائر ما لم تُعبرَّ فإذا عُبرت وقعت**» وأحسبه قال: «**ولا يقصها إلا على وادٍ أو ذي رأي**».

وكذا رواه ابن ماجه في كتاب التعبير (٣٩١٤).

ورواه الترمذي في كتاب الرؤيا (٢٢٧٨ و ٢٢٧٩) وفيه: «**ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً**» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الدارمي في سننه في كتاب الرؤيا ـ باب كراهية أن يعبر الرؤيا إلا على عالم أو ناصح ٢/ ١٦٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «**ولا تقصوا الرؤيا إلا على عالم أو ناصح**».

ولذا لا ينبغي أن يحدث الرجل بحلمه الذي من الشيطان لئلا يقع عليه، وينبغي عليه فيها آداب يأتي إجمالها إن شاء الله.

(٢) لأن الكذب في الحلم كبيرة من الكبائر، مع حرمة الكذب أصلاً، ففي الحلم يشتد ويعظم لما روى البخاري في كتاب التعبير من صحيحه ـ باب من كذب في حلمه (٦٦٣٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن من أفرى الفِرَى أن يُريَ عينه ما لم ترَ**».

لتِفَسيره على أَصلِ تَأْويلِه الصَّحيح(١).

وله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٦٦٣٥)، أنه ﷺ قال: «**من تحلَّم بُحلم لم يره كُلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صُبَّ في أذنه الآنك يوم القيامة، ومن صَوَّر صورة عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أن ينفخ فيها، وليس بنافخ . .**»

(١) لقد اهتم العلماء الكبار بالرؤيا اهتماماً واضحاً حيث عقدوا لها كتباً جمعوا فيها المرويات النبوية والآثار السلفية الورادة فيها.

ومن ذلك ما عقده الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، وكذا الإمام مسلم في كتاب الرؤيا، وكذا أصحاب السنن: أبو داود والترمذي وابن ماجه، والدارمي في سننه وغيرهم.

وأرى من المناسب هنا أن أجمل أحكام الرؤيا والحلم كما صحت في الصحيحين ليعمل بها، ويعتقد ما فيها:

أولاً: أحكام الرؤيا:

١- أنه يحمد الله عليها لأنها من الله بشرى، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عندهما يرفعه: «**إذا رأى أحدكم رؤيا، فإنما هي من الله، فليحمد الله، وليحدث بها. . وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره**». البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٦١ و ٢٢٦٣) عن أبي قتادة وأبي هريرة رضي الله عنهم.

٢- أنه لا يحدث بها إلا من يحب، لما في مسلم عن أبي قتادة (٢٢٦١) في حديثه أنه قال: إني كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب، وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره.**

وإذ كَان الرُّؤيا مِنْ النَبيِّين وَحياً(١) .

٣- إن أراد تعبيرها فلا يقصها إلا على عالم لبيب، أو حبيب ناصح، كما في حديث أبي رزين وسيأتي.

٤- في آخر الزمان تصدق رؤيا المسلم، فمن كان أصدق حديثاً كانت رؤياه أصدق، فقد روى مسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا على ثلاثة: فرؤيا صالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس**».

ثانياً: أحكام الحلم:

١- أنه من الشيطان حزناً وتخويفاً وإرجافاً.

٢- إذا رأى ما يكرهه تعوذ بالله من شر ما رأى ومن الشيطان ثلاثاً.

٣- يتَفُل أو ينفث عن يساره ثلاثاً.

٤- لا يحدث بها أحداً، فإنه إن لم يحدث بها لن تضره، بل ينساها كأن لم تقع، وإن حدث بها خشي أن تقع، «**لأنها على رجل طائر وما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت**» كذا في الحديث عنه ﷺ.

٥- أن ينفتل وينقلب على جانبه الآخر.

٦- إن تكررت عليه قام فتوضأ وصلى ركعتين مع الاستعاذة والتفل ثلاثاً.

٧- أن الشيطان لا يتمثل في المنام بصورة النبي ﷺ.

(١) لما روى الطبراني في الكبير ١٢/ ٥ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**رؤيا الأنبياء وحي**».

قال في المجمع ٧/ ١٧٦: رواه الطبراني عن شيخه عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.

فأيُّ جَاهلٍ أَجهلُ ممَّنْ يَطعنُ في الرُّؤيا، ويَزعمُ أَنَّها ليس بِشَيءٍ؟! وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الرُّؤيا للمؤْمنِ مِنْ كَلامٍ يَتكلَّم به الرَّبُّ عزَّ وجَلَّ»[1]، وَبِالله التوفيق.

والإِيْمَانُ بأنَّ اللهَ يأْجُر المَرِيضَ على مَرضِه، والشَّهيدَ أَعظَم أجراً وثَواباً[2].

ولما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح..» رواه البخاري في أول بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان ـ باب بدء الوحي (١٦٠).

(١) لم أجد فيه إلا ما نقله الحافظ في الفتح ١٢/ ٣٧٠، قال: «وذكر ابن القيم حديثاً مرفوعاً غير معزو: «**إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام**»، ووجد الحديث المذكور في نوادر الأصول للحكيم الترمذي من حديث عبادة الصامت، أخرجه في الأصل الثامن والسبعين (كذا)، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر، وهو واهٍ، وفي سنده جنيد، قال ابن ميمون عن حمزة ابن الزبير عن عبادة» اهـ.

ووجدته في المطبوع من النوادر مختصراً متناً دون السند ص ١١٧ في الأصل السابع والسبعين، ولم أقف عليه عند ابن القيم.. والله أعلم.

وحديث عبادة عند البخاري في التعبير ـ باب الرؤيا الصالحة (٦٥٨٥)، ومسلم في كتاب الرؤيا من الصحيح (٢٢٦٤) مرفوعاً: «**إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**».

ولهما أيضاً من حديث أبي هريرة وابن عمر وأنس والبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنهم مثله.

(٢) لعموم ما في الصحيحين من حديثي أبي سعيد الخدري وعائشة رضي الله

فصل في الإيمان بفرضية الصلاة

والإِيْمَانُ بأَنَّ الصَّلواتِ الخَمْسِ وَاجِبَةٌ على كُلِّ مُؤمِنٍ ومُؤمِنَةٍ، في كُلِّ يَوْمٍ ولَيلةٍ لا زِيادَةٍ فيه ولا نُقْصان، فمَنْ قال: هُنَّ أَكْثَرُ فهو مُبْتَدِعٌ، ومَنْ قال: أَقلُّ مِنْ خَمسَةٍ فهو كَافِرٌ، ولا يَقبلُ اللهُ إلا في أوقاتها المَعلُومةِ، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ يعني صلاةَ الفَجرِ. ﴿وَصَابِرُواْ﴾ يعني صلاةَ الظُهرِ، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ يعني صَلاةَ العَصرِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني صَلاةَ المغربِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعني صَلاةَ العَتمةِ(١). [آل عمران: ٢٠٠]

فالأول مرفوعاً: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه».

والثاني ترفعه: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها».

رواهما البخاري موصولين في أول كتاب المرضى (٥٣١٧ و ٥٣١٨)، ومسلم كذلك في البر والصلة والآداب ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (٢٥٧٢ و ٢٥٧٣).

(١) هذا من غرائب المؤلف الذي لم أجد عليه دليلاً، بل الآية على عمومها ولا داعي فيها لهذا التمحل. والدليل من القرآن على وجوب المحافظة على الصلاة في وقتها قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] فإن من شرطها أن لا تقبل إلاَّ في وقتها الذي وقتت فيه.

وأوقات الصلاة جاءت في القرآن مجملة كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وجاءت الأوقات محددة للصلوات في السنة في حديث مسلم عن جابر رضي الله عنه (١٧٣) وغيره.

والصَلواتُ الخَمسُ في الجَماعةِ مُؤكدةٌ على الرِّجَال دُونَ النِّساءِ، لا يَجُوزُ تَركُها إلاَّ مِنْ عُذرٍ بيِّنٍ لِقَولهِ تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾. [آل عمران: ١٠٣]

يعني به الصَّلواتِ الخَمسَ في الجَماعةِ(١).

وقَوْلُه: ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾. [البقرة: ٤٣]

يقول: صَلُّوا مع المُصلين في الجَماعةِ(٢).

---

(١) فُسِّرَحبلُ الله بالجماعة في حديث الافتراق مرفوعاً وموقوفاً مع تلاوة هذه الآية في حديث أنس مرفوعاً، وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة موقوفاً وانظر الدر المنثور ٢/ ١٠٧-١٠٨.

وكأن المؤلف فهم من الجماعة هناك الصلوات الخمس في جماعة، فإن هذا ولاشك من معاني الجماعة، لكن الجماعة بمعناها العام الاجتماع المقابل للافتراق وقسيمه.

(٢) ووجوب الصلاة في الجماعة على الرجال إلا من عذر دل عليه عدة أحاديث، منها:

١- حديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيُحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤمَّ الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**».

رواه البخاري موصولاً في كتاب الأذان ـ باب وجوب صلاة الجماعة، وهذا لفظه (٦٤٤)، ومسلم في المساجد ـ باب فضل صلاة الجماعة (٦٥١)، ولو لم تكن واجبة لما هم تعذيب المتخلفين عليها بالنار، ولم يمنعه إلا وجود من لم تجب عليهم الجماعة في تلك البيوت من النساء والذراري وأهل الأعذار. والله أعلم.

٢- ما رواه مسلم في الصحيح (٦٥٣) من حديث أبي هريرة أن ابن أم مكتوم أتى

الموقف من أهل الأهواء والبدع

ولا تجوزُ الصَّلواتُ خَلفَ المُبتَدعَةِ، ولا مُجالستِهم، ولا مُؤاكَلتِهم، ولا يُعَادُ مَرِيضُهم، ولا يُشَيَّعُ جنائِزُهُم، ولا يُسَلَّمُ عَليهم، ولا يُصلَّى على مَوْتَاهُم، ولا يَرحَمهم في حَياتِهم، ولا بعد مَماتِهم[1]، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾. [النساء: ١٧١]

النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ليس بي قائد يقودني إلى المسجد، فرخص له، فلما وَلَّى دعاه، فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب**».

حيث لم يرخص له وهو يسمع النداء ويستطيع الوصول إلى المسجد، فدل على تعينها.

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**من سمع النداء فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر**».

رواه ابن ماجه (٧٩٣)، والدارقطني ١/ ٤٢٠، والطبراني في الكبير (١٢٢٦٥)، وصححه ابن حبان ٥/ ٤١٥، والحاكم ١/ ٢٤٥ وصححه على شرطهما، والبيهقي في الكبرى ٣/ ٥٧، والبغوي في شرح السنة (٧٩٥)، وقال الحافظ في البلوغ: إسناده على شرط مسلم، ورواه أبو داود (٥٥١)، والدارقطني ١/ ٤٢١، والحاكم ١/ ٢٤٥ بلفظ مقارب عنه.

وله شاهد عن أبي موسى رضي الله عنه عند الحاكم ١/ ٢٤٦، والبيهقي ٣/ ١٧٤.

(١) هذا باب اعتنى به أئمة أهل السنة ولاسيما في القرن الثالث فما بعده، بعد ذيوع مقالات المبتدعة وأهل الأهواء، حتى ضمنوه كتبهم في السنة المطولات والمختصرات حماية للدين، وصيانة للعقيدة، ودرءاً للشبهة، دفعاً وهجراً.

وظهراً جلياً عن متأخري الحنابلة من أهل السنة، واعتبر بما في شرح السنة للبربهاري (٣٢٩هـ)، فإنه كرر في كتابه هذه المعاني، ويأتي في آخر البحث الإحالةُ إلى مواطنهم إن شاء الله.

يعني لا تَبْتَدِعُوا[١]، ولا تُنَاظِرُوا أهلَ البِدَع.

وهو قَوْلُه تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾. [النساء: ١٤٠]

يَقولُ حتى يَرجِعُوا عنه من البدْعةِ إلى السُّنَّةِ، وَمِنَ البَاطِلِ إلى الحَقِّ[٢]، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴾. [المائدة: ٦٤]

قال ابنُ عَبَّاسٍ «هُم أَهلُ البِدعِ والهَوى، متى أَرادُوا إِظْهارَ مَذْهَبِهم البَاطِل أَطْفَأَهُ الله تعالى بِسَفكِ دِمَائِهم، ويُذِلّهم وَيُسَلِّط عليهم أَهلَ السُّنَّةِ، فَيَنْصُرُهُم الله عليهم بالقَتْلِ حتى يَتْعَبُوا وَيَتَفَرَّقُوا»[٣].

---

(١) كذا فسرها قتادة، فيما رواه عنه ابن المنذر في تفسيره، كما في الدر ٢/ ٤٣٩.

(٢) روى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن سيرين أنه يرى أن هذه الآية نزلت في أهل الأهواء. وروى عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير نحوه عن محمد الباقر، كله في الدر المنثور ٣/ ٣٨.

وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الآية: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. تفسير ابن جرير ٧/ ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) لم أجده عنه، وهو غريب جداً، إذ الآية في سياق فضح اليهود وذكر مخازيهم ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «لا تُناظِروا أهلَ البِدَعِ فإنَّهم يُلْبِسُونَ على المُسلمين دِينَهم، ولا يَرجِعُون مِنْ البِدْعَةِ إلى السُّنَّةِ»(١)، لقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، والمرفوع هو حديث أبو هريرة عن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**».

فقد رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٠، وأبو داود في سننه في كتاب القدر ـ باب القدر (٤٧١٠) من طريق أحمد، وفي (٤٧٢٠) من طريقين، كلها من طريق عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الجرشي عن أبي هريرة به.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٣٠) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢٤٥ و ٢٤٦)، وابن حبان وصححه (٧٩)، والآجري في الشريعة ٢٣٩، وابن بطة في الإبانة (كتاب القدر) (١٢٧٤)، والحاكم في مستدركه ١/ ٨٥، واللالكائي في شرح السنة (١٨٦)، والبيهقي في الكبرى ١٠/ ٢٠٤، والبخاري معلقاً في التاريخ ٣/ ١٥، كلهم من طرق عن عطاء به.

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٤٨ من طريق أحمد ثم قال «هذا حديث لا يصح، وقد رواه الدارقطني من طرق كلها تدور على يحيى بن ميمون وقد كذبوه» اهـ.

وهذا وهم منه رحمه الله فإن المكذب هو يحيى بن ميمون بن عطاء القرشي أبو أيوب التمّار البصري نزيل بغداد الفلاَّس، تركه الدارقطني وابن حجر كما في التقريب والتهذيب، والميزان ٤/ ٤١١.

والذي هاهنا هو: يحيى بن ميمون الحضرمي، أبو عمرة البصري القاضي، وهو غيره بلاشك، فهو صدوق عيب عليه شيء يتعلق بالقضاء، من الخامسة، مات سنة ١١٤هـ.

. . . .

وعلة هذا الحديث حكيم بن شريك الهذلي المصري، قال فيه الحافظ: مجهول، ونقله كذا المناوي عن الذهبي كما في الفيض ٦/ ٣٨٩، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح ٣/ ٢٠٥، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ولكن قواه ابن حبان كما في الميزان ١/ ٥٨٦ فهل يعتبر انفراده بذلك؟

والمقصود أن النهي عن مجالسة أهل البدع ـ ولاسيما البدع المغلظة ـ ومفاتحتهم ومناظرتهم، والبحث معهم، واستخلاص ما لديهم قد استفاض عن السلف الصالح قولاً وفعلاً.

وأقوال جماعة من الصحابة وكبار التابعين ومن دونهم في النهي عن ذلك والتحذير منه من الكثرة بمكان، وقد ثبتها العلماء من بعدهم في تصانيفهم، ومنها:

- ما ذكره الآجري في الشريعة ٥٤ وما بعدها في باب ذم الجدال والخصومات و ٢٠٠-٢٣٤.
- والبدع والنهي عنها لابن وضاح وخصوصاً باب النهي عن الجلوس مع أهل البدع.
- وكتاب القدر من الإبانة الكبرى لابن بطه ٢/ ٢٣١ وما بعدها.
- وشرح أصول السنة للالكائي ١/ ١١٤ وما بعدها في سياق ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل البدع.
- والحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٢٨٠.
- والحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي.
- والباعث في إنكار البدع والحوادث لأبي شامة.

وقد جمع في هذا الباب فأوعب أبو إسماعيل الهروي الأنصاري في «ذم الكلام وأهله» في أبواب عدة، وطريقته أن يذكر في الباب ما ورد فيه من الآيات ثم المرفوع

يَعْنِي به المَوْتى لا يَرْجِعُونَ إلى الدُّنيا أَبداً مِنْ الآخرةِ(١)، وكذلك لا يَرجِعُون المُبْتَدِعَهُ الضَّالَّةُ عمَّا هُم عليه أَبداً، ولو أقمتَ عليهم بأَقوى حُجَّةٍ(٢).

ثم الموقوف ثم ما ورد عن كبار التابعين هذا في الجملة، وانظر تحديداً:

- باب ذم الجدال والتغليظ فيه وذكر شومه ١/ ق (٥١-٦٦).
- وباب فضل ترك المراء ١/ ق (٦٢-٦٦).
- وباب تغليظ المصطفى ﷺ في الجدال في القرآن وتحذيره أهله ١/ ق (٦٧-٧٣).
- باب تعظيم المصطفى ﷺ الجدال في القرآن ونهيه عنه ١/ ق (٧٣-٨٩).
- باب التغليظ في معارضة الحديث بالرأي ١/ ق (١١١-١٧٠).

ثم في المجلد الثاني منه من أوله:

- باب إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدين من الأغاليط.. وجعله على تسع طبقات بدءاً من الصحابة إلى التاسعة، وهم شيوخه وضمت الحافظ أبا إسحاق بن مندة ٢/ ق (٢٩٤-٤٨٢).
- باب كراهية أخذ العلم عن المتكلمين وأهل البدع ٢/ ق (٤٩٦-٥٠٨).
- باب تعظيم من سن في الإسلام سنة سيئة أو دعا إليها ٢/ ق (٥٠٨-٥٢٧).

(١) كذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية، رواها عنه الفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي، كما في الدر المنثور ٤/ ٦٠٢.

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: «﴿وَحَرَٰمٌ﴾ قال وجب ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ كتبنا عليها الهلاك في دينها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه. [الأنبياء: ٩٥]

(٢) هذا خرج مخرج الغالب من سبر أحوالهم، حيث يعتقد أنه على الحق، وحسن العمل كما قال سبحانه في أول سورة فاطر: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ

الزكاة والمبتدعة فيها

وإِخْراجُ الصَّدقاتِ والزَّكَاةِ وَاجِبةٌ مِنْ جَميعِ ما يَقعُ عليه الزَّكاةُ، ويَنْبَغي أنْ يُسلمها مِنَ الإمامِ[١]، أو يُفرِّقُها علَى المسْتَحِقِّينَ، وأَنَّ بعَضَ الرَّافِضةِ لا يَرَوْن ذَلك، ولَيس هو في شرائِطِهم[٢].

التوبة في آخر الزمان

والإِيمانُ بأَنَّ بابَ التَّوبَةِ مفْتُوحةٌ حتى تَطْلع الشَّمس مِنْ المَغربِ، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

يَعني به: طُلوع الشَّمسِ مِنْ المَغربِ[٣] لا يَنفع نَفْساً إِيْمانها،

﴿ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، ولم يرد المؤلف التقنيط من رحمة الله، لما سلف من كلامه في النهي عن ذلك والأمر بحسن الظن بالله (٣٧٤)، لأن الكافر تاب وآمن، فتمكن التوبة والرجوع ممن دونه!

(١) أي إليه، فمن هنا بمعنى إلى.

(٢) أتى بهذه المسألة الشيخ ردّاً على المبتدعة الرافضة فلا زكاة عندهم إلا بما يسمونه الخمس، وهو خمس كامل المال الفاضل عن مؤنة السنة من حاجته، وكذلك من أراد الحج يُقوّم ماله، ثم يخرج عنه خمسه.

ومورد هذا الخمس للفقيه ـ في زمن غيبة الإمام المعصوم ـ الذي دندنوا على ولايته وحجتها مؤخراً.

وانظر العروة الوثقى لكاظم الطبطبائي ٢/ ٣٨٩ و ٣٩٤ و ٤٠٣-٤٠٥، والنور الساطع لكاشف الغطا ١/ ٤٣٩، وهداية العباد لآيتهم كاظم شريعتمداري ١٧٦-١٧٩، بواسطة أثر الإمامة في الفقه الجعفري للسالوس ٣٩١-٤٠٥، وأصول مذهب الشيعة للقفاري ٣/ ١٢٣٨-١٢٤٥.

(٣) وأيضاً بقية الأشراط الكبرى، وعبرَّ المؤلف بطلوع الشمس من مغربها لكونها

يعني: أهل الشِّركِ ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

[الأنعام: ١٥٨]

يعني به: المُذنِبِيّن مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فلا يَقْبلُ الله حين ذلك الإِيمانَ مِنَ الكَافرِ، ولا التَّوبةَ مِنْ المُسلمين(١).

أول الآيات هي أو الدابة، لما في صحيح مسلم (٢٩٤١) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس، وخروج الدابة على الناس ضحًى، وأيهما ما كانت قبل صاحبها، فالأخرى على أثرها قريباً**» رواه في كتاب الفتن ـ باب خروج الدجال.

(١) لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾».

رواه البخاري في آخر تفسير سورة الأنعام (٤٣٥٩ و ٤٣٦٠) موصولاً وهذا لفظه، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٧).

ولمسلم في رواية أخرى (١٥٨) عن أبي هريرة يرفعه: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**».

هذه حالة لا تقبل فيها التوبة، وحالة أخرى إذا بلغت الروح الغرغرة، كما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**».

رواه الترمذي في كتاب الدعوات ـ باب فضل التوبة والاستغفار (٣٥٣٧) من طريقين وحسنه، وابن ماجه في الزهد ـ باب ذكر التوبة (٤٢٥٣)، والإمام أحمد في المسند ٢/ ١٣٢، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ٣/ ٤٢٥، والحاكم ٤/ ٥٧،

فصل في أشـراط الساعـة العامـة

١ - والإيمانُ بأَنَّ الدَّابَّة تَخْرجُ بين الصَّفا والمَروةِ[(١)]، ويكونُ معَها خَاتَم سُليمانَ بنِ دَاوُدَ عليه السَّلام، وعَصى مُوسى، فَتُبيِّنُ حين

وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٩٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٦٤)، والبغوي في شرح السنة (١٣٠٦).

(١) لما أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «ألا أريكم المكان الذي قال رسول الله ﷺ: «**أرى أن الدابة تخرج منه، فضرب بعصاه الشِّقَّ الذي في الصفا، وقال: إنها ذات ريش وزغب**» وفيه ليث بن سليم وهو مدلس» اهـ. من المجمع ٨/ ٧، ولكن كما في التقريب: صدوق اختلط جداً ـ وفي نسخ أُخرى ـ ولم يتميز حديثه فترُك، وقد روى له مسلم والأربعة والبخاري تعليقاً.

ورواه ابن جرير ٢٠/ ١٤، والبغوي في تفسيره ٦/ ١٧٩، من طريق أخرى عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر به، وعزاه في الدر المنثور لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

هذا، ومكان خروج الدابة اخْتُلف فيه: فقيل بين الركن والحجر الأسود، وقيل في مسجد الكعبة، وقيل من الصفا وقيل من المروة، وقيل من أجياد، ورجحه السفاريني في اللوامع وفي نظمه ١/ ١٤٣-١٤٥، وفيه نقل عن السخاوي في القناعة: «وخروجها في آخر الزمان من مكة، إما من صدع الصفاء وبه جزم غير واحد، أو من المروة، أو من شعب أجياد، أو من بعض أودية تهامة، أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط» اهـ.

وفيه أدلة لكنها معلولة وانظرها في المصنف لابن أبي شيبة ١٥/ ٦٦ و ٨١ (هندية) والدر المنثور ٥/ ٢١٦-٢٢٠، وفي المجمع ٨/ ٦-٩، والتذكرة للقرطبي ٦٩٧-٦٩٩، والإشاعة للبرزنجي ١٧٦-١٧٧.

وأرجى الأقوال التي يدور عليها أكثرها أنها تخرج من المسجد الحرام مكة لما روى الطبراني في الأوسط عن حذيفة بن أسيد أراه رفعه، قال: «**تخرج الدابة من أعظم**

ذلك المُؤمنَ مِنَ الكَافِرِ، وأَهلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهلِ النَّارِ (١)، لِقْولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. [النمل: ٨٢]

المساجد فبينما هم إذ دبت، فبينا هم كذلك إذ تصدعت» قال ابن عيينة: «تخرج حتى (كذا ولعلها حين) يسري الإمام جمع، وإنما جعل سابقاً ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» اهـ، من المجمع ٨/ ٧-٨.

ويجمع هذه الأقوال ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥/ ٦٦ (هندية)، وابن جرير في تفسيره ٢٠/ ١٤، والحاكم ٤/ ٤٨٤، كلهم عن أبي الطفيل: كنا جلوساً عند حذيفة فتذكرت الدابة، فقال: «إنها تخرج ثلاث خرجات: في بعض البوادي، ثم تكمن، ثم تخرج في بعض القرى، ثم تكمن، فبينما الناس عند أعظم المساجد، وأفضلها، وأشرفها، حتى قلنا المسجد الحرام، وما سماه، إذ ارتفعت الأرض، ويهرب الناس ويبقى عامة من المسلمين يقولون: أنه لن ينجينا من أمر الله شيء فتخرج، فتجلو وجوههم حتى تجعلها كالكواكب الدرية، وتتبع الناس جيران في الرباع، شركاء في الأموال، وأصحاب في الإسلام».

وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد بن حميد الطيالسي (١٤٤)، وابن جرير ٢٠/ ١٤، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي كما في الدر ٥/ ٢١٩، ورواه البغوي في تفسيره ٦/ ١٧٨، وإسناد ابن أبي شيبة ظاهره الصحة، وليس ذا مما يقال بالرأي، فله حكم الرفع والله أعلم.

(١) يدل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٥ ثنا يزيد ـ وهو ابن هارون ـ أخبرنا حماد بن سلمة، وعفان ثنا حماد أخبرنا علي بن زيد ـ وهو ابن جدعان ـ عن أوس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام، فتحطم الكافر**» وقال عفان: أنف الكافر ـ بالخاتم، «**وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون على خوانهم،**

الأعور المسيح الدَّجال ونزول عيسى ابن مرم

٢- والإيْمَانُ بِخُروجِ الأَعورِ الدَّجَّالِ لا شَكَّ فيه، وهو أَكَذبُ الكَاذِبِينِ[١].

فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا يا كافر».

ورواه الترمذي في جامعه في تفسير سورة النمل (٣١٨٧) من طريق حماد به وحسنه، ورواه ابن ماجه في الفتن ـ باب دابة الأرض (٤٠٦٦) بمثل الترمذي، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠/ ١٦، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٥، البغوي في تفسيره ٦/ ١٧٩ من طريق أحمد به.

وصحح شاكر إسناده في تعليقه على المسند ١٥/ ٧٩-٧٢، وعزاه في الدر المنثور أيضاً إلى الطيالسي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي هريرة به ٥/ ٢١٩.

وله شاهد من حديث أبي أمامة عند أحمد في المسند ٥/ ٢٦٨، وقال في المجمع ٨/ ٦: «رجاله رجال الصحيح غير ابن عبدالرحمن وهو ثقة» وانظر الصحيحين (٣٢٢) لطرقه.

وفيه أيضاً عن أبي الزبير نحوه عند ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٥/ ٢٠.

ويشهد لمعناه القراءة المروية عن ابن عباس، وقرأ بها ابن أبي عبله والجحدري بتسكين الكاف واللام في [تُكْلِمُهُم] من الكَلْم، وهو الجرح، وليست من القراءات العشر، ذكرها في زاد المسير ٦/ ٨١، وابن كثير ٦/ ٢٢٠ (شعب)، وفتح القدير ٤/ ١٥٢، وجامع القرطبي ١١/ ٢٣٧.

(١) نعوذ بالله منه، حيث حذر منه النبي ﷺ أشد التحذير وأبلغه، وأبانه بصفاته وأفعاله ومقالاته مما يضيق هذا المقام ولو بطرف من ذلك، ومن أجمع ما ورد فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام النبي ﷺ خطيباً في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: **«إني لا نذركموه، وما من نبي إلا أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه**

٣- فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ مِنَ السَّمَاءِ[1] . . . .

أعور، وأن الله ليس بأعور، وهو أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبه طافية».

رواه البخاري عنه في مواضع منها في كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال (٦٧٠٨)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١٦٩).

وفيها عن أبي هريرة والمغيرة وأنس وأبي بكرة وأبي سعيد وعائشة وحذيفة وعبدالله بن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم.

ومن فتنه التي يفتن بها الناس ويبهرهم بها إلا من رحم ربي ما خرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن ـ باب ذكر الدَّجَّال: أن معه جنة وناراً، فناره خير، وجنته شر.

(١) تواتر في الأحاديث عن رسول الله ﷺ: **«أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عدلاً، وحكماً مقسطا»** اهـ،

قاله ابن كثير في تفسيره ٧/ ٢٢٣ (الشعب)، وقبله ابن جرير ٣/ ٢٩١: «أنه ينزل فيقتل الدجال».

ونقله أيضاً ـ أعني تواتره ـ صديق حسن خان في الإذاعة ١٦٠، وشاه الكشميري في كتابه التصريح بما تواتر في نزول المسيح ذكر فيه نحواً من سبعين حديثاً عن نحو ثلاثين صحابياً.

والعظيم أبادي في عون المعبود ١١/ ٤٥٨، ونص الشيخ أحمد شاكر على أن نزول المسيح ابن مريم مما لم يختلف فيه المسلمون، بل هو معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره من حاشيته على تفسير ابن جرير ٦/ ٤٦٠، ونقله ابن عطية في المحرر عند تفسيره لآية آخر النساء، وحكاه إجماعاً الأشعري في المقالات ١/ ٢٩٥، وعياض كما في شرح مسلم ١٨/ ٧٥، والسفاريني في اللوامع ٢/ ٩٤، ونقله عبدالله بن الصديق في إقامة البرهان ٢٥، وذكره عن ثمانية وعشرين صحابياً في إحدى وستين رواية مرفوعة.

فَيَقْتُلُهُ[١]، ويَتزوجُ بابنةِ الخَليفةِ مِنْ وَلدِ العباسِّ، ويُصلِّي خَلفَ القَائِمِ مِنْ آل مُحمدٍ[٢]، . . . .

ومن ذلك ما في الصحيحن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**» ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]،

رواه البخاري متصلاً في الأنبياء ـ باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٢٦٤)، وهذا لفظه، ومسلم في الإيمان ـ باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبنيا محمد صلى الله عليهما وسلم (١٥٥).

(١) وهذا من فروع التواتر السابق وفيه ما رواه مسلم في صحيحه ـ في كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم للدجال وفيه: «. . **فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله . .**» الحديث.

وفي قتله أحاديث كثيرة منها عن عبدالله بن عمر وأم شريك وأبي هريرة وأبي نضرة وجابر في مجمع بن جارية الأنصاري، وانظرها في جامع الأخبار ١١٧ وما بعدها وفي إقامة البرهان، والتصريح.

(٢) أما زواجه عليه الصلاة والسلام، فلم أقف فيه على شيء والله أعلم.

وصلاته خلف الإمام من هذه الأمة ثابتة في أحاديث، منها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم**

ويَعملُ بِشَرائِعِ نَبيِّنَا مُحمدٍ ﷺ [١] ثم يَموتُ، وتَدفنه المُسلمين في حُجرةِ عَائِشَةَ رِضْوان الله عليها [٢].

فيكم، وإمامكم منكم».

أخرجه البخاري متصلاً في كتاب الأنبياء ـ باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٢٦٥)، ومسلم في الإيمان ـ باب نزول عيسى (١٥٥).

ولمسلم أيضا (١٥٦) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يرفعه: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول: أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقولا: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**».

وفيه روايات أخر عن ابن عباس وأبي سعيد وأبي أمامة وحذيفة رضي الله عنهم ذكرها أبو عمرو الداني في السنة الواردة في الفتن ١٢٣١-١٢٤٥، والمتقي الهندي في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ـ في الباب التاسع ٨٥-٨٩.

(١) لأنه يكون تابعاً لرسالة النبي ﷺ وشريعته، لأنه مرسل مبعوث بعده لأنه ﷺ ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ولا نبي بعده لما في الصحيحين، «**ولو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعه**».

ولأن ابن مريم عليه الصلاة والسلام يتبع إمام زمانه، ويصلي خلفهم، ولو كان نبياً مبعوثاً مرسلاً لكان هو الإمام في الإمامتين العظمى وما دونها.

ويجاهد الناس على الإسلام دين النبي ﷺ ولا يقبل إلا الإسلام أو القتل وهذا بالإجماع عند المسلمين، نقله العلماء مع تواتر نزوله والإجماع عليه.

وانظر في هذا مبحث نزول عيسى عليه السلام ليوسف الوابل ٣٣٧-٣٦٤.

(٢) لما رواه الترمذي في أول كتاب المناقب (٣٦١٧) بسنده حسنه عن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده قال: «مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم

٤- والإِيْمَانُ بِخُرُوجِ يَأجوجَ ومأَجوجَ قبل وَفَاةِ عِيْسَى عليه السَّلام[١]،

يأجوج ومأجوج

يدفن معه» صلى الله عليهما وسلم، فقال أبو مودودٍ المدني ـ راويه ـ: «وقد بقى في البيت موضعُ قبرٍ» اهـ، يعني ببيت عائشة.

وذكره في المجمع ٨/ ٢٠٦ عن الطبراني وقال: «رواه الطبراني وفيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان، وضعفه أبو داود..» اهـ.

والذي ضعفه أبو داود هو الخزامي حجازي، كما في رواية الآجري عنه في سؤالاته والذي وثقه ابن حبان غير منسوب، ولذا فرق بينهما البخاري وأبو حاتم.

وانظر تهذيب الكمال، وتهذيبه ٣/ ٦٤ (رسالة) وتقريبه، وقد نبه إليه الغماري في إقامة البرهان ١١١، ولا يُسلم له كل ما قاله!

(١) وهم من أشراط وعلامات الساعة الكبرى كما يأتي في حديث حذيفة بن أسيد.

والدليل أنهم يخرجون قبل وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، حديث النواس ابن سمعان رضي الله عنه الطويل، وللمناسبة أسوقه بتمامه.

قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله! ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: **«غير الدجال أخوَفُني عليكم إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني اشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا»**. قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: **«أربعون يوماً، يوم كسنةٍ، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»**. قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **«لا، اقدروا له قدره»** قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: **«كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت،**

. . . .

فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على اجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: انبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة. ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى

لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾(١). [الأنبياء: ٩٦]

معرفة العبد مآله عند احتضاره

والبِشَاراتُ عِنْدَ المَوتِ ثَلاثٌ، يُقَالُ: أَبْشِرْ يا حبيبَ الله بِرِضْوانِ الله والجَنَّةِ، ويُقَالُ ذلك للمؤْمِنين، ويُقَالُ للمُسْلمين المُذنبين: أَبشِرْ يا عبدَ الله بعد انْتِقَامٍ، ويُقَالُ لِلكَافِرِ والفَاجِرِ، أبشِرْ يا عدوَّ الله بِسَخطِ الله والنَّارِ، وهو قَوْلُه تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ(٢).

[الواقعة: ٩٠]

شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة».

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الفتن ـ باب الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١) عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نتذاكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وهذه الآيات عشر اصُطلِح على نعتها بالأشراط الكبرى للساعة.

(٢) وتمامها ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩١-٩٦]، يدل لهذه البشرى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل وفيه للمؤمن بعد اجتماع أعوان ملك الموت عنده: «.. نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي

المُقَرَّبِينَ يعْني به: المُؤمنين وأَصحابُ اليَمين[١] هُم: أَهلُ السُّنَّةِ

إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء. .» وللكافر حال ضد ذلك.

وعزاه في الدر النثور ٦/ ٢٣٩ لابن مندة عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يبشر به المؤمن عند الوفاة بروح ورحيان وجنة نعيم. .» الحديث.

وكذا أخرج نحوه ابن جرير ٢٧/ ٢٧٦ عن قتادة وأبي العالية والربيع بن خيثم.

ولم أر دليلاً على ما ذكره المؤلف من أن البشارات عند الموت ثلاث بشارات، فإن مثل هذا يفتقر إلى دليل صحيح يدلُّ عليه، وإلا لكان تحكماً. إذ الأدلة من السنة دلت على أن الناس عند الوفاة وقبض الروح علىٰ حالين: حال الإيمان والإسلام، وحال الكفر والنفاق والفجور، كما سيدلل المؤلف عليه.

(١) هذا أيضاً لم أجد للمؤلف ـ عفا الله عنه ـ فيه دليلاً، وإنما المقربون هم الذين وصفهم الله في أول السورة في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠-١٤]، وهم أكمل المؤمنين إيماناً الذين قربهم الله من جواره في الجنة، قاله ابن جرير ٢٧/ ٢٧٥، لا جميع المؤمنين!

وأصحاب اليمين الذين يأخذون كتابهم باليمين، وقال ابن جرير: «الذين يؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيمانهم» اهـ، فهم الذين وصفهم الله في وسطها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، وثلة أي: كثير.

حيث روى ابن جرير ٢٧/ ٢٤٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه في الآية قال: «هما جميعاً من أمتي».

ورواه الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن عدي وابن مردويه، وصححه ابن جرير ونقل أيضاً في الدر ٦/ ٢٢٦: أخرج مسدد في مسنده وابن المنذر والطبراني

والجَماعَةِ، وهم[١] المُذنِبُون مِنْهم الخَاطِئُون، وعَدهُم الله الجَنَّة بعد الانْتِقَام فيَعفُوا عنهم، والمُكَذِّبين الضَّالِين هُم أَهلُ الشِّرْكِ، والضَّالةِ والبِدعَةِ[٢] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾. [الواقعة: ٩٣]

وابن مردويه بسند حسن عن أبي بكر رضي الله عنه يرفعه في الآية: «هما جميعاً من هذه الأمة».

وأخرج ابن جرير من ثلاثة طرق حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب عن عمران عن ابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعاً وفي آخره قال: «إني لأرجو أن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إني لأرجوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال، إني لأرجوا أن تكونوا الشطر فكبرنا ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾».

وحديث السبعين مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وعند مسلم (٢١٨ و ٣٧٢) من حديثي أبي هريرة، وعمران رضي الله عنهم.

وأخر الحديث دون تلاوة الآية: «.. وإني لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة..» الحديث متفق على صحته من حديث روايه ابن مسعود رضي الله عنه.

أخرجه البخاري متصلاً في مواضع منها في الرقاق ـ باب كيف الحشر (٦١٦٣)، ومسلم كذلك في الإيمان ـ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (٢٢١).

(١) كذا في المخطوطة، ولعلها: (ومنهم) في الثنتين ليزول تعقب المؤلف، والله سبحانه توعد عصاة الموحدين بالعذاب على معاصيهم التي ارتكبوها إن ماتوا موحدين، وغير تائبين، توعدهم وعيداً مجملاً ليس مُعيَّناً، وكما أن وعده سبحانه حق، فكذلك وعيده، ولذا لابد أن يتحقق وعيده المجمل فيمن شاء من هؤلاء المُتوعَدين، مع سبق رحمته وعفوه على كثير ممن شاء منهم، علماً بأن عدم وقوع الوعيد على بعض الأعيان من كمال عفوه سبحانه، فله الحمد في الأولى والآخرة. ومن هؤلاء أهل البدع المُفسِّقة!

(٢) يصح إدخال أهل البدعة هاهنا إن كان المراد بها البدع الكفرية المُخرجة عن حوزة القبلة والملة!

ولا يَخرجُ مِنْ جَسَدهَا الرُّوحُ، إلاَّ ويُرَى مَوضِعَه مِنَ الجنَّةِ والنَّارِ، ويَقفُ على عَمَلِهِ مِنْ خَيرٍ وشَرٍ، كذا عن رَسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «حَرامٌ على نَفْسٍ أَنْ تَخرجَ رُوحُه مِنْ جَسدِها، حتى يُرىٰ عَملَها مِنْ خَيرٍ وَشرٍ، وحتى يُرى مُوضِعُها مِنْ الجنَّةِ والنَّارِ»[1].

من أحكام الجنائز

وغسْلُ الميِّتِ[2] وَاجِبٌ، وكَذلك الصَّلاةُ عليه[3]، والتَّكبيرُ على

ومفهوم كلام المؤلف يحمل عليه، وليته حرر فيها عبارته ليزول ما قد يرد من إشكال، اللهم اغفر له.

(١) رواه بلفظ مقارب ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بسنده عن علي رضي الله عنه مرفوعاً، ذكره الزين العراقي عنه في تخريجه للإحياء (٣٩٤٧) من الاستخراج.

ويؤيده حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في قبض روح المؤمن والفاجر ومضى.

بل يشهد له ما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً وفيه: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. . ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضرهالموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»**.

رواه البخاري متصلاً في الرقاق ـ باب من أحب لقاء الله (٦١٤٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة ـ باب (٢٦٨٣). وانظر الفتح عليه ١١/ ٣٦٦-٣٦٨.

(٢) فائدة المَيْتُ بالتخفيف: الذي مات.

والمَيِّتُ مشدداً: الذي لم يمت بعد. كذا في القاموس وشرحه.

(٣) يعني أنه واجب على الكفاية مع تكفينه ودفنه.

وهو مجمع عليه إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي، نقله الوزير ابن هبيرة في الإفصاح ١/ ١٨٢.

الجِنَازةِ أَربعٌ والزِّيادَةُ عليها بِدْعَةٌ[١]، كَذا الرِّوَايةُ عن عَليٍّ بنِ أَبي طَالبٍ كَرَّمَ الله وجْهَهَ أَنَّه قَال صلَّى رَسُول الله ﷺ على مَوتىٰ فَكبَّر

وابن المنذر في الإجماع ٤٦، وكذا هو في الإقناع ١٨ ب، والأوسط ١/ ٣٠٦ ب كما نقله محققه، ونقله ابن قاسم في حاشيته على الروض ٣/ ٢٧-٢٨، ونقل عن ابن العربي أنه تواتر به القول والعمل، وفي الواقع لم أقف على خلاف في المسألة.

ويستدل له بمستند الإجماع وهو حديث ابن عباس المتفق عليه في الذي وقصته ناقته حيث قال فيه النبي ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه . .**».

وانظر المقنع والشرح الكبير والإنصاف ٦/ ٢٥-٢٩.

* وأتى المؤلف بهذا البحث في العقيدة لأمور:

١- عدم تفريق المتقدمين من الأئمة بين العلم والعمل، والعقيدة والشريعة، والحظ هذا عند أصحاب المدونات الحديثية، وكتب أصول السنة الكبار أو المختصرات.

٢- متابعة له لمن ضمَّن موضوع الصلاة على الميت وتكفينه لكونها واجبةً، في مختصرات العقيدة كالإمام أحمد والبربهاري ونونية القحطاني.

٣- رداً على من زاد على التكبيرات الأربع ابتداعاً! وسيأتي تحرير الكلام عليه في آخر المبحث إن شاء الله.

(١) غير مسلم له رحمه الله بذلك لما يأتي من ثبوت الزيادة على الأربع.

قال في المغني ٣/ ٤١٠: «وجملة ذلك أن سنة التكبير على الجنائز أربع، ولا تُسن الزيادة عليها، ولا يجوز النقص منها . .»

وللإمام أحمد روايتان:

١- أنه لا يُتابع الإمام إن زاد على أربع.

٢- أن لا يُتَابع الإمام إن زاد على خمس، وهي المذهب قاله في الإنصاف والشرح.

وانظر المقنع والشرح الكبير والإنصاف ٦/ ١٦٥.

أَربعَاً وصلّى جِبْرِيلُ ﷺ على آدمَ فكَبَّر أَرْبعاً، وصلَّى إخواني مِنْ النَّبيِّين فَكبَّروا أَربَعاً، فمَنْ زَادَعليها فليسَ عَلى مِلَّةِ الإِسْلامِ[1].

---

(١) لم أجده هكذا، والذي يبدو أنه مركب من عدة ألفاظ.

* فتكبيره على الموتى أربعاً صح في غير ما حديث، وهو الأكثر والأشهر من صلاته ﷺ، ويأتي ذكرها.

* وقوله «**صلى جبريل على آدم فكبر أربعاً**» فقد روى نحوه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٩٦ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ بجنازة فصلى عليها وكبر أربعاً وقال: «**كبرت الملائكة على آدم أربع تكبيرات**»، وكبر أبو بكر على فاطمة أربعاً، وكبر عمر على آدم أربعاً، وكبر صهيب على عمر أربعاً.

وكذا رواه ابن عدي في الكامل ٦/ ١٢٩ كلاهما من طريق محمد بن زياد عن ميمون ابن مهران عنه به.

ومحمد بن زياد وهو اليشكري الكوفي وقيل الجندي الميموني الرقِّي، اتهمه ابن حبان بالوضع، وقال أحمد: كذاب خبيث أعور يضع الحديث، وكذبه أيضاً ابن معين والنسائي والجوزجاني، وأبو زرعة والدارقطني وذكره ابن البرقي في طبقة الكذابين.

وتركه النسائي في رواية والبخاري والترمذي وابن المديني وجماعة.

وانظر الكمال للمزي، وتهذيبه ٣/ ٥٦٥-٥٦٦ (الرسالة) والمجروحين ٢/ ٢٥١ والميزان ٣/ ٥٥٢ ولسانه، والكامل لابن عدي ٦/ ١٢٩-١٣١.

ونقل ابن القيم في الهدى ٢/ ٥٠٨ عن الخلال في العلل عن حرب أن الإمام أحمد سئل عن حديث أبي مليح عن ميمون عن ابن عباس، فذكره فقال أحمد: هذا كذب ليس له أصل.

والحديث مذكور في الجامع الصغير ٢/ ٢٦٨ ورمز له بالضعف، وكذا في ضعيف

. . . .

الجامع (٤١٦٤)، وأحال إلى السلسلة الضعيفة (٢٨٧٢)، وتذكرة الموضوعات لابن القيسراني (٦٠٤)، وتخريج العراقي للإحياء ٢/ ٣٦٤، وكشف الخفاء ٢/ ١٥٧، والدر المنثور ١/ ٩٢، والبداية والنهاية ١/ ٩٨.

ورواه البيهقي في الكبرى ٤/ ٣٦ عن أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً، قال: وقيل موقوفاً. وفيه عنعنة الحسن، وعثمان بن سعد مضعف.

* وبقية الخبر لم أقف عليه، بل هو منكر مخالف لما صح عن النبي ﷺ من أصحابه من الزيادة على الأربع.

* ولقد وردت في التكبير على الجنائز أحوالٌ هي:

١ - التكبير أربعاً:

(أ) كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ **نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصفَّ بهم وكبر عليه أربعاً.**

أخرجه البخاري موصولاً في مواضع منها في الجنائز ـ باب التكبير على الجنائز أربعاً (١٣٣٣)، وهذا لفظه.

وأخرجه مسلم في الجنائز ـ باب التكبير على الجنازة (٩٥١)، ولهما مثله عن جابر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(ب) ولما روى مسلم في الصحيح (٩٥٤) من حديث الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ **انتهى إلى قبر رطب، فصلّى عليه وصفوا خلفه وكبر أربعاً.**

وهذا خبر المرأة السوداء التي كانت تقمُّ المسجد فمات بليل فلم يؤذنوه بها، كما في رواية النسائي للخبر مطولاً ٤/ ٧٢ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

والحديث في مسلم (٩٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه من دون ذكر التكبير! حتى قال أبو داود في سننه: «ليس في الباب أصح منه»!

. . . .

وفي الباب أحاديث أخر تدل على أن هذا هو المشتهر من صلاته ﷺ على الجنائز، وانظر المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٤٩٣ وما بعده ـ باب ما قالوا في التكبير على الجنازة أربعاً.

٢- أن التكبيرات عليها خمسٌ:

(أ) لما رواه مسلم في صحيحه (٩٥٧) من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: كان زيد بن أرقم رضي الله عنه يكبر على جنائزنا أربعاً، وإنه كبر على جنازة خمساً، فسألته فقال: **كان رسول الله ﷺ يكبرها**. . رواه أيضاً أصحاب السنن الأربعة.

(ب) ورواه حذيفة عن النبي ﷺ أنه كبر خمساً.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٩٦، وذكر معه موقوفات عن معاذ وعلي رضي الله عنهما، وعزاه في الشرح الكبير ٦/ ١٦٦ إلى سعيد بن منصور ـ وليس هو في المطبوع ولا المخطوط.

(ج) حديث عمر بن الخطاب وسيأتي.

٣- أن التكبيرات عليها ستٌّ:

(أ) لحديث علي رضي الله عنه أنه كبر على سهل بن حنيف ستاً وقال: إنه بدري.

رواه سعيد بن منصور كما في البلوغ وأصله في البخاري من دون ذكر التكبيرات في كتاب المغازي.

(ب) باب شهود الملائكة بدراً (٤٠٠٤):

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٩٧ بمثله من طرق عنه، ومن طريق أخرى ٢/ ٤٩٦ عن عبد خير قال: كان عليٌّ يكبر على أهل بدر ستاً وعلى أصحاب رسول الله ﷺ خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً.

. . . .

رواه الدارقطني ٢/ ٧٣، وكذا رواها البيهقي في الكبرى ٤/ ٣٦-٣٧، ورواه ابن المنذر كما في الفتح ٣/ ٢٤٠، وانظر الفتح ٧/ ٢٤٥ في طرقه.

(ج) لحديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويأتي.

٤- أن التكبيرات سبعٌ أو تسعٌ:

(أ) لما نقله في الشرح ٦/ ١٦٧ أن النبي ﷺ كبر على حمزة سبعاً.. رواه ابن شاهين وليس في المطبوع من كتابه.

(ب) لحديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويأتي.

(ج) ما رواه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٩٧ ثنا ابن فضيل عن يزيد عن عبدالله بن الحارث قال: صلى رسول الله ﷺ على حمزة تسعاً، ثم جيء بأخرى فكبر عليها سبعاً، ثم جيء بالأخرى فكبر عليها خمساً، حتى فرغ عنهن، غير أنهن كن وتراً.

٥- أن التكبيرات ثلاثٌ:

ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٤٩٦ بسنده عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم، أنهما صليا على جنازة فكبرا ثلاثاً.

ورواه ابن المنذر بسند صحيح عن ابن عباس، كما في الفتح ٣/ ٢٤٠، وكلها رواها الطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٤٩٣-٤٩٧.

* ولكن استقر الأمر بعد ذلك على أنها أربع تكبيرات لما يلي:

١- ما رواه البيهقي في الكبرى ٤/ ٣٧ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن آخر جنازة صلى عليها ﷺ كبر عليها أربعاً.

قال: تفرد به النضر بن عبدالرحمن وهو ضعيف، وقد روى هذا اللفظ من وجوه أخر كلها ضعيفة، إلا أن اجتماع أكثر الصحابة رضي الله عنهم على الأربع

. . . .

كالدليل عليه.

٢- ما رواه الطحاوي في المعاني ١/ ٤٩٥-٤٩٦، والبيهقي في الكبرى ٤/ ٣٧ من عدة أوجه منها حديث أبي وائل قال: كانوا يكبرون على عهد النبي ﷺ سبعاً وخمساً وستاً وأربعاً، فجمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبر كل رجل بما رأى، فجمعهم عمر على أربع تكبيرات كأصول الصلاة.

قال الحافظ عليه في الفتح ٣/ ٢٤١: «إسناده حسن، وساقه ابن المنذر بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب قال: «كان التكبير أربعاً وخمساً، فجمع عمر الناس على أربع» اهـ.

ورواه الخلال أيضاً عن عمر كما في الشرح الكبير ٦/ ١٦٦.

٣- ولذلك نقل النووي في شرح مسلم ٧/ ٢٣، عن ابن عبدالبر: «وانعقد الإجماع على أن التكبير عليها أربعاً، وأجمع الفقهاء وأهل الفتوى بالأمصار على أربع على ما جاء في الأحاديث الصحاح، وما سوى ذلك عندهم شذوذ لا يلتفت إليه، ولا نعلم أحداً من فقهاء الأمصار يُخمِّس إلا ابن أبي ليلى» اهـ.

ونقله أيضاً في مواضع أخر ٧/ ٢٦، وفي المجموع شرح المهذب قال: «كان بين الصحابة خلاف، ثم انقرض، وأجمعوا على أنه أربع، لكن لوكبر الإمام خمساً لم تبطل صلاته إن كان ناسياً، وكذا إن كان عامداً على الصحيح، لكن لا يتابعه المأموم على الصحة، والله أعلم» اهـ.

ونقل الإجماع الدارقطني في سننه ٢/ ٧٢ وما بعدها.

ولعل هذا ما دعى المؤلف إلى تبديع الزيادة على الأربع تكبيرات، لاسيما وقد نص الفقهاء على أنه لا يتابع المأموم الإمام على التكبيرات الزائدة على الأربع، كما ذكره في الشرح الكبير والإنصاف ٦/ ١٦٨-١٧٠، وذكروا أنه المنصوص عن الإمام أحمد.

والإِيْمَانُ بأَنَّ حِسَابَ الكفارِ والمُنَافقين إلى مِيكَائِيْل عليه السَّلام ويكونُ تُرجمانٌ[(١)] بَيْن الله وبَيْنهم، محَجُوبون لا يَسمعُون كَلامَ الله لِقَولِهِ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(٢)]. [المطففين: ١٥]

---

* ولكن دعوى الإجماع معارض بمايلي:

١- أن ما كان في عهد عمر من جمعه الناس على أربع ليس إجماعاً لأمرين:

(أ) أنه ورد في رواية الطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٤٩٦ أنهم اجتمعوا في بيت أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وأنه أرسل إلى رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم.

(ب) أنها منقوضةٌ بما وقع بعد ذلك من صلاة علي وزيد بن أرقم وابن عباس وتكبير الحسن بن علي على أبيه خمساً، ومحمد بن الحنفية على ابن عباس كذلك.

٢- أنه يسوغ تسميته إجماعاً لا على الإجماع المعتبر شرعاً، وإنما لكونه قول الجماهير الغفيرة من العلماء، ولذا نقل في سبل السلام ٢/ ٢٠٩ أن القول بأنها أربع فقط قول جمهور السلف والخلف ومنهم الأئمة الأربعة، ولم يعده إجماعاً بالمعنى المُعتبر.

واختم بما قاله ابن القيم في الهدي ٢/ ٥٠٨: «وذكر سعيد بن منصور عن الحكم ابن عتيبة أنه قال: كانوا يكبرون على أهل بدر خمساً، وستاً وسبعاً، وهذه آثار صحيحة، فلا موجب للمنع منها، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع مما زاد على الأربع، بل فعله هو وأصحابه من بعده» اهـ.

(١) ظاهر السياق أن «يكون» هنا تامة وفاعلها ما بعدها، بمعنى يُوجد ترجمان لا أن ميكائيل هو الترجمان، وإلا لكانت «يكون» ناقصة، والله أعلم!

(٢) استدل المؤلف بآية المطففين الحاجبة للفجار عن رؤية الله، بحجبهم عن كلامه، ولعله يعني كلامه الذي هو من كرامته، ليوافق معنى الحجب كما عند جماعةً من المفسرين، بأنهم محجوبون عن كرامته.

رواه ابن جرير عن ابن أبي مليكة وقتادة وقال فيها: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

«ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم»(١)، يِعْنِي نظَر الرَّحمة.

لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وهو ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]».

ولذا صوب ابن جرير معنى الآية ٣٠/ ١٢٦: : «فالصواب أنه يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته؛ إذا كان الخبر عاماً، لا دلالة على خصوصه» اهـ.

(١) تضمين من قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقد دل القرآن على أن الله يكلم أهل النار لا كلام كرامة بل سخرية وعذاباً كما قال سبحانه في آخر سورة المؤمنين: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ * قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١١١].

وما ذكره المؤلف من تولي ميكائيل لمحاسبة الكفار مفتقر إلى دليل، ولم أجده له، وما ذكره لا يسعفه في مقصوده، كيف ويشكل عليه عموم حديث عدي بن حاتم ـ المخرج في الصحيحين قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة والآخر يشكو قطع السبيل، فقال ﷺ: «**أما قطع السبيل: فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير إلى مكة بغير خضير، وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان، يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فيلقولن بلى، ثم ليقولون: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولون: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو**

والإيمانُ بِحَوضِ النَّبيِّ ﷺ (١)، . . . .

لم يجد فبكلمة طيبة».

أخرجه البخاري موصلاً في مواضع أولها في كتاب الزكاة ـ باب الصدقة قبل الرد (١٣٤٧) وهذا لفظه، ومسلم في الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (١٠١٦).

ولكن أشار ابن أبي جمرة إلى أنه ظاهر الخطاب فيه للصحابة، ويلتحق بهم المؤمنون كلهم سابقهم ومُقصِّرُهم، كما في الفتح ١١/ ٤١٢.

وعموم أدلة مناداة الله للكفار كما في سورة القصص: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٢-٦٥].

وقوله تعالى عن صاحب الشمال في الحاقة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٦]. والله أعلم.

(١) مضى الكلام على حوض النبي ﷺ في باب القيامة (٣٣٤ج) وذكر الأدلة على ذلك بالتواتر.

والإيمان به أن الله امتن به عليه، وأنه حوض عظيم، نؤمن به حقيقة يكون يوم القيامة، له صفات وصفها الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ومن ذلك:

١- ما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه يرفعه: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**».

هذا لفظ البخاري رواه في الرقاق متصلاً ـ باب في الحوض (٦٢٠٩)، ومسلم

ولكُلِّ نبيٍّ حَوْضٌ(١)، . . . .

في الفضائل ـ باب إثبات الحوض (٢٣٠٣).

٢- وفيهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الوَرِقِ، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً**».

رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٢٩٢) وهذا لفظه.

ورواه مسلم بنحوه (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه (٢٣٠١) عن ثوبان رضي الله عنهما.

٣- أنه يذاد عنه أناس قد بدلوا وأحدثوا، كما صح من حديث أنس وسهل بن سعد وأبي هريرة وأبي سعيد بن مسعود وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم.

وأحاديثهم كلها في الصحيحين في الموضع السابق!

(١) أخرجه الترمذي في الجامع في كتاب صفة القيامة ـ باب ما جاء في صفة الحوض (٢٤٤٣) من طريقين أحدهما مرفوع والثاني مرسل:

١- من طريق سعد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني لأرجوا أن أكون أكثرهم واردة**» قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي بعض النسخ: حسن غريب كما في التحقق ٧/ ١٣٤، وفيه عنعنة قتادة والحسن، وضعف سعيد بن بشير الأزدي كما في التقريب.

٢- من طريق الأشعب بن عبدالملك عن الحسن يرفعه مرسلاً:

قال الترمذي وهو أصح.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤) من طريق سعيد بن بشير به مرفوعاً.

وأخرجه نعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٠٤)، ثنا ابن المبارك، أنا

. . . .

هشام بن حسان عن الحسن يرفعه بمثله مطولاً.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٤٤ من طريق سعيد به مرفوعاً.

وأخرجه الطبراني في الكبير ٧/ ٢٥٩ من طريق محمد بن إبراهيم ثنا جعفر بن سعد بن سمرة عن خبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه عن جده سمرة رضي الله عنه يرفعه: «**إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحاباً من أمته، فأرجوا أن أكون يومئذ أكثر كلهم واردةً، فإنه كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن معه عصا يدعو من عرف من أمته، ولكل أمة سماً يعرفهم بها نبيهم**».

قال في المجمع ١٠/ ٣٦٣: «وفيه مروان بن جعفر السمري وثقه ابن أبي حاتم، وقال الأزدي يتكلمون فيه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

وفيه أيضاً جعفر بن سعد قال الحافظ في التقريب: ليس بالقوي، وخبيب: مجهول، وسليمان بن سمرة: مقبول، ولم يوثقه إلا ابن حبان في ثقاته ٣/ ٩٤.

ومرسل الحسن أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن بمثل ما أخرجه الطبراني.

وأيضاً عن أبي سعيد الخدري يرفعه بنحوه وفي إسناده لين.

قاله في الفتح ١١/ ٤٧٥، وكذا الزبيدي في تخريج الإحياء (٤١٦٨).

ونقل ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم ١/ ٣٩٣ عن ابن أبي الدنيا بسنده عن محصن بن عقبة اليماني عن الزبير بن شبيب، عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس رضي الله عنهما: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، إن فيه لماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله بسبعين ألف ملك في أيديهم عصى من نار، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء**».

وحَوضُ صَالِحٍ ضِرعُ النَّاقةِ[1] ﷺ.

وجوب التزام السنة علماً وعملاً

ولا يَسْتَحِقُّ أَحدٌ اسمَ السُّنَّةِ إلاّ مَنْ يَسْتَكْمِلُ فيها خِصالَ السُّنَّةِ كُلِّها[2]، لأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ خَصلةً مِنْ خِصَالِ السُّنَّةِ، لا يُقَالُ له: صَاحِبُ السُّنةِ.

كما نقل أيضاً فيه ١/ ٤٠٤ من طريق ابن أبي الدنيا بسنده عن عيسى بن يونس عن زكريا عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه يرفعه: «**إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، أشد بياضاً من اللبن، آنيته عدد النجوم، وكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه النفر، ومنهم من يأتيه الرجلان، ومنهم من يأتيه الرجل، ومنهم من لا يأتيه أحد، فيقال: قد بلغت، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة**». .

أخرجه كذلك أبو نعيم في أخبار أصبهان ١/ ١١٠.

وأيضاً في ١/ ٤١٢ نقل عن ابن أبي الدنيا مرسل الحسن البصري: «وحسنه وصححه يحيى، سعيد القطان وغيره وقد أفتى شيخنا المزي بصحته من هذه الطرق» اهـ.

ومن تعدد هذه الطرق والشواهد لعله كما قال الحافظ المزي، وحسبك به!

وانظر إتحاف السادة ١٠/ ٥٠٨، والسلسلة الصحيحة (١٥٨٩)، وجمع الجوامع للسيوطي (٥٤٠٠)، والدر المنثور (٦/ ٨٢)، والفتاوى الحديثية للهيثمي ٢٤.

(١) ولم أجد لما ذكره المؤلف عن حوض صالح عليه السلام دليلاً يعُول عليه إلا ما في التذكرة للقرطبي ٣٦٨ وعزاه إلى البكري المعروف بابن الواسطي، قال في اللوامع ٢/ ٢٠٣: «وورد في بعض الأخبار أن لكل نبي حوضاً إلا صالحاً عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته، والله أعلم» اهـ، وكذا في اللوائح ٢/ ١٧٨.

(٢) إن كان يقصد المؤلف تحقيق اسم السنة المحضة الخالصة، فإن محققها بعد الصحابة رضي الله عنهم قليل.

والسُّننُ مَقْرونةٌ بعْضُها ببَعْضٍ لا يُقبلُ واحدةٌ دُونَ الأخرى، لِقْولهِ تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [البقر: ٨٥]

ورُوى عن جَعْفرِ الصَّادقِ عليه السَّلام أَنَّه قال: «تَعليمُ السُّنَّةِ، أَفضلُ مِنْ عِبَادةِ سَبعين سَنةً: صِيامُ نَهارِها، وقِيامُ لَيلِها»(١).

وقال الحَسنُ البَصريُّ رحمةُ الله عليه: «لا يُوفِّقُ الله تعالى ذِكْرُهُ تَعليمَ أُصولِ السُّنَّةِ إلاَّ مَنْ يكونُ صِدِّيقاً أَو مَنْ يُردْ الله به خَيراً، فيَغفر له ويُدخله الجَنَّة»(٢).

وإن أراد بالسنة أصولها التي هي العقيدة وأصول الشريعة فنعم، لأن هذا هو مفهوم السنة في باب الاعتقاد، الذي تمحض بعد المائة الثالثة فما بعدها.. والله أعلم.

(١) لم أقف عليه، وإنما روى أبو إسماعيل الهروي الأنصاري في ذم الكلام ١/ ق ٧٩ بسنده عن هودة أخبرنا عوف، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «قليل عمر في سنة خير من كثير في بدعة».

كذا عنه مرسلاً. وعند العلماء أفضل النوافل بعد الفرائض تعلم العلم وتعليمه.

(٢) لم أجده، وأصحُّ منه حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما مرفوعاً: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

رواه البخاري في كتاب العلم ـ باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١).

وذكره في الفتح ١/ ١٩٨ أن أبا يعلى أخرج من وجه ضعيف عن معاوية وزاد في آخره: «ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به» والمعنى صحيح.. اهـ.

وَرُوِيَ عن الزُّهريِّ أَنَّه قال: «تَعْلِيمُ السُّنَّةِ أَفضلُ مِنْ عِبَادةِ مائِتَي سَنةٍ»(١).

وَرُوِيَ عن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّه قال: كان يَنزلُ جِبْريلُ ﷺ بالسُّنَنِ كما يَنْزِلُ بالفَرائِضِ»(٢)، لِقَوْلِ الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]

(١) رواه أبو إسماعيل الهروي الأنصاري في ذم الكلام ٢/ ق ٣٣٩-٣٤٠ من طريق عبدالجبار بن مظاهر الجُشمي ثني معمر سمعت الزهري به.

(٢) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما عن غيره:

١- حيث روى ابن نصر في السنة ٣٤ (١١٢) ثنا ابن القهراذ ثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبدالله قال: كان جبريل إذا نزل بالقرآن على النبي ﷺ يأخذه كالغشوة فيلقيه على قلبه فيسري عنه، وقد حفظه، فيقرؤه.

وأما السنن فكان يعلمه جبريل ويشافهه به.

٢- ورواه الدارمي في سننه ١/ ١٥٣ في باب السنة قاضية على الكتاب (٥٨٨) ثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي عن حسان بن عطية أنه قال: «كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن».

وهذا سند صحيح، وحسان بن عطية هو أبو بكر المُحاربيُّ مولاهم الدمشقي ثقة فقيه عابد تابعي مات بعد سنة ١٢٠هـ، وروى له الجماعة.

وأخرجه أيضاً محمد بن نصر في السنة ٣٢ (١٠٢) من طريق عيسى بن يونس عن الأوزاعي به بسند جيد، وكذا أخرجه في ١١١ (٤٠٢) وزاد: «**ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن**».

وأخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٨٣ (٩٩)، وابن بطة في الكبرى (الإيمان) ١/ ٢٥٥ (٩٠) و (٢١٩-٢٢٠) من طرق عن روح عن الأوزاعي به.

. . . .

وأخرجه ابن عبدالبر في الجامع ٢/ ٢٣٤، وأبو إسماعيل الهروي الأنصاري في ذم الكلام ١/ ق ٩٨ في باب إقامة الدليل على بطلان قول من زعم أن القرآن يستغنى به عن السنة، وعزاه في الفتح ١٣/ ٢٩١ إلى البيهقي بسند صحيح عنده.

كلهم من طرق عن الأوزاعي به.

* وله شواهد صحيحه تؤيد معناه، فمنها:

١- ما في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة**».

رواه البخاري وهذا لفظه متصلاً في مواضع منها في الرقاق ـ باب رفع الأمانة (٦١٣٢)، ومسلم في الإيمان ـ باب الأمانة من الإيمان (١٤٣).

٢- ولما روى أبو داود (٤٦٠٥) بسنده عن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكتيه يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري؟ ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**».

رواه كذلك الترمذي (٣٦٦٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة (١٢)، والحميدي في مسنده ١/ ٢٥٢.

والإمام أحمد في مسنده ٦/ ٨ و ٤/ ١٣٠ و ١٣٢، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ١٠٨.

ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أبو هريرة وجابر والمقداد بن معد يكرب الكندي، وأبو سعيد رضي الله عنهم جميعاً، أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام ١/ ٨٩ ق وما بعدها، وابن عبدالبر في الجامع ٢/ ٢٣١، والدارمي في سننه ١/ ١٥٣، وابن بطة في الكبرى (الإيمان) ١/ ٢٢٨-٢٣٢، والآجري في الشريعة ٥٠-٥٢.

والقرآن قد دل عليه في غير ما آية:

وقَوْلِهِ تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾. [هود: ١١٢]

يعني: حِفْظَ الأَمرِ وتَركَ النَّهي (١).

وقَوْله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ ﴾. [ص: ٢٦]

يعني: لا تَأْمُر ولا تَنهى كما حَسِبْتَ الرَّأيَ والقِيَاس (٢)، فكانَ الخِطَابُ للنَّبيِّ ﷺ والمَرادُ به لأُمَّتِه.

كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله فيها: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

(١) بنحوه ما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في الآية قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يستقيم على أمره، ولا يطغى في نعمته.

وأخرجه أبو الشيخ عن سفيان فيها، قال: «استقم على القرآن».

وذكرها في الدر المنثور ٣/٦٣٦، وفي صحيح مسلم في كتاب الإيمان (٦٢) عن سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

(٢) القياس المُتمحِّض عن الهوي ودواعي النفس، خلا القياس الصحيح، فهو مصدر من مصادر الحكم عند عدم الدليل المتعين، والإجماع المعتبر.

والخطاب في تلك الآية لداودَ عليه وعلى نبينا الصلاة السلام، كما في سورة ص، قال سبحانه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ

قَوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] يعني: على حِفْظِ الفَرائِضِ والسُّنَنِ واسْتِعْمَالِها(١).

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وانظر الدر المنثور ٥/ ٥٧٣-٥٧٦، وتفسير ابن جرير ٢٣، ١٨٠-١٨١ وقال: «ولا تؤثر هواك في فضائل بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق» اهـ، وهو خطاب لهذه الأمة أيضاً ملزمون به.

ولأن الرأي والهوى ينتجان البدع والضلالة، وما تظهر بدعة إلا تموت سنة حتى تستحكم البدع وتجحد السنن، فقد روى ابن بطة في الإيمان ١/ ٣٣٨ بسند رجاله ثقات عن رجل من أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إياي والبدع ومخالفة السنة، والذي نفسي بيده لا يبتدع رجل شيئاً ليس في سنتي ولا في سنة أصحابي، إلا كان ما خالف خيراً مما ابتدع، ولا تزال به بدعته حتى يجحد كلما جئت به**».

ويؤيده ما رواه ابن بطة أيضاً فيه ١/ ٣٣١ بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا، يعني مفصلة الأنملة، فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى، وإن لم يكن أهل كتاب قط، إلا كان أول ما يتركون السنة وآخر ما يتركون الصلاة، ولولا أنهم أهل كتاب لتركوا الصلاة**».

وكذا رواه عنه اللالكائي في شرح السنة (١٢٢).

(١) بنحو ما أخرجه ابن مردويه من طريق الثوري عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال فيها: على فرائض الله.

ورواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس مثله.

وروى ابن المبارك ومن طريق ابن جرير وسعيد بن منصور والإمام أحمد في الزهد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه تلا هذه الآية على المنبر ثم قال: «استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب».

قَوْلُه تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ . [الأنعام: ١٥٣]

وقوله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾(١) . [الزخرف: ٤٣]

وأسند ابن جرير وغيره أقوالاً أخر في الآية: أنهم استقاموا على التوحيد ولم يشركوا.

عن أنس مرفوعاً، وأبي بكر موقوفاً، ومجاهد والأسود بن هلال وأبي العالية وغيرهم رضي الله عنهم.

انظرها في جامع البيان ٢٤/ ١٤٣-١٤٥، والدر المنثور ٥/ ٦٨١-٦٨٢، وكتاب الإيمان من الإبانة لابن بطة ١/ ٣٣٤-٣٣٥.

ولذا روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (كتاب الإيمان) ١/ ٣٢١ (١٦٢) بسنده أن عمر بن الخطاب قال على المنبر؛ «أيها الناس إنه لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر».

(١) هاتان الآيتان معناهما واحد، ومثلهما كثير من الآيات، فإن الصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه، هو ما أوحاه لنبيه ﷺ الذي أمرنا بالتمسك به وهو مجموع الكتاب والسنة، اللذان جمع بينهما سبحانه في آيات كثيرة.

ففي سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقوله: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقوله: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وسُئِل جعفرُ الصَّادِقُ عليه السَّلام: مَتى تَجتمعُ خِصالُ السُّنَّةِ كُلِّها في العَبدِ؟ قال: «إذا صَدَّقَ وآمَنَ وأقرَّ بجَميعِ خِصالِ السُّنَةِ كُلِّها»، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾(١). [يونس: ٩]

وفي سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي سورة النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وفي سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وفي سورة الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

(١) وتمامها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].

وللسلف في معنى ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ معانٍ عديدة:

١- يهديهم إلى الجنة ثواباً بإيمانهم. روى عن قتادة والحسن.

٢- يكون لهم نوراً يمشون به. وهو قول مجاهد وابن جريج.

٣- يزيديهم هدًى بإيمانهم.

٤- يثيبهم الله بإيمانهم، ويدخلهم الله الجنة. روي عن الربيع بن أنس وهو بمعنى الأول.

فمَنْ تَمسَّكَ بالكِتَابِ واجْتِمَاعِ الصَّحابة[(١)] سَعُدَ ونَجا، ومن اتَّبَعَ الرَّأيَ والقِيَاسَ[(٢)] شَقِى وهَلَك، وبالله التَّوفِيق.

تَمَّ الكِتَابُ والحَمْدُ لله رَبِّ العَالِمِين وصلواته على سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ، وعلى آله الطَّاهِرينَ.

قُوبِلَ جَميعُ هذا الكِتَابِ على الأصلِ المَنقُولِ مِنْه وصَحَّ إنْ شَاء الله تَعالى[(٣)].

وانظرها في تفسير ابن جرير ١/ ١١٧-١١٨، وابن كثير ٤٠٨، والدر المنثور ٣/ ٥٣٨، ومعالم التنزيل ٤/ ١٢٢، وزاد المسير ٤/ ٨-٩، والوسيط ٢/ ٥٣٩، والجامع للقرطبي ٨/ ١٩٩، والبحر المحيط ٥/ ١٢٧، وتفسير السمرقندي ٢/ ٨٩، والنكت والعيون ٢/ ٤٢٣-٤٢٤، وتفسير سفيان الثوري ١٢٨، وتفسير ابن جزي ١/ ٣٧٦-٣٧٧، وفتح القدير ٢/ ٤٢٦-٤٢٩، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٧٩- ٢٨٠.

(١) وتلك هي مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة، والتي يُعوَّل عليها.

(٢) وهما الرأي والقياس المذمومان، فلا قياس معتبر في باب العقيدة إلا قياس الأولى، وهو المثل الأعلى.

أما الرأي فما كان عن محض اجتهاد وبذل وسع في طلب الحق، فهو بين أجرين، ولا يعول عليه ما لم يصب الحق في الكتاب والسنة والإجماع أو أحدهما.

ويذم منه ما خلا ذلك من نحو الرأي في مقابل تلك المصادر، أو المؤدى إلى البدعة.

(٣) وفرغ من التعليق عليه على قدر الجهد، والتوفيق من المولى في سحر يوم الأحد ٢١/ ١١/ ١٤١٧هـ.

هدانا الله إلى جنات النعيم، والحمد لله في الأولى والآخرة، الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، اللهم صلِّ على محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً.

ملحق بطرف مما وقع للإمام أحمد في المحنة المشهورة:

وهو وفاء بما وعدت به في ص (٥٩٥) حيث قال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/ ١٦٣: حدثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسنون النُّرسي قال أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني قال حدثنا علي بن صالح المصري حدثنا سليمان بن عبدالله السجزي قال: أتيت إلى باب المعتصم وإذا الناس قد ازدحموا على بابه كيوم العيد. فدخلت الدار، فرأيت بساطاً مبسوطاً وكرسياً مطروحاً، فوقفت بإزاء الكرسي، فبينما أنا قائم فإذا المعتصم قد أقبل، فجلس على الكرسي، ونزع نعله من رجله، ووضع رجلا على رجل ثم قال: يحضر أحمد بن حنبل، فأُحضر، فلما وقف بين يديه وسلم عليه، قال له: يا أحمد تكلم ولا تخف. فقال أحمد: والله يا أمير المؤمنين، لقد دخلت عليك وما في قلبي مثقال حبة من الفزع. فقال له المعتصم: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله، قديم غير مخلوق، قال الله عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فقال له: عندك حجة غير هذا؟ فقال أحمد: نعم، يا أمير المؤمنين، قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢]، ولم يقل: «الرحمن خلق القرآن»، وقوله عز وجل: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢]، ولم يقل: «يس والقرآن المخلوق». فقال المعتصم: أحبسوه، فحبس وتفرق الناس.

فلما أصبحتُ قصدت الباب، فأدخل الناس، فدخلت معهم، فأقبل المعتصم وجلس على كرسيه، فقال: هاتوا أحمد بن حنبل؛ فجيء به. فلما أن وقف بين يديه قال له المعتصم: كيف كنت يا أحمد في مَحْبَسك البارحة؟ فقال: بخير، والحمد لله، إلا أني رأيت يا أمير المؤمنين في محبسك أمراً عجباً، قال له: وما رأيت؟ قال: قمت في نصف الليل فتوضأت للصلاة، وصليت ركعتين. فقرأت في ركعة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وفي الثانية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ثم جلست وتشهدت وسلمت. ثم قمت فكبرت وقرأت ﴿ٱلْحَمْدُ

لِلَّهِ﴾ وأردت أن اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلم أقدر، ثم اجتهدت أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر. فمددت عيني في زاوية السجن، فإذا القرآن مُسَجًّى ميتاً، فغسلته وكفنته، وصليت عليه ودفنته. فقال له: ويلك يا أحمد، والقرآن يموت؟ فقال له أحمد: فأنت كذا تقول: إنه مخلوق. وكل مخلوق يموت. فقال المعتصم: قهرنا أحمد، قهرنا أحمد.

فقال ابن أبي دؤاد وبشر المريسي: اقتله، حتى نستريح منه. فقال: إني قد عاهدت الله أن لا أقتله بسيف ولا آمر بقتله بسيف، فقال له ابن أبي دؤاد: اضربه بالسياط. فقال: نعم. ثم قال: أحضروا الجلاَّدين. فأُحضروا. فقال المعتصم لواحد منهم: بكم سَوْطٍ تقتله؟ فقال: بعشرة يا أمير المؤمنين. فقال: خذه إليك. قال سليمان السجزي: فأُخرج أحمد بن حنبل من ثيابه، وائتزر بمئزر من الصوف، وشُدَّ في يديه حبلان جديدان. وأخذ السوط في يده، وقال: أضربه يا أمير المؤمنين؟ فقال المعتصم: اضرب. فضربه سوطاً. فقال أحمد: الحمد لله. وضربه ثانياً: فقال: ما شاء الله كان. فضربه ثالثاً، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما أراد أن يضربه الرابع نظرت إلى المئزر من وسطه قد انحل، ويريد أن يسقط. فرفع رأسه نحو السماء وحرك شفتيه، وإذا الأرض قد انشقت، وخرج منها يدان فوزرتاه بقدرة الله عز وجل. فلما أن نظر المعتصم إلى ذلك قال: خلوه. فتقدم إليه ابن أبي دؤاد وقال له: يا أحمد، قل في أذني: إن القرآن مخلوق، حتى أخلصك من يد الخليفة. فقال له أحمد: يا ابن أبي دؤاد قل في أذني: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى أخلصك من عذاب الله عز وجل.

فقال المعتصم: أدخلوه الحبس. قال سليمان: فحمل إلى الحبس، وانصرف الناس، وانصرفت معهم. فلما كان الغد أقبل الناس، وأقبلت معهم. فوقفت بإزاء الكرسي، فخرج المعتصم، وجلس على الكرسي، وقال: هاتوا أحمد بن حنبل. فجيء به. فلما وقف بين يديه، قال له المعتصم: كيف كنت في محبسك الليلة يا ابن حنبل؟ قال: كنت بخير والحمد لله. فقال: يا أحمد، إني رأيت البارحة

رؤيا. قال: وما رأيت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت في منامي كأن أسدين قد أقبلا إليَّ وأرادا أن يفترساني، وإذا ملكان قد أقبلا ودفعاهما عني، ودفعا إلي كتاباً. وقالا لي: هذا المكتوب رؤيا رآها أحمد بن حنبل في محبسه. فما الذي رأيت يا ابن حنبل؟ فأقبل أحمد على المعتصم، فقال له: يا أمير المؤمنين فالكتاب معك؟ قال: نعم، وقرأته لما أصبحت وفهمت ما فيه. فقال له أحمد: يا أمير المؤمنين، رأيتُ كأن القيامة قد قامت، وكأن الله قد جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد. وهو يحاسبهم، فبينما أنا قائم إذ نودي بي، فقدمت حتى وقفت بين يدي الله عز وجل، فقال لي: يا أحمد، فيم ضربت؟ فقلت: من جهة القرآن. فقال لي: وما القرآن؟ قلت: كلامك اللهم لك. فقال لي: من أين قلت هذا؟ فقلت: يا رب حدثني عبدالرزاق. فنودي بعبد الرزاق، فجيء به حتى أقيم بين يدي الله عز وجل. فقال له: ما تقول في القرآن، يا عبدالرزاق؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال الله عز وجل: من أين قلت هذا؟ فقال: حدثني معمر. فنودي بمعمر، فجيء به حتى أُوقف بين يدي الله عز وجل. فقال الله عز وجل له: ما تقول في القرآن يا معمر؟ فقال معمر: كلامك اللهم لك. فقال له: من أين قلت هذا؟ فقال معمر: حدثني الزهري، فنودي بالزهري فجيء به، حتى أُوقف بين يدي الله عز وجل. فقال الله عز وجل له: يا زهري، ما تقول في القرآن؟ فقال الزهري: كلامك اللهم لك. فقال: يا زهري من أين لك هذا؟ قال: حدثني عروة. فجيء به. فقال: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال له: يا عروة: من أن لك هذا؟ فقال: حدثتني عائشة بنت أبي بكر الصديق. فنوديت عائشة، فجيء بها، فوقفت بين يدين الله عز وجل، فقال الله عز وجل لها: يا عائشة: ما تقولين في القرآن؟ فقالت: كلامك اللهم لك. فقال الله عز وجل لها: من أين لكِ هذا؟ قالت: حدثني نبيك محمد ﷺ. قال: فنودي بمحمد ﷺ، فجيء به، فوقف بين يدي الله عز وجل. فقال الله عز وجل له: يا محمد، ما تقول في القرآن؟ فقال له: كلامك اللهم لك. فقال الله له: من أين لك هذا؟ فقال النبي ﷺ: حدثني به جبريل. فنودي بجبريل، فجيء به، حتى وقف بين يدي الله عز وجل فقال له: يا جبريل، ما تقول في القرآن؟ قال:

كلامك اللهم لك. فقال الله تعالى له: من أين لك هذا؟ فقال: هكذا حدثنا إسرافيل. فنودي بإسرافيل، فجيء به، حتى وقف بين يدي الله عز وجل. فقال الله سبحانه: يا إسرافيل: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال الله له: ومن أين لك هذا؟ فقال إسرافيل: رأيت ذلك في اللوح المحفوظ، فجيء باللوح، فوقف بين يدي الله عز وجل. فقال له: أيها اللوح، ما تقول في القرآن؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال الله تعالى له: من أين لك هذا؟ فقال اللوح: كذا جرى القلم عليَّ. فأتى بالقلم حتى وقف بين يدي الله عز وجل. فقال الله عز وجل له: يا قلم، ما تقول في القرآن؟ فقال القلم: كلامك اللهم لك. فقال الله: من أين لك هذا؟ فقال القلم: أنت نطقت وأنا جريت. فقال الله عز وجل: صدق القلم، صدق اللوح، صدق إسرافيل، صدق جبريل، صدق محمد، صدقت عائشة، صدق عروة، صدق الزهري، صدق معمر، صدق عبدالرزاق، صدق أحمد بن حنبل: القرآن كلامي غير مخلوق.

قال سليمان السجزي: فوثب عند ذلك المعتصم. فقال: صدقت يا ابن حنبل وتاب المعتصم. وأمر بضرب رقبة بشر المريسي وابن أبي دؤاد، وأكرم أحمد بن حنبل. وخلع عليه. فامتنع من ذلك، فأمر به فحمل إلى بيته. اهـ.

وعلى كل حال فهذه رؤيا لا يُعول على مثلها في هذا الباب - إن صح سندها إلى الإمام أحمد - وتوبة المعتصم غير محفوظة مع ألفاظ أخر مُنكرة، وقد ذكرها ابن مفلح في المقصد الأرشد ١/ ٤١٩-٤٢٥، وانظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٤٤٥، وفيه قال: «هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال» اهـ، وانظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٥ وما بعدها.

***